الصحيح المصفى
من
سيرة النبي المصطفى ﷺ

أول كتاب علمي يعرض وقائع سيرة النبي المصطفى ﷺ
وشمائله وخصائصه ومعجزاته وشهادات علماء الغرب
على صدقه بالدليل الصحيح في ضوء علم الحديث ومصطلح
التاريخ ويوثق أحداثها الكبرى بالخرائط والجداول والصور

تأليف

فضيلة الدكتور المحدث

سليم بن عيد الهلالي

كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

مركز السلف الصالح

للدرسات الاستراتيجية

الصحيح المصفى
من
سيرة النبي المصطفى ﷺ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م

مركز السلف الصالح
للدراسات الإستراتيجية
عمان - الأردن

Email: sasasa1957@hotmail.com
هاتف رقم: 00962795515806
ص.ب. (98) رمز بريدي (13781)

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه توكلت وإليه أنيب



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ من سديد الكلم وجوامع الحكم قول أهل العلم: إنَّ الأمَّة التي لا تحفظ تاريخها لا تستطيع أن تحفظ حاضرها ومستقبلها، ذلك؛ لأنَّ حفظ التاريخ هو حفظ ذات الأمة وتجذير لثوابتها، وترسيخ لأصولها، وإعلاء لمآثرها؛ فالتاريخ ذاكرة الأيام، ومدونة الأمم والشعوب.

فلا غرو أن يعتني علماء الإسلام بتاريخهم، ويهتموا بتدوينه، ويجدُّوا في صيانته، وما ذاك إلَّا لأنَّ درَّة تاج تاريخ هذه الأمة وفاتحته؛ هو: السيرة النبوية الصحيحة.

وعليه؛ اعتنى العلماء بالسيرة النَّبوية العطرة، وتسابقوا في تدوينها، وتتابعوا على التَّأليف فيها، في كتب مفردة شاملة لجميع أبواب السيرة أو بعضها، أو ضمن مصنَّفات تحوي موضوع السيرة والمغازي وغيرها؛ لذا قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا

الفن مما ينبغي الاعتناء به، والاعتبار بأمره، والتهيؤ له»[1].

بل درج السَّلف ﷺ على حثِّ أبنائهم على تعلُّم السيرة النَّبوية والمغازي، وعلَّموهم إيَّاها في الصغر قبل الكبر.

قال علي بن الحسين زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنَّا نُعَلَّم مغازي النَّبيِّ ﷺ كما نُعَلَّم السورة من القرآن»[2].

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدُّها علينا، وسراياه، ويقول: هذه مآثر آبائكم؛ فلا تضيعوا ذكرها»[3].

ولا شكَّ: أنَّ المسلمين اليوم في أشدِّ الحاجة إلى هذا العلم الشريف؛ لنبيِّن للعالم كلِّه جمال محاسن ديننا، وصفاء عقيدتنا، ونقاء سيرة نبيِّنا الكريم محمَّد ﷺ.

فكان حقًّا على المسلم الحريص على خير نفسه وغيره: أن يُلِمَّ بسيرة نبيِّه ﷺ، ويتعلَّم ما يجب عليه أن يتعلَّمه منها؛ ليكون على بيِّنة من أمره، وليعرف بذلك قدر نبيِّه الذي أوجب الله عليه حبَّه واتباعه وطاعته، وسدَّ جميع الطرق إلى الجنَّة إلَّا طريقه، وخاصة وأنَّ الله -عز وجل- سيمتحنه به، ويسأله في أوَّل نزوله القبر، فيقول له الملكان: «**ما هذا الرَّجل الذي بُعِثَ فيكم؟**»[4]؛ فعلينا أن نعدَّ للأمر عدَّته، وللسؤال جوابه، ولا يتحقَّق ذلك بتمامه، ولا يتمُّ بكماله إلا بمعرفة نبينا ﷺ معرفة تفصيليَّة، فيعرف المسلم مولده ونسبه وأسماءه ونشأته ووفاته، ويقف على أحواله وأوصافه وشمائله وخصائصه ودلائل نبوته ومعجزاته وسياسته وتدبيره، وجميع غزواته

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع» (٢/ ١٩٥)، وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٢).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع» (٢/ ١٩٥).

(٤) **صحيح** - أخرجه الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وسراياه؛ بحيث تُورث هذه المعرفة في النفوس حُبَّه ﷺ وإجلاله وتوقيره وتعظيمه، ثمَّ إنَّ هذه المحبَّة ستدفع بالعبد إلى متابعته في هديه، والاقتداء به في سيرته؛ وهذه المحبَّة وهذا الاقتداء والمتابعة هو أجلُّ ما يجتنى من دراسة سيرة النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ فيه تحقيق الإيمان الذي يوجب تقديم حبِّ الله ورسوله ﷺ على جميع المحبوبات، وتحقيق مقصود الرسالة النَّبوية بالاقتداء والاتِّساء به ﷺ؛ حيث قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وبذلك يسعد العبد في الدنيا والآخرة؛ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وإذا كانت سعادة العبد في الدَّارين معلَّقةً بهدي النَّبيِّ ﷺ؛ فيجب على كلِّ من نصح نفسه، وأحبَّ نجاتها وسعادتها: أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والنَّاس في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثرٍ، ومحرومٍ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1].

وبذلك يزداد المسلم المتَّبع لرسول الله ﷺ قوةً وعزيمةً على الدِّين، إذا طالع ما قاساه النَّبيُّ ﷺ في دعوته لقومه، وما عانى من عنادهم وتسفيههم له، ومحاولة التخلص منه بجميع ما تمكَّنوا منه من وسائل، وما أصاب الصحابة الأوائل رضي الله عنهم من شدَّة المناوءة والمعارضة، ومن التعذيب والاضطهاد وأصناف الأذى والظلم، وأنواع الشَّتم والسُّباب من القريب والبعيد، ثمَّ لم يزدهم هذا كلُّه إلَّا تمسُّكًا بدينهم، وثباتًا على عقيدتهم، سيجد بذلك قوة إيمان، وزيادة يقين من أنَّ الإسلام حقٌّ، وأنَّ رسوله ﷺ حقٌّ، وأنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم هم أشرف هذه الأمَّة، وأنَّ منهجهم هو بوَّابة فهم الدِّين.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «فإنَّ سيرة محمد ﷺ لمن تدَبَّرها تقتضي تصديقه ضرورةً؛ وتشهد له بأنَّه رسول الله ﷺ حقًّا؛ فلو لم تكن له معجزةٌ غير سيرته ﷺ لكفى»[2].

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٦٩).

(٢) «الفصل في الملل والنحل» (٢/ ٧٣).

وما ذاك إلَّا لأنَّ سنَّة رسول الله ﷺ وسنَّة أصحابه الراشدين المهديين هي التَّطبيق العملي الأمين للإسلام، وهنا مربط الفرس؛ حيث إنَّ هذا الجانب من السيرة تناوله الدارسون للسيرة بخلفيات عَلقت بأذهانهم ومناهج ترسَّخت في عقولهم: فالحركي الحزبي لا يرى السيرة إلَّا أسلوبًا من أساليب السياسة، والثوري الخارجي لا يرى فيها إلَّا الغزوات والقتال... إلخ، ولو صفت أذهان هؤلاء القوم، وتجرَّدت عقولهم من الأحكام المسبقة، وصدقت قلوبهم في طلب الحقِّ؛ لوجدوا أنَّ السيرة النبوية الصحيحة تمثل التَّطبيق العمليَّ الأمين للإسلام بجميع جوانبه، وأنَّها الأسلوب الأمثل والأكمل في الدَّعوة إلى الله على بصيرةٍ، وإصلاح المجتمعات على منهاج النُّبوَّة، إذ سيجد الدَّاعي إلى الله بُغيته بتأمُّل أحوال وأطوار هذه السيرة العطرة، مستنيرًا بفهوم العلماء الكبار، وتوجيههم لتلك الأخبار والآثار، وتصويبهم لهذه المدارك والأنظار.

والذي يجب الإشارة إليه بعلمٍ، والتنبيه عليه بفهمٍ: أنَّ قطب الرَّحى في السِّيرة النَّبويَّة؛ هو: الدَّعوة إلى توحيد الله عز وجل والنَّهي عن ضدِّه؛ إذ لم يغفل عنه النَّبيُّ ﷺ في جميع أحواله، وكلِّ أحيانه: في ضعفه وقوته، في سلمه وحربه، في خوفه وأمنه، في عسره ويسره، في منشطه ومكرهه، في ظعنه وإقامته.

وهذا منهج الأنبياء جميعًا في الدعوة إلى الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكذلك ينبغي على جميع الدُّعاة إلى الله أن لا يَشرُدَ ذهن أحدهم عن التوحيد طرفة عين، وأن يجعلوه منطلق دعوتهم وآخرها. وبهذا يظهر صدق الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «تتعلَّق بمغازي رسول الله ﷺ أحكام كثيرةٌ، فيجب كَتْبُها، والحفظ لها»[(١)].

(١) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٩٥).

ومن هنا ينبغي كتابة السِّيرة النَّبويَّة، وحفظها، والاهتمام بها، وتحليلها بعناية فائقة؛ لكن وِفق منهجٍ علميٍّ دقيقٍ قرَّره علماء الحديث والسُّنَّة المعتبَرون، ورسمه علماء التاريخ الموثوقون.

ولما كانت السيرة النبوية علمًا مختصًّا يجمع كلَّ ما ورد من تفاصيل حياة رسول الله محمَّد ﷺ قبل البعثة وبعدها، وقد صُنِّفت فيها كتب كثيرةٌ، جمعت كلَّ ما وصل إليها من أخبارٍ وروايات، سواء أثبتت أم لم تثبت، والقليل من هذه المصنَّفات تعرَّضت؛ لتمحيص الروايات، وتوثيق الأخبار.

فقد جاء هذا الكتاب على قَدَرٍ في هذه المرحلة من حياتي، وإن كنت تمنَّيته منذ أربعة عقود خلت، وسمَّيته: «**الصَّحِيحُ المُصفَّى من سِيرَةِ النَّبيِّ المُصطَفَى ﷺ**»؛ ليجمع فوائد ما سبق، بعد تمحيص الرِّوايات في ضوء علم الحديث الذي اختصت به الأمة الإسلامية، وتوثيق الأخبار ضمن قواعد مصطلح التاريخ الذي يُعطي عمقًا للسِّيرة النَّبويَّة، وكأنَّك تنظر إلى رسول الله ﷺ في جميع مراحل حياته من مولده إلى وفاته، وأطوار رسالته من مبعثه إلى ظهور الإسلام على الدِّين كلِّه.

وبذلك يكون -بإذن الله- نواةً لمشروعٍ علميٍّ عالمي كبيرٍ يخدم تفاصيل السِّيرة النَّبويَّة، ويوثِّقها توثيقًا علميًّا، ويحلِّلها تحليلًا عقديًّا ومنهجيًّا، وكأنَّك تنظر إلى رسول الله ﷺ في كلِّ أحواله، وجميع أحيانه.

وقد جاء هذا الكتاب -بحمد الله- متراصَّ الحَلَقات، واضح الغايات، مكتمل العبارات على النحو الآتي:

أولًا: محتوى الكتاب، ويتضمَّن:

١- حياة رسول الله محمَّد ﷺ من مولده إلى وفاته، وفي ثنايا ذلك تعرض لبحوث فرعيةٍ كثيرةٍ.

٢- دلائل النبوة وأعلام رسالته ﷺ.

٣- خصائصه ﷺ:

أ- التي انفرد بها عن الرُّسل -عليهم الصلاة والسلام-.

ب- والتي استقلَّ بها دون أُمَّته ﷺ.

٤- شمائله ﷺ الثابتة.

واقتصر الكتاب في ذلك كلِّه على الثَّابت الصَّحيح؛ لأنَّ في الصَّحيح ما يغني عن غيره.

ثانيًا: جغرافيا السِّيرة النَّبويَّة، وتشمل على تعريف مختصر متكامل بالأعلام، والأماكن، والقبائل، والبقاع: التي وردت في الأحاديث النَّبويَّة الصَّحيحة، والأحداث التَّاريخية الموثَّقة، مقرونة بالصُّور التوضيحية، والرُّسومات البيانِيَّة.

ثالثًا: تزويده بخرائط تفصيليَّةٍ تربط أحداث السِّيرة بالواقع الجغرافي المعاصر[١].

رابعًا: ذكر أقوال علماء الغرب ومفكِّريه ومُؤرِّخيه الذين شهدوا لرسول الله ﷺ؛ بأنه دُرَّةُ تاج البشرية، وبيان مرجعيَّة ذلك من القرآن والسنة الصَّحيحة وأقوال السَّلف الصَّالح.

وسلكت في ذلك كلِّه طريق الإيجاز في الكلام، والاختصار في التخريج؛ لأنَّ ذلك أقرب للاستفادة، وأصوب في تجنب التكرار والإعادة.

ولا يفوتني التنبيه: أنني استفدت من جلِّ الكتب والدِّراسات التي سبقت، فما جاء متشابهًا، فهو مستمدٌّ منها، وخاصة ما حرّره الإمامان: ابن قيم الجوزية وابن كثير -رحمهما الله-، فجزى الله مصنِّفيها خير الجزاء، ولهم منِّي أجزل الشُّكر وأرفع الثَّناء.

فإن أصبت في مقصدي، وَوُفِّقْتُ في منهجي؛ فمن لطف الله وعونه، وإن

(١) وقد استفدت في هذا الباب كثيرًا من كتب الدكتور شوقي أبو خليل، والأستاذ سامي المغلوث، فجزاهما الله خير الجزاء.

أخطأت وقصَّرت؛ فمنْبت الخطأ ومعدنه.

والله -عزَّ وجلَّ- أسأل، وبحبِّي لنبيِّه ﷺ أتوسل: أن يسبغ عليَّ من نعمه الظاهرة والباطنة، وأن يستعملني بطاعته، ويجعل غرسي نافعًا، وعملي صالحًا، ودعوتي إلى دينه على بصيرة، ويختم لي بالحسنى وزيادة، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه حامدًا ومصليًّا ومسلماً

سليم بن عيد بن محمد الهلالي

أبو أسامة

يوم الإثنين السادس عشر / جمادى الأولى / ١٤٣٥هـ

في عمان البلقاء، عاصمة جند الأردن، من بلاد الشام المحروسة؛ من كلِّ شرٍّ وأذيَّة بحفظ ربِّ البريَّة

الباب الأول

حياة محمد ﷺ

من مولده إلى وفاته





فصل

نسبه ﷺ

هو سيِّد ولد آدم[1]: أبو القاسم **محمد بن عبد الله**؛ ووالده: عبد الله أخو الحارث، والزبير، وحمزة، والعباس -ويكنى: أبا الفضل-، وأبي طالب -واسمه: عبد مناف-، وأبي لهب -واسمه: عبد العزى-، وعبد الكعبة -وهو: المقوم-، وحَجْل -واسمه: المغيرة-، والغيداق -وسُمِّي بذلك؛ لكثرة جوده-، وضرار.

وصفية، وعاتكة، وأروى، وأميمة، وبَرّة، وأمُّ حكيم؛ وهي: البيضاء.

هؤلاء كلُّهم أولاد:

عبد المطلب، واسمه: شيبة الحمد[2] ابن:

هاشم، واسمه: عمرو، وهو أخو المطلب وإليهما نسب ذي القربى، وعبد شمس، ونوفل، أربعتهم أبناء:

عبد مناف أخي عبد العزّى، وعبد الدَّار، وعَبدٍ، أبناء:

قصيّ، واسمه: زيد، وهو أخو زهرة، ابني:

كلاب أخي تَيْم، ويقظة أبي مخزوم، ثلاثتهم أبناء:

مُرَّة أخي عدي، وهصيص، وهم أبناء:

كعب أخي عامر، وسامة، وخزيمة، وسعد، والحارث، وعوف، سبعتهم أبناء:

---

(١) أخرج مسلم (٢٢٧٨) (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة، وأوَّل من ينشق عنه القبر، وأوَّل شافعٍ، وأول مُشفَّع**».

(٢) لخصلة شعر بيضاء كانت في رأسه.

لؤي أخي تيم الأدرم، ابني:

غالب أخي الحارث، ومحارب، بني:

فهر أخي الحارث، ابني:

مالك أخي الصلت، ومَخْلَد، بني:

النضر أخي **مالك،** وملكان، وعبد مناة، وغيرهم، بني:

كنانة أخي أسد، وأسدة، والهون، بني:

خزيمة أخي هذيل.

ابن مدركة، واسمه: عمرو، وهو أخو طابخة -واسمه: عامر-، وقمعة، وثلاثتهم أبناء:

إلياس أخي الناس، وهو: عيلان والد قيس كلِّها، كلاهما ولد:

مضر أخي ربيعة -وهما الصريحان من ولد إسماعيل- وأخي أنمار، وإياد، وقد تيامنا[1]، أربعتهم أولاد:

نزار أخي قضاعة -في قول أكثر أهل النسب- كلاهما ابنا:

معد بن عدنان.

فجميع قبائل العرب[2] ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان.

وقريش على قول أكثر العلماء والمحققين هم الذين ينتسبون إلى النَّضر بن كنانة، واستدلوا على ذلك بحديث الأشعث بن قيس ﵁؛ قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة، فقلت: ألستم منَّا يا رسول الله[3]؟! قال: «**لا، نحنُ بنو النَّضر بن كنانةَ؛**

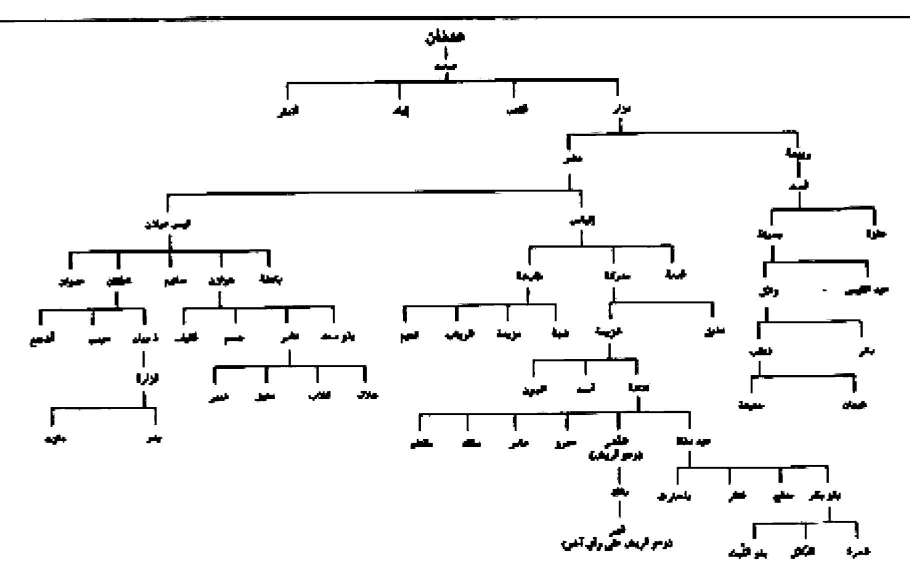
---

(١) ارتحلا إلى اليمن.

(٢) أي: العرب المستعربة.

(٣) لأن أمَّ عبد مناف حبى بنت حليل بن حبشية من خزاعة، وهي قبيلة يمنية، وكذلك كندة يمنية؛ فظن الأشعث بن قيس ﵁: أن ذلك يجعل للرسول ﷺ نسبًا فيهم، فبين له رسول الله: أن الانتساب الشرعي للآباء وليس للأمهات، والله أعلم.

من سيرة النبي المصطفى



لا نَقْفُوا أُمَّنا، ولا ننتفي من أَبينا»[١].

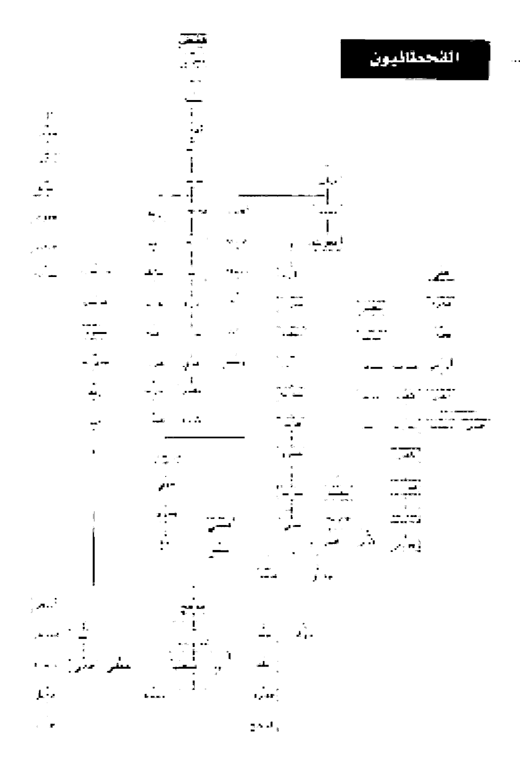
فأمَّا قبائل اليمن؛ كحمير، وحضرموت، وسبأ، وغير ذلك؛ فأولئك من قحطان، ليسوا من عدنان.

وهذا النَّسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابتٌ بالتَّواتر والإجماع[٢].

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (١١٤)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢١١ و٢١٢)، وابن ماجه في «السنن» (٢٦١٢)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٤٧) من حديث الأشعث بن قيس ﷺ، بإسناد جيد.
وله شاهد من مرسل عن ابن شهاب الزُّهري: أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات الكبرى» (١/ ٢٢و٢٢-٢٣)، وسنده صحيح.
فالحديث بهما صحيح.
ومعنى الحديث: لا نترك النسب إلى الآباء، وننتسب إلى الأمَّهات.

(٢) هذا ما صرَّح به علماء النَّسب؛ كابن عبد البر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ٢٥)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والأثر» (١/ ٢٢)؛ ولذلك اقتصر البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٦٢- كتاب مناقب الأنصار، ٢٨- باب مبعث النَّبيِّ ﷺ) على ذكر النَّسب النَّبويِّ إلى عدنان.



وإنَّما الشأن فيما بعد ذلك؛ لكن لا خلاف بين أهل النَّسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب: أنَّ عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام، وهو الذبيح على الصحيح من قولي الصحابةِ والأئمة.

وقد كره بعض السلف والأئمة الانتساب إلى ما بعد عدنان.

فجميع قبائل العرب مجتمعون معه في عدنان؛ ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يكن بطنٌ من قريش إلَّا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابةٌ»[١].

وهو صفوةُ الله منهم؛ خيرهم قبيلةً، وأشرفهم أرومةً.

عن واثلةَ بن الأسقع رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله: «**إنَّ الله اصطفى**[٢] **كنانة من ولد إسماعيل، ثُمَّ اختار مِن كنانة قريشًا، ثمَّ اختار مِن قريشٍ بني هاشم، ثُمَّ اختارَني من بني هاشم**»[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى بُعِثت مِنَ القرنِ**[٤] **الَّذي كنتُ فيه**»[٥].

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ قال: أتى أناس من الأنصار

---

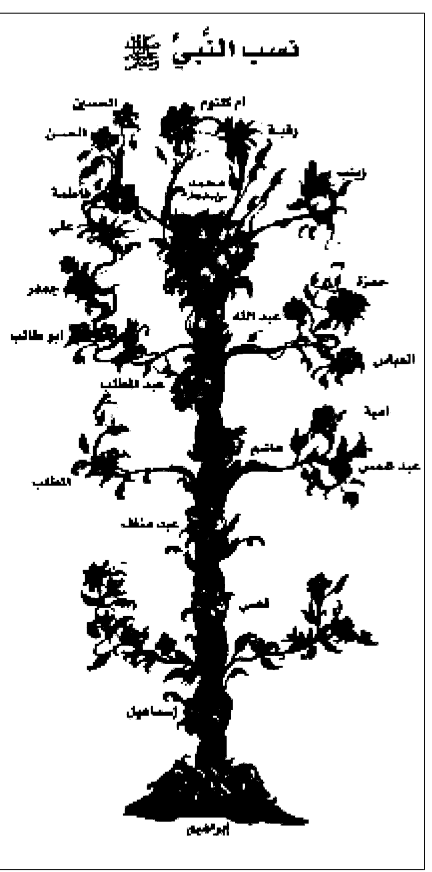
(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٨١٨).

(٢) اختار.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٤) كل طبقة مقترنين في وقت؛ ولأنه يقرن أمة بأُمَّةٍ، وعالمًا بعالم، وكل مائة عام قرن.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٥٧).



إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: إنَّا لنسمعُ مِن قومِكَ حتَّى يقولَ القائلُ منهم: إنما مَثَلُ محمدٍ مَثَلُ نخلةٍ نبتت في كباء[1]، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! مَن أنا؟**»، قالوا: أنت رسول الله ﷺ، قال: «**أنا محمَّد ابن عبد الله بن عبد المطلب** -قال: فما سمعناه قط ينتمي قبلها- **إلا أنَّ اللهَ -عزّ وجل- خلق خلقَه، فجعلني مِن خير خلقه، ثم فرَّقهم فرقتين، فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائلَ، فجعلني مِن خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلني مِن خيرهم بيتًا، وأنا خيرُكم بيتًا، وخيرُكم نفسًا**»[2].

عن عليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضي الله عنه؛ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**خرجت من نكاح ولم أخرج مِن سفاحٍ؛ مِن لَدُن آدم إلى أن ولدتني أُمِّي، ولم يُصِبني من سفاحِ الجاهلية شيءٌ**»[3].

وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين سأله هِرَقْلُ، وقال له: «كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نَسَبٍ».

وقول هرقل: «وسألت عن نسبه؛ فذكرت: أنه فيكم ذو نسب؛ فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها»[4].

وكذلك بنو إسرائيل: أنبياؤهم وغيرهم يجتمعون معه في إبراهيم الخليل -عليه

---

(١) الكناسة.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٦٦)، واللفظ له، والترمذي (٣٦٠٧ و٣٦٠٨).

(٣) انظر: «صحيح الجامع الصغير» (٣٢٢٥).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧).

الصَّلاة والسَّلام-؛ الذي جعل الله في ذُرِّيَّته النُّبوَّة والكتاب والمُلك.

وهكذا أمر الله -سبحانه وتعالى- بني إسرائيل على لسان موسى -عليه الصَّلاة والسَّلام-، وهو في التَّوراة؛ كما ذكره غير واحدٍ من العلماء ممن جمع بشارات الأنبياء به ﷺ: أنَّ الله -تعالى- قال لهم: «سأُقِيم لكم مِن أولاد أَخِيكُم نبيًّا كلُّكم يسمع له، وأجعله عظيمًا جدًّا»[1].

ولم يولد من بني إسماعيل أعظمُ مِن محمَّدٍ ﷺ، بل لم يُولد من بني آدم أحدٌ ولا يولدُ إلى قيام الساعة أعظمُ منه ﷺ؛ فقد صحَّ عنه أنَّه قال: «**أنا سيِّد ولدِ آدم ولا فخر، آدم فمن دونه مِنَ الأنبياءِ تحت لوائي**»[2].

وفي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**سأقوم مقامًا يرغب إليَّ الخلقُ كلُّهم؛ حتَّى إبراهيم**»[3].

وهذا هو المقام المحمود الذي وعدَه اللهُ -تعالى-، وهو الشفاعةُ العظمى التي يشفع في الخلائق كلِّهم؛ ليريحهم اللهُ بالفصلِ بينهم من مقام المحشر؛ كما جاء مُفسَّرًا في الأحاديث الصَّحيحة عنه ﷺ[4].

وأمُّه ﷺ: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

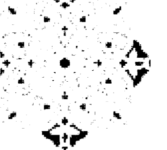
---

(١) «سفر التثنية» (إصحاح: ١٨).

(٢) **صحيح لغيره** - أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧٤٩٣)، وابن حبان (٦٤٧٨) بإسناد ضعيف.
لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٨٣٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٨١ و٢٩٥)، وأبو يعلى (٢٣٢٨) بإسناد ضعيف.
وشاهدٌ ثانٍ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه: أخرجه أحمد (٣/ ٢)، والترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨) بسند ضعيف.
وشاهدٌ ثالثٌ من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أخرجه أحمد (١٢٤٦٩) بسندٍ حسنٍ.
وبالجملة؛ فالحديث صحيحٌ بمجموع ذلك.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٧٦ و٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣ و١٩٤) من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما.





فصل

البشارة برسول الله ﷺ

بشَّر النَّبيُّون -عليهم الصلاة والسلام- بمحمد ﷺ أقوامهم، وأمروا باتِّباعه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقد قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فيما دعا به لأهل مكة: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدءُ أَمرك؟ قال: «**دعوةُ أَبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أُمِّي أنه يخرجُ منها نورٌ أضاءت له قصور الشام**»[1].

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٣٦)، وابن الجعد (٣٤٢٨)، وأحمد (٥/ ٢٦٢)، والروياني (١٢٦٧).

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥) لشيخنا الألباني رحمه الله.



ومعنى هذا: أنَّه أراد بدء أَمرِه بين الناس، واشتهار ذكره وانتشاره؛ فذكر دعوةَ إبراهيم الذي تنسب إليه العرب، ثم بُشرى عيسى الَّذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل؛ فعُلِمَ من هذا: أنَّ مَن بينَهما من الأنبياء بشَّروا به -أيضًا-.

أما في الملأ الأعلى؛ فأمْرُه مشهورٌ مذكورٌ من قبل خلق آدم -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث العرباض بن ساريةَ رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ؛ يقول: **«إنِّي عند الله في أُمِّ الكتاب لخاتم النَّبيِّين، وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ في طِيْنَتِه**[1]**، وسأنبِئُكم بتأويل ذلك، دعوةُ أَبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومَه، ورؤيا أمِّي التي رأت أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشامِ، وكذلك ترى أمَّهات النَّبيِّين صلوات الله عليهم»**[2].

ولذلك؛ وردت صفة النبيِّ ﷺ في التَّوراة والإنجيل؛ فأحبار اليهود ورهبان النَّصارى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ قال الله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ**﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) ملقى على الأرض في مرحلة الطِّين.

(٢) **صحيح بشواهده** - أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧و١٢٨)، وابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٣٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٠٩)، والبزار في «مسنده» (٢٣٦٥ - كشف الأستار)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٠) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٠٨٥)، و«صحيح السيرة النبوية» (ص٥٣) لشيخنا الألباني رحمه الله.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

عن عطاء بن يسار؛ قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: أخبرني عن صفةِ رسولِ الله ﷺ في التوراةِ، فقال: «أجل، والله إنَّه لموصوفٌ في التوراة بصفتِه في القرآنِ: يا أيُّها النَّبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين(١)، وأنت عبدي ورسولي، سمَّيتك: المتوكِّل، ليس بفظٍّ، ولا غليظٍ، ولا سخَّاب في الأسواق(٢)، ولا يدفع بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتَّى يقيم به المِلَّة العوجاء(٣) بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، ويفتح به أعْينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»(٤).

وعن سلمة بن سلامة بن وَقْشٍ رضي الله عنه -وكان من أصحاب بدر-؛ قال: «كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشهل؛ قال: فخرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النَّبيِّ ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذٍ أحدث من فيه سنًّا، عليَّ بردة مضطجعًا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنَّة والنَّار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثًا كائنٌ بعد الموت.

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنًا أنَّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنَّة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحْلَفُ به، وَلَوَدَّ أنَّ له بحظِّه من

---

(١) حافظًا لهم.

(٢) لا يرفع صوته بالخصام في الأسواق.

(٣) أي: ملة إبراهيم -عليه السلام- التي غيَّرتها العرب.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢١٢٥).

تلك النار أعظم تنور[١] في الدُّنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياها، فيطبق به عليه[٢]، وأن ينجو من تلك النار غدًا.

قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟

قال: نبيٌّ يُبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه؟

قال: فنظر إليَّ -وأنا من أَحدثهم سنًّا- فقال: إن يستنفذ[٣] هذا الغلام عمره يدركه!.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار؛ حتى بعث اللهُ رسوله ﷺ، وهو حيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكُفِرَ به بغيًا وحسدًا.

فقلنا: ويلك يا فلان، ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟

قال: بلى، وليس به[٤].

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه؛ قالوا:

إنَّ مما دعانا إلى الإسلام -مع رحمة الله تعالى وهداه لنا- لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون؛ قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبيٍّ يبعث الآن؛ نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فكنَّا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسول الله ﷺ؛ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا

---

(١) الفرن.

(٢) يغلق عليه.

(٣) يعش عمره.

(٤) حسن - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤١٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٨).

به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩][١].

وأما الكهَّان من العرب؛ فأتتهم به الشياطين من الجنِّ مما تسترق من السَّمع؛ إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذفِ بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض أموره، ولا يلقي العرب لذلك فيه بالًا حتَّى بعثه اللهُ تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها.

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر زمان بعثه؛ حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرُموا بالنُّجوم، فعرفت الشياطين: أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل؛ فأخبرت أولياءَها من الكهَّان والعرَّافين.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إنِّي لأظنُّه كذا؛ إلا كان كما يظنّ.

بينما عمر جالس إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال عمر: لقد أخطأ ظنِّي، أو إنَّ هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل؛ فدُعِيَ له، فقال له ذلك.

فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجلًا مسلمًا. قال: فإنِّي أعزم عليك! إلَّا ما أخبرتني؟ قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يومًا في السوق، جاءتني أعرف منها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها[٢].

---

(١) حسن - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٢٥).

(٢) أي: يأسها من الاستماع، أو استراق السَّمع بعد أن كانت ألفته، فانقلب عن الاستراق، وقد يئست من السَّماع.

ولحوقها بالقلاص[1] وأحلاسها.

قال: صدق؛ بينما أنا نائم عند آلهتهم؛ إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه؛ يقول: يا جليح[2]، أمر نجيح، رجلٌ فَصِيحٌ؛ يقول: «لا إله إلَّا الله»، فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتَّى أعلم ما وراء هذا، ثمَّ نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: «لا إله إلَّا الله»، فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبيٌّ[3].

ولذلك؛ لما اقترب موعد مبعثه ﷺ؛ علمتِ الجنُّ بذلك من استراقها السَّمع، وأخبرت أولياءها من الكهَّان والعرَّافين.

○ ○ ○

(١) جمع قلوص؛ وهي: الفتية من النياق.

(٢) الوقح المكافح بالعداوة.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٥٣).



فصل

فيما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت:

كان يهودي قد سكن مكَّة، يَتَّجر بها، فلما كانت اللَّيلة الَّتي ولد فيها رسول الله ﷺ؛ قال في مجلس قريش: يا معشر قريش! هل ولد فيكم اللَّيلة مولود؟ فقال: والله! ما نعلمه. قال: الله أكبر: أما إذ أخطأتم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم، ولد فيكم هذه اللَّيلة نبيُّ هذه الأمَّة الأخيرة، بين كتفيه علامةٌ، فيها شعراتٌ متواتراتٌ كأنَّهن عُرف فرسٍ، لا يرضع ليلتين؛ وذلك: أنَّ عفريتًا من الجنِّ أدخل أصبعه في فمه؛ فمنعه الرِّضاع. فتصدَّع القوم من مجلسهم، وهم يتعجبون من قوله وحديثه، فلمَّا صاروا إلى منازلهم، أخبر كلُّ إنسانٍ منهم أهله: فقالوا: لقد ولد لعبدالله ابن عبد المطلب غلامٌ سمُّوه: «محمدًا»، فالتقى القوم، فقالوا: هل سمعتم حديث هذا اليهودي؟ بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاؤوا اليهودي؛ فأخبروه الخبر. قال: فاذهبوا معي حتَّى أنظر إليه. فخرجوا به حتَّى أدخلوه على آمنة، فقال: أخرجي

إلينا ابنك، فأخرجته، وكشفوا له عن ظهره، فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشيًا عليه، فلما أفاق قالوا: ويلك! ما لك؟ قال: ذهبت -والله- النبوة من بني اسرائيل، أفرحتم به يا معشر قريش؟ أما والله! ليسطونَّ بكم سطوةً يخرج خبرها من المشرق والمغرب.

وكان في النَّفر الَّذي قال لهم اليهودي ما قال: هشام والوليد ابنا المغيرة، ومسافر ابن أبي عمرو، وعبيدة بن الحارث، وعقبة بن ربيعة -شاب فوق المحتلم- في نفر من بني عبد مناف وغيرهم من قريش[1].

عن حسان بن ثابت رضي الله عنه؛ قال: والله؛ إني لغلام يفعة[2]؛ ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت؛ إذ سمعت يهوديًّا بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به [3].

عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم: أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك؟ قال: «**نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى -عليهما السلام-، ورأت أمِّي حين حملت بي أنَّه خرج منها نورٌ؛ أضاءت له قصور الشام**»[4].

وأمَّا ما ذكر من ارتجاس إيوان كسرى، وسقوط الشُّرفات، وخمود نيران المجوس، ورؤيا الموبذان، وأنه ولد مختونًا، وغير ذلك من الدَّلالات، فلا يصحُّ منها شيءٌ.

○ ○ ○

---

(١) **حسن** - أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٨-١٠٩). وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) شبَّ ولم يبلغ.

(٣) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٦٨).

(٤) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٠).





في ولادته ﷺ

ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين.

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الإثنين[1].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين؟ فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت -أو أنزل عليّ- فيه**»[2].

في الثامن من ربيع الأول[3]، وذلك في عام الفيل.

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٧)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٨١).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١١٦٢/ ١٩٧).

(٣) الأقوال في تاريخ يوم ولادته ﷺ كلها معلقة من دون أسانيد؛ فلا تستحق النظر فيها؛ إلَّا قول من قال: إنه الثامن من ربيع الأول؛ كما رواه الإمام مالك عن التابعي الجليل محمد بن جبير بن مطعم بإسناد صحيح؛ ولذلك صحَّح هذا القول أصحاب التاريخ واعتمدوه؛ كابن فارس في «أوجز السير» (ص٧)، والمحب الطبري في «خلاصة سير سيد البشر» (١/ ٢١١).

وحكاه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ١٨-١٩) عن محمد بن موسى الخوارزمي، ونقل ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٤٢) عن الخوارزمي أنه قطع به، ورجَّحه الحافظ أبو الخطَّاب ابن دحيه في كتابه: «التَّنوير في مولد البشير»، واختاره شيخنا الإمام الألباني رحمه الله.

عن قيس بن مخرمة رضي الله عنه؛ قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لدان[1]؛ ولدنا مولدًا واحدًا [2].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل[3].

وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزامي -شيخ البخاري[4]-، وخليفة بن خياط[5] وغيرهما إجماعًا[6].

ومات أبوه وهو حمل؛ وبه جزمت الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى:٦].

عن ابن شهاب؛ قال: فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه[7].

وعن داود بن أبي هند؛ قال: توفي أبو النبي ﷺ وأمه حبلى به[8].

○ ○ ○

(١) أي: ولدا معًا في وقت واحد.

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق (١/ ١٧٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢١٥)، والترمذي (٣٦١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٣).

(٣) **صحيح** - أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠).

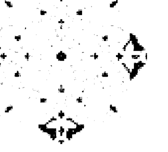
(٤) نقله عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤)، والذهبي في «السيرة» (١/ ٢٤)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٧٧)، قال: «وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا: أنه - عليه الصَّلاة والسَّلام- ولد عام الفيل، وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل».

(٥) في «تاريخه» (ص٥٣).

(٦) كابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ١٨)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٢)، وأقرَّ هذا الإجماع ابن عساكر والذَّهبي وابن كثير -رحمهم الله-.

(٧) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٧١) (٧٠).

(٨) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص٩٦).





فصل

في أسمائه ﷺ

وله أسماء كثيرة؛ مثل:

محمد، وأحمد[1]، **والماحي**؛ الذي يمحى به الكفر، **والحاشر**؛ الذي يحشر الناس على عقبيه[2]، **والعاقب**[3]؛ الذي ليس بعده نبي، **والمقفي**[4]، **ونبيُّ الرحمة**[5]، **ونبيُّ**

---

(١) هذان الإسمان وردا في القرآن الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ...﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:٢]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

(٢) أي: أنَّ الناسَ يحشرون على أثره وزمان نبوَّته، أو إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى: أنَّ النَّاس يُحشرون، ولا يُقضى بينهم حتَّى يشفع لهم ﷺ؛ فيقبل الله شفاعته دون سائر الخلق.

(٣) الذي جاء عقب الأنبياء؛ فليس بعده نبيٌّ، فإنَّ العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم.

وهذه الأسماء الثلاثة -أعني: الماحي، والحاشر، والعاقب- جاءت في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عند البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

وثبت اسم (الحاشر) -أيضًا- عند مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وعند الترمذي في «شمائل النبوة» (٣٦٠) وغيره.

(٤) معناه: لا يبعد عن معنى العاقب؛ فهو الذي قفا قبله من الرسل، فهو خاتمهم وآخرهم.

(٥) الذي أرسله الله رحمةً للعالمين؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

التَّوبة[1]، **ونبيُّ الملحمة**[2].

وكنيته ﷺ: أبو القاسم؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- بعثه قاسمًا بين النَّاس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أعطيكم ولا أمنعكم، أنا قاسم أضع حيث أُمرت**»[3].

وهذه الكنية من خصائصه التي لا يشاركه فيها أحد من أمَّته، ولذلك نهى عن التَّكنِّي بها، على حين أباح التَّسمِّي باسمه ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: نادى رجلٌ رجلًا بالبقيع: يا أبا القاسم! فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول! إني لم أعنك، إنما دعوت فلانًا، فقال رسول الله ﷺ: «**تسمُّوا باسمي، ولا تكنُّوا بكنيتي**»[4].

○ ○ ○

---

(١) الذي فتح الله به باب التوبة على عباده.

قلت: وهذه الأسماء الثلاثة جاءت في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند مسلم (٢٣٥٥).

(٢) الذي بعث بجهاد أعداء الله، وهذا الاسم ثابت في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٠٥)، والترمذي في «شمائل النبوة» (٣٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٣١)، والبزار في «مسنده» (٢٣٧٨) عن حذيفة رضي الله عنه به.

وإسناده حسن.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٩٤٩).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٣٧)، ومسلم (٢١٣١).



حواضنه ومرضعاته ﷺ

فلما ولد ﷺ حضنته بركة أم أيمن رضي الله عنها، فقد كانت وصيفة لأبيه عبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما كبر ﷺ أعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأنجبت له أسامة بن زيد رضي الله عنه، ثم توفيت بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسه شهور[١].

وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب:

عن زينب بنت أبي سلمة: أن أمَّ حبيبة رضي الله عنها أخبرتها: أنها قالت: يا رسول الله! انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «**أو تحبين ذلك؟**»، فقالت: نعم، لست لك بمخلية، وأَحَبُّ مَن شاركني في خيرٍ أختي. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إن ذلك لا يحلُّ لي**»، قلت: فإنا نُحَدَّثُ أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة. قال: «**بنت أم سلمة؟**»، قلت: نعم. فقال: «**لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلَّت لي؛ إنَّها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تَعْرِضَنَّ علي بناتكن، ولا أخواتكن**»[٢].

ثم أُرسِل ﷺ إلى بادية بني سعد:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما؛ قال: لما ولد رسول الله ﷺ قدمت حليمة بنت الحارث، في نسوة من بني سعد بن بكر؛ يلتمسون الرضعاء بمكة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩).



قالت حليمة: خرجت في أوائل النُّسوة على أتانٍ لي، قمراء[1]، ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى، أحد بني سعد بن بكرٍ، ثم أحد بني ناضرة، قد أدمت[2] أتاننا، ومعي بالركب شارفٌ[3] والله! ما تبض[4] بقطرة لبن، في سنة شهباء[5]. قد جاع النَّاس حتَّى خلص إليهم الجهد، ومعي ابنٌ لي، والله! ما ينام ليلنا، وما أجد في يديَّ شيئًا أعللِّه به؛ إلا أنَّا نرجو الغيث، وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكَّة فما بقي منَّا أحدٌ إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكرهته، فقلنا: إنه يتيم، وإنَّما يكرم الظئر، ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمُّه أو عمُّه أو جدُّه، فكلُّ صواحبي أخذ رضيعًا، فلمَّا لم أجد غيره، رجعت إليه، وأخذته، والله! ما أخذته إلَّا إنِّي لم أجد غيره، فقلت لصاحبي: والله! لآخذنَّ هذا اليتيم من بني عبد المطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحبي ولا آخذ شيئًا، فقال: قد أصبت.

---

(١) القمرة: لون البياض إلى الحمرة.

(٢) حدثت في ركبها جروح دامية لاصطكاكها.

(٣) الناقة المسنة.

(٤) لا ترشح قطرة لبن.

(٥) سنةٌ مجدبةٌ؛ لا خضرة فيها ولا مطر.

قالت: فأخذته، فأتيت به الرَّحل، فوالله! ما هو إلَّا أن أتيت به الرَّحل، فأمسيت أقبل ثدياي باللَّبن، حتى أرويته، وأرويت أخاه، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها، فإذا هي حافلٌ[1]؛ فحلبها، فأرواني وروي، فقال: يا حليمة! تعلمين -والله!- لقد أصبنا نسمةً مباركةً[2]، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمنَّ، قالت: فبتنا بخير ليلةٍ: شباعًا، وكنَّا لا ننام ليلنا مع صبيِّنا.

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحبي، فركبت أتاني القمراء، فحملته معي، فوالذي نفس حليمة بيده! لقطعت الرَّكب[3] حتَّى أَنَّ النُّسوة ليقلن: أمسكي علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا، فما شأنها؟ قالت، فقلت: والله! حملت عليها غلامًا مباركًا.

قالت: فخرجنا، فما زال يزيدنا الله كلَّ يومٍ خيرًا، حتَّى قدمنا والبلاد سنةً، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون، فتروح أغنام بني سعد جياعًا، وتروح غنمي شباعًا، بطانًا[4]، حفلًا[5]؛ فنحتلب ونشرب، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبد العزَّى، وغنم حليمة تروح شباعًا حفلًا، وتروح غنمكم جياعًا؟ ويلكم! اسرحو حيث تسرح غنم رعاؤهم، فيسرحون معهم، فما تروح إلا جياعًا، كما كانت، وترجع غنمي كما كانت.

قالت: وكان يشبُّ شبابًا ما يشبه أحد من الغلمان، يشبُّ في اليوم شباب الغلام في الشهر، ويشبُّ في الشهر شباب السَّنة، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة: أنا وأبوه، فقلنا: والله لا نفارقه أبدًا ونحن نسطيع، فلما أتينا أمَّه، قلنا: أي ظئر! والله ما رأينا

(١) كثيرة اللبن.

(٢) نفس مباركة.

(٣) سبقت الركب.

(٤) الممتلئة البطون.

(٥) كثيرات اللبن.

صبيًّا قط أعظم بركة منه، وإنا نتخوف عليه وباء[١] مكة وأسقامها، فدعيه نرجع به حتَّى تبرئي من دائك، فلم نَزَلْ بها حتَّى أذنت، فرجعنا به، فأقمنا أشهرًا ثلاثةً أو أربعةً؛ فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بُهْم له[٢]، إذ أتى أخوه يشتدّ، وأنا وأبوه في البدن، فقال: إنَّ أخي القرشيّ، أتاه رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ، فأخذاه واضطجعاه، فشقَّا بطنه، فخرجت أنا وأبوه يشتدُّ، فوجدناه قائمًا، قد انتقع لونه[٣]، فلما رآنا أجهش إلينا، وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، فضممناه إلينا، فقلنا: مالك بأبي أنت؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني، فشقَّا بطني، وصنعا به شيئًا، ثم ردَّاه كما هو، فقال أبوه: والله! ما رأى ابني إلَّا وقد أصيب، إلحقي بأهله، فرُدِّيه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوَّف منه.

قالت: فاحتملناه، فقدمنا به أمَّه، فلمَّا رأتنا أنكرت شأننا، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء؛ إلا أن قضى الله الرَّضاعة وسرَّنا ما نرى، وقلنا: نؤويه كما تحبُّون أحبَّ إلينا، قال: فقالت: إنَّ لكما شأنًا فأخبراني ما هو؟ فلم تدعنا حتَّى أخبرناها، فقالت: كلَّا والله! لا يصنع الله ذلك به، إن لابني شأنًا، أفلا أخبركما خبره؛ إنِّي حملت به، فوالله ما حملت حملًا قط، كان أخفُّ عليَّ منه، ولا أيسر منه، ثم أُريتُ حين حملته خرج مني نور أضاء منه قصور بصرى[٤].

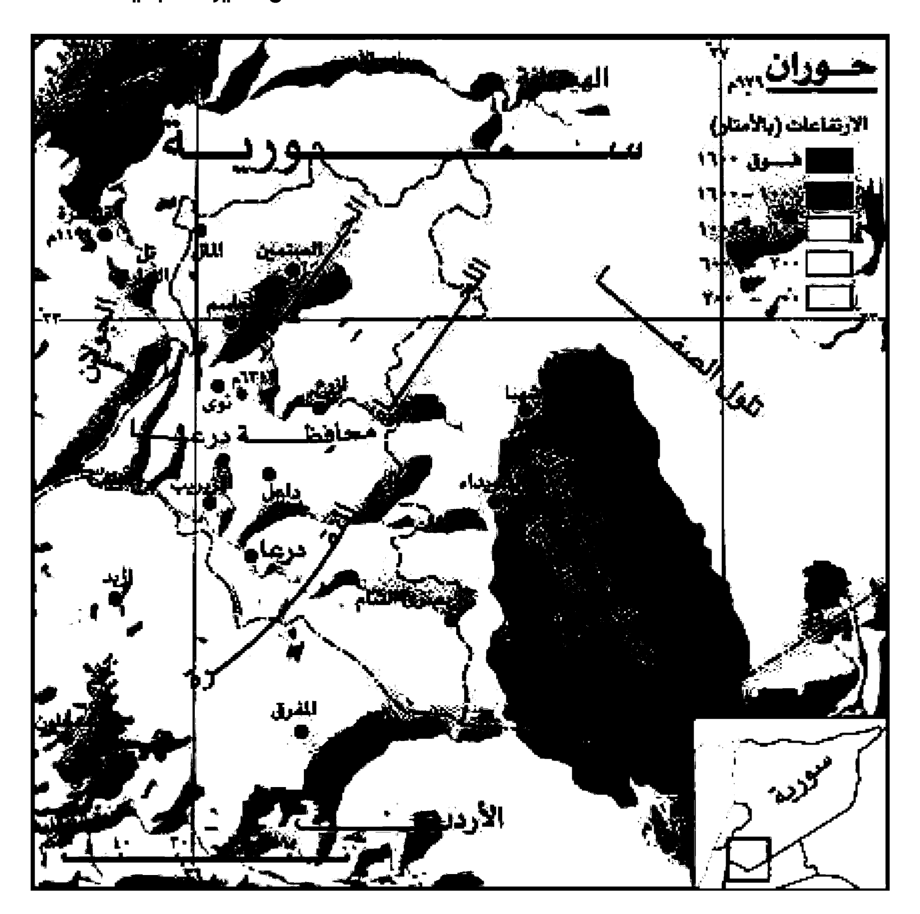
وعن عتبة بن عبد السلمي ﵁: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أوَّل شأنك يا رسول الله؟ قال: «**كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بُهْمٍ لنا، ولم نأخذ معنا زادًا. فقلت: يا أخي؛ اذهب فأتنا بزاد من عند**

(١) المرض.

(٢) صغار الضأن والماعز.

(٣) تغير لونه.

(٤) **حسن** - أخرجه ابن حبان (٥١٢ و٥١٣ - موارد)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٣٣-١٣٦). وبصرى من أعمال دمشق، وهي قصبة حوران.



أمنا، فانطلق أخي، ومكثت عن البهم، فأقبل طيران أبيضان؛ كأنهما نسران[1]، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني إلى القفا[2]، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي، فشقَّاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة[3]، فذراها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطة، فخاطه وختم عليه بخاتم النُّبوَّة.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفًا من أمَّته في كفَّة، فإذا أنا أنظر

(١) هما ملكان من الملائكة.

(٢) أضجعاه على ظهره.

(٣) الطمأنينة والوقار.

إلى الألف فوقي، أشفق أن يخرَّ عليَّ[1] بعضهم، فقال: لو أنَّ أمَّته وزنت به؛ لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني.

وفرقت فرقًا شديدًا[2]، ثم انطلقت إلى أمِّي، فأخبرتها بالذي لقيته، فأشفقت عليَّ أن يكون أُلْبِسَ بي[3] قالت: أعيذك بالله، فرحلت بعيرًا لها فجعلتني أو حملتني على الرَّحل، وركبت خلفي حتَّى بلغنا إلى أمِّي؛ فقالت: أديت أمانتي وذمَّتي، وحدَّثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لي: رأيت خرج مني نورًا، أضاءت منه قصور الشام»[4].

فخرجت به أمَّه إلى المدينة؛ تزور أخواله من بني عدي بن النجار بالمدينة ثم رجعت به ﷺ، حتى إذا كانت بالأبواء[5] توفيت، وله من العمر ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام[6].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: زار النَّبيُّ ﷺ قبر أمِّه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: **«استأذنت ربي في أن استغفر لها؛ فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها؛ فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت»**[7].

وعن بريدة رضي الله عنه؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتَّى إذا كنَّا بودّان؛ قال: **«مكانكم حتَّى آتيكم»**، فانطلق حتَّى جاءنا وهو ثقيل، فقال: **«إنِّي أتيت قبر أمِّ محمَّد؛**

---

(١) يسقط.

(٢) خفت.

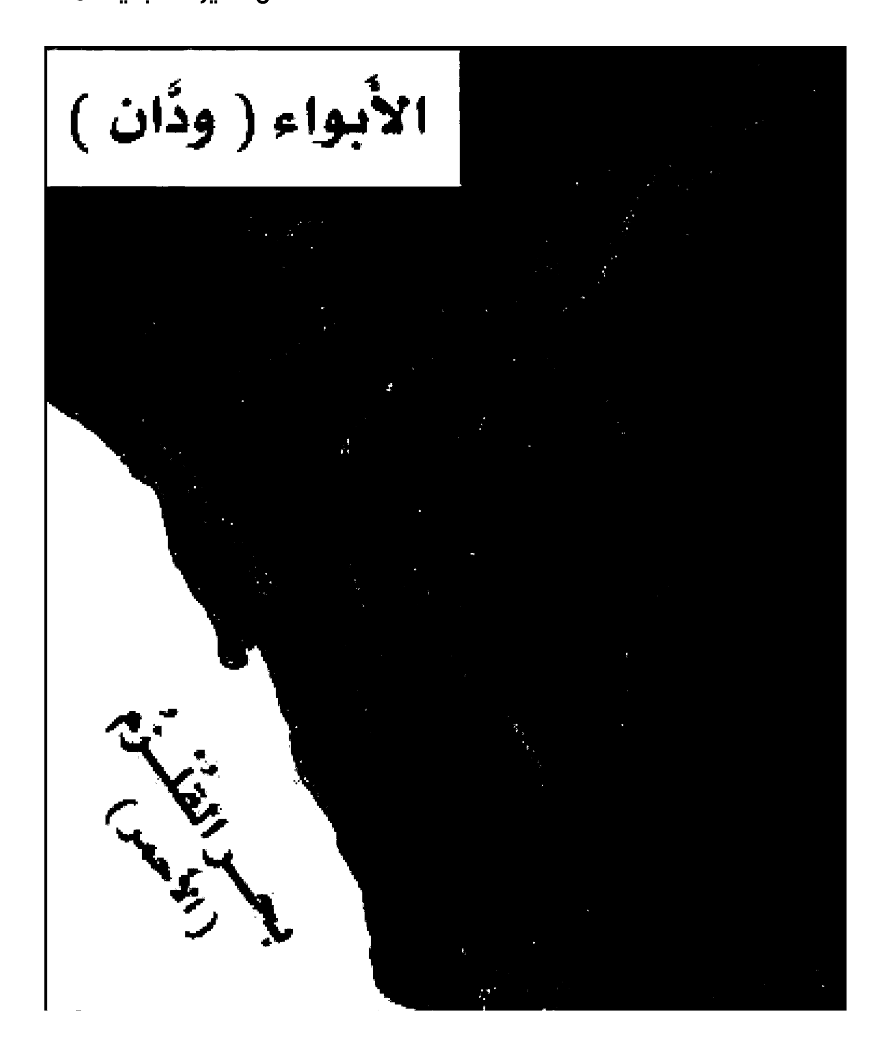
(٣) مسني شيء من الشيطان.

(٤) **صحيح** - رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٤-١٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٦-٦١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٣١).

(٥) قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة (٢٣) ميلاً، وقد سُمِّيت بذلك؛ لما كان فيها من الوباء.

(٦) قطع به ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٦٨)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٠).

(٧) **صحيح** - أخرجه مسلم (٦٧٦).



فسألت ربِّي الشَّفاعة -يعني: لها- فمنعنيها، وإنِّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها»[1].

○ ○ ○

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٢٣٠١٧).

وانظر: «إرواء الغليل» (٣/ ٢٢٥)، و«صحيح السيرة النبوية» (ص٢٣) لشيخنا الألباني رحمه الله.



كفالة جدِّه عبد المطلب له ﷺ وحبُّه

وظلَّ النَّبيُّ ﷺ بعد وفاة أمِّه في كفالة جدِّه.

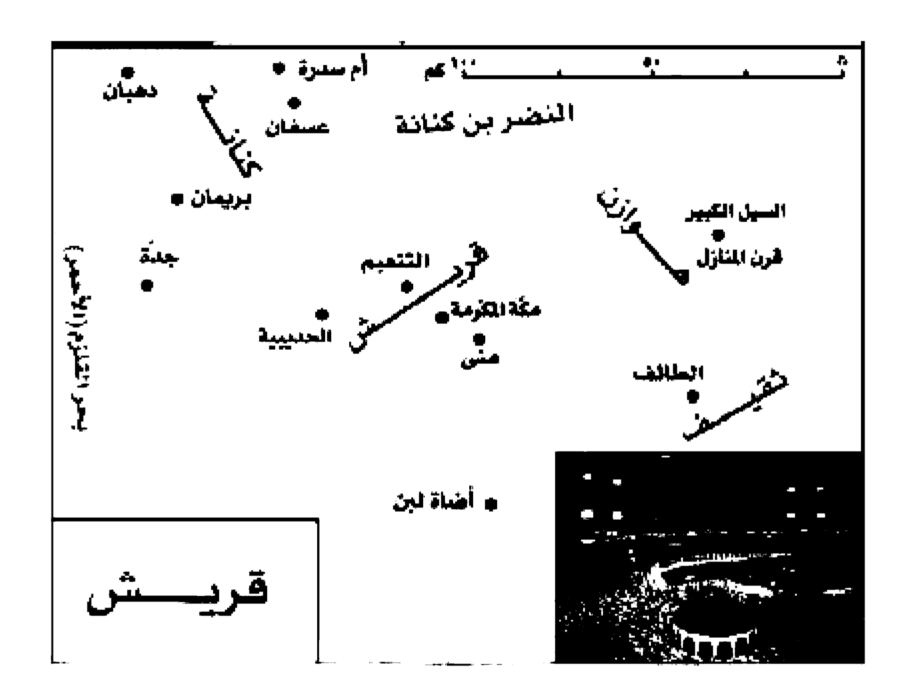
وكان عبد المطلب أطول النَّاس قامةً، وأحسن النَّاس وجهًا، ما رآه قط شيءٌ إلا أحبَّه، وكان له مفرش في الحِجر، لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس معه عليه أحد، وكان النَّدى من قريش: حرب بن أمية فمن دونه، يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله ﷺ وهو غلام يدرج ليجلس على المفرش، فجذبوه؛ فبكى، فقال عبد المطلب - وذلك بعد ما حجب بصره -: مال ابني يبكي؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش؛ فمنعوه. فقال عبد المطلب: دعوا ابني، فإنه يحسُّ بشرفٍ؛ أرجو أن يبلغ من الشَّرف ما لم يبلغ عربيٌّ قط[1].

وذات يوم: بعث عبد المطلب بن هاشم بابن ابنه محمَّدٍ ﷺ في طلب إبلٍ له، ولم يبعثه في حاجة إلا أنجح فيها، وقد أبطأ عليه، فجعل عبد المطلب يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول:

يا ربُّ ردَّ راكبي محمَّدًا   يا ربُّ ردَّه واصطنع عندي يدا

---

(١) **صحيح** - أخرجه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣١٤ و٣١٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.



فلم يلبث أن جاء محمَّدٌ ﷺ والإبل، فاعتنقه، وقال: يا بني! لقد جزعت عليك جزعًا، لم أجزعه على شيءٍ قط، والله! لا أبعثك في حاجة أبدًا، ولا تفارقني بعد هذا أبدًا[1].

فلمَّا بلغ رسول الله ﷺ من العمر ثماني سنين؛ توفِّي جدُّه[2].



---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٣ و٦٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٥٢ و٢/ ٢٠).

(٢) جزم بذلك ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٨٩).



كفالة عمِّه أبي طالب له ﷺ

أوصى عبد المطَّلب وهو على فراش الموت برسول الله ﷺ إلى عمِّه أبي طالب[1]؛ لأنَّه كان شقيق عبدالله فكفله[2]، وحاطه أتمَّ حياطةٍ، ونصره حين بعثه الله أعزَّ نصرٍ، مع أنَّه كان مستمرًا على شركه إلى أن مات! فخفَّف الله بذلك من عذابه.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه؛ أنه قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيءٍ؛ فإنَّه كان يحوطك ويغضب لك؟! قال: «**نعم؛ هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا؛ لكان في الدرك الأسفل من النار**»[3].

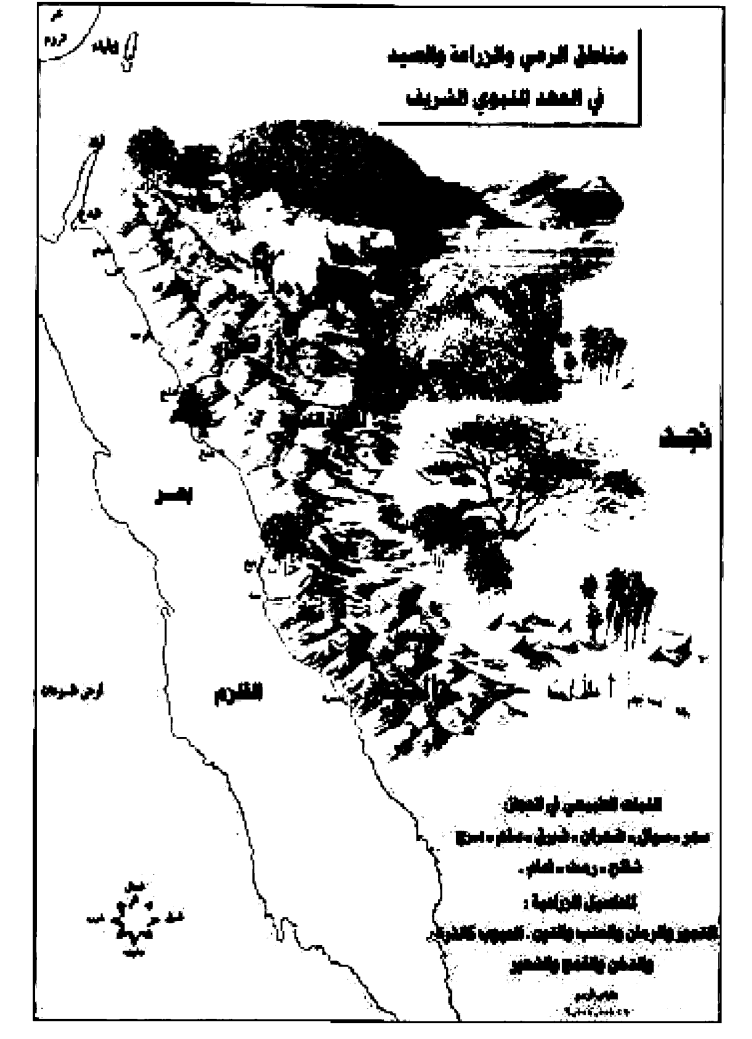
○ ○ ○

(١) كما في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٩)، و«سيرة ابن إسحاق» (ص٥١).

(٢) لأن أمَّهما هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، فكان أبو طالب أخا عبد الله لأبويه.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).





رعي الغنم

كان أبو طالب مقلًّا في الرِّزق؛ فاشتغل رسول الله ﷺ برعي الغنم؛ فرعاها لأهله بأجياد [١]، ورعاها لأهل مكَّة على قراريط.

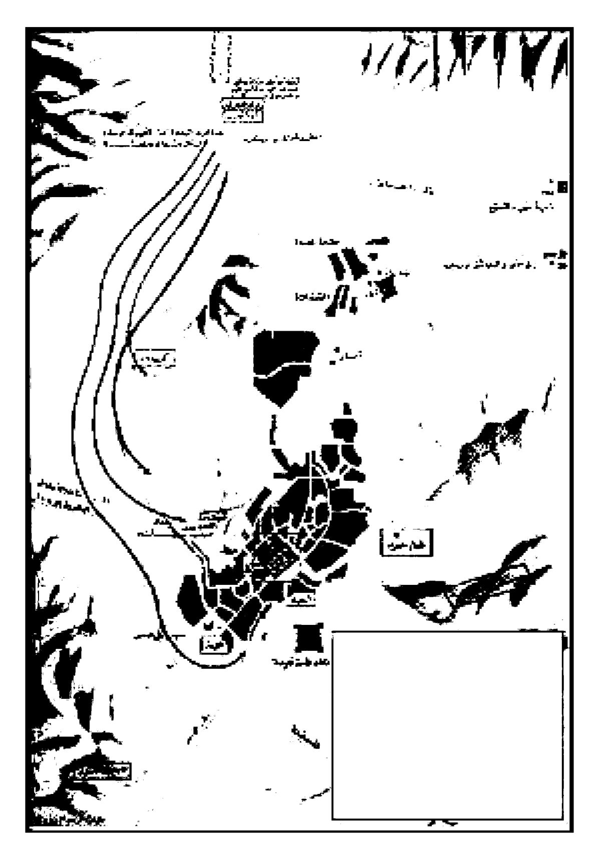
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**ما بعث الله نبيًّا؛ إلا رعى الغنم**». فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**نعم: كنت أرعاها على قراريط**[٢] **لأهل مكة**»[٣].

---

(١) موضع بمكة يلي الصفا، وهما أجياد الكبير وأجياد الصغير، وهو معروف اليوم بأجياد السدّ.

(٢) جزء من الدينار أو الدرهم.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٢٦٢).



وكان ﷺ وهو يرعى الغنم يجني الكبَّاث[1]، ويتحرَّى الأسود منه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ يجتني الكبَّاث، فقال: «**عليكم بالأسود منه؛ فإنه أطيبه**»، قال: قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: نعم، وهل من نبي إلا قد رعاها»[2].



---

(١) النضيج من ثمر الأراك، وشجرة الأراك دائمة الخضرة، يستخرج السِّواك من جذورها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥٤٥٣)، ومسلم (٢٠٥٠).



كفاية الله له ﷺ وعصمته من الزلل

شبَّ رسول الله ﷺ، والله تعالى يكلؤه، ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلين؛ لما يريد من كرامته ورسالته.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمّون به؛ إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلةً لفتًى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهله يرعاها: أبصر إليَّ غنمي حتَّى أسمر هذه الليلة بمكة؛ كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكَّة، سمعت غناءً، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا:**

فلانٌ تزوج فلانةً، لرجلٍ من قريشٍ تزوج امرأةً من قريشٍ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتَّى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حرُّ الشَّمس، فرجعت، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته.

ثم قلت له ليلةً أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتَّى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشَّمس، ثمَّ رجعت إلى صاحبي، فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا. قال رسول الله ﷺ:

فوالله! ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتَّى أكرمني الله بنبوَّته»[١].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النَّبيُّ ﷺ وعباس ينقلان الحجار، فقال عباسٌ للنَّبيِّ ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك؛ يقيك من الحجارة ففعل، فخرَّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السَّماء، ثمَّ أفاق فقال: «**إزاري إزاري**»؛ فشدَّ عليه إزاره[٢].

عن زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ قال: كان صنم من نحاس -يقال له: «إساف» و«نائلة»- يتمسَّح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تمسَّه**». قال زيد: فطفنا، فقلت في نفسي: لأمسنَّه حتَّى أنظر ما يكون. فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم تنه؟!**»، قال زيد: فوالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب! ما استلم صنمًا قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه[٣].

وكان ﷺ لا يقف بمزدلفة ليلة عرفة، بل يقف مع النَّاس بعرفات حتَّى يدفع توفيقًا من الله -عزَّ وجلَّ- له.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ قال: كانت قريش إنَّما تدفع من المزدلفة، ويقولون: نحن الحمس[٤]؛ فلا نخرج من الحرم. وقد تركوا الموقف على عرفة. قال: فرأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية يقف مع النَّاس بعرفة على جملٍ له، ثم يصبح مع قومه

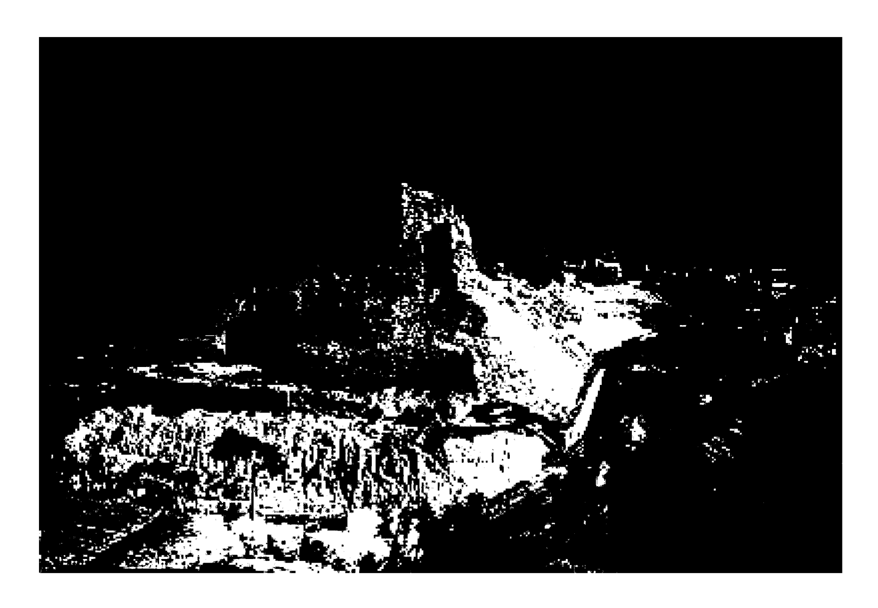
---

(١) **حسن** - أخرجه البزار في «مسنده» (٢٤٠٣ - «كشف الأستار»)، وابن حبان (٦٢٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٣٤٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٦٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٩٣).

(٤) هم أهل الحرم، والحمس بدعة ابتدعتها قريش عام الفيل؛ حيث رأوا أنهم يختلفون عن بقية الناس، فلا ينبغي أن يخرجوا من الحرم إلى الحلِّ، فتركوا الوقوف بعرفة، والإفاضة منها، ولسائر العرب أن يقفوا عليها، ويفيضوا منها.



بالمزدلفة، فيقف معهم، يدفع إذا دفعوا[١].

وكان ﷺ لا يأكل مما ذبح على النُّصب، ولا ممَّا لم يذكر اسم الله عليه.

عن سالم بن عبد الله: أنَّه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدِّث عن رسول الله ﷺ: أنَّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[٢]، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدَّم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منه، وقال: «**إنِّي لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل ممَّا لم يذكر اسم الله عليه**»[٣].

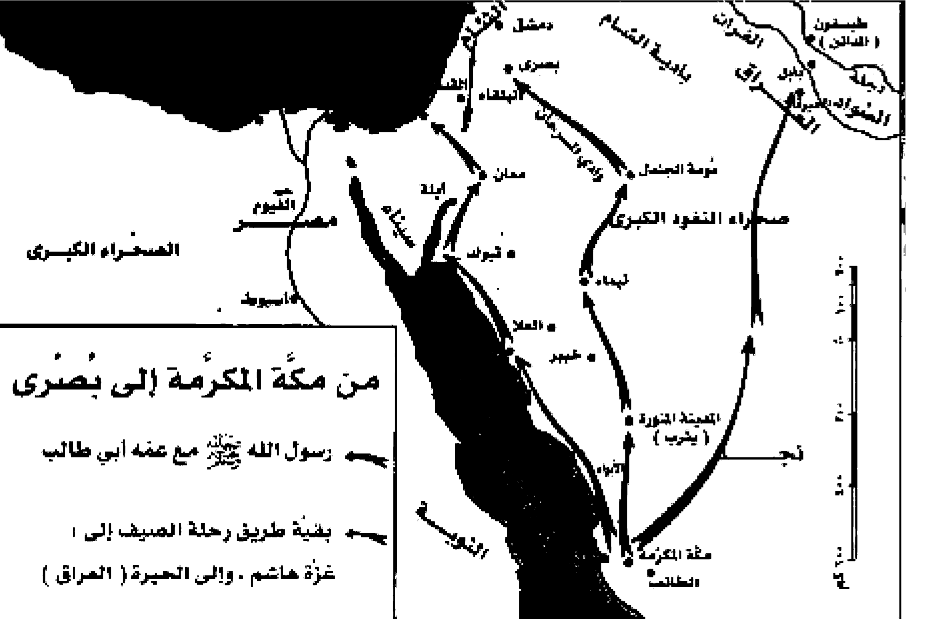
○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٣٦/ ١٥٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦٤).

(٢) واد قِبل مكة، أو جبل بطريق جُدة.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٢٦ و٥٤٩٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٨٩).





خروجه ﷺ مع عمِّه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب[1]

وخرج به عمُّه إلى الشام في تجارة وهو ابن اثني عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به؛ لعدم من يقوم به إذا تركه بمكَّة، فرأى هو وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه ﷺ؛ ما زاد عمّه في الوصاة به، والحرص عليه.

---

(١) راهب نسطوري على مذهب أريوس، وأريوس قس نصراني في القرن الثالث الميلادي، ثبت على عقيدة التوحيد، ورفض وأتباعه عقيدة التثليث، وعدّوه شركًا وتحريفًا لدين المسيح الصحيح.
فكانوا ينكرون ألوهية المسيح، أو أنه ابن الله، ويقرون بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.
وقد اضطهدهم الرومان، ونكلوا بهم، وشنوا عليهم حربًا أبادوهم من خلالها، وأخفوا هذه الحقبة من التاريخ.
انظر: «الإصابة» (١/ ١٨٣ - ١٨٤)، و«دائرة المعارف» (٥/ ٢١٧)، وقد استوفيت بالأدلة النقلية والتاريخية قصتهم التي أخفتها الكنيسة عن البشرية، وحذفتها من تاريخها في كتابي: «**أجزل المواهب من قصة النبي ﷺ مع بحيرى الراهب**»؛ يسر الله إتمامه على خير وبركة.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: خرج أبو طالب إلى الشَّام، وخرج معه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا[١] على الرَّاهب[٢] هبطوا، فحلّوا رحالهم[٣]، فخرج إليهم الرَّاهب، وكانوا قبل ذلك يسيرون، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت.

قال: فبينا هم يحلُّون رحالهم، فجعل يتخللهم الرَّاهب[٤]، حتَّى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هذا سيِّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنَّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرٌ ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبيٍّ، وإني أعرفه بخاتم النُّبوَّة أسفل من غضروف كتفه[٥].

ثم رجع؛ فصنع لهم طعامًا، فلمَّا أتاهم به، وكان هو في رعيَّة الإبل[٦]؛ قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة[٧] تظلُّه، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة[٨] عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم[٩]: أن لا يذهبوا به إلى الرُّوم؛ فإن الرُّوم إذا عرفوه بالصِّفة؛ فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النَّبيَّ خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق

---

(١) طلعوا.

(٢) زاهد النصارى.

(٣) أنزلوها وفتحوها.

(٤) يمشي بينهم باحثًا عن شخص معين.

(٥) رأس لوح الكتف.

(٦) رعايتها.

(٧) السحابة.

(٨) ظل الشجرة.

(٩) يقسم عليهم.

بصرى الشام



إلا بعث إليه بأناس، وإنا أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟

قالوا: إنما اخترنا خيرة لك لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضه هل يستطيع أحد من الناس ردَّه؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه، وأقاموا معه عنده.

قال: أنشدكم الله! أيكم وليُّه[1]؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى ردَّه أبو طالب، وزوَّده الراهب من الكعك والزيت[2].

○ ○ ○

(١) قريبه.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذي (٣٦٢٠)، والبزار (٣٠٩٦)، وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٢٩-١٣١)، والحاكم (٢/ ٦١٥ -٦١٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٥-٢٦).

والحديث صححه جمع من الأئمة، وإن كان فيه بعض ألفاظ استنكرها أهل العلم.

وقد بسط تخريجه شيخنا الألباني -رحمه الله- في «دفاع عن الحديث النبوي» (ص٦٢ - ٧٢)؛ فانظره تفضُّلًا.



شهوده ﷺ حلف الفضول

تداعت قبائل من قريش إلى حلف؛ فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان؛ لشرفه وسنِّه.

وكان بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة.

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا مظلومًا من أهلها، وغيرهم ممن دخلها من سائر النَّاس إلا كانوا معه، وكانوا على من ظَلَمَه حتى يردوا عليه مظلمته.

فسمّت قريشٌ ذلك الحلف: حلف الفضول. وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب.

وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف، ومدحه:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «شهدت حلف المطيّبين مع عمومتي، وأنا غلام، فما أحبّ أن لي حمر النَّعم، وأني أنكثه»[1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٩٠ و١٩٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٦٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٦).

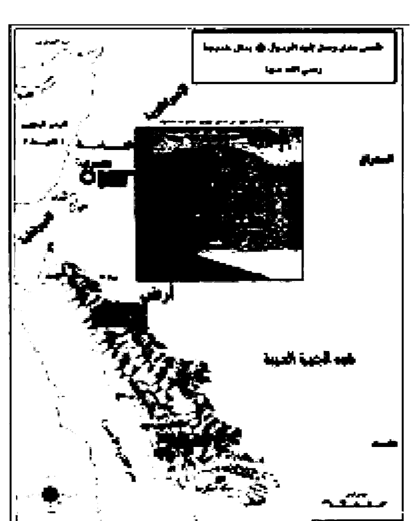
وفي الباب عن أبي هريرة، وجبير بن مطعم رضي الله عنهما.



زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وبيان فضلها

ثم خرج ثانيًا إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد -رضي الله تعالى عنها- مع غلامها ميسرة على سبيل القراض[١]، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، فرجع، فأخبر سيدته خديجة بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوجها؛ لما رجت في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر ببال بشر، فتزوجها رسول الله ﷺ، وله خمس وعشرون سنة.

وهي أولى زوجاته، ولم يتزوَّج عليها حتى ماتت، وكان ﷺ يكثر ذكرها، ويظهر حبَّها، ويتأثر لذكراها، وينبسط لمن يذكِّره بها.



عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: ما غرت على امرأة للنَّبيِّ ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كانت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة، فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن[٢].

وعنها -أيضًا- قالت: استأذنت هالة بنت خويلد -أخت خديجة- على رسول ﷺ؛ فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك؛ فقال: «**اللهم هالة!**». قالت: فغرت؛ فقلت: ما تذكر

---

(١) هو المضاربة؛ وهو: أن يدفع المالك مالاً للعامل؛ ليعمل فيه، والربح بينهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، وقد أبدلك الله خيرًا منها[1].

عن عبد الله بن أبي أوفى ﵄؛ قال: «بشَّر النَّبيُّ ﷺ خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[2].

عن أبي هريرة ﵁؛ قال: أتى جبريل النَّبيّ ﷺ، فقال: «يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السَّلام من ربِّها ومنّي، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[3].

وكان ﷺ يفعل ذلك وفاءً لخديجة ﵂؛ فقد نصرته بمالها ورأيها، وكان له منها الولد.

عن عائشة ﵂؛ قالت: ما غرت على أحد من نساء النَّبيِّ ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النَّبيُّ ﷺ يكثر ذكرها، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا إمرأة إلا خديجة؟ فيقول: «**إنَّها كانت وكانت وكان لي منها ولد**»[4].

وفي رواية: «**إني قد رزقت حبَّها**»، ولذلك؛ فهي خير نساء العالمين.

عن علي بن أبي طالب ﵁؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»[5].

ورزقه الله منها الولد: الذكر والأنثى، فولدت له من الذكور: القاسم، وبه كان يكنى ﷺ، وعبد الله، وكان يلقب بالطَّاهر والطيِّب. ومن الإناث: زينب، ورقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨١٩)، ومسلم (٢٤٣٣).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥) (٧٥).

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠).



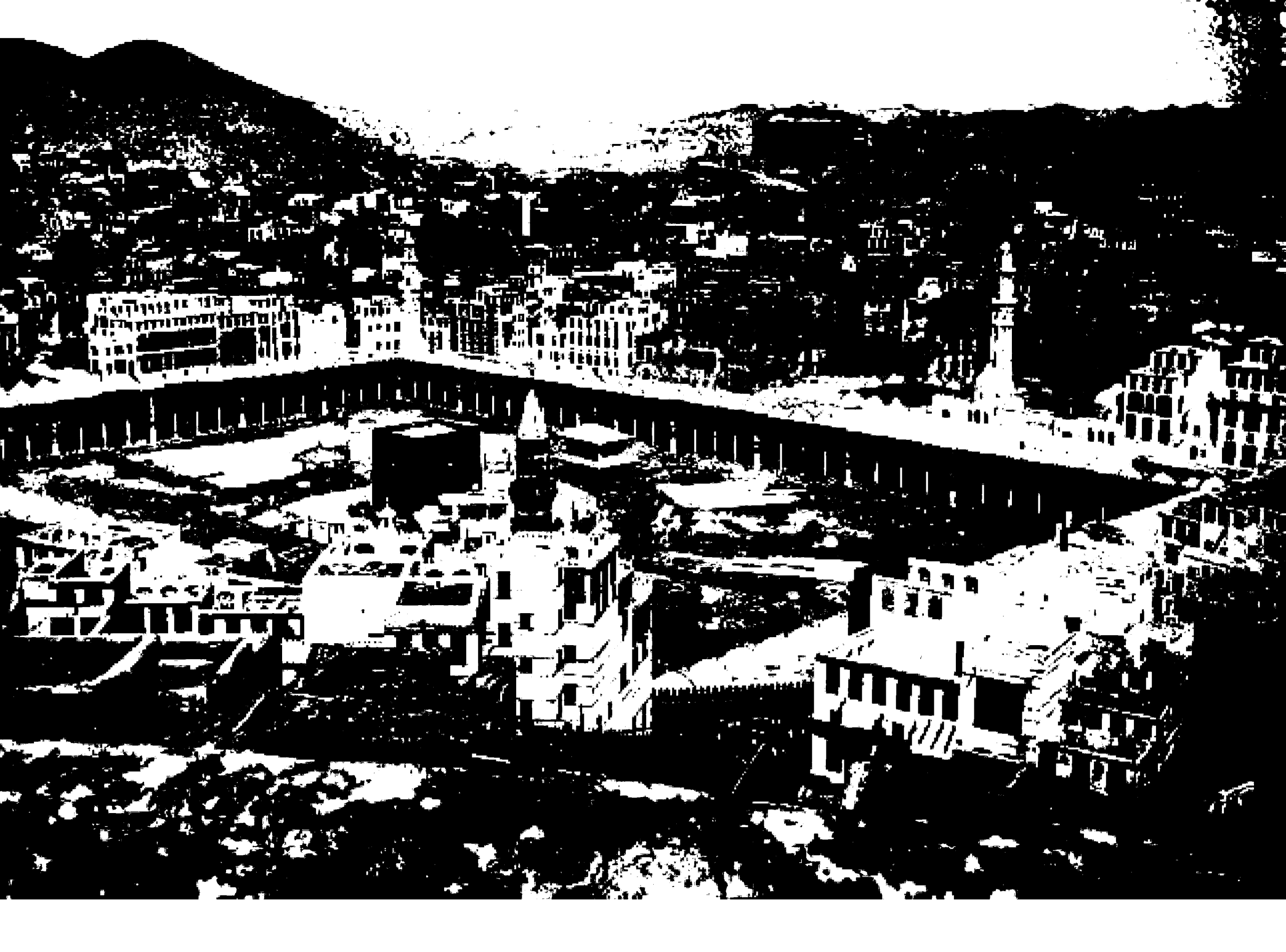
مشاركته ﷺ في بناء الكعبة

وكان الله -سبحانه- قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية، ومن كلِّ عيب، ومنحه كلَّ خلق جميل؛ حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين؛ لما شاهدوا من طهارته وأمانته، وبالصادق؛ لما عرفوا من صدق حديثه وثباته.

حتى إنه لما بَنَتْ قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره، فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود؛ اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه؟ فقالت كلُّ قبيلة: نحن نضعه. ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم، فكان رسول الله ﷺ، فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كلَّ قبيلة: أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر؛ فوضعه موضعه ﷺ.

عن السائب بن عبد الله رضي الله عنه: أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية، قال: وكان لي حجرًا أنا نَحَتُّهُ بيدي أعبده من دون الله، قال: وكنت أجيء باللَّبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي، فأصبُّه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشغر، فيبول عليه! قال:

فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر، ولا يرى الحجر أحدٌ، فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل، يكاد يتراءى منه وجه الرجل. وقال بطن من قريش: نحن نضعه. وقال آخرون: نحن نضعه. فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا. فقالوا: أول رجلٌ يطلع من



الفجّ، فجاء رسول الله ﷺ، فقالوا: أتاكم الأمين. فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فرفعوا نواحيه معه، فوضعه هو ﷺ[1].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٨).
وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٨-٤٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٧٢)، و«دلائل النبوة» (٢/ ٥٥ و٥٦)، و«شعب الإيمان» (٣٩٩١) بإسناد حسن في الشواهد.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع ذلك.



فصل

المجتمع الجاهلي قبل البعثة النبوية

الجاهلية ظلمات بعضها فوق بعض: أمَّة تنحني جباه القوم لأحجارها، وتطغى العصبيَّة على عقول رجالها، ويئد الطفلة والدها، ويأكل القويُّ ضعيفَها.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب؛ فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠][(١)].

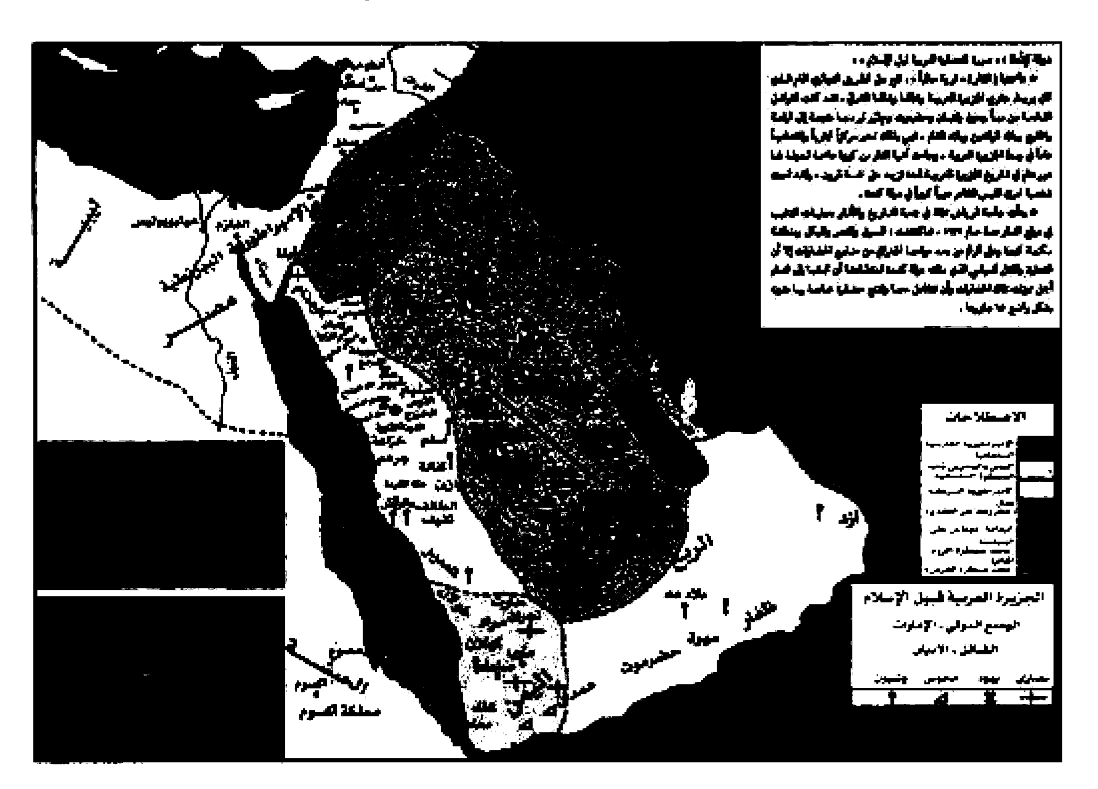
وعن أبي رجاء العطاردي رضي الله عنه؛ قال: كنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا أَخْيَرَ منه؛ ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طُفنا به[(٢)].

عن أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله:

أيها الملك كنَّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منَّا الضعيف، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله -تعالى-؛

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٣٥٢٤).

(٢) صحيح - أخرجه البخاري (٤٣٧٧).



لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة[1].

عن عائشة ﵂؛ قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته: إذا طهرت من طمثها[2]: أرسلي إلى

---

(١) حسن - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٩٠-٢٩٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١١٥).

وانظر: «صحيح السيرة النبوية» (ص١٧٤) لشيخنا الألباني ﵀.

(٢) الحيض.

فلان؛ فاستبضعي[1] منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسّها أبدًا، حتى يتبيّن حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط [2] ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلُّهم يصيبها[3]، فإذا حملت، ووضعت، ومرَّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمّي من أحبّت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

النكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها [4]؛ وهن: البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن. ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة[5]، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطه[6] به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك.

فلما بُعِثَ محمَّدٌ بالحقِّ هدم نكاح الجاهلية كلَّه؛ إلا نكاح النَّاس اليوم[7].

○ ○ ○

---

(١) طلب الجماع حتى تحمل منه.

(٢) الجماعة دون العشرة.

(٣) يجامعها.

(٤) دخل عليها.

(٥) جمع القائف؛ وهو: الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية.

(٦) استلحقه بنسبه.

(٧) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥١٢٦).



بدء الوحي

كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته؛ فمن ذلك:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أبعث؛ إنِّي لأعرفه الآن**»[١].

وكان ﷺ يرى نورًا، ويسمع صوتًا:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: أقام النَّبيُّ ﷺ بمكة خمس عشرة سنة: سبع سنين يرى الضوء والنور، ويسمع الصوت، وثماني سنين يُوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرًا[٢].

وعنه -أيضًا-: أنَّ النَّبيَّ ﷺ؛ قال لخديجة رضي الله عنها: «**إنِّي أرى ضوءًا، وأسمع صوتًا، وإنِّي أخشى أن يكون بي جنون**»، قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله، ثم

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد (٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٢٤).

أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له، فقال: «إن يكن صادقًا؛ فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بُعِثَ وأنا حيٌّ؛ فسأعزره، وأنصره، وأؤمن به»[1].

ولما أراد الله -عزَّ وجلَّ- رحمة العباد أوحى إلى عبده محمَّد ﷺ ما أوحى وله من العمر أربعون سنة.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: أُنزل على النَّبيِّ ﷺ وهو ابن أربعين، وكان بمكة ثلاث عشر سنة، وبالمدينة عشرًا، فمات وهو ابن ثلاث وستين[2].

فكان يرى الرؤيا الصالحة؛ ليهدأ قلبه، ومن ذلك: أنه رأى الملك في المنام، ثم جاءه في اليقظة:

عن عبيد بن عمير الليثي رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ؛ قال: «**فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ. فقلت: ما أقرأ، فَغتَّني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني**»[3].

ثم حُبِّب إليه الخلاء والانفراد عن قومه؛ لِمَا يراهم عليه في الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبَّته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقة في النَّوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[4]، ثم حبِّب إليه الخلاء[5]، وكان يخلو بغار حراء، فَيَتَحَنَّث فيه -وهو التَّعَبُّد- اللَّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحقُّ،

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٣٩).

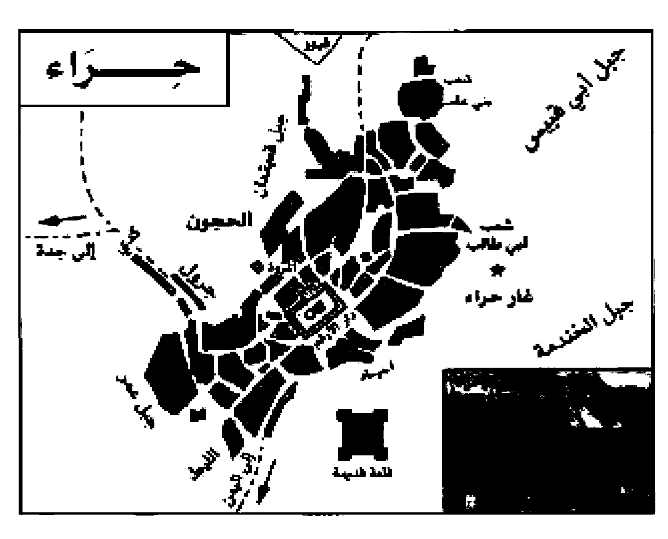
(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

(٣) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٩).

(٤) ضياء الصبح، وهذا يقال في الشيء الواضح البيِّن.

(٥) الخلوة.

من سيرة النبي المصطفى



وهو في غار حراء.

فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**»، قال: فأخذني؛ فغطني[1] حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: «**ما أنا بقارئ**»، فأخذني؛ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارئ**»، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «**زمّلوني**[2]، **زمّلوني**»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع[3]، فقال لخديجة -وأخبرها الخبر-: «**لقد خشيت على نفسي**».

فقالت خديجة: كلا والله! ما يحزنك الله أبدًا[4]؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[5]، وتكسب المعدوم[6]، وتقري الضعيف، وتعين على نوائب الحق[7]، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان

---

(١) عصرني وضمني.

(٢) غطوني بالثياب؛ ولفوني بها.

(٣) الخوف.

(٤) أنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك مكارم من الأخلاق، وكرم الشمائل.

(٥) تنفق على الضعيف واليتيم والعيال.

(٦) تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد، ومكارم الأخلاق.

(٧) تعين الناس فيما يصيبهم ويحتاجون إليه، وتغيث الملهوف.

امرأ تَنَصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عُمِيَ، فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى؛ فقال له ورقة: هذا الناموس[1] الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا[2]، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجي هم؟**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[3]، ثم

029:012And the book is delivered to him that is not learned, saying, Read this, I pray thee: and he saith, I am not learned.

" ويدفع الكتاب للأمي ويقال له : اقرأ هذا أرجوك فيقول: أنا أمي " أي لست بقارئ
سفر أشعيا : الإصحاح ٢٩ الفقرة ١٢

○ ○ ○

(١) هو جبريل عليه الصلاة والسلام.

(٢) الشاب القوي.

(٣) قويًّا بالغًا.

(٤) تأخر نزوله.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦).



فصل

ذكر فتور الوحي عنه ﷺ

ثم مكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئًا، وفَتَرَ عنه الوحي؛ فاغتَّم لذلك سنتين أو أكثر، ثم تَبَدَّى له المَلَك بين السماء والأرض على كرسي، وَثَبَّتَه، وبشَّره أنه رسول الله حقًّا.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ -وهو يحدث عن فترة الوحي-:

«**بينما أنا واقف، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: فَجُئِثْتُ**[1] **منه فرقًا، فرجعت، فقلت: زمِّلوني زمِّلوني، دثِّروني؛ فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]»[2].

فيكون أول ما أنزل من القرآن ابتداءً: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١-٣]، وأول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي وعودة جبريل للنزول على النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

فكانت الحال الأولى: حالُ نبوَّةٍ وإيحاءٍ، والثانية: إرسال وبلاغ، ثم حَمِيَ الوحي

---

(١) ذعرت وخفت.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

بعد ذلك وتتابع؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢].

عن جندب بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه؛ قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثًا؛ فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك؛ فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣][١].

وقام حينئذ رسول الله في الرِّسالة أتم القيام، وشمَّر عن ساق العزم والإقدام؛ يدعو إلى الله -سبحانه- الكبير والصغير، الحُرَّ والعبد، الرجال والنساء، الأسود والأحمر؛ فاستجاب له عباد الله من كلِّ قبيلة، واستمر على مخالفته وعصيانه كلُّ جبَّارٍ عنيد.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧).



أوَّل النَّاس إسلامًا

فكان أول من بادر إلى التَّصديق من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق ﵁.

ومن الغلمان: علي بن أبي طالب ﵁.

ومن النِّساء: خديجة بنت خويلد زوجته ﵂.

ومن الموالي: زيد بن حارثه الكلبي ﵁.

عن عفيف الكندي ﵁؛ قال: كنت امرءًا تاجرًا، فقدمت الحج، فأتيت العباس ابن عبد المطلب؛ لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءًا تاجرًا، فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء[1] قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت[2]، قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج ذلك الرَّجل منه، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين ناهز الحلم[3] من ذلك الخباء، فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: يا عباس! ما هذا؟ قال: هذا محمَّد ابن أخي عبد الله بن عبد المطلب، قال: قلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد. قال: فقلت من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه.

---

(١) الخيمة.

(٢) يعني: بعد الزوال باتجاه الغروب.

(٣) قارب البلوغ.

قال: قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبيٌّ، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، ويزعم: أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر.

قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس؛ يقول -وأسلم بعد فحسن إسلامه-: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثانيًا مع علي بن أبي طالب[1].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه -في قصة ما حصل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة-؛ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم؛ فقلتم: كذبت، قال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله**[2]**، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**»[3].

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما؛ قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمس أعبد، وامرأتان، وأبو بكر»[4].

ومن أوائل من آمن برسول الله ﷺ وصدّق به: ورقه بن نوفل رضي الله عنه:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبُّوا ورقة؛ فإنِّي رأيت له جنَّة أو جنَّتين**»[5].

وكذلك عمرو بن عبسة رضي الله عنه:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! من معك على هذا الأمر؟ قال: «**حرٌّ وعبد**». قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، ثم قال له: «**ارجع إلى قومك حتى يُمَكِّن الله -عز وجل- لرسوله**». قال: وكان عمرو بن عبسة يقول: «**لقد رأيتني وإني لربع الإسلام**»[6].

---

(١) **حسن بشواهده** - أخرجه أحمد (١/ ٢٠٩-٢١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٨٣).

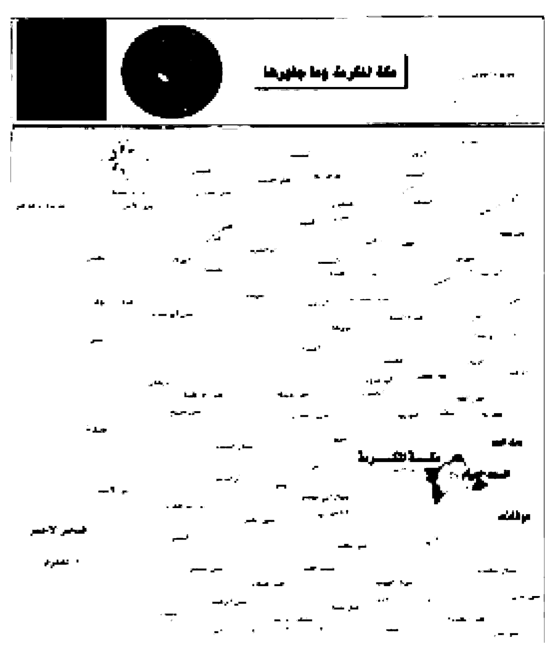
(٢) أعانني بنفسه وماله.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٦١).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٦٠).

(٥) **صحيح** - أخرجه البزار في «مسنده» (٢٧٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٩).

(٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (٨٣٢).



وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فعنه أنه قال: كنت غلامًا يافعًا[١] أرعى غنمًا لعقبه بن أبي معيط بمكة، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر، وقد فرَّا من المشركين، فقال -أو فقالا-: «**عندك -يا غلام!- لبن تسقينا؟**»، قلت: إنِّي مؤتمن[٢]، ولست بساقيكما. فقال: «**هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل**[٣] **بعد؟**». قلت: نعم. فأتيتهما بها، فاعْتَلَقَها النبي ﷺ ومسح الضَّرْع ودعا، فحفل الضَّرْع، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة، فحلب فيها، ثم شرب هو وأبو بكر، ثم سقياني، ثم قال للضرع: «**اقلص**»[٤]، فقلص.

فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: علِّمني من هذا القول الطيِّب يعني: القرآن، فقال: «**إنك غلام مُعلَّم**».

فأخذت مِن فيه سبعين سورة؛ ما ينازعني فيها أحد[٥].

---

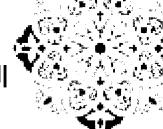
(١) أي: شارفت على الاحتلام، ولم أحتلم.

(٢) أي: ليس المال لي بل لغيري، وقد اتخذني أمينًا، فلا أخونه.

(٣) لأنه ليس فيها لبن حتى تكون لصاحبها.

(٤) أي: انقبض.

(٥) **حسن** - أخرجه أحمد (١/ ٤٦٢)، وابن سعد (٣/ ١٥٠)، والطيالسي (٣٥٣)، وأبو يعلى (٥٣١١)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٥٥).



السور القرآنية في العهد المكي

اسم السورة	ترتيبها في النزول	رقم السورة	عدد آياتها
العلق	١	٩٦	١٩
القلم	٢	٦٨	٥٢
المزمل	٣	٧٣	٢٠
المدثر	٤	٧٤	٥٦
الفاتحة	٥	١	٧
المسد	٦	١١١	٥
التكوير	٧	٨١	٢٩
الأعلى	٨	٨٧	١٩
الليل	٩	٩٢	٢١
الفجر	١٠	٨٩	٣٠
الضحى	١١	٩٣	١١
الشرح	١٢	٩٤	٨
العصر	١٣	١٠٣	٣
العاديات	١٤	١٠٠	١١
الكوثر	١٥	١٠٨	٣
التكاثر	١٦	١٠٢	٨
الماعون	١٧	١٠٧	٧
الكافرون	١٨	١٠٩	٦
الفيل	١٩	١٠٥	٥
الفلق	٢٠	١١٣	٥
الناس	٢١	١١٤	٦
الإخلاص	٢٢	١١٢	٤
النجم	٢٣	٥٣	٦٢
عبس	٢٤	٨٠	٤٢
القدر	٢٥	٩٧	٥
الشمس	٢٦	٩١	١٥
البروج	٢٧	٨٥	٢٢
التين	٢٨	٩٥	٨

السور القرآنية في العهد المكي

اسم السورة	ترتيبها في النزول	رقم السورة	عدد آياتها
قريش	٢٩	١٠٦	٤
القارعة	٣٠	١٠١	١١
القيامة	٣١	٧٥	٤٠
الهمزة	٣٢	١٠٤	٩
المرسلات	٣٣	٧٧	٥٠
ق	٣٤	٥٠	٤٥
البلد	٣٥	٩٠	٢٠
الطارق	٣٦	٨٦	١٧
القمر	٣٧	٥٤	٥٥
ص	٣٨	٣٨	٨٨
الأعراف	٣٩	٧	٢٠٦
الجن	٤٠	٧٢	٢٨
يس	٤١	٣٦	٨٣
الفرقان	٤٢	٢٥	٧٧
فاطر	٤٣	٣٥	٤٥
مريم	٤٤	١٩	٩٨
طه	٤٥	٢٠	١٣٥
الواقعة	٤٦	٥٦	٩٦
الشعراء	٤٧	٢٦	٢٢٧
النمل	٤٨	٢٧	٩٣
القصص	٤٩	٢٨	٨٨
الإسراء	٥٠	١٧	١١١
يونس	٥١	١٠	١٠٩
هود	٥٢	١١	١٢٣
يوسف	٥٣	١٢	١١١
الحجر	٥٤	١٥	٩٩
الأنعام	٥٥	٦	١٦٥
الصافات	٥٦	٣٧	١٨٢

السور القرآنية في العهد المكي

اسم السورة	ترتيبها في النزول	رقم السورة	عدد آياتها
لقمان	٥٧	٣١	٣٤
سبأ	٥٨	٣٤	٥٤
الزمر	٥٩	٣٩	٧٥
غافر	٦٠	٤٠	٨٥
فصلت	٦١	٤١	٥٤
الشورى	٦٢	٤٢	٥٣
الزخرف	٦٣	٤٣	٨٩
الدخان	٦٤	٤٤	٥٩
الجاثية	٦٥	٤٥	٣٧
الأحقاف	٦٦	٤٦	٣٥
الذاريات	٦٧	٥١	٦٠
الغاشية	٦٨	٨٨	٢٦
الكهف	٦٩	١٨	١١٠
النحل	٧٠	١٦	١٢٨
نوح	٧١	٧١	٢٨
إبراهيم	٧٢	١٤	٥٢
الأنبياء	٧٣	٢١	١١٢
المؤمنون	٧٤	٢٣	١١٨
السجدة	٧٥	٣٢	٣٠
الطور	٧٦	٥٢	٤٩
الملك	٧٧	٦٧	٣٠
الحاقة	٧٨	٦٩	٥٢
المعارج	٧٩	٧٠	٤٤
النبأ	٨٠	٧٨	٤٠
النازعات	٨١	٧٩	٤٦
الانفطار	٨٢	٨٢	١٩
الانشقاق	٨٣	٨٤	٢٥
الروم	٨٤	٣٠	٦٠
العنكبوت	٨٥	٢٩	٦٩
المطففين	٨٦	٨٣	٣٦



فصل

حماية أبي طالب لرسول الله ﷺ

دخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام على نور وبصيرة ومعاينة، فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة، وصان الله رسوله ﷺ وحماه بعمِّه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد ﷺ؛ لما يعلمون من محبَّته له، فقد كان رسول الله ﷺ أحبَّ خلق الله إليه طبعًا، وكان يحنو عليه، ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك؛ مع أنه على دينهم وعلى خلَّتهم؛ إلا أن الله قد امتحن قلبه بحبِّه حبًّا طبيعيًّا لا شرعيًّا.

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية؛ إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٢٨]، وقد قسَّم خلقه أنواعًا وأجناسًا.

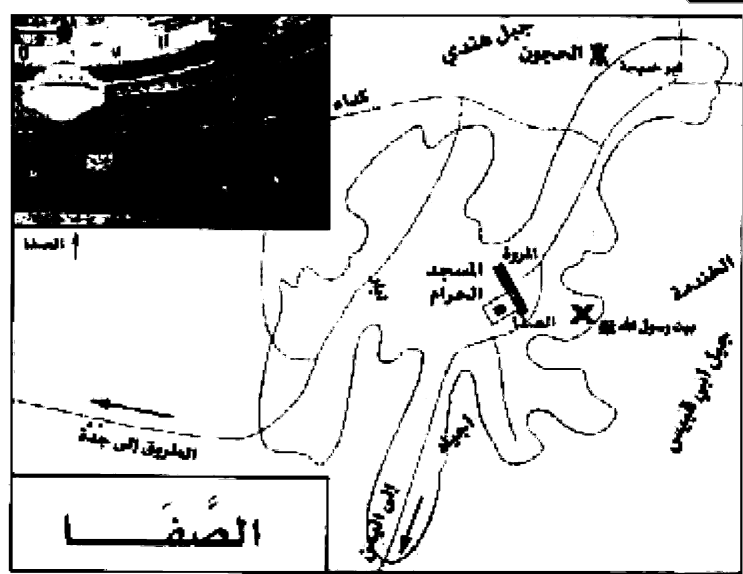
عن عائشة رضي الله عنها؛ عن النبي ﷺ؛ قال: «**ما زالت قريش كاعة**(١) **حتى توفي أبو طالب**»(٢). هذا ورسول الله ﷺ يدعو الله ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا؛ لا يصدُّه عن ذلك صادٌّ، ولا يرده عنه رادٌّ، ولا يأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) جبناء.

(٢) **حسن** - أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٤٩). وانظر: «صحيح السيرة النبوية» (ص٣١) لشيخنا الألباني رحمه الله.





ذكر الجهر بالدعوة

عندما حان موعد إعلان الدَّعوة والجهر بها أنزل الله -عزَّ وجلَّ- على رسوله ﷺ قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢٢٠].

فجمع رسول الله ﷺ قبيلته وعشيرته، ودعاهم علانية إلى الإسلام، وخوَّفهم من مخالفة أمره، وأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النَّار، وبيَّن لهم: أن كلَّ إنسان مسؤول عن نفسه.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه[1]، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا، قال: «**فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

قال أبو لهب: تبًّا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2].

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ قام رسول الله ﷺ؛ فقال: «**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم**»[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ قال: «**يا معشر قريش، أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[4].

○ ○ ○

(١) كلمة ينادى بها للاجتماع لوقوع أمر عظيم.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٠٥).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤).



موقف قريش من الدعوة

استمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردُّه عن ذلك رادٌّ، ولا يصدُّه عن ذلك صادٌّ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حُرٍّ وعبد، وضعيف وقويٍّ، وغنيٍّ وفقير، وجميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء.

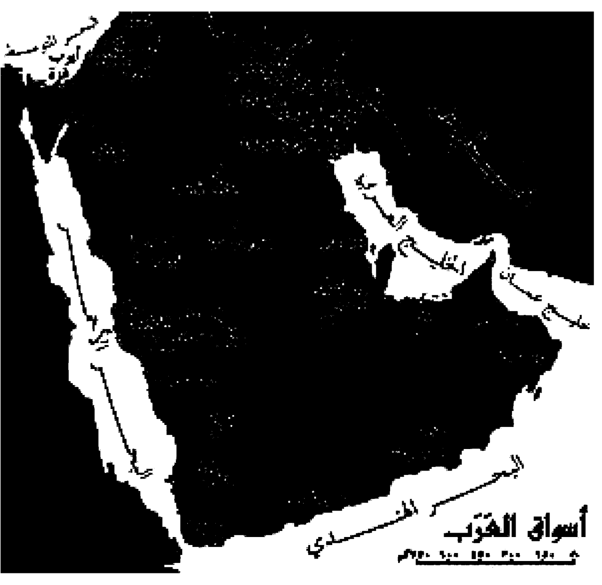
عن ربيعة بن عبَّاد الدَّيلي رضي الله عنه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز يتبع النَّاس في منازلهم يدعو إلى الله؛ يقول: «**يا أيها الناس! قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا**»[1].

فلجأت قريش إلى أساليب كثيرة لوقف الدعوة؛ منها:

طلبت من أبي طالب أن يوقف نشاط الرسول ﷺ:

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٨٢) بإسناد حسن.

وله شاهد من حديث طارق بن عبد الله المحاربي: أخرجه النسائي (٨/ ٥٥)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٠) ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٢).



عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب؛ فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا؛ فانهه عنا، فقال: يا عقيل! انطلق؛ فأتني بمحمد، فاستخرجته من كنس، أو خنس، يقول: بيت صغير، فجاء في الظهيرة في شدَّة الحرِّ.

فلما أتاهم؛ قال: إن بني عمِّك هؤلاء زعموا: أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم. فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء؛ فقال: «**ترون هذه الشمس**»، قالوا: نعم، قال: «**فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة**».

وفي رواية: «**والله ما أنا بأقدر أن أَدَعَ ما بُعثتُ به من أن يُشْعِلَ أحدٌ مِن هذه الشمس شُعْلَةً مِن نار**»، فقال أبو طالب: والله! ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين[1].

ولما رأوا ثبات رسول الله ﷺ أرادوا فتنته بالمُلك والمال والنِّساء؛ فعرضوا كلَّ ذلك عليه؛ لكنه ﷺ بقي ثابتًا، ومضى يُبلِّغ دين الله للعالمين.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: اجتمعت قريش للنَّبيِّ ﷺ يومًا، فقالوا: انظروا أعلَمَكم بالسِّحر والكهانة والشعر؛ فليأتِ هذا الرجل الذي قد فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعاب ديننا؛ فليكلمه، ولينظر ما يردَّ عليه.

قالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. قالوا: أنت يا أبا الوليد! فأتاه عتبة،

---

(١) **حسن** - أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥١٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣١٤).

فقال: يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟

فسكت النَّبيُّ ﷺ؛ قال: أنت خير أم عبد المطلب؟

فسكت رسول الله ﷺ؛ قال: فإن كنت تزعم: أن هؤلاء خير منك، قد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم؛ فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله! ما رأينا سخلة[1] أشأم على قومك منك، فرَّقْتَ جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعِبْتَ ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى؛ بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى.

أيها الرجل! إن كان إنَّما بك حاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلًا، وإن كان إنَّما بك الباءة[2]؛ فاختر أيَّ نساء قريش؛ فنزوجك عشرًا.

فقال رسول الله ﷺ: «**أفرغت؟**»، قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣]، فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا. قال: «لا».

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك. فقال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلَّمته، قالوا: هل أجابك، قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية ما فهمت شيئًا مما قال غير أنه قال: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك بالعربية، فلا تدري ما قال.

قال: لا والله، ما فهمت مما قال غير ذكر الصاعقة[3].

ولما رأى المشركون إعراض الرسول ﷺ عن عروضهم، وثباته على دين الله عز وجل؛ بدؤوا في طلب الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه طلب

---

(١) المولود المحبب إلى أهله.

(٢) حب النكاح والزواج.

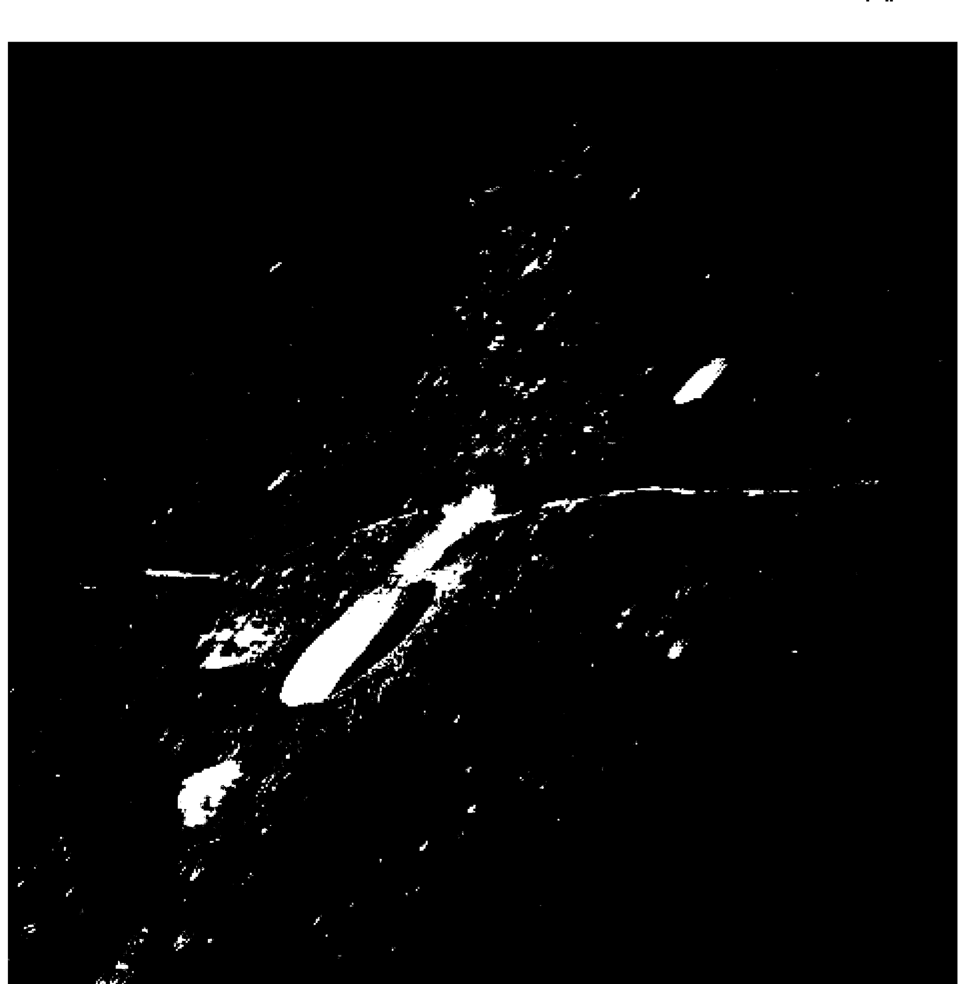
(٣) **حسن** - أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٨١٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٣٠-٢٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥٣).



الهدى والرشاد، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ و٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ



كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه حدَّثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر [(١)].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شقَّين، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**اشهدوا**»[(٢)].

فأنزل الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر: ١-٢].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قالت قريش للنَّبيِّ ﷺ: ادع لنا ربّك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك! قال: «**وتفعلون؟**»، قالوا: نعم.

قال: فدعا، فأتاه جبريل! فقال: «إن ربك -عز وجل- يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة». فقال: «**بل باب التوبة والرحمة**».

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩][1].

فلهذا؛ لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا، ولا ما إليه رغبوا؛ لعلم الحق سبحانه وتعالى: أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا؛ لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولضلوا في غيِّهم وضلالهم يترددون.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٢ و٣٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦٢).



اشتداد أذى قريش للنَّبيِّ ﷺ

لم يفتر المشركون عن صدِّ الناس عن دعوة رسول الله ﷺ؛ لكن جميع محاولاتهم فشلت، وكلّ وسائلهم تلاشت أمام صوت الحقِّ والثَّبات على دين الله.

وأمام هذا الفشل الذَّريع والانهيار السَّريع لمحاولات المشركين، اشتدَّ أذاهم لرسول الله ﷺ؛ لعله يضعف أو يتراجع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال ما يأكله ذو عبد إلا ما يواري إبط بلال**[(١)]»[(٢)].

ومن ذلك:

إيذاء أبي جهل لرسول الله ﷺ؛ حيث زعم: أنه يطأ عنق الرسول ﷺ.

---

(١) أي: أن بلالاً كان رفيقي في تلك المرحلة، وما كان لنا من طعام إلا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال ويخفيه تحت منكبه.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٠٧٨)، والترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمَّد وجهه[1] بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللَّات والعزَّى! لئن رأيته يفعل ذلك؛ لأطأنَّ على رقبته أو لأعفرنَّ وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم[2] منه إلا وهو ينكص على عقبيه[3]، ويتقي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقًا وهولًا وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني؛ لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[4].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمَّدًا يصلِّي عند الكعبة؛ لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال: فقال عليه الصلاة والسلام: «**لو فعل؛ لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله؛ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا**»[5].

وكذلك إيذاء أبي لهب وامرأته: حمالة الحطب.

عن ربيعة الدِّيلي رضي الله عنه؛ قال: إني لمع أبي، رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء[6] ذو جمَّة[7]، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة، ويقول: «**يا بني فلان! إنِّي رسول الله إليكم؛ آمركم: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به**».

---

(١) يسجد ويلصق وجهه بالتراب.

(٢) بغتهم.

(٣) رجع يمشي إلى الوراء القهقرى.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٩٥٨).

(٦) حسن الوجه.

(٧) شعر الرأس الذي سقط بين الكتفين.

فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته؛ قال الآخر من خلفه: يا بني فلان! إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللَّات والعزَّى، وحلفاءكم من الجنِّ بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمّه أبو لهب[1].

ولشدَّة أبي لهب في إيذاء رسول الله ﷺ؛ أنزل الله فيه سورةً عظيمة تبشره بالنار وبئس المصير: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ١-٥]؛ لأن إيذاء ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما؛ قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾؛ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها وَلْولة، وفي يدها فِهْر[2]، وهي تقول:

مذمَّمًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

والنَّبيُّ ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر؛ قال: يا رسول الله! قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّها لن تراني**».

وقرأ قرآنًا؛ فاعتصم به؛ كما قال تعالى، وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فوقفت على أبي بكر، ولم تَرَ رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر! إنِّي أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا وربِّ هذا البيت؛ ما هجاك؛ فولَّت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيِّدها[3].

ثم؛ إن الملأ من قريش اجتمعوا وضربوا رسول الله ﷺ:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما؛ أنهم قالوا لها: ما أشدّ ما رأيت المشركين بلَغوا من

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد (٣/ ٤٩١).

(٢) حجر يملأ الكف.

(٣) **صحيح** - أخرجه الحميدي (٣٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦١)، وأبو يعلى (٥٣).

رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون رفعوا في المسجد عُمُدًا؛ ليروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك؛ إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له لغدائر[1] أربع، وهو يقول: ويلكم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨] قال: فَلَهَوْا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمسّ من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام[2].

○ ○ ○

(١) ضفائر الشعر.

(٢) **حسن** - أخرجه الحميدي في «مسنده» (٣٢٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١)، و«فضائل الخلفاء الراشدين» (٨١)، وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٣٠١).

وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٢٠٤ و٢١٨).



فصل

تهديد رسول الله ﷺ لقريش ودعاؤه عليهم

ولما أشتدَّ أذى قريش لرسول الله ﷺ؛ هدَّدهم ودعا عليهم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحِجْر[1]، فذكروا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرَّجل قط، سفَّه أحلامنا[2]، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صرنا منه على أمر عظيم.. أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الرُّكن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مرَّ بهم غمزوه[3] ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه[4]، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثالثة؛ فغمزوه بمثلها، فقال: «**تسمعون يا معشر قريش! أما والذي نفس محمد بيده! لقد جئتكم بالذَّبح**»[5]، فأخذَتِ القومَ

(١) حِجر إسماعيل -عليه الصَّلاة والسَّلام- بجوار الكعبة.

(٢) نسب عقلاءنا إلى الجنون والطيش.

(٣) أشاروا إليه بأعينهم وحواجبهم؛ استهزاءً بما يقول.

(٤) تغيَّر وجهه، وظهرت عليه علامات الغضب.

(٥) أي: جئتكم بالهلاك واستهزاؤكم بنبيِّكم من أسرع أسبابه.

كلمتُه، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع [1]، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة[2] من قبل ذلك ليرفأه[3] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولًا.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبه رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: «**أنت الذي تقول كذا وكذا**»، كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «**نعم، أنا الذي أقول ذلك**»، قال: فلقد رأيت رجلا[4] منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشًا بلغت منه[5].

وخَصَّ الملأ منهم بدعاءٍ أصابهم جزاءً وفاقًا بما آذوا رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وقد نحرت جزور[6] بالأمس، فقال أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سلا[7] جزور بني فلان؛ فيأخذه، فيضعه بين كتفي محمَّد إذا سجد.

---

(١) لم ينبس ببنت شفة.

(٢) أكثرهم وصية على إيذائه.

(٣) يسكته ويدعو له ويرفق به.

(٤) هو عقبة بن معيط.

(٥) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٣٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٥).

(٦) الناقة.

(٧) اللفافة التي تكون في كرش الناقة وسائر الحيوان.

فانبعث شقي القوم[1] فأخذه، فلما سجد النَّبيُّ ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا[2]، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله، والنَّبيُّ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت -وهي جويرية[3]-، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم، فلما قضى النَّبيُّ صلاته؛ رفع صوته ثم دعا عليهم.

وكان إذا دعا: دعا ثلاثًا، وإذا سأل: سال ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات.

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال:

«**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمَّدًا ﷺ بالحقِّ! لقد رأيت الذي سمَّى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[4]: قليب بدر[5].

في رواية البخاري ذكر السابع؛ وهو: «عمارة بن الوليد».

○ ○ ○

(١) هو عقبة بن معيط.

(٢) ضحكوا وسخروا منه ﷺ.

(٣) فتاة شابة لم تكبر بعد.

(٤) هي البئر التي لم تطو.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).



فصل

حفظ الله لرسوله ﷺ وتسليته له بما يُثبِّت فؤاده

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحِجْر، فتعاقدوا باللَّات والعزَّى، ومناة الثالثة الأخرى، ونائله وإساف(١): لو قد رأينا محمَّدًا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله.

فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ؛ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو رأوك لقد قاموا إليك؛ فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «**يا بنية! أريني وضوءًا**»، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم(٢)، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: «**شاهت الوجوه**»(٣)، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلًا منهم -من ذلك الحصى- حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا(٤).

---

(١) أسماء أصنام كان المشركون يعبدونها.

(٢) دهشوا؛ فلم يستطيعوا أن يقدموا أو يتأخَّروا، وانهارت قواهم؛ فما استطاعوا القيام.

(٣) قبح الله منظرها.

(٤) **حسن** - أخرجه أحمد (١/ ٣٠٣-٣٦٨)، وابن حبان (٦٥٠٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ١٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٤٠).



وعن أنس بن مالك ﵁؛ قال: جاء جبريل -عليه السَّلام- إلى النَّبيِّ ﷺ ذات يوم وهو جالس حزينًا؛ قد خضب بالدماء؛ ضربه أهل مكة، قال: فقال له: ما لك؟ قال: فقال له: «**فعل بي هؤلاء وفعلوا**».

قال: فقال له جبريل عليه السلام: أتحبّ أن أريك آية؟ قال: «**نعم**».

قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع بتلك الشجرة.

فدعاها، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مُرْها؛ فلترجع. فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ: «**حسبي**»[(١)].

❍ ❍ ❍

(١) **صحيح** - أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١١٣)، وابن ماجه (٤٠٢٨).



فصل

عدوان المشركين وفتنة المعذَّبين

ولما اشتدَّ أذى المشركين على مَنْ آمن، وفتنوا منهم جماعة؛ حتى إنهم كانوا يضربونهم، ويلقونهم في الحرِّ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في شدَّة الحرِّ؛ حتى إن أحدهم إذا أُطلق لا يستطيع أن يجلس من شدِّة الألم.

فمن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود ﵁؛ قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمّه سُميَّة، وصُهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله؛ فمنعه[1] الله بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر؛ فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم[2] في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم[3] على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت[4] عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شِعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحد[5].

---

(١) حماه.

(٢) عَذّبوهم.

(٣) وافقهم.

(٤) صغرت وحقرت في سبيل الله.

(٥) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٠٤)، وابن ماجه (١٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨١).

وعن جابر رضي الله عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بعمَّار بن ياسر وبأهله يُعذَّبون في الله -عزَّ وجلَّ-؛ فقال: «**أبشروا آل ياسر؛ موعدكم الجنَّة**»[1].

○ ○ ○

(١) **حسن لغيره** - أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٨٨-٣٨٩) بإسناد ضعيف؛ لكن له شاهد من حديث عثمان بن عفان: أخرجه أحمد (١/ ٦٢) بإسناد رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع.

فالحديث حسن بمجموعهما، والله أعلم.



جهاد الدعوة باليد واللسان

لم يتأخر رسول الله ﷺ وأصحابه في تغيير المنكر بيده ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ما لم يترتب عليه مفسدة أكثر أو أذًى أكبر؛ ومن ذلك:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: انطلقت أنا والنَّبيُّ ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اجلس**»، وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى منِّي ضعفًا، فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ فقال: «**اصعد على منكبي**». قال: فنهض بي، قال: فإنَّه يخيَّل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء [١]، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر[٢] أو نحاس، فجعلت أزاوله[٣] عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال رسول الله ﷺ: «**اقذف به**»، فقذفت به، فتكسَّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نَسْتَق، حتى توارينا بالبيوت؛ خشية أن يلقانا أحد من الناس[٤].

---

(١) ناحيتها.

(٢) ضرب من النحاس.

(٣) أعالجه وأحاوله.

(٤) **حسن** - أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٨٤)، والبزار في «مسنده» (٧٦٩)، وأبو يعلى (٢٩٢)، والطبري في «تهذيب الآثار» (ص٢٩٧ - مسند علي)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦٦-٣٦٧).

وكذلك جادل المشركين، وأقام عليهم الحجة الدامغة باعترافهم في أنفسهم بالحقِّ، وإن أظهروا المخالفة عنادًا وحسدًا وبغيًا وجحودًا:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا. قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمَّدًا لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قريش أنِّي من أكثرها مالًا.

قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنَّك منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله! ما منكم رجل أعرف بالأشعار منّي، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده منّي، ولا بأشعار الجن، والله! ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله! إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلوا ولا يُعلى، وإنه ليُحطِّم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكِّر فيه.

فلما فكَّر؛ قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره؛ فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١١-١٣][1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٦-٥٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣)، و«دلائل النبوة» (٢/ ١٩٨-١٩٩).



فصل

تصبير الرسول ﷺ لأصحابه وتبشيرهم ودخول الناس في الإسلام على الرغم من الأذى

أمام اشتداد أذى المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم جعل رسول الله ﷺ يُصَبِّر أصحابه رضي الله عنهم على تحمُّل العذاب والأذى، ويبيِّن لهم: أن الابتلاء مقدمة التمكين، فإن الرجل لا يُمكَّن حتى يبتلى.

عن خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه؛ قال: أتيت النَّبيَّ ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظلِّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدَّة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: «**لقد كان من كان قبلكم ليُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشقُّ باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وَلِيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر؛ حتى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلَّا الله -عزَّ وجلَّ- والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1].

ولذلك كان كلّما زاد أذى كفار مكّة وتعذيبهم للمسلمين الأوائل دخل النَّاس في دين الله، ومن ذلك:

إسلام أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: لما بلغ أبا ذرٍّ مبعث النَّبيِّ ﷺ؛ قال لأخيه:

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦١٢ و٣٨٥٢).

اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرَّجل الذي يزعم: أنه نبيٌّ يأتيه الخبر من السَّماء، واسمع من قوله، ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ؛ فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني[1] مما أردتُ.

فتزوَّدَ، وحمل شنَّة[2] له فيها الماء، حتى قَدِمَ، فأتى المسجد، فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل اضطجع، فرآه علي؛ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسألْ واحدٌ صاحبه عن شيء، حتى أصبح قام، احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظلَّ ذلك اليوم، ولا يراه النَّبيُّ ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمرَّ به علي؛ فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك، فأقام معه، فقال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟

قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت، ففعل، فأخبره. قال: فإنَّه حقٌّ، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإنِّي إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه[3]، حتى دخل على النَّبيِّ ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**ارجع إلى قومك؛ فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها[4] بين ظهرانيهم[5].

فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا

---

(١) ما بلغتني غرضي، وأزلت عني همَّ كشف هذا الأمر.

(٢) القربة البالية.

(٣) يتبعه.

(٤) لأرفعن صوتي بها.

(٥) بينهم.

رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه، وأتى العباس؛ فأكبَّ عليه، قال: ويلكم ألستم تعلمون أنَّه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم.

ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكبَّ العباس عليه[1].

إسلام ضماد الأزدي:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: إن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقي[2] من هذه الرِّيح[3]، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون. فقال: لو أنِّي رأيت هذا الرَّجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد! إنِّي أرقي من هذه الريح، وإنَّ الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟[4].

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد**».

قال: فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السَّحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر[5]. قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «**وعلى قومك**»، قال: وعلى قومي.

قال، فبعث رسول الله ﷺ سريَّة؛ فمروا بقومه، فقال صاحب السريَّة للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردَّها

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٢) من الرقية؛ وهي العوذة: التي يرقى بها صاحب الآفة.

(٣) الجنون أو مس الجن.

(٤) هل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها؟!

(٥) وسطه، أو لجته، أو قعره الأقصى.

فإن هؤلاء قوم ضماد[1].

إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه:

عن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: قال عمرو بن عبسة السُّلمي: كنت وأنا في الجاهليَّة، أظنُّ النَّاس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفٍ، جراء[2] عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبيٌّ**»، فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «**حرٌّ وعبد**» -قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به-، فقلت: إني مُتَّبِعك. قال: «**إنَّك لا تستطيع ذلك يومك هذا؛ ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت؛ فأتني**»، قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبَّر الأخبار[3]، وأسأل النَّاس حين قدم المدينة، حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرَّجل الذي قدم المدينة. فقالوا: الناس إليه سراع[4]، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة؟**»، قال: فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله! أخبرني عمَّا علَّمك الله وأجهل: أخبرني عن الصلاة؟ قال:

«**صلِّ صلاة الصبح، ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنَّها تطلع حين تطلع بين قرني الشيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ؛ فإن الصلاة**

---

(١) رواه مسلم (٨٦٨).

(٢) غضاب قد عيل صبرهم ونفذ.

(٣) اسألها.

(٤) يسارعون في الدخول .

مشهودة[١] محضورة[٢]؛ حتى يستقل الظل بالرمح[٣]. ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تسجر جهنم[٤]، فإذا أقبل الفيء؛ فصلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان؛ وحينئذ يسجد لها الكفار».

قال: فقلت: يا نبيَّ الله! فالوضوء؟ حدثني عنه. قال: «**ما منكم رجل يُقَرِّب وضوءه؛ فيتمضمض، ويستنشق، فينتثر؛ إلا خرَّت خطايا وجهه -وفيه: وخياشيمه[٥]-، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين؛ إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه؛ إلا خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرَّت خطايا رجليه من أنامله**»[٦].

○ ○ ○

---

(١) يشهدها الملائكة.

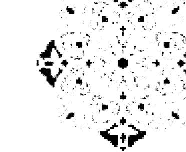
(٢) يحضرها أهل الطاعات.

(٣) أي: يقوم مقابله في جهة الشمال، ليس مائلاً على المغرب ولا المشرق، وهذه حالة الاستواء، وتخصيص الرمح بالذكر؛ لأن العرب أهل بادية، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم في الأرض، ثم نظروا إلى ظلها.

(٤) يوقد عليها إيقادًا بليغًا.

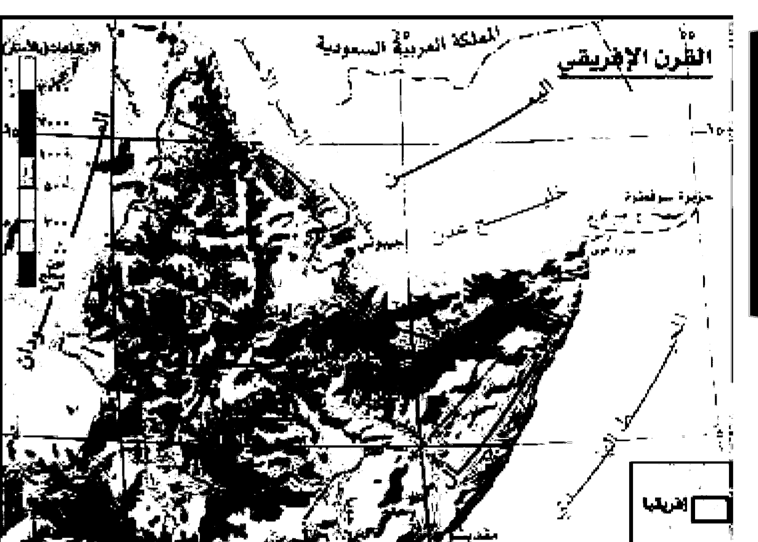
(٥) جمع خيشوم؛ وهو: أقصى الأنف.

(٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (٨٣٢).





فصل



الهجرة إلى الحبشة

فلما اشتدَّ البلاء؛ أذن الله -سبحانه وتعالى- لهم في الهجرة إلى أرض الحبشة(١)، فكان أوَّل من خرج فارًّا بدينه إلى الحبشة: عثمان بن عفان ﵁، ومعه زوجته رقيَّة بنت رسول الله ﷺ، وتبعه الناس.

ثم خرج جعفر بن أبي طالب وجماعات ﵃؛ فكانوا قريبًا من ثمانين رجلًا.

عن عبد الله بن مسعود ﵁؛ قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النَّجاشيِّ، ونحن نحوًا من ثمانين رجلًا؛ فيهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى؛ فأتوا النَّجاشيَّ(٢).

فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة(٣) النَّجاشيَّ، فآواهم وأكرمهم، فكانوا

---

(١) من أقدم دول العالم، تقع فوق الهضاب في القرن الإفريقي، وتسمى -الآن-: أثيوبيا، وعدد المسلمين فيها نحو نصف سكانها.

(٢) حسن - أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٣٤٦)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٤٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٩٨).

(٣) معناه بالعربية: «عطية». و«النجاشي»: لقب لملوك الحبشة.

عنده آمنين.

فلمَّا عَلِمَت قريشٌ بذلك؛ بعثت في إثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلادهم إلى النَّجاشيِّ؛ ليردهم عليهم، فأبى ذلك عليهم:

عن أمِّ سلمة رضي الله عنها؛ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار: النَّجاشيِّ، أمِنّا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى، ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا؛ ائتمروا: أن يبعثوا إلى النَّجاشيِّ فينا رجلين جَلدين[1]، وأن يهدوا النَّجاشيَّ هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم[2]، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا[3] إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السَّهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كلِّ بطريق هديته قبل أن تكلموا النَّجاشيَّ فيهم، ثم قدِّموا للنَّجاشيِّ هداياه، ثم اسألوه أن يسلِّمهم إليكم قبل أن يكلِّمهم.

قالت: فخرجا، فقدما على النَّجاشيِّ ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكلِّ بطريق منهم: إنه قد ضوى[4] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم؛ ليردَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم؛ فأشيروا عليه أن يسلِّمهم إلينا، ولا يكلِّمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا[5]، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم، ثم قرَّبوا هداياهم إلى النَّجاشيِّ، فقبلها منهم، ثم كلَّماه.

---

(١) قويّان.

(٢) الجلود.

(٣) الحاذق بالحرب وأمورها.

(٤) لجأ.

(٥) أبصر بهم، وأعلم بهم من غيرهم.



فقالوا له: أيّها الملك! قد صبا إلى بلدك منَّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، فجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا، وعاتبوا فيه.

ولم يكن أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من إن يسمع النَّجاشيُّ كلامهم.

فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك! قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهم، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النَّجاشيُّ، وقال: لا هيم الله[1] إذ لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعوهم، فاسألهم عمَّا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحتسب جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل أصحاب رسول الله فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا -بعضهم لبعض-: ما تقولون في الرَّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله! ما علمنا، وما أمر به نبيُّنا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه، وقد دعا النَّجاشيُّ أساقفته[2]، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: أيها الملك! كنَّا قومًا أهل الجاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضعيف، فكنَّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله -عزَّ وجلَّ-؛ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة -قالت: فَعَدَّدَ عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عباد الله -عزَّ وجلَّ-، وأن نستحلَّ ما كنَّا

(١) أي: لا والله.

(٢) علماء النصارى.

نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك!

قالت: فقال النَّجاشيُّ: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم.

قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قالت: فبكى النَّجاشيُّ، حتى اخضلَّ لحيته[1]، وبكت أساقفته، حتى اخضلُّوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلِيَ عليهم.

ثم قال النَّجاشيُّ: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة[2] واحدة، انطلقا، فوالله! لا أسلمهم إليكم، ولا أكاد.

قالت أمّ سلمة: فلما خرجا من عنده، قال: عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا؛ أعيبهم عنده بما استأصل به خضراؤهم[3].

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة -وكان أتقى الرجلين فينا-: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا -وإن كانوا قد خالفونا-.

قال: والله! لأخبرنه أنهم يزعمون: أن عيسى ابن مريم -عليه السلام- عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك! إنَّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في

---

(١) بلَّها بالدموع.

(٢) الثقب الذي يكون فيه الفتيل.

(٣) جماعتهم ومعظمهم.

عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا ﷺ؛ هو: عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء[١] البتول[٢].

قال: فضرب النَّجاشيُّ بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت[٣] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي -والسيوم: الآمنون-، من سبَّكم غرم، ثم من سبَّكم غرم، ثم من سبَّكم غرم، ما أحب أن لي دبرًا[٤] ذهبًا وإني آذيت رجلًا منكم، -الدبر: بلسان الحبشة: الجبل-، رُدّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله! ما أخذ الله منِّي الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس فيَّ؛ فأطيعهم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار.

فوالله! إنه لعلى ذلك إذ نزل به[٥] من ينازعه في ملكه، قالت: والله! ما علمنا حزنًا كان أشدَّ من حزن حزناه عند ذلك، تَخَوُّفًا أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقِّنا ما كان النَّجاشيُّ يعرف.

قالت: وسار النَّجاشيُّ، وبينهما عرض النيل، قالت: فقال: أصحاب رسول الله ﷺ مَن رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا؟

فقال الزبير بن العوام: أنا. قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا. قالت: فنفخوا له قربة، فجعلوها في صدره، فسبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى

---

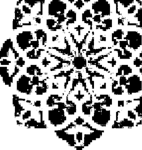
(١) الجارية البكر التي لم يمسها رجل.

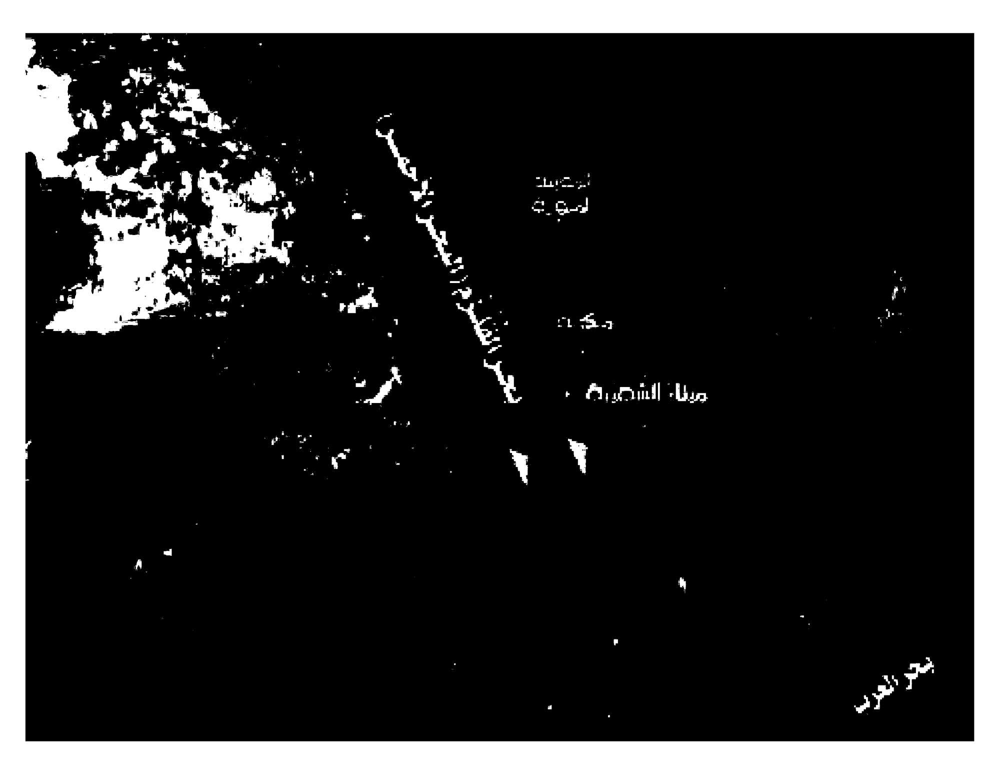
(٢) المنقطعة عن الرجال لعبادة ربها.

(٣) تكلمت بكلام فيه غضب.

(٤) الدبر -بلسانهم-: الجبل.

(٥) قام عليه ووثب وارتفع.





الصحيح المصفَّى

القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله -عزَّ وجلَّ- للنَّجاشيِّ بالظهور على عدوِّه، والتمكين في بلاده، واستوسق[1] عليه أمر الحبشة، فكنَّا عنده في خير منزلٍ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة[2].

○ ○ ○

---

(١) استقر له.

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٣-٢٠١ و٥/ ٢٩٠-٢٩٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١١٥-١١٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠١-٣٠٤).





ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وكان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله إلى الحبشة.

عن أمِّ عبد الله بنت أبي حَثْمَة رضي الله عنها؛ قالت: والله! إنَّا لنترحَّل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر، فوقف وهو على شِرْكِه، فقالت: وكنَّا نلقى منه أذى لنا وشدَّة علينا.

قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أمَّ عبد الله؟

قلت: نعم؛ والله! لنخرجنَّ في أرض من أرض الله -إذ آذيتمونا وقهرتمونا- حتى يجعل الله لنا مخرجًا.

قالت: فقال: صحبكم الله. ورأيت له رِقَّةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله! لو رأيت عمر آنفًا ورقَّته وحزنه علينا.

قال: أطمعت في إسلامه؟

قالت: قلت: نعم.

قال: لا يُسْلِمُ الذي رأيت حتى يُسْلِمَ حمار الخطَّاب!

قالت: يأسًا منه لِمَا كان يُرى من غلظته وقسوته على الإسلام[1].

وذلك أنه ﵁ قبل أن يدخل الإيمان قلبه كان شديدًا على رسول الله ﷺ وأصحابه ﵃.

وعن سعيد بن زيد ﵁؛ قال: والله! لقد رأيتني وإن عمر ﵁ لموثقي على الإسلام قبل أن يُسْلِمَ.

وفي رواية: لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم[2].

ولكن رسول الله ﷺ دعا الله أن يعزَّ الإسلام: إمَّا بأبي جهل أو بعمر بن الخطَّاب؛ فأصاب دعاءُ النَّبيِّ ﷺ عمرَ ﵁.

وعن عبد الله بن عمر ﵄؛ قال: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**اللَّهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطَّاب**»، فكان أحبُّهما إلى الله عزَّ وجلَّ عمر بن الخطَّاب[3]

استجاب الله -عزَّ وجلَّ- دعاء رسول الله ﷺ؛ فشرح صدر عمر بن الخطاب؛ فأعلن إسلامه؛ وأشهر إيمانه:

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٧) بإسناد حسن إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٦٢ و٣٨٦٧).

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٩٥)، والترمذي (٣٦٨٢ و٣٦٨٤)، وابن ماجه (١٠٥).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال:

لمَّا أسلم عمر؛ قال: أيُّ قريش أنقلُ للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت، حتى جاءه؛ فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت، ودخلت في دين محمد ﷺ؟

قال: فوالله! ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه، واتبعه عمر، وأتبعه أنا حتى إذا قام على باب المسجد؛ صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش -وهم في أنديتهم حول الكعبة- ألا أن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر مِن خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدًا رسول الله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطلح[1] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنَّا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّة حَبِرَة[2] وقميص مُوَشّى، حتى وقف عليهم؛ فقال: ما شأنكم به؟ فقالوا: صبأ عمر.

قال: فَمَهْ، رجل اختار لنفسه أمرًا؛ فما تريدون؟ أترون بني عدي يُسْلِمون لكم صاحبكم هكذا؟ خَلّوا عن الرجل[3].

قال: فوالله! لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه. قال: فقلت لأبي -بعد أن هاجر إلى المدينة-: يا أبت! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك. قال: ذاك -أيْ بني!- العاص بن وائل السهمي[4].

---

(١) تعب وأعيى.

(٢) ضرب من برود اليمن.

(٣) اتركوه.

(٤) **حسن** - أخرجه ابن حبان (٦٨٧٩)، وابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٧٣-٣٧٤) بإسناد حسن.

وعنه -أيضًا- رضي الله عنهما؛ قال: لمَّا أسلم عمر اجتمع الناس إليه عنده داره، وقالوا: صبأ عمر. وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: صبأ عمر، فما ذاك؟! فأنا له جار. قال: فرأيت النَّاس تصدَّعوا عنه. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا العاص بن وائل[1].

فكان إسلامه رضي الله عنه عِزًّا للإسلام ونصرًا للمسلمين.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر بن الخطاب[2].

وقال -أيضًا- رضي الله عنه: ما كنَّا نَقْدِرُ أن نصلِّيَ عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلمَّا أسلم؛ قاتل قريشًا حتى صلَّى عند الكعبة، وصلَّينا معه[3].

○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٤ و٣٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٦٣).

(٣) **حسن** - أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٦٢/ ٨٨٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠).

وانظر: «صحيح السيرة النبوية» (ص١٨٨) لشيخنا الألباني رحمه الله.



مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب

فلمَّا رأت قريش ذلك؛ ساءها، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف: ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلِّموهم، ولا يجالسوهم؛ حتى يُسَلِّموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلَّقوها في سقف الكعبة.

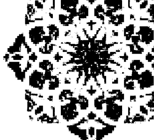
فمكث بنو هاشم وبنو المطلب -مؤمنهم وكافرهم؛ إلا أبا لهب لعنه الله وولده- في شعب أبي طالبٍ، محصورين مَضَيَّقًا عليهم جدًّا، نحوًا من ثلاث سنين.

ثم سعى في نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة[1].

---

(١) واعلم أنَّ ما ورد من تفاصيل أمر المقاطعة كله مراسيل لم تثبت رواية صحيحة في تفاصيلها؛ لكن أصل الحادثة ثابت؛ كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٧/ ١٩٣): «ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأنه فيه دلالة على أصل القصة؛ لأنَّ الذي أورده أهل المغازي من ذلك؛ كالشرح لقوله في الحديث: «تقاسموا على الكفر».

وانظر أخبار المقاطعة في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ٢٠٨)، و«السيرة النبوية» (١/ ٣٨٨)، و«عيون الأثر» (١/ ٢٢٢)، و«المواهب اللدنية» (١/ ٢٤٧).



الأبطح



وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ قال: قلت: يا رسول الله! أين تنزل غدًا؟ في حجَّته. قال: «**وهل ترك لنا عقيل منزلًا؟**»، ثم قال: «**نحن نازلون غدًا -إن شاء الله- بخيف**[1] **بني كنانة** -يعني: **المحصب**[2]-، **حيث قاسمتْ قريشٌ على الكفر**»؛ وذلك: أن بني كنانة حالفت قريشًا على بني هاشم أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يؤوهم، ثم قال عند ذلك: «**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال لنا رسول الله -ونحن بمنى-: «**نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر**»؛ وذلك: أن قريشًا وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب: أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم؛ حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يعني بذلك: المحصب[4].

○ ○ ○

---

(١) الوادي.

(٢) اسم مكان متسع بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٥٨٩ و١٥٩٠)، ومسلم (١٣١٤).



خروج النَّبيِّ ﷺ إلى الطائف

فلما نُقِضَت الصحيفة؛ وافق موت خديجة رضي الله عنها وموت أبي طالب، فاشتدَّ البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وأقدموا عليه[1]:

عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**ما زالت قريش كاعَّة[2] عنِّي حتى توفي أبو طالب**»[3].

فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف؛ لكي يُؤوه، وينصروه على قومه[4]، ويمنعوه منهم.

وعن خالد العدواني عن أبيه رضي الله عنه: أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس -أو: عصا- حين أتاهم يبتغي عندهم النصر.

---

(١) أي: اجترؤوا عليه.

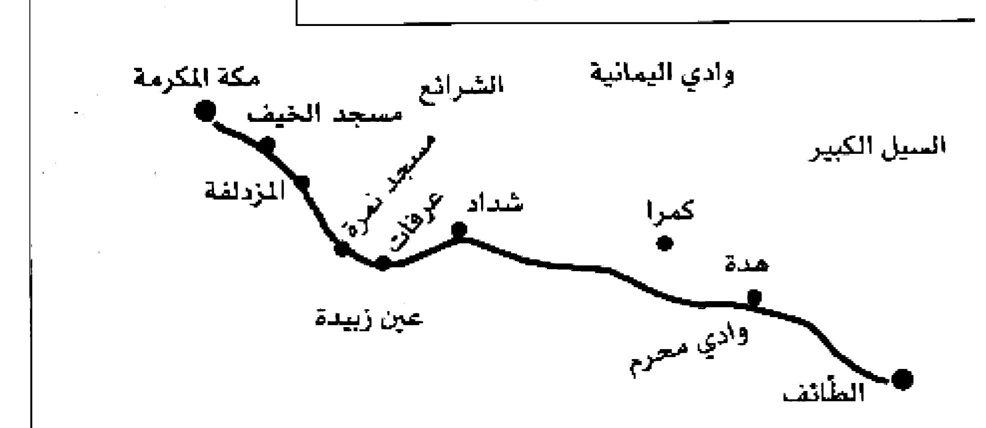
(٢) جبناء.

(٣) **حسن** - أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٤٩- ٣٥٠).

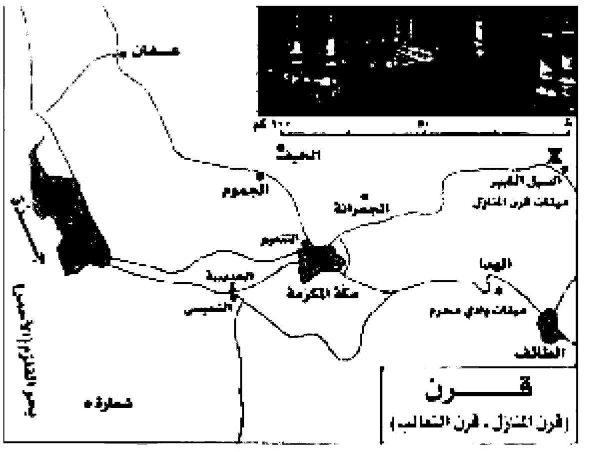
(٤) **حسن لغيره** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٣٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٣٨-١٣٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٧٨) بإسناد ضعيف.

لكن يشهد له ما رواه موسى بن عقبة في «المغازي»؛ كما في «فتح الباري» (٦/ ٣١٥) عن ابن شهاب: أنَّ رسول الله ﷺ لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف؛ رجاء أن يؤوه.

وبالجملة؛ فالحديث بمجموعهما حسن.



ودعاهم إلى الله -عزَّ وجلَّ-، فلم يجيبوه إلى شيءٍ من الذي طلب، وآذوه أذى عظيمًا، لم ينل منه قومه أكثر مما نالوا منه.

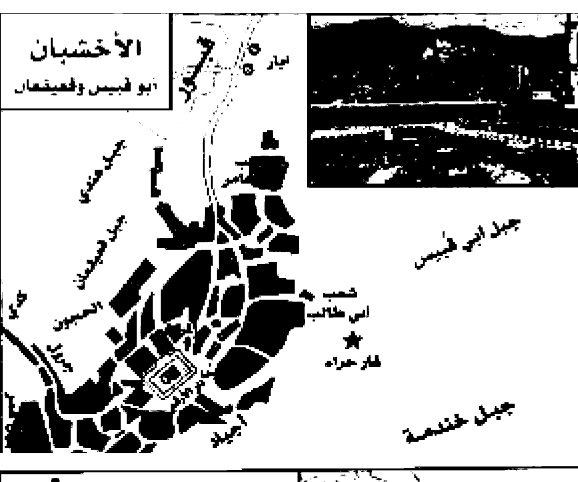


وعن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت للنَّبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يوم أشدُّ من يوم أحد؟ قال: **«لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي؛ فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثَّعالب[1]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت منهم، فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليّ، ثم قال: يا محمَّد!**

(١) هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، يبعد عن مكة (٨٠ كم).

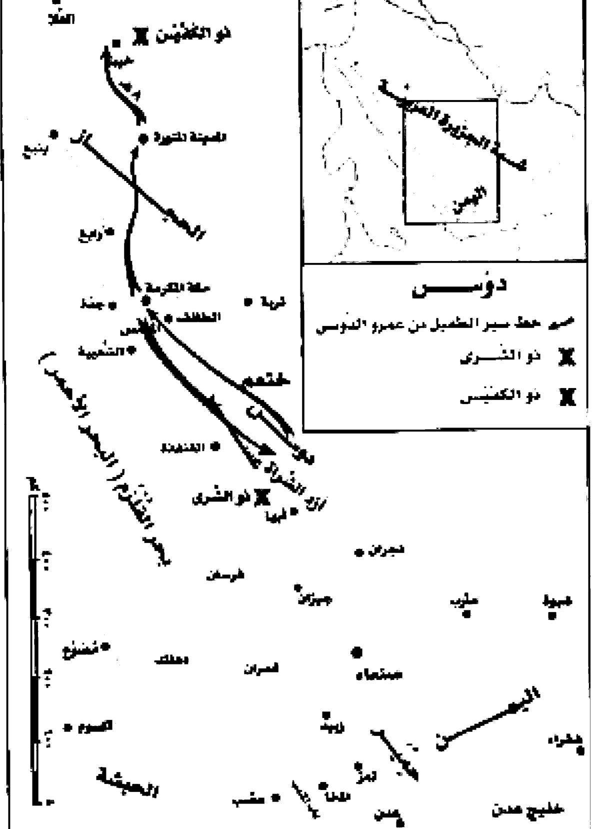
من سيرة النبي المصطفى

إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[(١)]؟ قال النَّبيُّ ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**»[(٢)].



فرجع عنهم، ودخل مكة، وجعل يدعو إلى الله -عزَّ وجلَّ-؛ فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي.

ودعا الطفيل قومه إلى الله؛ فأسلم بعضهم، وأقام في بلاده، فلما فتح الله على رسوله خيبر؛ قدم بهم في نحوٍ من ثمانين بيتًا.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ؛ قال: إنَّ دوسًا[(٣)] قد استعصت وأبت؛ فادع الله عليهم؛ فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ورفع يديه؛ فقال الناس: هلكوا. قال: «**اللهم! اهد دوسًا، وأتِ بهم، اللهم! اهدِ دوسًا، وأتِ بهم**»[(٤)].

---

(١) الجبلين العظيمين؛ وهما: أبو قبيس وقيقعان.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) قبيلة قحطانية سكنت إحدى السروات المطلة على تهامة.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٩٣٧ و٤٣٩٢ و٦٣٩٧)، ومسلم (٢٥٢٤).



الإسراء والمعراج

وأسري برسول الله ﷺ بجسده وروحه يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس؛ كما قال الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، راكبًا البراق في صحبة جبريل -عليه الصَّلاة والسَّلام-، فنزل ثَمَّ، وأَمَّ بالأنبياء ببيت المقدس، فصلَّى بهم:

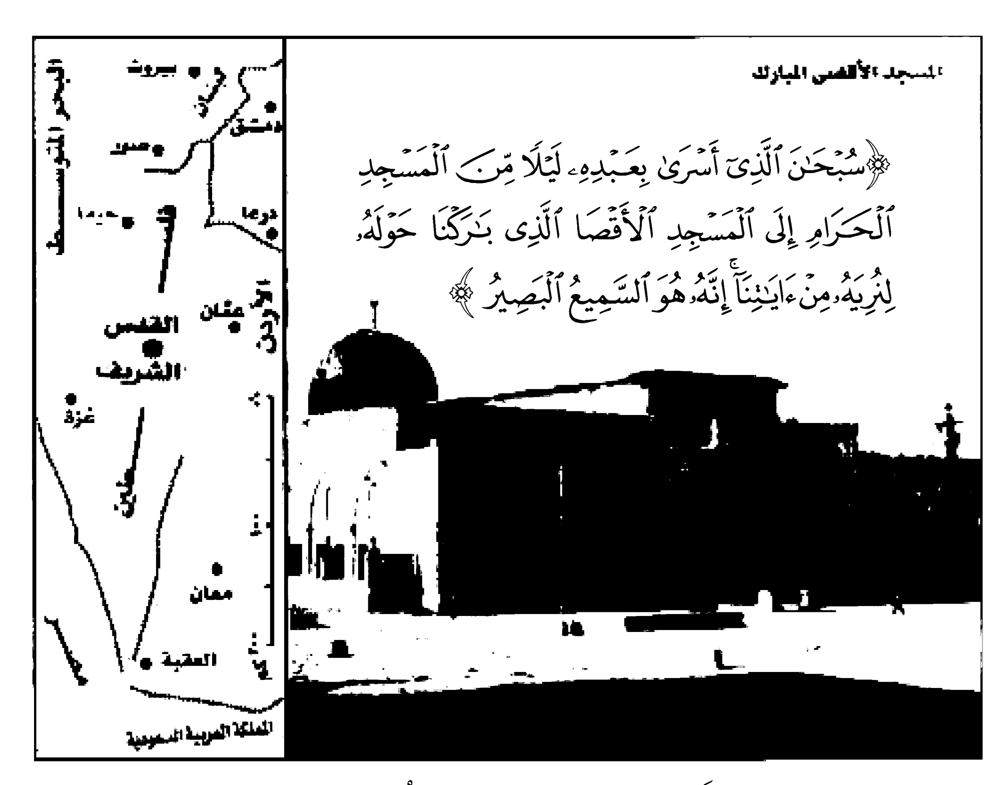
عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**أتيت بالبراق؛ وهو: دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة**[1] **التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل -عليه السَّلام- بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترت اللَّبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة**[2]»[3].

---

(١) المراد باب المسجد الأقصى.

(٢) الاستقامة على الإسلام.

(٣) صحيح - أخرجه المسلم (١٢٦).

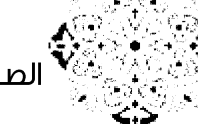


ثم عرج به تلك اللَّيلة من هناك إلى السَّماء الدُّنيا، ثم التي تليها، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم التي تليها، ثم السابعة، ورأى الأنبياء في السماوات على منازلهم، ثم عُرِجَ به إلى سدرة المنتهى؛ ورأى عندها جبريل -عليه السَّلام- على الصورة التي خلقه الله عليها، وفرض الله عليه الصلوات تلك الليلة[1].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ؛ قال: لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السَّماء السَّادسة، وإليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها، فيقبض منها، قال الله -تعالى-: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

---

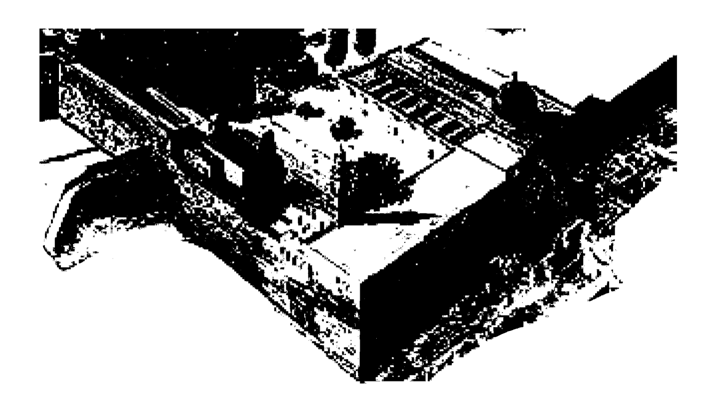
(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٨٨٧)، و«صحيح مسلم» (١٦٤).
وحديث الإسراء والمعراج متواتر، ومتفق على صحَّته بين أهل الحديث، وهو كذلك ثابت بنصوص قرآنية صريحة؛ فهو: قطعي الثبوت، قطعي الدلالة.
ولشيخنا الألباني رحمه الله رسالة نافعة؛ هي: «صحيح الإسراء والمعراج»؛ لكن لم يكملها، والنيَّة متجهة -بإذن الله- إلى إتمامها، وشرحها شرحًا منهجيًّا.



الأَرض
الَّتي بارك اللَّه حولها

الإســـراء
من المسجد الحرام (مكة)
إلى المسجد الأقصى (القدس)

الرحلة ليلًا من المسجد الحرام (في مكة) إلى المسجد الأقصى (في القدس)



يَغۡشَىٰ﴾ [النجم:١٦]، قال: فراش من ذهب. قال: فأعطي رسول الله ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمَّته شيئًا: المقحمات[١]»[٢].

ولما أصبح رسول الله ﷺ في قومه؛ أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى؛ فاشتدَّ تكذيبهم له، وأذاهم، واستجراؤهم عليه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذَّبتني قريش، قمت في الحجر؛ فجلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»[٣].

○ ○ ○

(١) الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٣).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٥٨١).



فصل

عَرْضُ النَّبيِّ ﷺ نفسه على القبائل

وجعل رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم، ويقول: «**من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني؛ حتى أبلغ رسالة ربِّي؛ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربِّي -عزَّ وجلَّ-**»؛ فأتاه رجل من همذان، فقال: «**ممن أنت؟**»، فقال الرجل: من همذان. فقال: «**هل عند قومك من منعة**»[1]؟ قال: نعم. ثم إن الرجل خشي أن يخفره[2] قومه؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم أخبرهم، ثم آتيك من قابل، قال: «**نعم**»، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب[3].

عن رجلٍ من بني مالك بن كنانة؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلَّلها يقول: «**يا أيُّها النَّاس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: لا يغوينَّكم هذا عن دينكم، فإنَّما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللَّات والعزَّى، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ. قلت: انعت لنا رسول الله. قال: بين

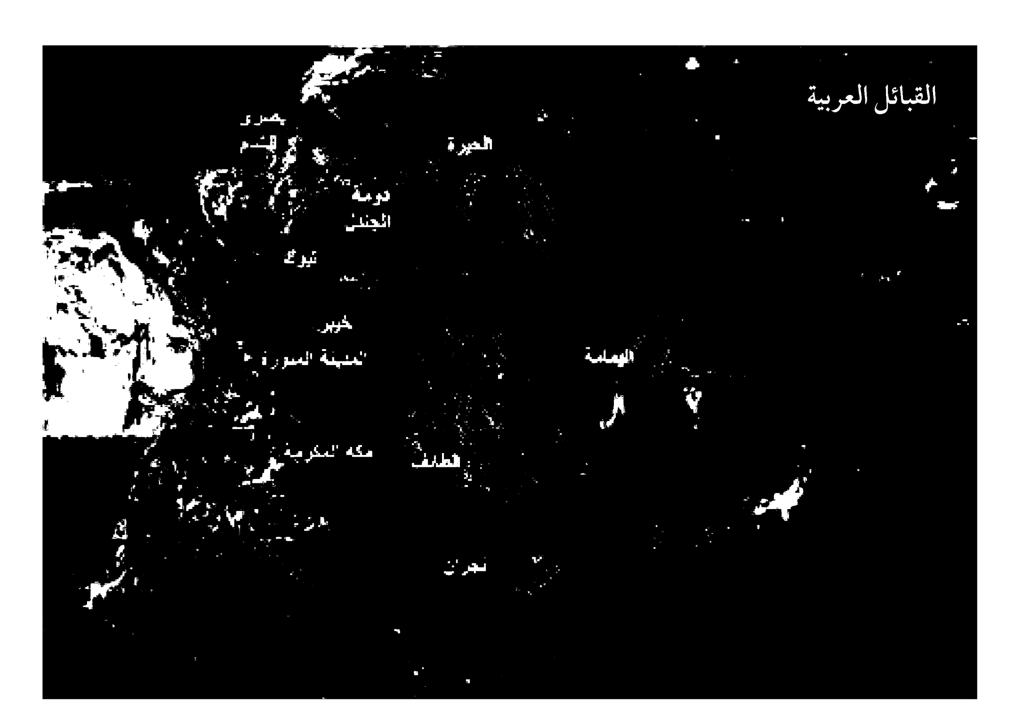
---

(١) حماية.

(٢) ينقضوا عهده وميثاقه.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٨٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

من سيرة النبي المصطفى



بردين أحمرين، مربوع كثير اللَّحم، حسن الوجه، شديد سواد الشَّعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر[1].

هذا؛ وزعماء قومه؛ كأبي لهب وأبي جهل -لعنهم الله- وراءه يقولون للناس: لا تسمعوا منه؛ فإنَّه كذَّاب!

فكان أحياء العرب يتحامونه؛ لما يسمعون من قريش فيه: إنه كاذب، إنه ساحر، إنه كاهن، إنه شاعر؛ أكاذيب يقذفونه بها من تلقاء أنفسهم، فيصغي إليهم مَن لا تمييز له من الأحياء.

وأما الألبَّاء؛ فإنهم إذا سمعوا كلامه وتفهموه؛ شهدوا بأنَّ ما يقوله حقٌّ، وأنهم مفترون عليه؛ فيسلمون.

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٣).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢): «رجاله رجال الصحيح».

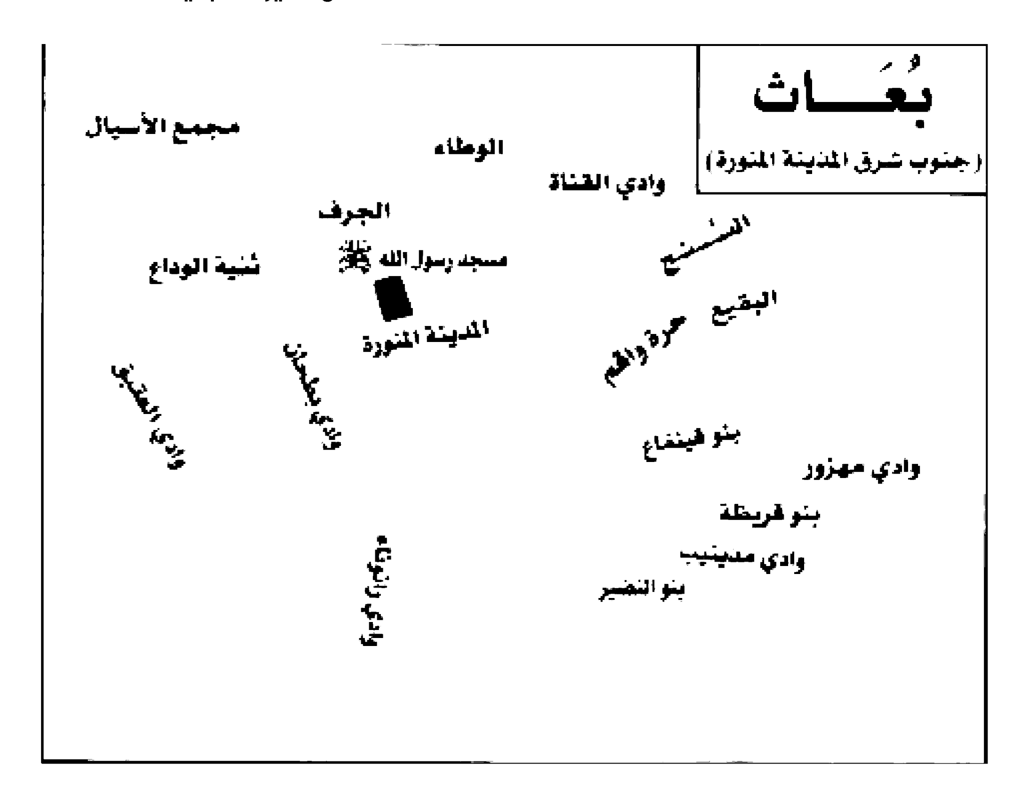


قدوم الأنصار وسماعهم بالإسلام
وما حصل بينهم يوم بعاث

وكان مما صنع الله لأنصاره من الأوس والخزرج: أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة: أن نبيًا مبعوث في هذا الزمن، ويتوعدونهم به إذا حاربوهم، ويقولون: إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، وكان الأنصار يحجون البيت؛ كما كانت العرب تحجُّه، وأما اليهود؛ فلا.

فلما رأى الأنصار رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله -تعالى-، ورأوا أمارات الصِّدق عليه؛ قالوا: والله هذا الذي توعدكم يهود به؛ فلا يسبقنَّكم إليه.

عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل؛ قال لما قدم أبو الحيْسر أنس بن رافع، ومعه فتية من بني عبد الأشهل -منهم: إياس بن معاذ- يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال: «**هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟**»، قالوا: وما ذاك؟ قال: «**أنا رسول الله! بعثني إلى العباد،**



أدعوهم إلى أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليَّ كتابًا»، ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: فقال إياس بن معاذ -وكان غلامًا حدثًا-: أي قومي! هذا -والله!- خير مما جئتم إليه.

قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس ابن معاذ، وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بعاث[1] بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع[2].

---

(١) موضع في نواحي المدينة على بعد ليلتين بقرب حصون بني قريظة؛ حصلت فيه حرب كبيرة بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٢٧)، وابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٢٧-٤٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٨٠-١٨١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٢٠).

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان يوم بعاث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام(1).

فلمَّا أراد الله -عزَّ وجلَّ- إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له؛ خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النَّفر الأنصار.

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه؛ قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ، قال لهم: «**من أنتم؟**»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «**أمِنْ موالي يهود؟**»، قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**»، قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله -عزَّ وجلَّ-، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام: أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم(2)، وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه؛ فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النَّفر دعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم! تعلمون -والله!- إنّه للنَّبيُّ الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنَّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه؛ وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشَّرِّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعزَّ منك.

---

(1) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٧٧٧).

(2) غلبوهم.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم،وقد آمنوا وصدقوا[١].

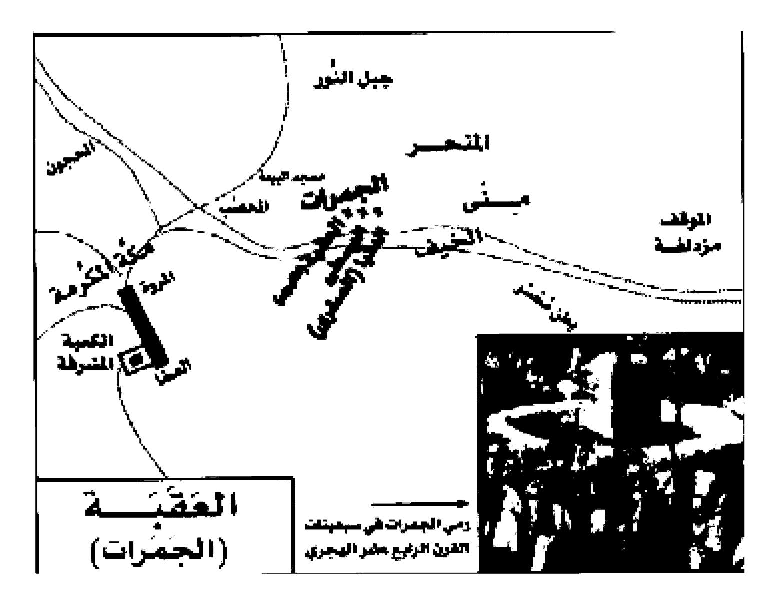
وكان هؤلاء النَّفر كلُّهم من الخزرج؛ وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس، وعوف بن الحارث بن رفاعة -وهو: ابن عفراء-، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب. لما رجعوا إلى المدينة؛ دعوا قومهم إلى الإسلام؛ ففشا الإسلام في المدينة؛ حتى لم تبق دار إلا وقد دخلها الإسلام.

❍ ❍ ❍

(١) **حسن** - أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٢٨-٤٢٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣٣ و٤٣٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٢٣).

من سيرة النبي المصطفى





بيعة العقبة الأولى

فلما كان العام المقبل؛ جاء منهم إثنا عشر رجلًا: الستة الأوائل -خلا جابر بن عبد الله بن رئاب- ومعهم: معاذ بن الحارث بن رفاعة، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة، وعبادة بن الصامت بن قيس، ويزيد بن ثعلبة؛ فهؤلاء عشرة من الخزرج.

واثنان من الأوس؛ هما: أبو الهيثم مالك بن التيّهان، وعويم بن ساعدة.

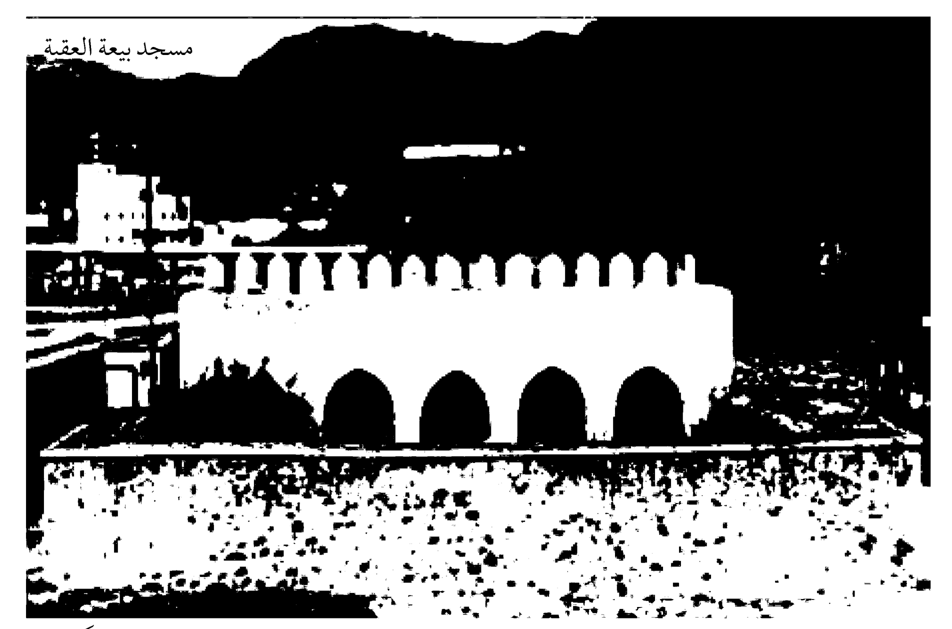
فبايعوا رسول الله ﷺ كبيعة النِّساء[1]، ولم يكن أمرٌ بالقتال بَعْدُ:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: كنت فيمن حضر العقبة[2] الأولى، وكنَّا إثني عشر رجلًا؛ فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النِّساء -وذلك قبل أن يفترض الحرب-: على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان

---

(١) دون قتال؛ كما كانت بيعة النساء؛ وهي: المذكورة في قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وبيعة النساء كانت بعد الحديبية.

(٢) العقبة: الجبل الطويل يعرض للطريق؛ فيأخذ منه.
والعقبة: بين منى ومكة، وعندها مسجد.



نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم؛ فلكم الجنَّة، وإن غشيتم[1] من ذلك شيئًا؛ فأمركم إلى الله: إن شاء عذَّبكم، وإن شاء غفر لكم[2].

فلما انصرفوا إلى المدينة؛ بعث معهم رسول الله ﷺ عمرو بن أم مكتوم، ومصعب ابن عمير: يُعلِّمان مَن أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلى الله -عزَّ وجلَّ-، فنزلا على أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمّهم، وقد جَمَّع[3] بهم يومًا بأربعين نفسًا[4].

فأسلم على يديهما بشرٌ كثير؛ منهم: أسيد بن الحضير، وسعد بن معاذ. وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل: الرجال والنساء؛ إلا الأصيرم؛ وهو: عمرو ابن ثابت بن وقش[5]؛ فإنه تأخَّر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ، وقاتل؛ فقُتل رضي الله عنه.

---

(١) ارتكبتم شيئًا من ذلك.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أي: أقام بهم صلاة الجمعة.

(٤) **حسن** - أخرجه أبو داود (١٠٦٩)، وابن ماجه (١٠٨٢)، وابن خزيمة (١٧٢٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨١ و٣/ ١٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٧٦-١٧٧ و١٧٧)، و«دلائل النبوة» (٢/ ٤٤١) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٥) **صحيح** - أخرج قصته ابن إسحاق (٣/ ٢٤) بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من سيرة النبي المصطفى



فصل

بيعة العقبة الثانية

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار؛ من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم: البراء بن معرور ﵁.

فلمَّا كانت ليلة العقبة -الثلث الأول منها-؛ تسلَّل إلى رسول الله ﷺ ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان، فبايعوا رسول الله ﷺ خفية من قومهم ومن كفار مكة؛ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم[1].

فكان أوَّلُ من بايعه -ليلتئذٍ-: البراء بن معرور، وكانت له اليد البيضاء؛ إذ أكَّد العقد، وبادر إليه.

وحضر العباس عمُّ رسول الله ﷺ موثقًا مؤكِّدًا للبيعة، مع أنه كان بعد على دين قومه.

واختار رسول الله ﷺ منهم تلك الليلة إثني عشر نقيبًا؛ وهم: أسعد ابن زرارة ابن عدس، وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس، ورافع ابن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء، وعبد الله بن عمرو ابن حرام -وهو: والد جابر، وكان قد أسلم تلك الليلة ﵁-، وسعد بن عبادة بن دليم، والمنذر بن عمرو بن خنيس، وعبادة بن الصامت؛ فهؤلاء تسعة من الخزرج.

---

(١) والمراد: نساؤهم؛ لأن العرب تكني بالإزار عن المرأة والنفس.

ومن الأوس ثلاثة؛ وهم: أسيد بن الحضير بن سماك، وسعد بن خيثمة بن الحارث، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر.

ثم الناس بعدهم.

والمرأتان هما: أم عمارة؛ نسيبة بنت كعب بن عمرو، وأسماء بنت عمرو بن عدي.

فلما تمَّت هذه البيعة؛ استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل العقبة[1]؛ فلم يأذن لهم في ذلك.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه -وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله-؛ قال: خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين، وقد صلَّينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة؛ قال البراء لنا: يا هؤلاء! إنِّي قد رأيت رأيًا، وإني -والله!- ما أدري: توافقوني عليه أم لا؟ قلنا له: وما ذاك؟

قال: إنِّي قد رأيت أن أدع هذه البنيّة منِّي بظهر -يعني: الكعبة-، وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله! بلغنا أن نبيَّنا ﷺ لا يصلِّي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إنِّي لمصلٍّ إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل. قال: فكنَّا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلَّى هو إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.

قال: وكنَّا قد عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة؛ قال لي: يا ابن أخي! انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، حتى نسأله عمَّا صنعت في سفري هذا، فإنه -والله!- لقد وقع في نفسي منه شيء؛ لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنَّا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلًا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمَّه؟

---

(١) أي: استأذنوه في جهاد الكفار وقتلهم؛ لكن الرسول ﷺ أخبرهم أنه لم يؤذن له -بعد- في الجهاد بالسيف.

قال: قلنا: نعم. قال: وقد كنَّا نعرف العباس؛ كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا. قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله للعباس: «**هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟!**».

قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك.

قال: فوالله! ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «**الشاعر**». قال: نعم.

فقال له البراء بن معرور: يا نبيَّ الله! إنِّي خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منِّي بظهر، فصلَّيت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: «**قد كنت على قبلة لو صبرت عليها**».

قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلَّى معنا على الشام. قال: وأهله يزعمون: أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال: وخرجنا إلى الحجِّ، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحجِّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله ابن عمرو بن حرام أبو جابر -سيِّدٌ مِن ساداتنا، وشريف من أشرافنا-، أخذناه معنا، وكنا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمْرَنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر! إنك سيِّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عمَّا أنت فيه أن تكون حطبًا للنَّار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيَّانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبًا.

قال: فنمنا تلك اللليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل؛ خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلَّل تسلُّل القطا مستخفين؛ حتى إذا اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة

ابنت كعب أم عمارة -إحدى نساء بني مازن ابن النجار-، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي -إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع-.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمُّه العباس ابن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه؛ إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أَوَّلُ متكلِّمٍ العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج! - وكانت العرب، إنما يسمّون هذا الحيَّ من الأنصار: الخزرج؛ خزرجها وأوسها - إن محمدًا منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللُّحوق بكم، فإن كنتم ترون أنَّكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنَّكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه؛ فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله! فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله -عزَّ وجلَّ-، ورغَّب في الإسلام، ثم قال: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعنَّك مما نمنع منه أزرنا[1]، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة[2]، ورثناها كابرًا عن كابر.

قال: فاعترض القول -والبراء يكلِّم رسول الله ﷺ- أبو الهيثم بن التيِّهان، فقال: يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنَّا قاطعوها -يعني: اليهود-؛

---

(١) نساءنا؛ لأن العرب تكني عن المرأة بالإزار.

(٢) السلاح.

فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله: أن ترجع إلى قومك وتدَعَنا؟

قال فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدَّمُ الدَّمُ، والهدم الهدم**[١]**، أنا منكم وأنتم منِّي، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**أخرجوا لي إثني عشر نقيبًا منكم يكونون على قومهم**»؛ فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وأما معبد بن كعب، فحدثني في حديثه عن أخيه، عن أبيه كعب بن مالك؛ قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعده القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الحباحب -المنازل- هل لكم في مذمَّم[٢] والصباة[٣] معه، قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزبُّ العقبة**[٤]**، هذا ابن أزيب؛ أتسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغنَّ لك**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفضوا**[٥] **إلى رحالكم**». قال: فقال له العباس بن عبادة ابن نضله: والله الذي بعثك بالحقِّ: إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدًا بأسيافنا؟

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم**».

قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قال: فلما أصبحنا غدت علينا جلَّة قريش، حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج! إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وأنه والله ما من حيٍّ من أحياء العرب أبغض إلينا: أن

---

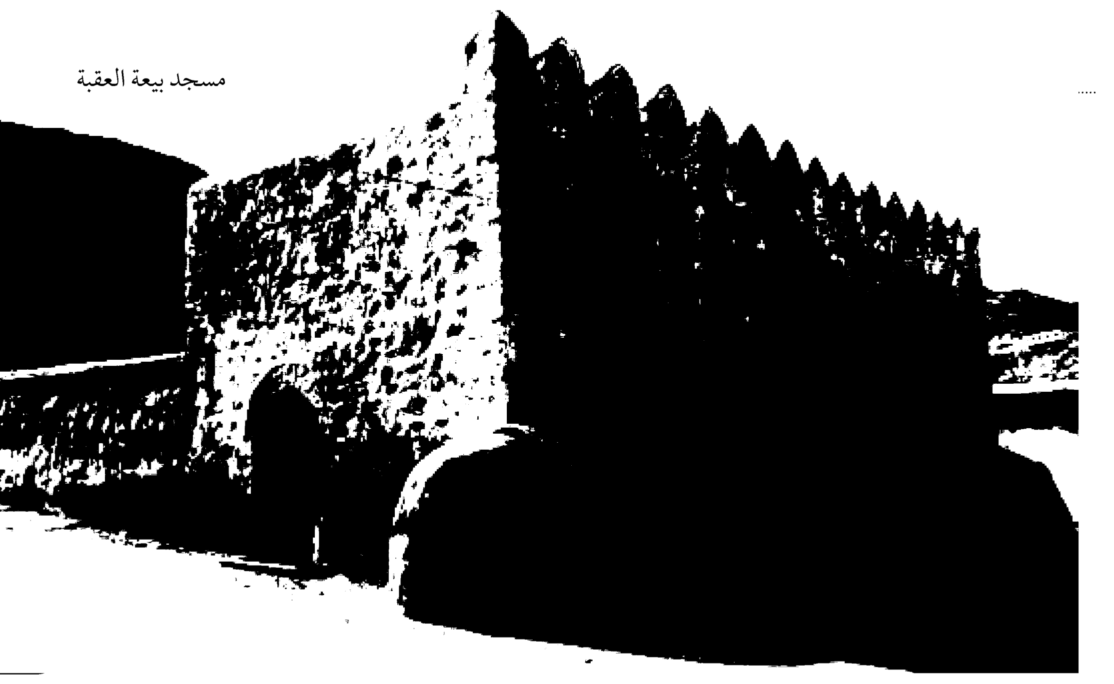
(١) إي: ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

(٢) المذموم جدًّا.

(٣) جمع صابئ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صابئ.

(٤) اسم الشيطان.

(٥) تفرقوا.



تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة، وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر، وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إليَّ وقال: والله! لتنتعلها. قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى[١]، اردد عليه نعليه، قال: فقلت: والله! لا أردهما. قال: فأْلٌ -والله!- صالحٌ، لئن صدق الفأل؛ لأسلبنَّه[٢][٣].

○ ○ ○

---

(١) اغضبت.

(٢) لأخذن سلبه في الحرب.

(٣) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٣٤٩-٤٤٣)، والطيالسي في «مسنده» (٢٣٣٣)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٤٦٠-٤٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٤٤-٤٤٧).



فصل

هجرة رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**قد رأيت دار هجرتكم؛ أُرِيتُ سبخة**[1]**: ذات نخل، بين لابتين؛ وهما: حرَّتان**»[2].

فخرج من كان مهاجرًا قِبَل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض من المسلمين[3]:

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في المنام أنِّي أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي**[4] **إلى أنها اليمامة أو هجر**[5]**؛ فإذا هي يثرب**»[6].

فلما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه من المهاجرين رضي الله عنهم بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها، واللُّحوق بإخوانهم من الأنصار؛ خرجوا إليها أرسالًا.

---

(١) الأرض المالحة التي لا تنبت إلا بعض الشجر.

(٢) الأرض ذات الحجارة السوداء.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

(٤) اعتقادي.

(٥) مدينة معروفة وهي قاعدة البحرين.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٨١)، ومسلم (٢٢٧٢).



وعن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: أوَّل من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النَّبيُّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء[1].

وكان يؤمهم في الصلاة سالم مولى أبي حذيفة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة -موضعٌ بقباء- قبل مقدم رسول الله ﷺ، كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة، وكان أكثرهم قرآنًا[2].

ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي -رضي الله تعالى عنهما-؛ أقاما بأمره لهما، وإلا من اعتقله المشركون كرهًا.

وقد أعدَّ أبو بكر رضي الله عنه جهازه وجهاز رسول الله ﷺ؛ منتظرًا حتى يأذن الله -عزَّ وجلَّ- لرسوله ﷺ في الخروج، فلما كانت ليلة؛ هَمَّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ، وأرصدوا على الباب أقوامًا، إذا خرج عليهم قتلوه، فلما خرج عليهم؛ لم يره منهم أحد.

ثم خلص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه، فخرجا من خَوْخَة[3] في دار أبي بكر ليلًا، وقد

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٢٤-٣٩٢٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧١٧٥).

(٣) باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب.

استأجرا عبد الله بن أريقط؛ وكان هاديًا خِرّيتًا[1]، ماهرًا بالدلالة إلى أرض المدينة، وأمَّناه على ذلك؛ مع أنه كان على دين قومه، وسلَّما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث.

فلمَّا حصلا في الغار؛ عمّى الله على قريش خبرهما، فلم يدروا أين ذهبا.

وكان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنمًا لأبي بكر، وكانت أسماء ابنة أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار، وكان عبد الله بن أبي بكر يَتَسَمَّع ما يقال بمكة، ثم يذهب إليهما بذلك؛ فيحترزان منه[2].

وجاء المشركون في طلبهما إلى ثور[3]، وما هناك من الأماكن، حتى إنَّهم مرُّوا على باب الغار، وحازت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه، وعمّى الله عليهم باب الغار.

فذلك تأويل قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لشدَّة حرصه؛ بكى حين مرَّ المشركون، وقال: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر موضع قدميه؛ لرآنا! فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟**»[4].

ولما كان بعد الثلاث؛ جاءهما ابن أريقط بالرَّاحلتين فركباهما، وأردف أبو بكر

---

(١) هو الماهر الذي يهتدي لأخرات المفازة، وهي طرقها الخفية ومضايقها، والذي يعرف بـ(الدليل).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٠٥) عن عائشة رضي الله عنها ضمن حديث طويل.

(٣) جبل فيه الغار المذكور في القرآن بالمفجر خلف مكة على طريق اليمن.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٥٣ و٣٩٢٢ و٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

جبل ثور



عامر بن فهيرة، وسار عبد الله بن أريقط أمامهما على راحلته.

وجعلت قريش لمن جاء بواحد من محمَّد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه مائة من الإبل، فلما مرُّوا بحي مُدْلِج[1]؛ بصر بهم سراقة بن مالك بن جعشم -سيِّد مدلج-، فركب جواده، وسار في طلبهم، فلما قرب منهم، وسمع قراءة النَّبيِّ ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات؛ حذرًا على رسول الله ﷺ، وهو ﷺ لا يلتفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هذا سراقة بن مالك قد رهقنا[2].

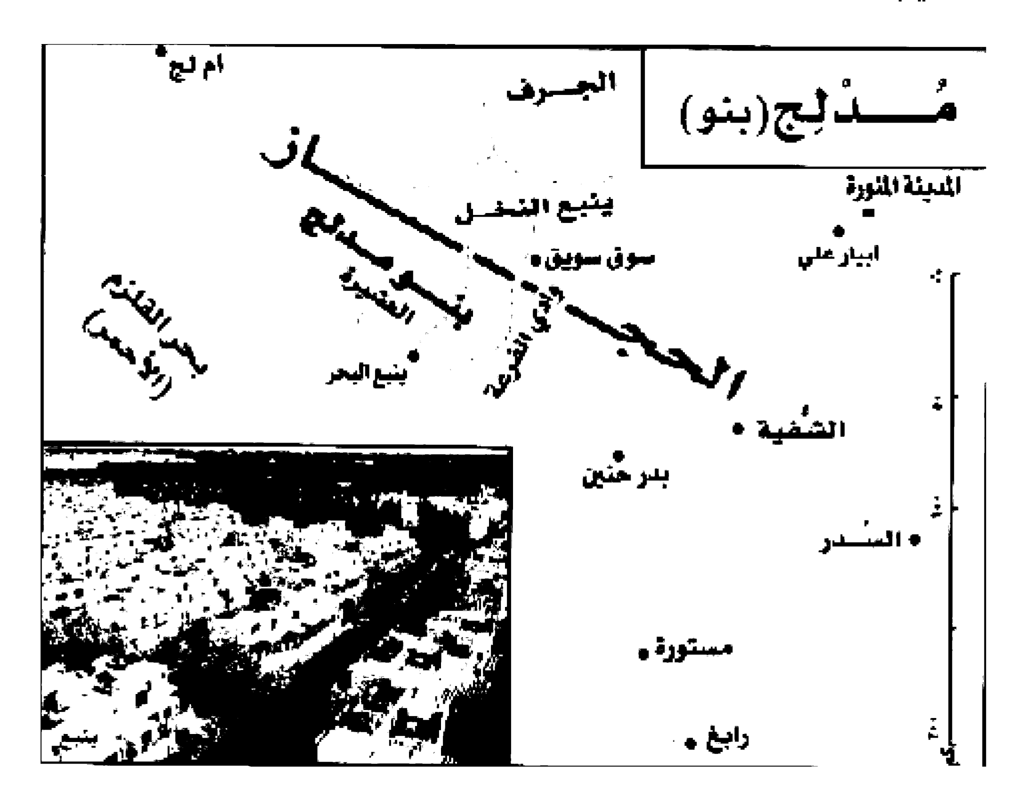
فدعا عليه رسول الله ﷺ؛ فساخت[3] يدا فرسه في الأرض، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي؛ ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول

---

(١) قبيلة من كنانة.

(٢) لحقنا وغشينا.

(٣) غاصتا في الأرض.



الله ﷺ، فأطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتابًا، فكتب له أبو بكر في أديم، ورجع يقول للناس: قد كفيتم ما ههنا.

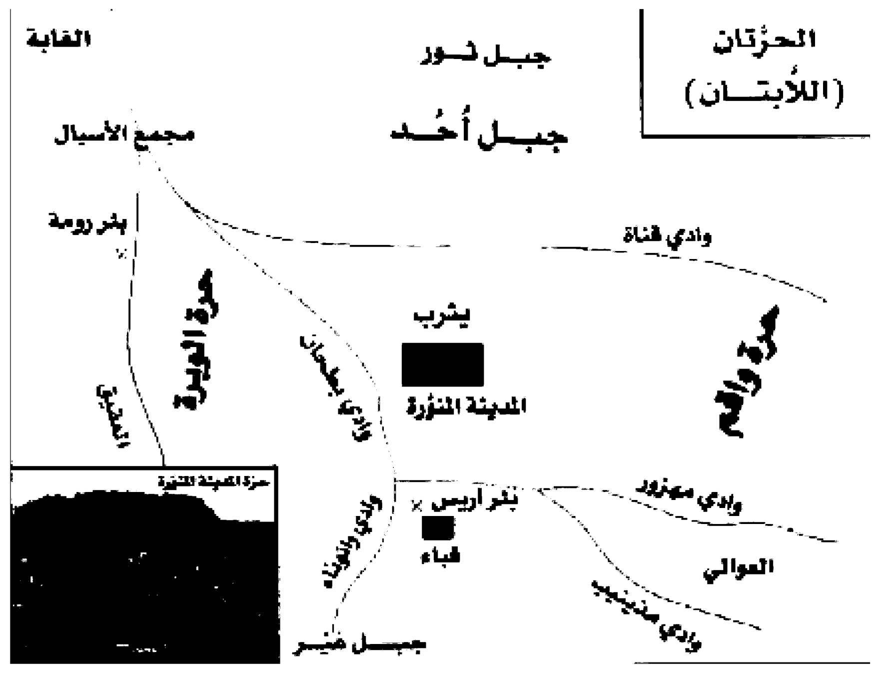
وقد جاء مسلمًا عام حجة الوداع، ودفع إلى رسول الله ﷺ الكتاب الذي كتبه له، فوفّى له رسول الله ﷺ بما وعده، وهو لذلك أهل[1].

○ ○ ○

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٦١٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠٠٩) (٩١).



فصل

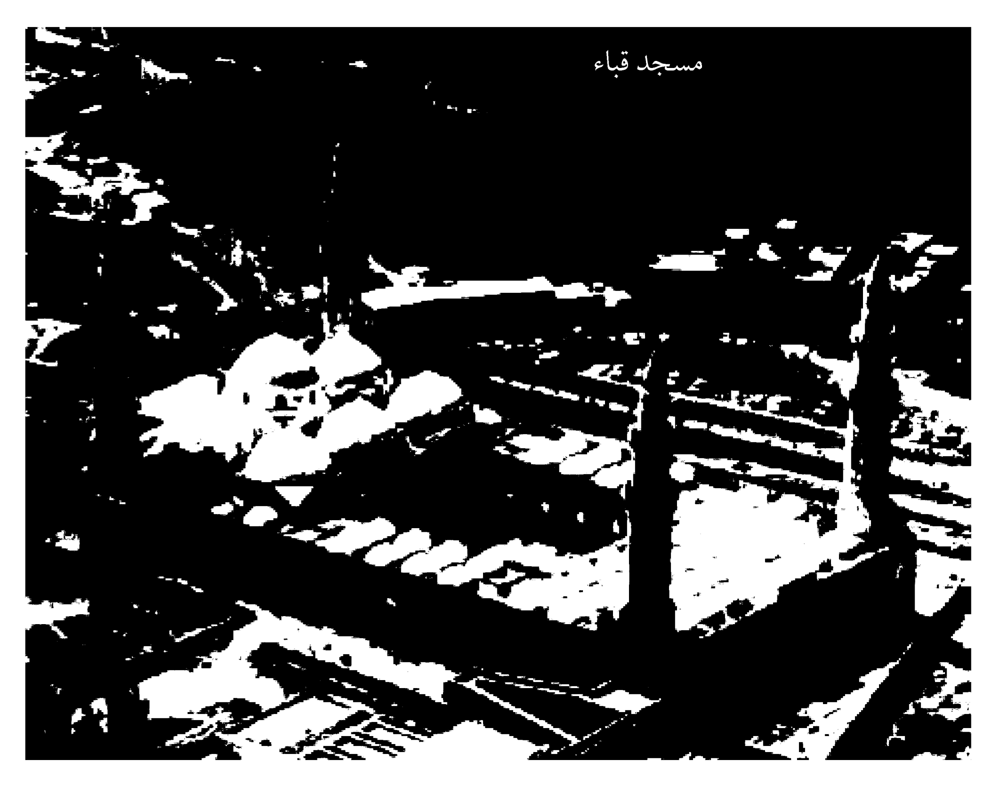


دخوله ﷺ المدينة

وقد كان بلغ الأنصار مخرجه من مكَّة وقصده إيَّاهم، فكانوا كلَّ يوم يخرجون إلى الحرَّة[1] ينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة، فلما كان يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من نبوَّته ﷺ؛ وافاهم رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضحاء، وكان قد خرج الأنصار يومئذ، فلما طال انتظارهم؛ رجعوا إلى بيوتهم.

---

(١) أرض ذات حجارة سود، والمدينة تقع بين حرتين تلتقيان في الجنوب عند قباء وما يليها، وهما لابتاها.



مسجد قباء

فكان أول من بصر به رجل من اليهود -وكان على سطح أطمة[1]- فنادى بأعلى صوته: يا بني قيلة[2]! هذا جدّكم[3] الذي تنتظرون! فخرج الأنصار في سلاحهم، فتلقوه بظهر الحرَّة، وحيّوه بتحية النُّبوَّة.

ونزل رسول الله ﷺ بقباء، وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ، وأكثرهم لم يره بعد، فكان بعضهم أو أكثرهم يظنُّه أبا بكر؛ لكثرة شيبه، فلما اشتدَّ الحرُّ؛ قام أبو بكر بثوب يظلِّل على رسول الله ﷺ، فتحقق النَّاس حينئذ رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-[4].

○ ○ ○

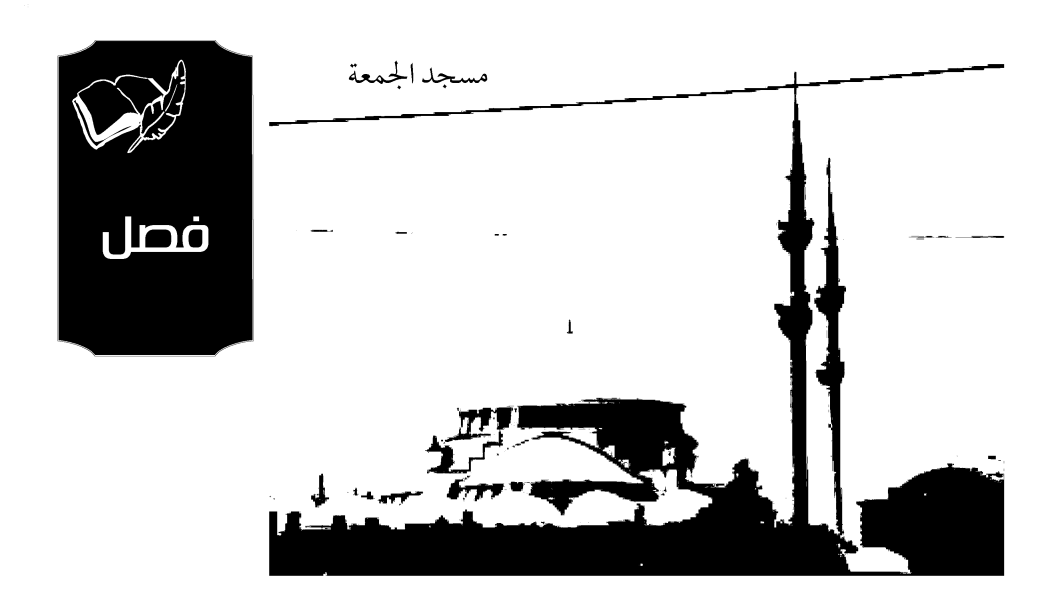
(١) هو القصر، أو البناء المربع السطح، أو المرتفع كالحصن.

(٢) الأوس والخزرج؛ نسبا إلى جدَّة لهم تُدعَى: قيلة.

(٣) حظكم.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٠٦).

فصل



استقراره ﷺ بالمدينة

فأقام رسول الله ﷺ بقباء أيامًا، وأسَّس حينئذ المسجد الذي أسس على التقوى: «مسجد قباء»، وصلَّى به رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته بأمر الله تعالى له، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلَّاها في المسجد الذي في بطن وادي رانونا[١].

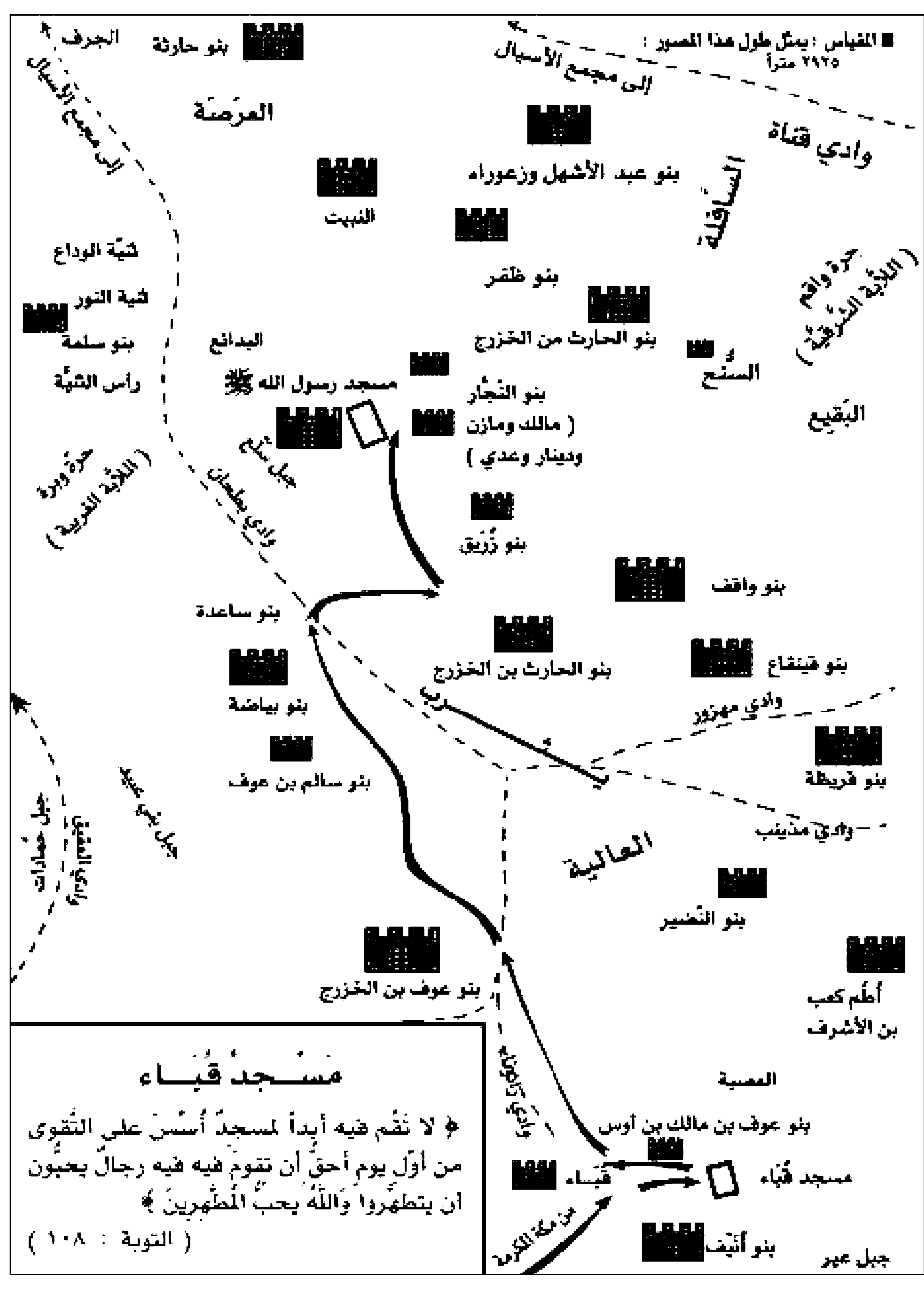
ورغب إليه أهل تلك الدار: أن ينزل عليهم، فلم تزل ناقته سائرة به، لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم.

فلما جاءت موضع مسجده اليوم؛ بركت، ولم ينزل عنها ﷺ حتى نهضت وسارت قليلًا، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها ﷺ، وذلك في دار بني النجار، فحمل أبو أيوب رضي الله عنه رحل رسول الله ﷺ إلى منزله.

واشترى رسول الله ﷺ موضع المسجد، وكان مربدًا[٢] ليتيمين، فساومهما

(١) وادٍ يبدأُ من جنوب غربي قباء، ويلتقي بواد بطحان قرب المدينة، وفيه -الآن- مسجد الجمعة.

(٢) هو الموضع الذي يجُفَّف فيه التمر.



ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله. ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه، ويقول:

هذا الحِمال لا حمال خيبر   هذا أبرُّ ربّنا وأطهر

الصحيح المصفَّى



ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصار والمهاجرة[1]

وكان مسجده ﷺ مبنيًا من اللَّبِن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، وبنى لآل رسول الله ﷺ حُجُرات إلى جانبه.

ولم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر بن الخطاب وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللَّبِن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غَيَّره عثمان؛ فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجاره المنقوشة، وجعل عُمُدَه من حجارة منقوشة، وسقفه بالسَّاج[2].

○ ○ ○

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٠٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٤٤٦).



موادعة يهود المدينة
وإسلام حبرهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه

ووادع رسول الله ﷺ مَنْ بالمدينة مِنَ اليهود، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

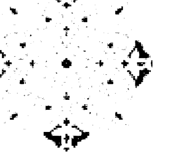
وأسلم حبرهم؛ عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه، وكفر عامَّتهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: إنَّ عبد الله بن سَلاَم بلغة مقدم النَّبيِّ ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إنِّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلا نبيٌّ: ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنّة؟ وما بال الولد ينزع[1] إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ قال ﷺ: «**أخبرني به جبريل آنفًا**». قال: ذلك عدوُّ اليهود من الملائكة. قال ﷺ: «**أما أوَّل أشراط الساعة؛ فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أوَّل طعام يأكله أهل الجنَّة؛ فزيادة كبد الحوت، وأما الولد؛ فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة؛ نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل؛ نزع الولد إلى أمه**».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسول الله. قال: يا رسول الله! إن اليهود قوم

---

(١) يشبه.





حصون اليهود شمال المدينة

بُهْتٌ[1]؛ فاسألهم عنِّي قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود. فقال النَّبيُّ ﷺ: **«أيُّ رجل عبد الله بن سلام فيكم؟»**، قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النَّبيُّ ﷺ: **«أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟»**، قالوا: أعاذه الله من ذلك. فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا.. وتنقَّصوه. قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[2]!

○ ○ ○

---

(١) قوم ظالمون مفترون.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣٨).





المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: كتب النَّبيُّ ﷺ على كلِّ بطنٍ عقوله، ثم كتب: «**أنه لا يحلُّ لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه**»، ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه: أن النَّبيَّ ﷺ: كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم[٣]، وأن يفدوا عانيهم[٤] بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين[٥].

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٢٩٤)، ومسلم (٢٥٢٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٥٠٧).

(٣) الديات.

(٤) الأسير.

(٥) **حسن لغيره** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧١ و٢/ ٢٠٤).

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٢٥٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٨٤)، والقزويني في «أخبار قزوين» (٢/ ٢٧٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فكانوا يتوارثون بهذ الإخاء في ابتداء الإسلام إرثًا مقدمًا على القرابة.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ [النساء: ٣٣] ورثة: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] قال: كان المهاجرون لمَّا قدموا على النَّبيِّ ﷺ المدينة ورث الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأُخُوَّة التي آخى النَّبيُّ ﷺ بينهم، ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إلا النَّصر والرِّفادة[١] والنصيحة -وقد ذهب الميراث - ويوصي له[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف؛ فآخى النَّبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الرّبيع الأنصاري؛ فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلَّني على السوق، فربح شيئًا من أقط وسمن، فرآه النَّبيُّ ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة[٣]، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ**[٤] **يا عبد الرحمن؟**»، قال: يا رسول الله! تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «**فما سقت فيها؟**»، فقال: وزن نواة من ذهب. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**»[٥].

○ ○ ○

---

(١) الإطعام للضيوف.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٩٩٢).

(٣) شيء من الطيب.

(٤) كلمة تقال للاستفهام.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٧٨١)، ومسلم (١٤٢٧).





فرض الجهاد

ولما استقرَّ رسول الله ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار، وتكفَّلُوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر؛ رمتهم العرب قاطبةً عن قوس واحدة، وتعرضوا لهم من كلِّ جانب.

وكان الله -سبحانه- قد أذن للمسلمين في الجهاد في سورة الحج -وهي مكية- في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

ثم لما صاروا في المدينة، وصارت لهم شوكة وعضد؛ كتب الله عليهم الجهاد؛ كما قال الله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

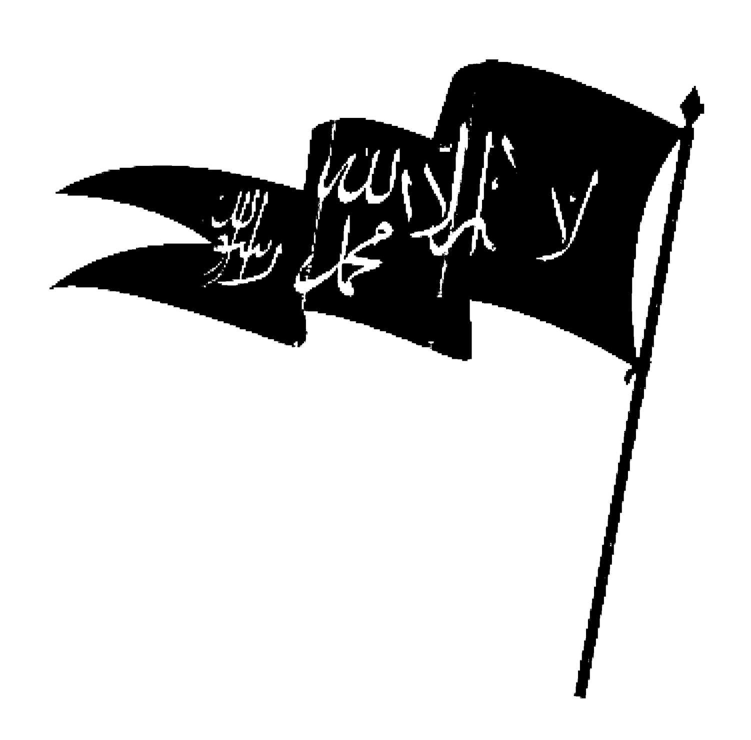
قال الزهري: أوَّل آية نزلت في القتال؛ كما أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، ثم أذن بالقتال في آيٍ كثيرًا[١].

---

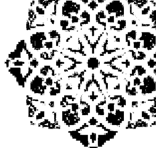
(١) **صحيح** - أخرجه النسائي في «تفسيره» (٣٦٦)، و«السنن الكبرى» (١١٢٨٣).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة؛ قال أبو بكر: أخرجوا نبيَّهم، إنَّا لله وإنا إليه راجعون؛ ليهلكن، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، وهي أوَّل آية نزلت في القتال[1].

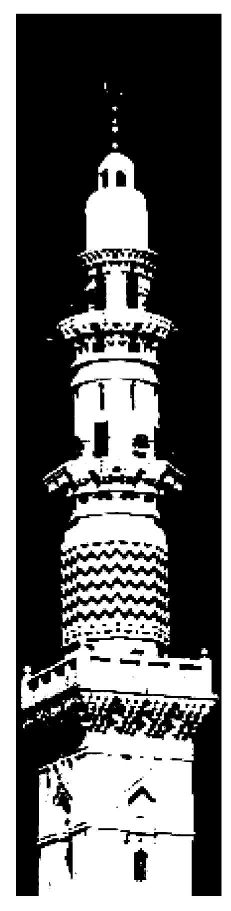
ο ο ο



(١) صحيح - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢١٦)، والترمذي (٣١٧٠) والنسائي (٢/ ٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦، ٢٤٦ و٣٩٠ و٣/ ٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٧٩).







مشروعية الأذان

عن عبد الله بن زيد ﵁، قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالنَّاقوس[1]؛ ليضرب به الناس لجمع الصلاة، طاف بي -وأنا نائم- رجل يحمل ناقوسًا، فقلت: يا عبد الله! أتبيع النَّاقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلَّك على خيرٍ من ذلك؟ فقلت: بلى. فقال: تقول:

الله أكبر الله أكبر... الله أكبر الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله... أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمدًا رسول الله... أشهد أن محمدًا رسول الله.

حيَّ على الصلاة... حيَّ على الصلاة.

حيَّ على الفلاح... حيَّ على الفلاح.

الله أكبر... الله أكبر.

لا إله إلا الله.

---

(١) الجرس.

قال: استأخر عني غير بعيد. ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة:

الله أكبر... الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله... أشهد أن محمدًا رسول الله.

حيَّ على الصلاة... حيَّ على الفلاح.

قد قامت الصلاة... قد قامت الصلاة.

الله أكبر... الله أكبر.

لا إله إلا الله.

فلما أصبحتُ أتيت رسول الله ﷺ؛ فأخبرته بما رأيت، فقال ﷺ: «**إنَّها لرؤيا حقٌّ إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت؛ فليؤذِّن به؛ فإنه أندى صوتًا منك**[1]».

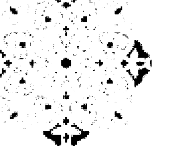
وزاد أحمد في رواية: فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به؛ قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحقِّ يا رسول الله! لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ: «**فلله الحمد**»[2].

○ ○ ○

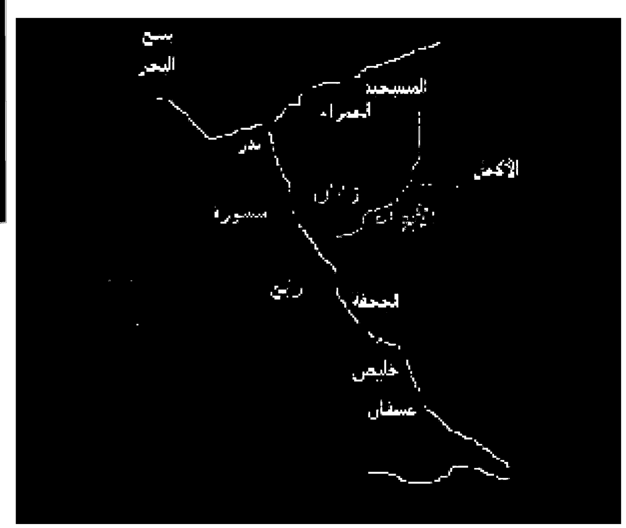
(١) أجمل وأعذب.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد (٤/ ٣٤)، وأبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٦).

المغازي والبعوث







غزوة الأبواء[1]

أوَّل غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وكانت في صفر سنة اثنتين من الهجرة؛ خرج بنفسه ﷺ حتى بلغ ودَّان[2]، فوادع بني ضمرة بن عبد مناة بن كنانة مع سيِّدهم مجدي ابن عمرو.

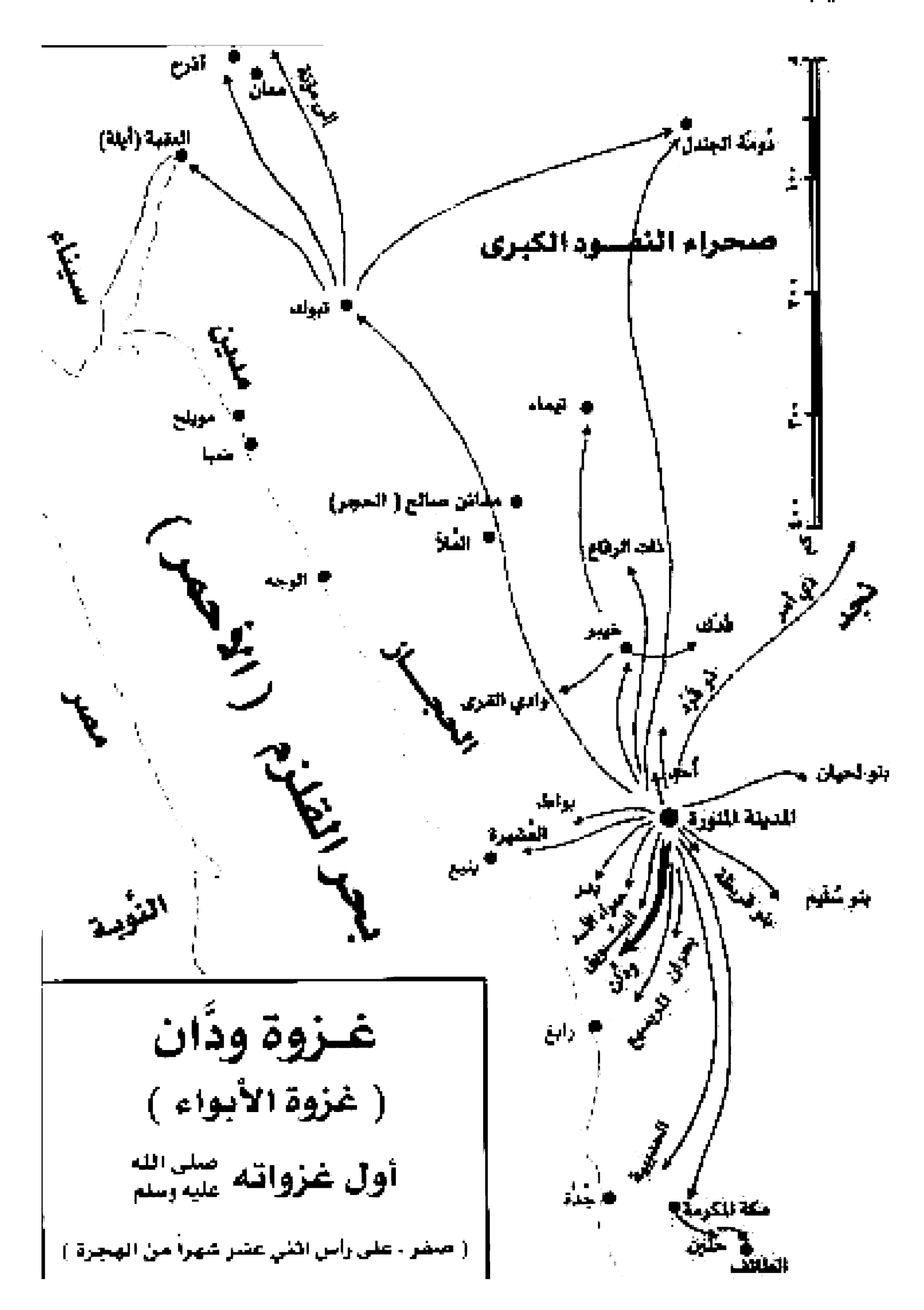
ثم كرَّ راجعًا إلى المدينة، ولم يلق حربًا، وكان استخلف عليها سعد بن عبادة رضي الله عنه[3].

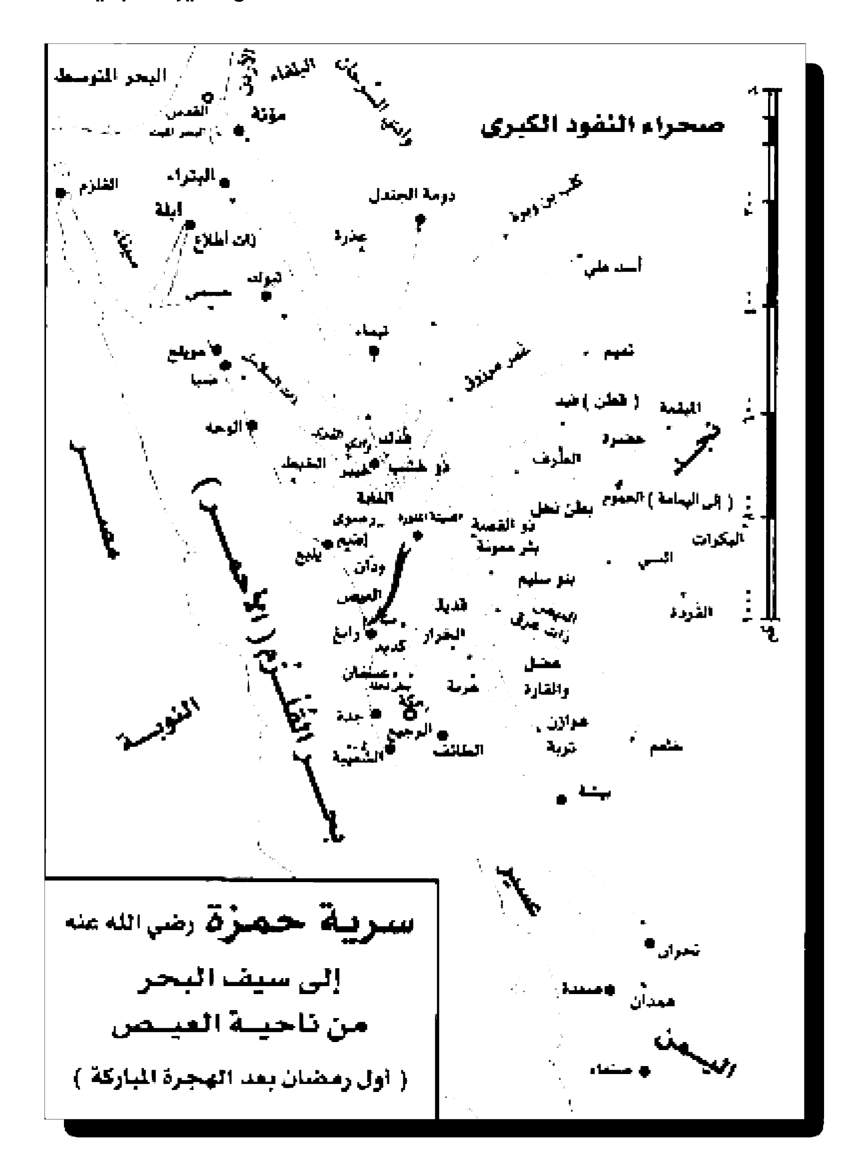
---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٧/ ٢٧٩).
والأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة (٢٣) ميلًا.
وكذلك (ودان)؛ فهي قرية جامعة من عمل الفرع.

(٢) ولذلك تسمى غزوة الأبواء بـ «غزوة ودان»؛ كما قال ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٢٠٣)، وذلك؛ لأن «ودان» و«الأبواء» متقاربان ليس بينهما إلا ستة أميال.

(٣) انظر خبر هذه الغزوة: «السيرة النبوية» (٢/ ٢٠٣) لابن هشام، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣)، و«دلائل النبوة» (٣/ ٨) للبيهقي.

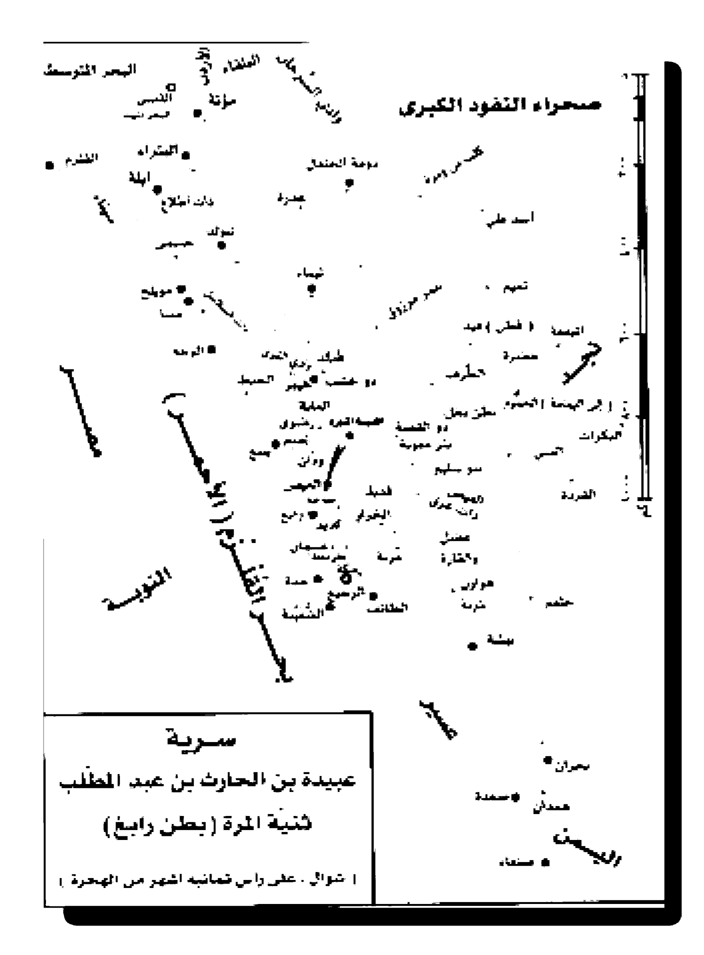

غـزوة ودَّان
(غزوة الأبواء)
أول غزواته صلى الله عليه وسلم
(صفر - على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة)
أذرح
معان
العقبة (أيلة)
دومة الجندل
صحراء النفـــود الكبرى
سيناء
تبوك
مدين
مويلح
ضبا
تيماء
مدائن صالح (الحجر)
العلا
الوجه
ذات الرقاع
خيبر
فدك
نجد
وادي القرى
مصر
بحر القلزم (الأحمر)
الحجاز
بنو لحيان
المدينة المنورة
بواط
العشيرة
ينبع
النوبة
بنو سليم
رابغ
جدة
مكة المكرمة
حنين
الطائف



بعث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

ثم بعث عمَّه حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبًا من المهاجرين -ليس فيهم أنصاري- إلى سيف البحر من جهينة؛ لملاقاة أبي جهل بن هشام، وركب معه زهاء ثلاثمائة، فحال بينهم مجدي بن عمرو الجهني؛ لأنه كان موادعًا للفريقين[١].

(١) انظر: «السيرة» لابن هشام (٢/ ٥٨٠)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ٦)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٨)، و«المغازي» للواقدي (١/ ٩).



بعث عبيدة بن الحارث رضي الله عنه

وبعث عبيدة بن الحارث في ربيع الآخر في ستين -أو ثمانين- راكبًا من المهاجرين -أيضًا- إلى ماء بالحجاز بأسفل ثنية المَرَة، فلقوا جمعًا عظيمًا من قريش: عليهم عكرمة ابن أبي جهل، فلم يكن بينهما قتال؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص رشق المشركين يومئذ بسهم، فكان أوَّل سهم رمي به في سبيل الله[1]، وفرَّ يومئذ من الكفار إلى المسلمين المقداد بن عمرو الكندي، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما، وكانا قد حبسا من قِبَل المشركين، فكان هذان البعثان[2] أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٣٢٦ و٤٣٢٧).

(٢) أي: بعث حمزة وبعث عبيدة رضي الله عنهما.

الصحيح المصفَّى



فصل

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بَواط[1]، فخرج بنفسه في ربيع الآخر من السَّنة الثانية، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، فسار حتى بلغ بواط من ناحية رضوى[2]، ثم رجع ولم يلق حربًا.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

«سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح [3] يعقبه [4] منّا الخمسة والستة والسبعة، فدارت عُقْبَةُ رجلٍ من الأنصار على ناضح له، فأناخه فركبه ثم بعثه فلتدَّن عليه بعض التَّلدُّن [5]، فقال

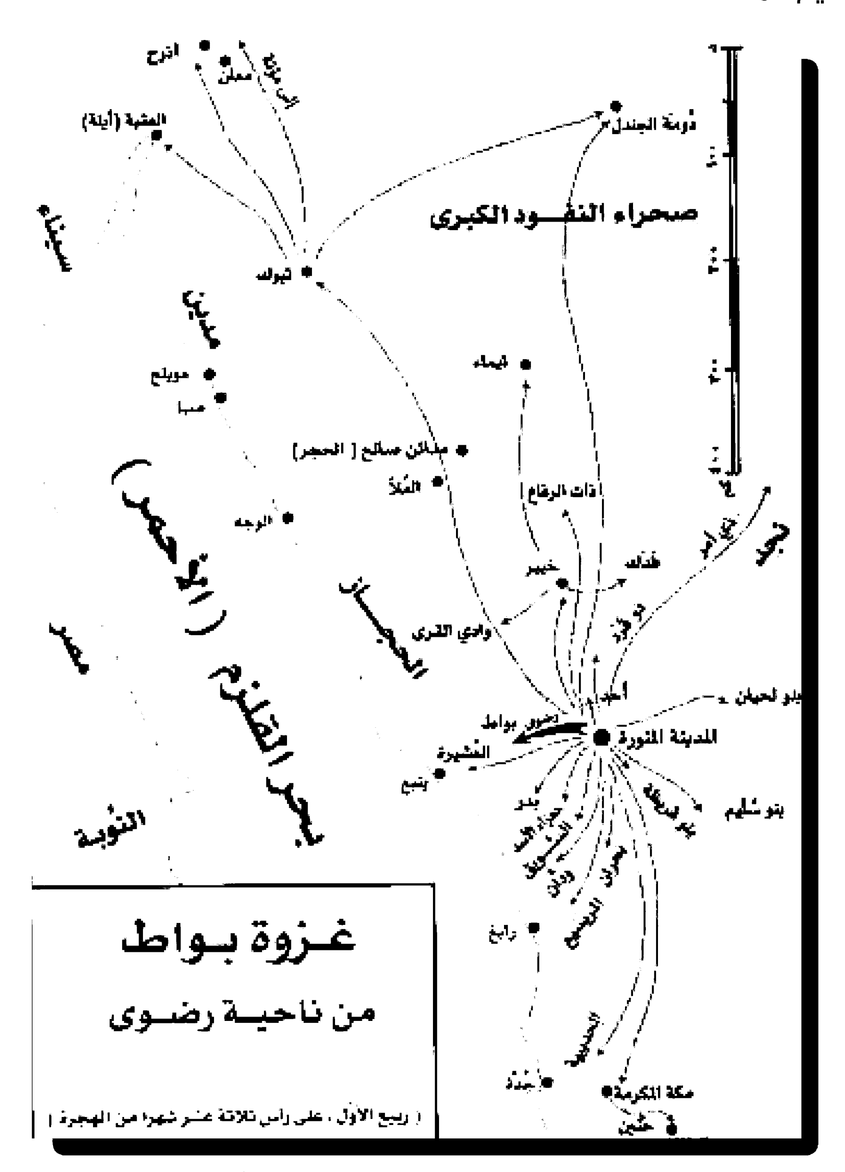
(١) بفتح الموحدة -وقد تضم-، وتخفيف الواو، وآخره طاء مهملة: جبل في أرض الحجاز، ناحية جبل رضوى الذي هو من جبال ينبع ومساكن جهينة، ويقع على يمين المصعد من مكة إلى المدينة.

(٢) بفتح الراء وسكون المعجمة: جبل عظيم بينبع.
انظر خبر هذه الغزوة «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢١٠)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ٨)، و«المغازي» للذهبي (ص٤٧).

(٣) البعير الذي يستقى عليه.

(٤) يركبه.

(٥) التوقف والتلكؤ.



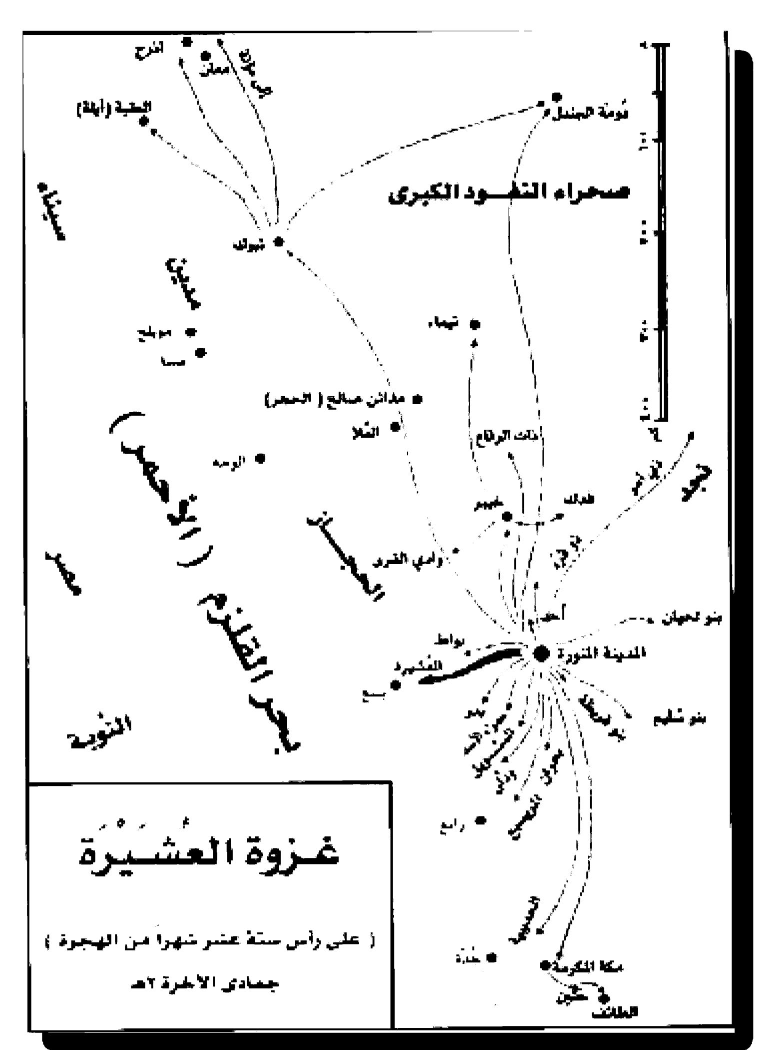
له: شأ [1] لعنك الله. فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا اللَّاعن بعيره**»، فقال: أنا يا رسول الله! قال: «**إنزل عنه، فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء؛ فيستجيب لكم**»[2].

---

(١) كلمة زجر للبعير.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٣٠٠٩).





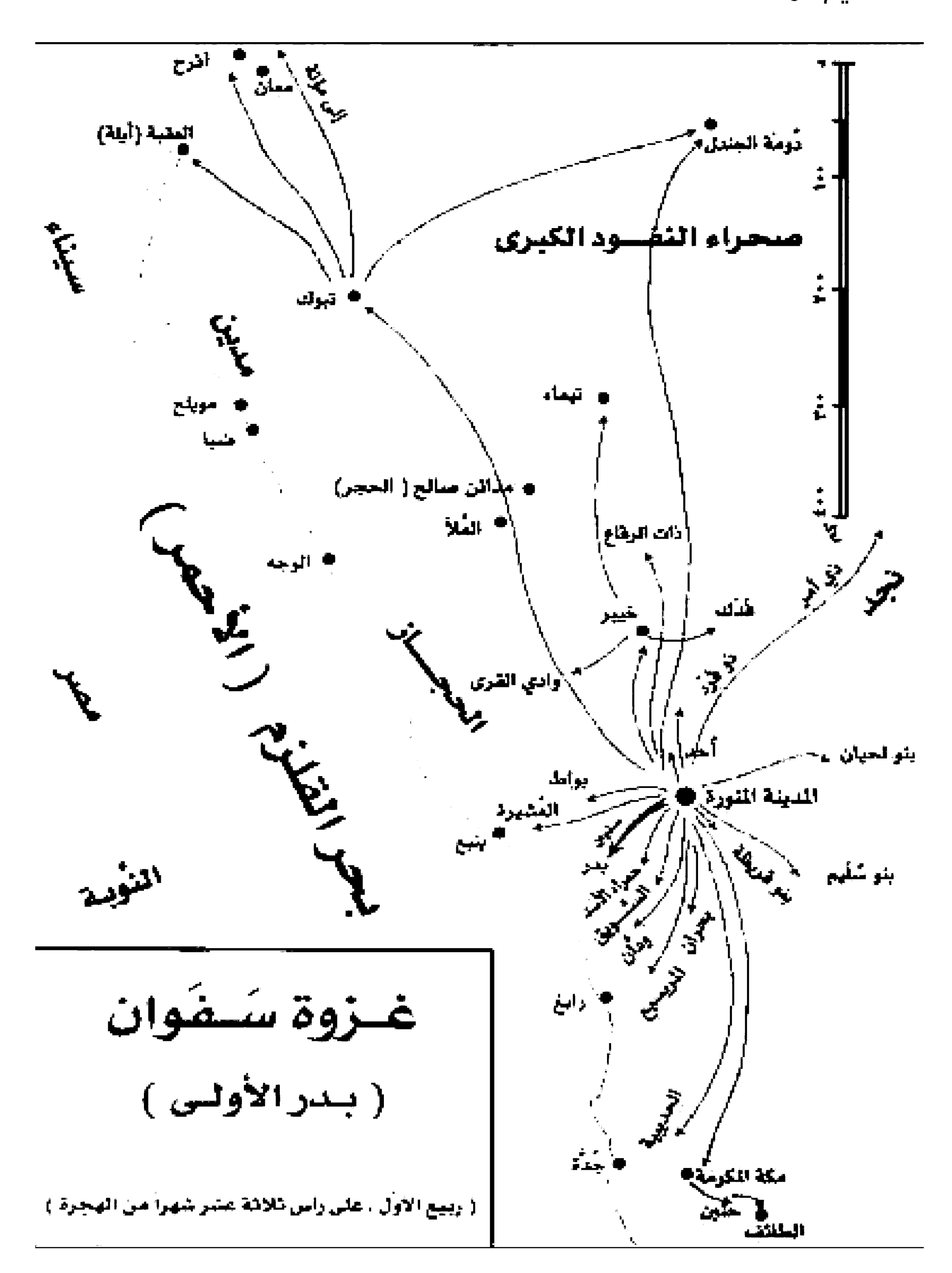
غزوة العشيرة[1]

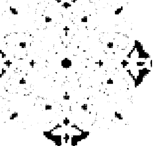
خرج بنفسه ﷺ في أثناء جمادى الأولى حتى بلغها؛ وهي: مكان ببطن ينبع، وأقام هناك بقية الشهر، وليالي من جمادى الآخرة، وصالح بني مدلج، ثم رجع، ولم يلق كيدًا، وقد كان استخلف على المدينة: أبا سلمة بن عبد الأسد.

---

(١) قال البخاري في كتاب المغازي (٧/ ٢٧٩): قال ابن إسحاق: «أول ما غزا النَّبيُّ ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة».

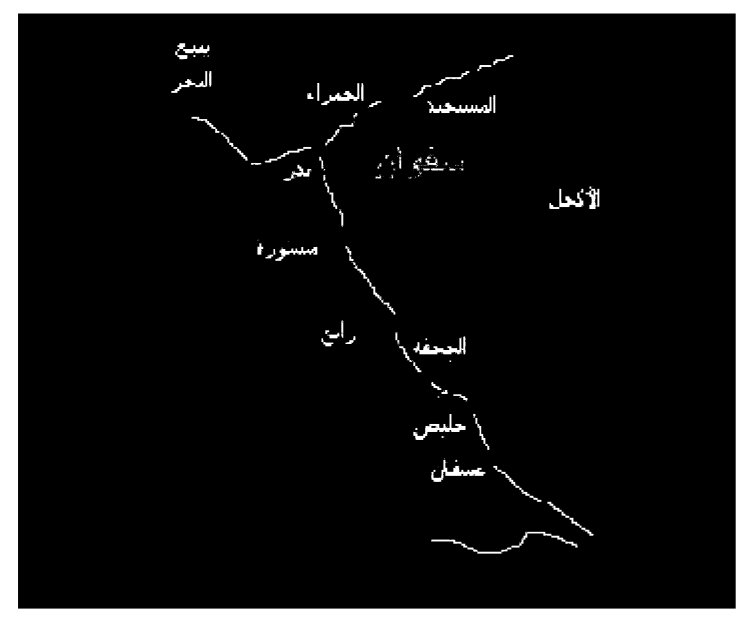
ويقال: بالسين المهملة، ويقال: العشيراء.


غـزوة سَـفَوان
(بـدر الأولـى)
(ربيع الأول ، على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة)
صحراء النفـود الكبرى
دُومة الجندل
تبوك
العقبة (أيلة)
أذرح
معان
تيماء
خيبر
فدك
ذات الرقاع
وادي القرى
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
الوجه
مويلح
ضبا
المدينة المنورة
بنو لحيان
بواط
العُشيرة
ينبع
بدر
بنو سُلَيم
رابغ
جدة
مكة المكرمة
حُنين
الطائف
مصر
النوبة
نجد





فصل



غزوة بدر[1] الأولى

ثم خرج بعدها بنحو من عشرة أيام إلى بدر الأولى؛ وذلك: أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة[2]، فطلبه، فبلغ واديًا يقال له: سفوان[3] في ناحية بدر، ففاته كرز، فرجع، وقد كان استخلف على المدينة: زيد بن حارثة رضي الله عنه.

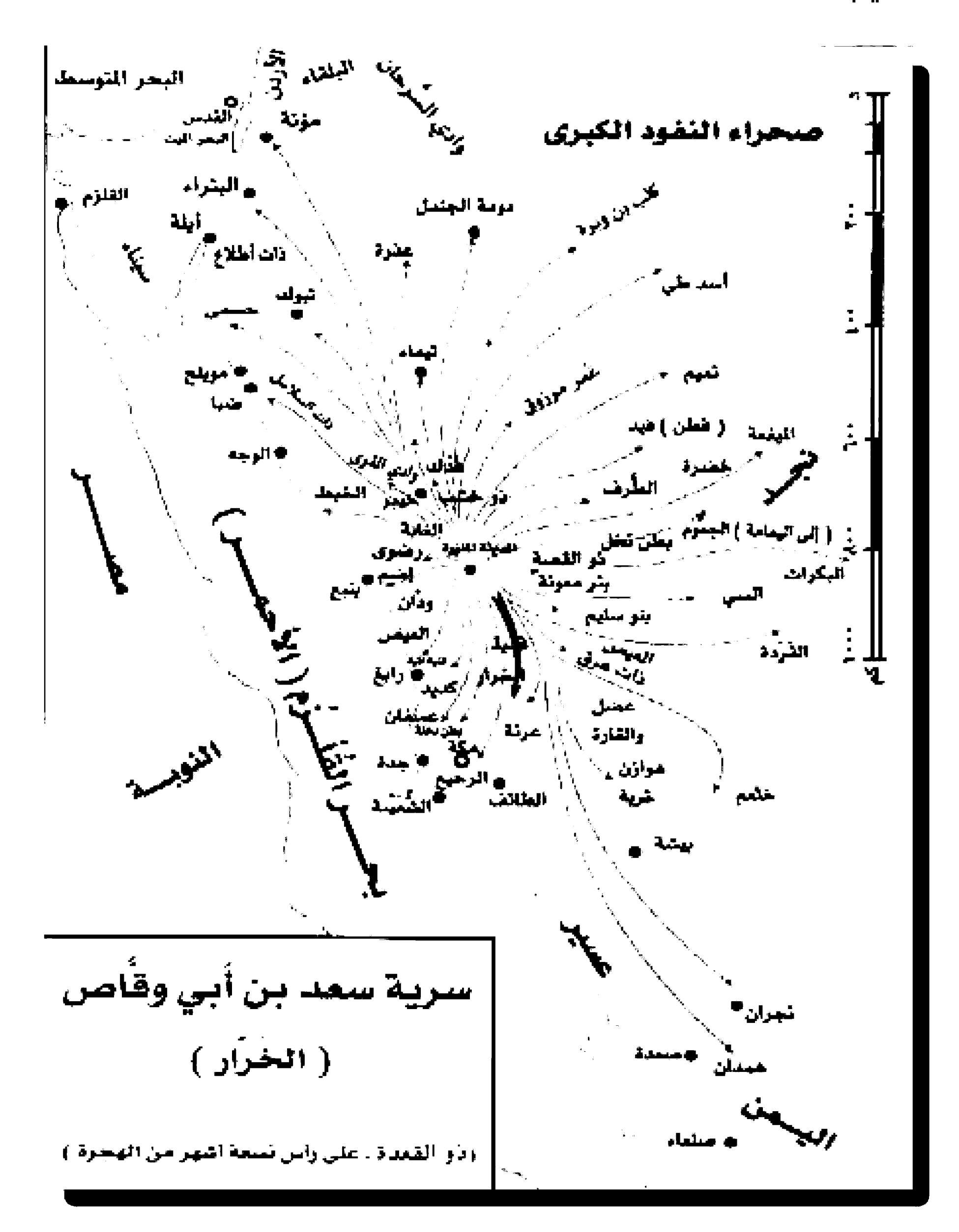
○ ○ ○

---

(١) هي قرية مشهورة.

(٢) الإبل والغنم.

(٣) وادي بناحية مدينة بدر، ولا يُعرف اليوم موضع بهذا الاسم، وإنما هناك وادي سفا في منتصف المسافة بين المدينة وبدر التي تبعد ١٥٠ كم عن المدينة.

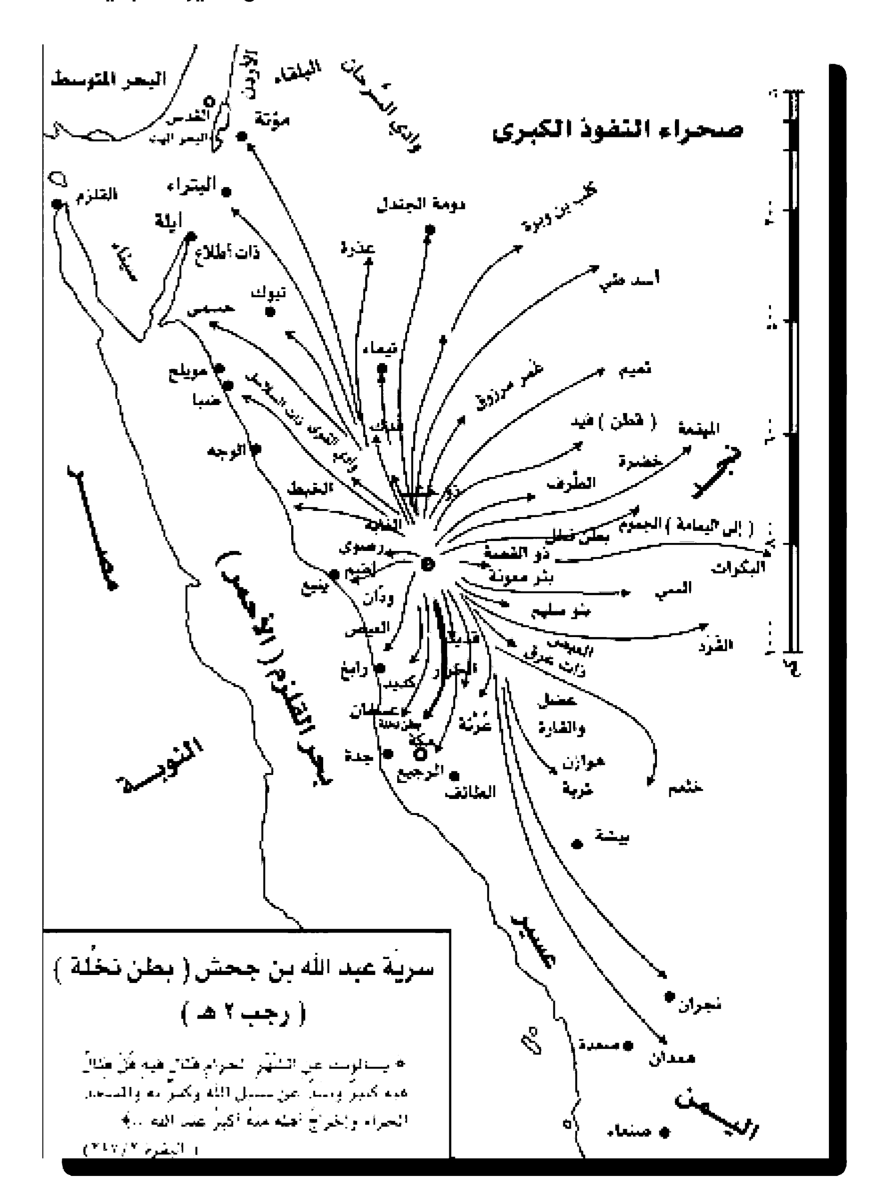


بعث سعد بن أبي وقاص

وبعث سعد بن أبي وقاص ﵁ في طلب كرز بن جابر[1].

---

(١) هو كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب، القرشي، الفهري، من رؤساء المشركين، ثم أسلم بعد بدر الأولى، وقتل يوم فتح مكة؛ كما في البخاري (٤٢٨٠).



بعث عبد الله بن جحش

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، وثمانية من المهاجرين، وكتب له كتابًا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ولا يُكْرِه أحدًا من أصحابه؛ ففعل، ولما فتح الكتاب؛ وجد فيه: «**إذا نظرت في كتابي هذا؛ فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من**

أخبارهم»، فقال: سمعًا وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحبَّ الشهادة؛ فلينهض، ومن كره الموت؛ فليرجع، وأمَّا أنا؛ فناهض، فمضوا كلهم.

فلما كان في أثناء الطريق؛ أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه، فتخلَّفا في طلبه، ونفذ عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرَّت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارة، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة.

فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب: الشهر الحرام؛ فإن قاتلناهم؛ انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم اللَّيلة؛ دخلوا الحرم. ثم اتفقوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي؛ فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل.

ثم قدموا بالعير والأسيرين قد عزلوا من ذلك الخمس، فكانت أول غنيمة في الإسلام، وأول خمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسير في الإسلام.

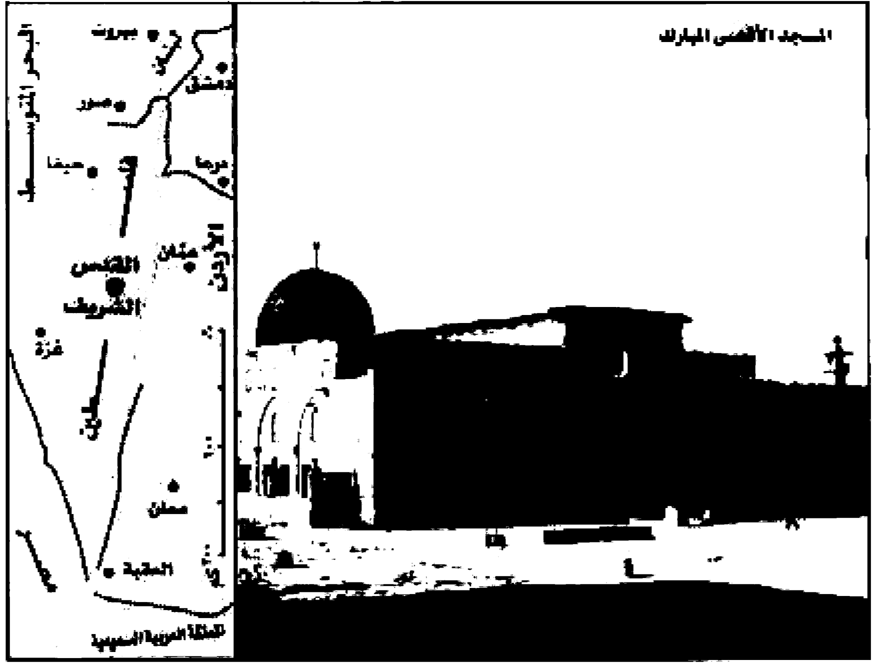
إلا أن رسول الله ﷺ أنكر عليهم ما فعلوه.

وقد كانوا ﷺ مجتهدين فيما صنعوا.

واشتدَّ تعنُّت قريش، وإنكارهم ذلك، وقالوا: محمد قد أحلَّ الشهر الحرام؛ فأنزل الله -عزَّ وجلَّ- في ذلك: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢١٧].

يقول سبحانه: هذا الذي وقع وإن كان خطأ؛ لأن القتال في الشهر الحرام كبير عند الله؛ إلا أن ما أنتم عليه أيُّها المشركون من الصدِّ عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، وإخراج محمَّد وأصحابه -الذين هم أهل المسجد الحرام في الحقيقة- أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.





تحويل القبلة

وفي شعبان من هذه السَّنة حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وذلك على رأس ستة عشر شهرًا من مَقْدَمِهِ المدينة، وقيل: سبعة عشر شهرًا:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ كان أوَّل ما قدم المدينة نزل على أجداده -أو أخواله- من الأنصار، وأنه صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنَّه ﷺ أوَّل صلاة صلَّاها صلاة العصر، وصلَّى معه قوم، فخرج رجل ممن صلَّى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم

راكعون، فقال: أشهد بالله؛ لقد صلَّيت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة، فداروا -كما هم - قِبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلِّي قِبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلمَّا ولَّى وجهه قِبَلَ البيت؛ أنكروا ذلك[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فمرَّ رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلُّوا ركعة؛ فنادى: ألا إن القبلة قد حُوِّلت. فمالوا كما هم نحو القبلة[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في صلاة الصُّبح بقباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه اللَّيلة، وقد أُمِرَ أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشَّام؛ فاستداروا إلى الكعبة[3].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٥٢٧).

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٥٢٦).



غزوة بدر الكبرى

وهي يوم الفرقان يوم التقى الجمعان: الوقعة العظيمة التي فَرّق الله فيها بين الحقِّ والباطل، وأعزَّ الإسلام وأهله، ودمغ الكفر وأهله.

وذلك: أنه لما كان في رمضان من هذه السَّنة الثانية بلغ رسول الله ﷺ: أن عيرًا مقبلة من الشَّام صحبة أبي سفيان صخر بن حرب، وهي عير عظيمة، تحمل أموالًا جزيلة لقريش، فندب ﷺ النَّاس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضرًا بالنهوض.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: بعث رسول الله ﷺ بسبس بن عمرو الحضرمي عينًا؛ ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله.

قال: فحدثه الحديث، قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلَّم؛ فقال: «**إن لنا طلبة؛ فمن كان ظهره حاضرًا؛ فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة؛ فقال: «**لا؛ إلا من كان ظهره حاضرًا**»[(١)].

ولم يحتفل لها احتفالًا كثيرًا؛ إلا أنه خرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: كنَّا أصحاب محمَّد ﷺ نتحدث: أن عدَّة

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٩٠١).



بدر الكبرى

(١٧ رمضان ٢هـ)

الصحيح المصفَّى

أصحاب بدر على عدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر -ولم يجاوز معه إلا مؤمن- بضعة عشر وثلاثمائة[1].

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه لثمان خَلَوْن من رمضان، واستخلف على المدينة وعلى الصَّلاة عبد الله بن أمِّ مكتوم، فلما كان بالرَّوحاء[2]؛ رَدَّ أبا لبابة بن عبد المنذر[3]، واستعمله على المدينة.

ولم يكن معه من الخيل سوى فرس للزُّبير وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيرًا يعتقب الرَّجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد؛ فرسول الله ﷺ وعليٌّ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرًا[4]، وزيد بن حارثة وأنسة[5] وأبو كبشة[6] -موالي رسول الله ﷺ- يعتقبون جملًا، وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على جمل آخر... (وهلم جرًّا).

ودفع ﷺ اللِّواء إلى مصعب بن عمير، والرَّاية الواحدة إلى عليٍّ بن أبي طالب، والرَّاية الأخرى إلى رجل من الأنصار.

وكانت راية الأنصار يومئذ بيد سعد بن معاذ، وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صعصعة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٥٨).

(٢) بفتح الراء، وسكون الواو: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً؛ كما في «صحيح مسلم» (٣٨٨).

(٣) صحابي مشهور: أحد نقباء العقبة الإثني عشر، توفي في خلافة علي رضي الله عنه.

(٤) **حسن** - أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٣٥٢)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٤١١ و٤١٨ و٤٢٢ و٤٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٠٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٣٥٩)، وابن حبان (٧٤٣٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٨٦).

وله شاهد من مرسل عروة: أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٥٩٦ - سيرة ابن هشام).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع الطريقين.

(٥) هو مولى رسول الله ﷺ، وكنيته: أبو مسروح، شهد بدرًا باتفاق، وتوفي في خلافة الصديق رضي الله عنه.

(٦) مولى رسول الله ﷺ، واسمه سليم، شهد بدرًا والمشاهد كلها، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه.

وسار ﷺ، فلما قرب من الصفراء[1]؛ بعث بسبس بن عمرو الجهني -وهو حليف بني ساعدة-، وعدي بن أبي الزغباء الجهني -حليف بني النجار- إلى بدر؛ يتحسَّسان أخبار العير.

وأما أبو سفيان؛ فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه؛ فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري إلى مكة، مستصرخًا لقريش بالنَّفير إلى عيرهم؛ ليمنعوه من محمَّد وأصحابه.

وبلغ الصَّريخ أهل مكة؛ فنهضوا مسرعين، وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب؛ فإنه عوَّض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا ممن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد.

وخرجوا من ديارهم؛ كما قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٤٧]، وأقبلوا في تجمُّلٍ وحَنَقٍ عظيم على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لما يريدون من أخذ عيرهم، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي والعير التي كانت معه.

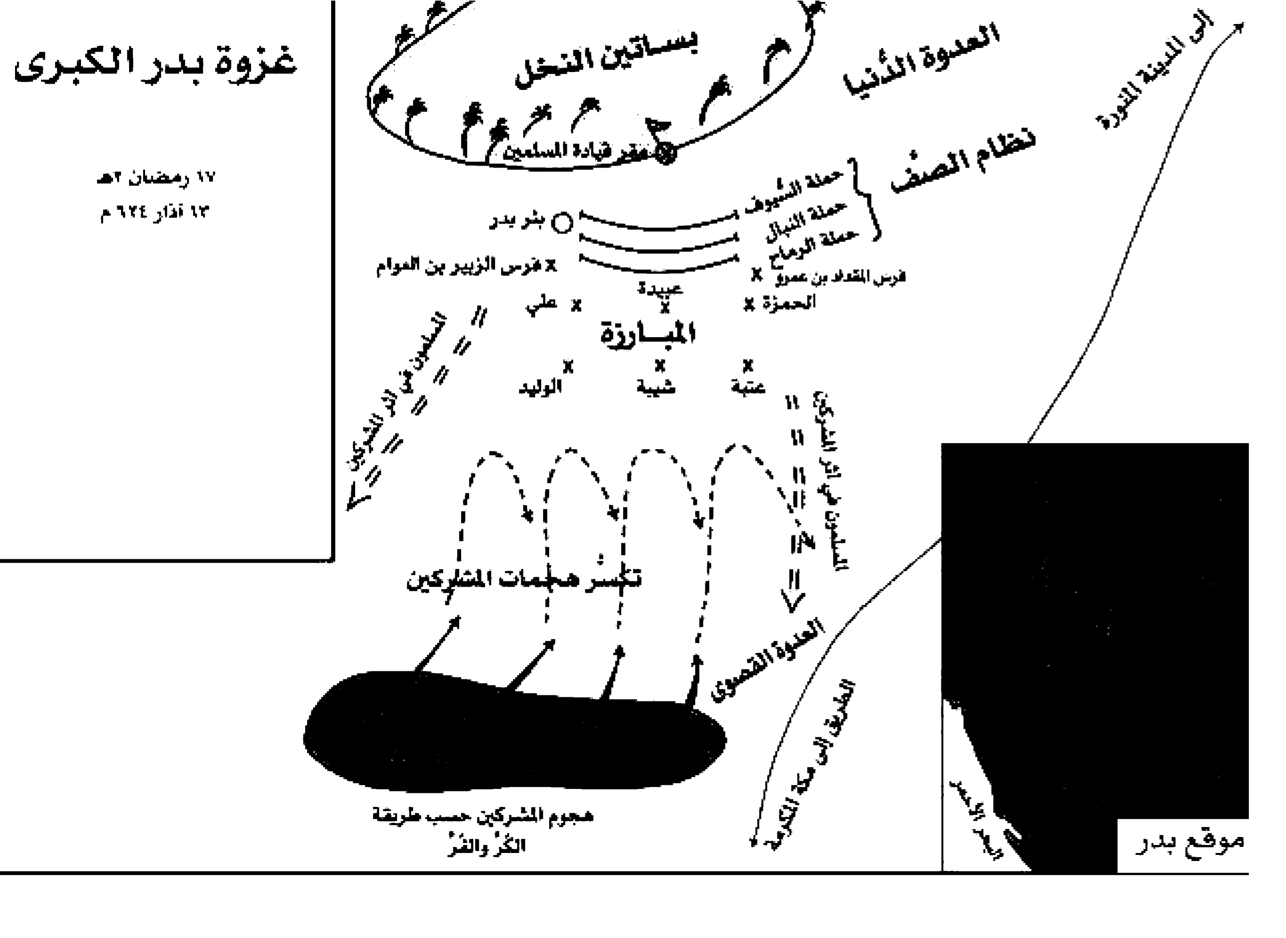
فجمعهم الله على غير ميعاد؛ لمَّا أراد في ذلك من الحكمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢].

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش؛ استشار أصحابه، فتكلَّم كثير من المهاجرين؛ فأحسنوا، ثم استشارهم، وهو يريد ما يقول الأنصار.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ... وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم؛ ليمنعوا

---

(١) وادي الصفراء من ناحية المدينة؛ وهو: واد كثير النخل والزرع والخير، في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرَّة، وبينه وبين بدر مرحلة، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة.



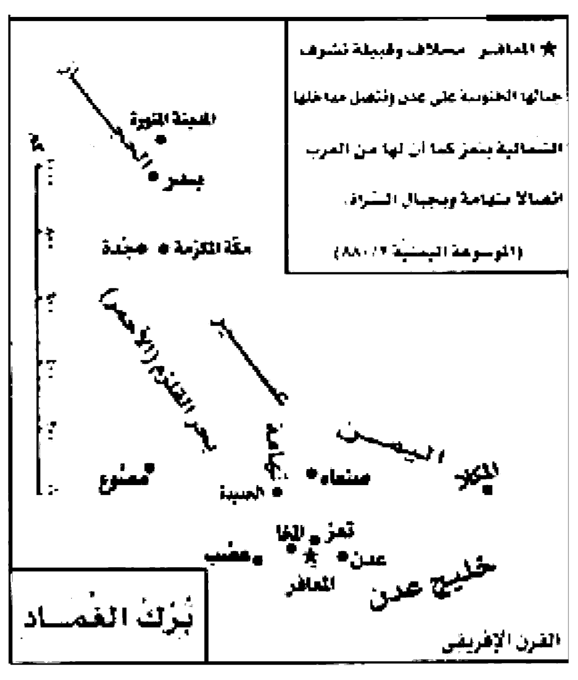
عيرهم، فاستشار النَّاس، وأخبرهم عن طريق قريش، فقام أبو بكر الصِّدِّيق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله! امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقِّ! لو سرت بنا إلى برك الغماد(١)؛ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال رسول الله خيرًا، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا عليَّ أيُّها الناس**»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنَّهم عدد من الناس، وأنَّهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله! إنا برآء من ذمامك(٢)

---

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال، بناحية الساحل، وقيل: بلدة باليمن أقصى حجر باليمن، جنوب منعج بلد الحنفريين -الدمينة وحرازة من سفلى المعافر-.

(٢) العهد.



حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمَّتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوِّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ؛ قال سعد بن معاذ: والله! لكأنك تريدنا يا رسول الله؟! قال: «**أجل**».

قال: فقد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، وعلى السَّمع والطَّاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحقِّ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك[1]، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لَصُبْرٌ في الحرب، صُدْقٌ عند اللِّقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فَسِر بنا على بركة الله.

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنِّي أنظر إلى مصارع القوم**»[2].

ثم رحل رسول الله ﷺ، فنزل قريبًا من بدر، وركب ﷺ مع رجل من أصحابه مستخبرًا، ثم انصرف، فلما أمسى؛ بعث عليًا وسعدًا والزبير إلى ماء بدر؛ يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله ﷺ قائم يصلِّي، فسألهما أصحابه: لمن أنتما؟

---

(١) لو أمرتنا بدخول البحر؛ لدخلناه معك.

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٦١٤-٦١٥).

فقالا: نحن سقاةٌ لقريشٍ.

فَكَرِهَ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، ووَدُّوا أن لو كانا لعير أبي سفيان، وأنه منهم قريب؛ ليفوزوا به؛ لأنه أخفُّ مؤونة من قتال النَّفير من قريش؛ لشدَّة بأسهم واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما، فإذا آذاهما الضرب؛ قالا: نحن لأبي سفيان، فإذا سكتوا عنهما، وسألوهما؛ قالا: نحن لقريش.

فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته؛ قال: «**والذي نفسي بيده! إنكم لتضربونهما إذا صدقا، وتتركونهما إذا كذبا**»، ثم قال لهما: «**أخبراني أين قريش؟**»، قالا: وراء هذا الكثيب، قال: «**كم القوم؟**»، قالا: لا علم لنا، فقال: «**كم ينحرون كلَّ يوم؟**»، فقالا: يومًا عشرًا، ويومًا تسعًا، فقال ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة إلى الألف**»[(١)].

وأما بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء؛ فإنَّهما وردا ماء بدر، فسمعا جارية تقول لصاحبتها: ألا تقضيني دَيني؟ فقالت الأخرى: إنما تقدم العير غدًا -أو بعد غد-، فأعمل لهم وأقضيك، فصدَّقها مجدي بن عمرو.

فانطلقا مقبلين بما سمعا، ويعقبهما أبو سفيان، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدًا من أصحاب محمد؟ فقال: لا؛ إلا أن راكبين نزلا عند تلك الأكمة[(٢)].

فانطلق أبو سفيان إلى مكانهما، وأخذ من بعر بعيرهما، ففتَّه[(٣)]؛ فوجد فيه النَّوى،

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٥٩٩-٦٠٠ - ابن هشام)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣١) عن عروة بن الزبير به.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد؛ لكن لبعضه شواهد يصحّ بها؛ من ذلك: ما أخرجه مسلم (١٧٧٩).

وشاهد آخر من حديث علي رضي الله عنه: أخرجه أحمد (١/ ١١٧)، والبزار في «البحر الزخار» (٧١٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٢-٩٣)، بإسناد ضعيف.

وبالجملة؛ فالحديث ثابت على التفصيل المذكور، والله أعلم.

(٢) التل، أو ما كان أشد ارتفاعًا مما حوله.

(٣) الفت: الدق والكسر بالأصابع.

فقال: هذه -والله- علائف يثرب؛ فعدل بالعير إلى طريق الساحل؛ فنجا، وبعث إلى قريش يعلمهم أنه قد نجا هو والعير، ويأمرهم أن يرجعوا.

وبلغ ذلك قريشًا، فأبى ذلك أبو جهل، وقال: والله! لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم عليه ثلاثًا، ونشرب الخمر، وتضرب على رؤوسنا القيان، فتهابنا العرب أبدًا.

فرجع الأخنس بن شريق بقومه بني زهرة قاطبة، وقال: إنما خرجتم؛ لتمنعوا عيركم، وقد نجت.

فبادر ﷺ قريشًا إلى ماء بدر.

وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم أرسله؛ فكان نقمة على الكفار، ونعمة على المسلمين؛ مهد لهم الأرض ولبَّدها.

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

وَبُنِيَت لرسول الله ﷺ عريش[١] يكون فيها[٢]:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه؛ فجعل يهتف بربِّه[٣]: «**اللهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللهمَّ آتِ ما وعدتني، اللهمَّ**

---

(١) هو كل ما يستظل به؛ كقبة وخيمة ونحو ذلك.
وهذه القبة التي اتخذها رسول الله ﷺ في ميادين القتال كغرفة العمليات -كما هو معهود في العلوم العسكرية المعاصرة-.

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٦٠٢-٦٠٣ - ابن هشام).
وله شاهد من حديث عبد الله بن ثعلبة بمعناه: أخرجه الأموي في «مغازيه»؛ كما في «البداية والنهاية» (٥/ ١٢٦) بإسناد جيد.
وشاهد آخر من حديث علي: أخرجه البزار في «مسنده» (٢٤٨١ - «كشف»)؛ بإسناد ضعيف.
وقد تقدم أقوى شواهده؛ وهو: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وبذلك يصح الحديث بإذن الله.

(٣) يصيح ويستغيث بالله داعيًا.

إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربِّه، مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه[1].

فأتاه أبو بكر؛ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه[2] من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله! كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله -عز وجل-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمدَّه الله بالملائكة»[3].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال النَّبيُّ ﷺ يوم بدر: «**اللهمَّ إنِّي أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد**»؛ فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: «**سيهزم الجمع ويُولّون الدُّبر**»[4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائه وخمسة عشر رجلًا من أصحابه، فلما انتهى إليها؛ قال: «**اللهمَّ إنَّهم جياع؛ فأشبعهم، اللهم إنَّهم حفاة؛ فاحملهم، اللهم إنَّهم عراة؛ فاكسهم**»، ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا، وما منهم رجل إلا وقد رجع بجِملٍ أو جملين، واكتسوا، وشبعوا[5].

ومشى ﷺ في موضع المعركة، وجعل يُريهم مصارع رؤوس القوم واحدًا واحدًا؛ يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا -إن شاء الله-، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان**»[6]؛ فما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ.

---

(١) كتفيه.

(٢) احتضنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

(٥) **حسن** - أخرجه أبو داود (٢٧٤٧).

(٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
وأخرجه (٢٨٧٣) من حديث عمر رضي الله عنه.

وبات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلِّي إلى جذم شجرة[1] هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان.

فلما أصبح، وأقبلت قريش في كتائبها، ورام حكيم بن حزام[2] وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون قتال، فأبى ذلك أبو جهل، وتقاول هو وعتبة، وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو، فكشف عن إسته! وصرخ: واعمراه! واعمراه! فحمي القوم، ونشبت الحرب.

وعدّل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ.

عن عاصم بن عمر بن قتادة؛ قال: ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة: حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة؛ وهم: عوف ومعوذ أبناء الحارث وأمهما عفراء، ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا من حاجة.. ثم نادى مناديهم: يا محمد! أَخْرِج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: **«قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا عليّ»**، فلما قاموا، ودنوا منهم؛ قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة. وقال حمزة: حمزة. وقال عليّ: علي. قالوا: نعم، أكفاءٌ كرام.

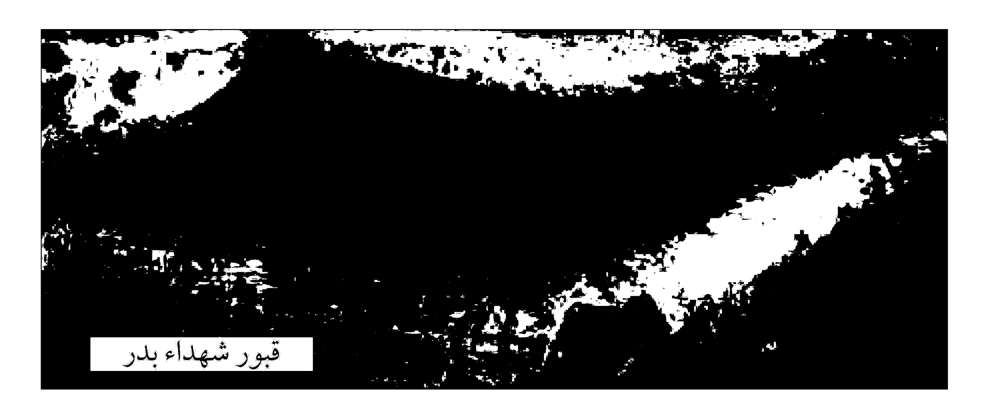
فبارز عبيدةُ -وكان أسنَّ القوم- عتبةَ بن ربيعة، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة.

فأمَّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليٌّ فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف

---

(١) أصل الشجرة.

(٢) هو ابن أخ خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان صديقًا حميماً لرسول الله ﷺ، قبل مبعثه وبعده، أسلم رضي الله عنه يوم الفتح، وتوفي في المدينة سنة (٥٤ هـ).



قبور شهداء بدر

عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة فذففا [1]عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه[2].

وعن عليِّ بن أبي طالب ﷺ؛ قال: قدم -يعني: عتبة بن ربيعة-، وتبعه ابنه وأخوه، فنادى من يبارز؛ فانتدب[3] له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه؛ فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنَّما أردنا بني عمِّنا. فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا عليّ، قم يا عبيدة بن الحارث**»، فأقبل حمزه إلى عتبه، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن[4] كلُّ واحد منهما صاحبه، ثم مِلْنا على الوليد؛ فقتلناه، واحتملنا عبيدة[5].

وكان عليُّ بن أبي طالب ﷺ يتأول قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] في مبارزتهم يوم بدر.

---

(١) أسرعا في قتله.

(٢) أخرجه ابن هشام (١/ ١٢٥) ويشهد له ما بعده.

(٣) بادر للخروج.

(٤) أصابه إصابه بليغه.

(٥) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١١٧)، وأبو داود (٢٦٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٣-١٩٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٧٦ و٩/ ١٣١)، و«دلائل النبوة» (٣/ ٦٢-٦٤و٧١)، عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا به.

وعن عليِّ بن أبي طالب ﷺ؛ قال: أنا أوَّل من يجثو [1] بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس بن عبادة: وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩]؛ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، -أو أبو عبيدة بن الحارث-، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[2].

ثم حمي الوطيس، واشتدَّ القتال، ونزل النصر، واجتهد رسول الله ﷺ في الدُّعاء، وابتهل ابتهالًا شديدًا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ﷺ؛ قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل؛ قال: اللهم أقطعنا للرَّحم، وآتانا بما لم يُعرف؛ فَأَحْنِه[3] الغداة. فبينما هم على تلك الحال، وقد شجَّع الله المسلمين على لقاء عدوِّهم، وقلَّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق[4] رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه؛ فقال: **«أبشر يا أبا بكر! هذا جبريل مُعتجِرٌ[5] بعمامته، آخذٌ بعنان فرسه؛ يقوده على ثناياه النَّقع[6]، أتاك نصر الله وعُدَّتُه»**[7].

وعن عبد الله بن عباس ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ؛ قال يوم بدر: **«هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب»**[8].

وكان الشيطان قد ظهر لقريشٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشم زعيم

---

(١) يجلس على ركبتيه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٦٥).

(٣) اقتله.

(٤) أغفى إغفاءه.

(٥) لابس عمامته.

(٦) الغبار.

(٧) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣١)، والنسائي في «التفسير» (٢٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٨).

(٨) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٩٥).

مدلج؛ فأجارهم، وزيَّن لهم الذهاب إلى ما هم فيه؛ وذلك أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم وأموالهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال:٤٨]، وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال، ورأى ما لا قِبَلَ له به؛ ففرَّ[١]. وقاتلت الملائكة كما أمرها الله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وكان الرَّجل من المسلمين يطلب قرنه، فإذا به قد سقط أمامه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في إِثْر رجلٍ من المشركين أمامه؛ إذ سمع ضربة بالسَّوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[٢]. فنظر إلى المشرك أمامه فَخَرَّ مستلقيًا، فنظر إليه؛ فإذا هو قد خُطِمَ أنفه[٣]، وشقَّ وجهه؛ كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك، فجاء الأنصاري؛ فحدث بذلك رسول الله ﷺ؛ فقال: «**صدقت؛ ذلك من مدد السماء الثالثة**»[٤].

وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله! إن هذا -والله!- ما أسرني؛ لقد أسرني رجل أجلح[٥] من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق [٦] ما أراه في القوم، فقال

---

(١) **حسن** - أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩١٥٧)، والطبري في «جامع البيان» (٩/ ١٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٧٨-٧٩) عن ابن عباس به.

(٢) اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(٣) الأثر في الأنف.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٥) انحسر الشعر عن جانبي رأسه.

(٦) هو الذي ارتفع التحجيل إلى فخديه.

الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله! فقال: «**اسكت؛ فقد أيَّدك الله بملك كريم**»[(١)].

وعن أبي داود المازني ﷺ؛ قال: إني لأتبع رجلًا من المشركين؛ لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي؛ فعرفت أنه قتله غيري[(٢)].

ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين، وتبعهم المسلمون في آثارهم، يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأخذوا غنائمهم.

فكان من جملة من قتل من المشركين ممن سمَّى رسول الله ﷺ موضعه بالأمس: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، فأمر بهم رسول الله ﷺ؛ فسحبوا إلى القليب، ثم وقف عليهم ليلًا، فبكَّتهم، وقرَّعهم.

ثم أقام رسول الله ﷺ بالعَرْصَةِ ثلاثًا:

عن أنس بن مالك ﷺ، عن أبي طلحة ﷺ: أن نبيَّ الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طويٍّ[(٣)] من أطواء بدر خبيثٍ مُخبَّثٍ، وكان إذا ظَهَرَ على قوم أقام بالعرصة[(٤)] ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث: أمر براحلته؛ فشُدَّت عليه رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الرَّكي[(٥)]؛ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! أيسرُّكم أنَّكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا**».

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٧٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ١١٧)، وأبو داود (٢٦٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٣٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٦٤).

(٢) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٦٣٣ - سيرة ابن هشام)، وأحمد (٥/ ٤٥٠)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٣٨٤)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٥٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٤)، و«معرفة الصحابة» (٥٠٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٦).

(٣) بئرٌ خَرِبة.

(٤) الموضع الواسع الذي لا بناء فيه.

(٥) البئر.

قال: فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلِّم من أجساد لا أرواح لها.

فقال: رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله؛ توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندمًا[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: وقف النَّبيُّ ﷺ على قليب بدر؛ فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا؟**»، ثم قال: «**إنَّهم الآن يسمعون**»[2].

ثم ارتحل بالأسارى والمغانم؛ فلما كان رسول الله ﷺ بالصَّفراء؛ قَسَّم المغانم؛ كما أمره الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١].

ثم؛ إن رسول الله ﷺ استشار أصحابه في الأسارى: ماذا يصنع بهم؟ فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يُقتلوا، وأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء، وهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر؛ فحلَّل لهم ذلك.

وعاتبه الله -سبحانه- في ذلك بعض المعاتبة:

عن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين، فلما أسروا الأسارى؛ قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر وعليّ وعمر! ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**».

فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله! هم بنو العمِّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوَّة على الكفَّار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

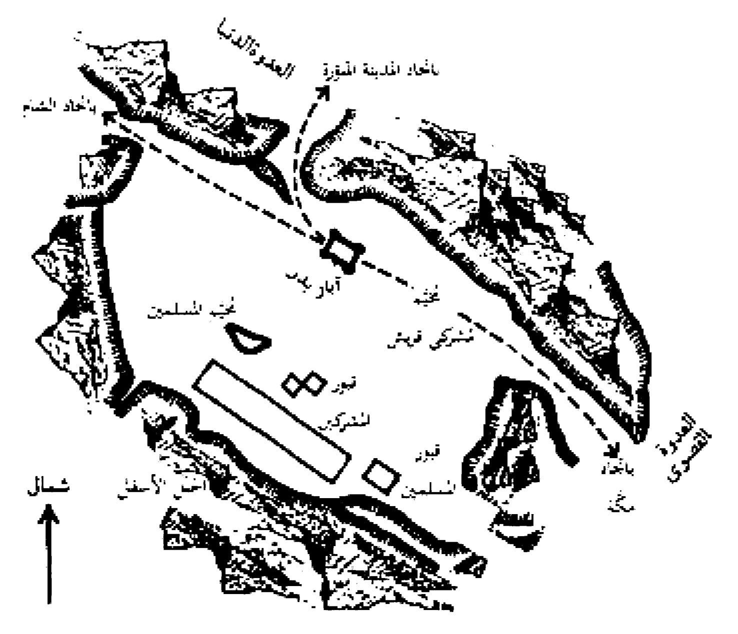
فقال رسول الله: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**».

قال: لا والله، يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنِّي أرى أن تمكنّا؛

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤ و٢٨٧٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٨٠ و٣٩٨١).



فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل؛ فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيبًا لعمر- فأضرب عنقه، فإنَّ هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى[1] رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت.

فلما كان من الغد جئت؛ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان.

قلت: يا رسول الله! أخبرني من أيِّ شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائهما.

فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء؛ لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» -شجرة قريبة من النَّبيِّ ﷺ- وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٧-٦٩]؛ فأحلَّ الله الغنيمة لهم[2].

وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسرى في شوَّال.

○ ○ ○

(١) أحب.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٦٣).





فصل

غزوة بني سليم

ثم نهض بنفسه الكريمة ﷺ بعد فراغه بسبعة أيام يغزو بني سليم، فمكث ثلاثًا، ثم رجع، ولم يلق حربًا، وقد كان استعمل على المدينة: سباع بن عرفطة.

○ ○ ○



غزوة السَّويق

ولما رجع أبو سفيان إلى مكة، وأوقع الله في أصحابه ببدرٍ بأسه؛ نذر أبو سفيان ألا يمسَّ رأسه بماء حتى يغزو رسول الله ﷺ، فخرج في مائتي راكب، فنزل طرف العُرَيْض[١]، وبات ليلةً واحدة في بني النضير، عند سلام بن مشكم، فسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم أصبح في أصحابه؛ فقطع أصوارًا[٢] من النَّخل، وقتل رجلًا من الأنصار وحليفًا له، ثم كرَّ راجعًا.

ونذر به[٣] رسول الله ﷺ؛ فخرج في طلبه والمسلمون، فبلغ قرقرة الكدر[٤]، وفاتَه أبو سفيان والمشركون، وألقوا شيئًا كثيرًا من أزوادهم، من السَّويق[٥]؛ فسمِّيت: غزوة السَّويق، وكانت في ذي الحجة من السَّنة الثانية للهجرة، ثم رجع ﷺ إلى المدينة، وقد كان استخلف عليها أبا لبابة.

○ ○ ○

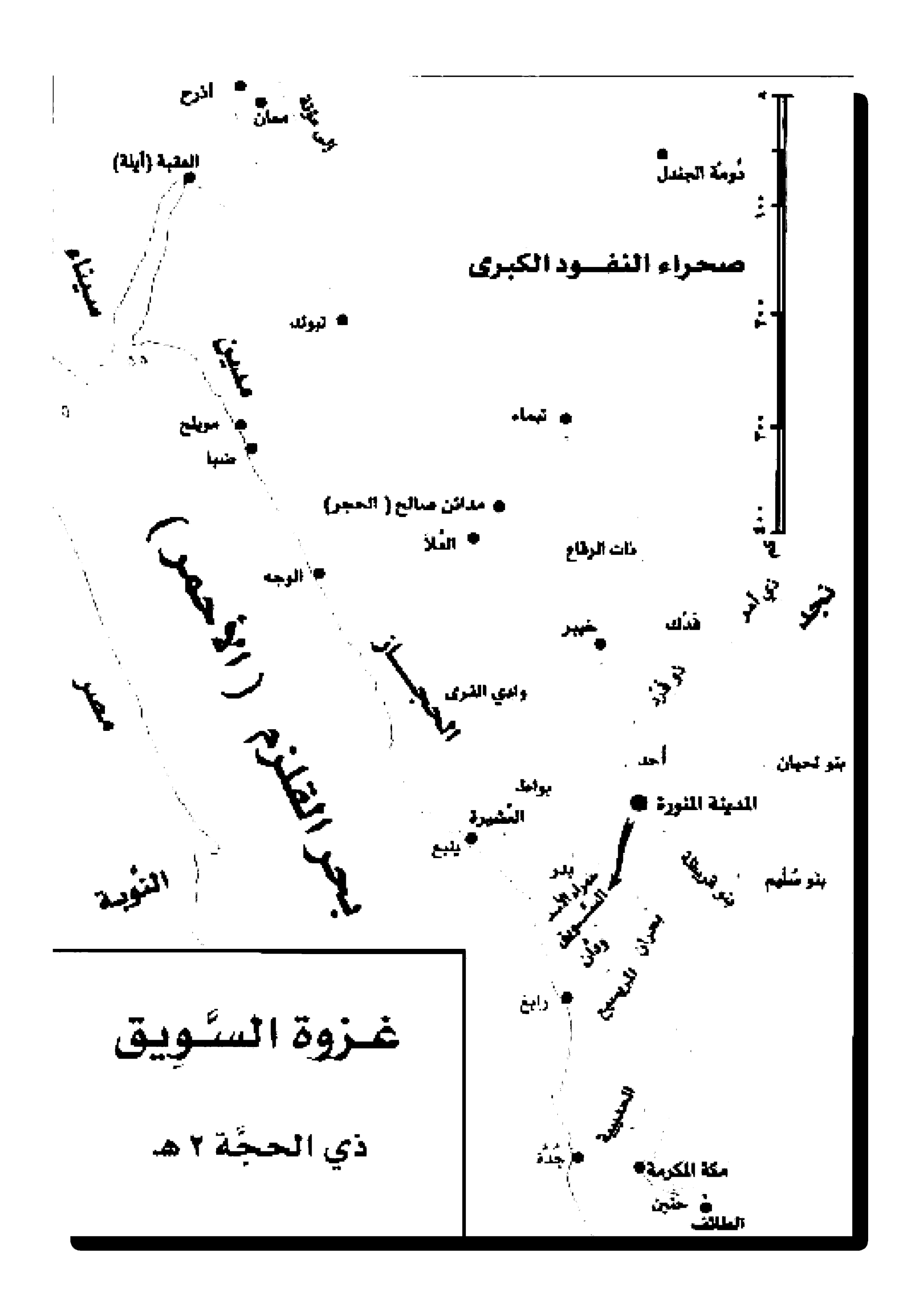
(١) بالتصغير؛ واد يقع في طرف المدينة الشمالي الشرقي، وبه مسجد سمِّي به.

(٢) جمع صور؛ وهو: صغار النخل المجتمعة.

(٣) علمه فحذره.

(٤) بالفتح، وتكرير القاف والراء؛ والقرقرة: الأرض الملساء وليست ببعيدة، وهو موضع يقال له: قَرْقَرَةُ الكُدر، جمع الكدرة من اللون، ويجوز أن يكون جمع الكَدَرَة، وهو: القلاعة الضخمة من مدر الأرض المثار ونحو ذلك، وهو قريب من المعدن.

(٥) هو مطحون القمح أو الشعير المحمصان.



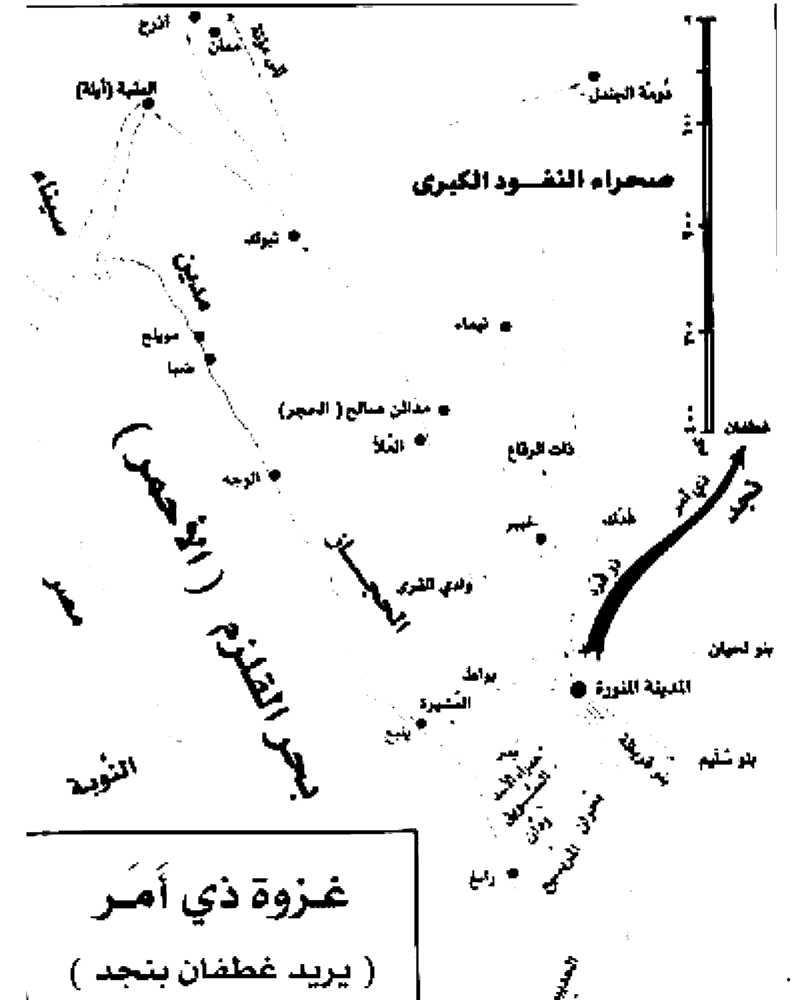
أذرح
معان
العقبة (أيلة)
دُومة الجندل
صحراء النفــود الكبرى
تبوك
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
ذات الرقاع
الوجه
نجد
فدك
خيبر
وادي القرى
أحد
بنو لحيان
بواط
المدينة المنورة
العُشيرة
ينبع
بدر
بنو سُليم
رابغ
جُدة
مكة المكرمة
حُنين
الطائف
النوبة
مصر
غـزوة السَّـويق
ذي الحجَّة ٢ هـ



فصل

غزوة ذي أَمَرَ[1]

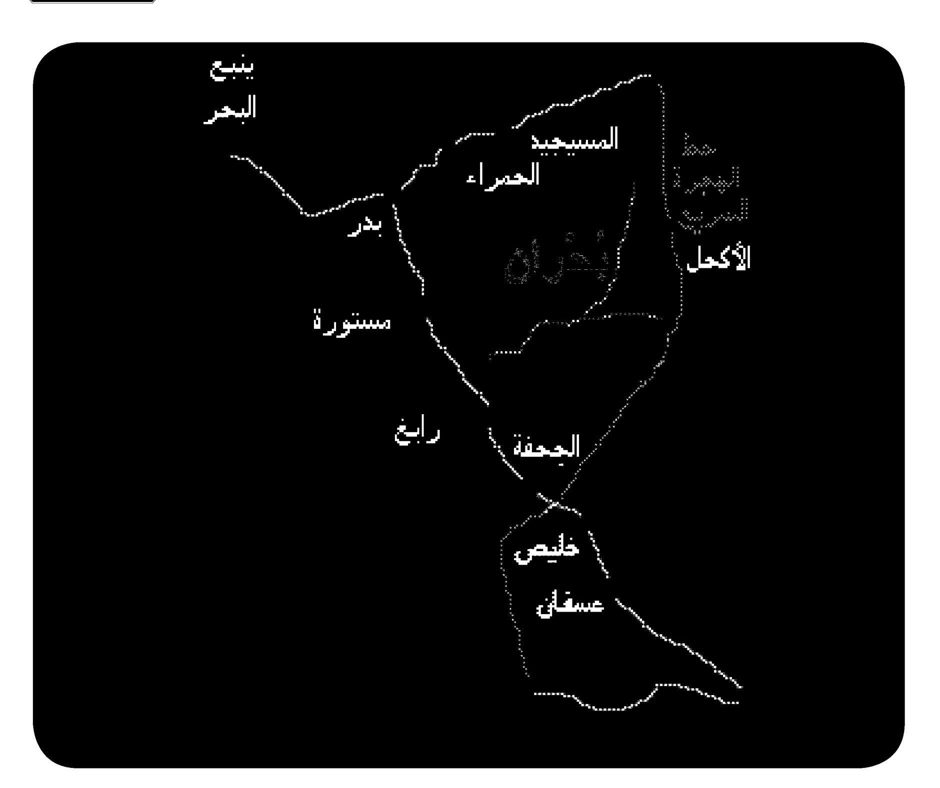
ثم أقام ﷺ بقية ذي الحجَّة، ثم غزا نجدًا يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فأقام بنجد صفرًا -من السَّنة الثانية -كلَّه، ثم رجع، ولم يلق حربًا.



(١) موضع بنجد من ديار غطفان.







غزوة بُحْرانَ

ثم خرج ﷺ في ربيع الآخر يريد قريشًا، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فبلغ بحران[1]؛ معدنًا في الحجاز، ثم رجع، ولم يلق حربًا.

○ ○ ○

---

(١) معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع، بينه وبين المدينة ثمانية برد، شرق رابغ.
والفرع -بضمتين-: قرية من ناحية المدينة، ووادي الفرع وقراه لا تزال معروفة إلى يومنا هذا.



فصل

غزوة بني قَيْنُقَاع[1]

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كان من حديث بني قينقاع: أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «**يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النّقمة وأسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله إليكم**»، قالوا: يا محمَّد! إنَّك ترى أنَّا قومك، لا يغرَّنَّك أنَّك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا -والله!- لئن حاربناك؛ لتعلمن أنا نحن الناس.

ثم قال ابن عباس: فما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٢ و١٣][2].

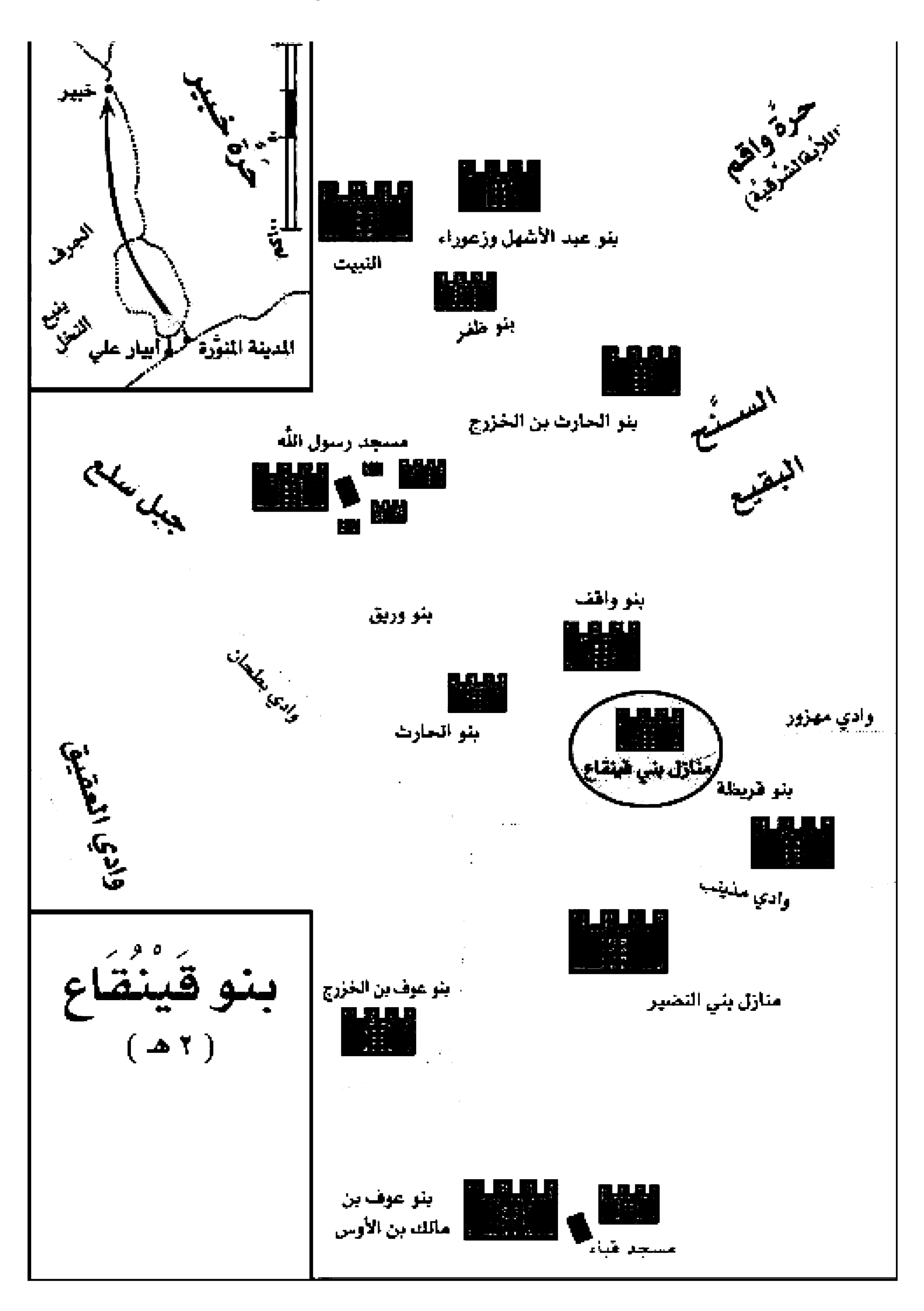
---

(١) إحدى القبائل اليهودية الثلاث التي سكنت المدينة، ينتسبون إلى قينقاع بن عشميل، وهم يهود عرب، أقاموا في حصن كبير داخل المدينة قبل البعثة النبوية، وكانوا يشتغلون بالصياغة والحدادة، وهم حلفاء الخزرج، ولهم سوق كبير معروف.

(٢) **حسن لغيره** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٤٢٦)، وأبو داود (٣٠٠١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٧٣) بإسناد ضعيف.

وله شاهد مرسل صحيح من طريق عاصم بن عمر بن قتادة: أخرجه ابن إسحاق (٢/ ٤٢٦)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٢)، وابن جرير في «تفسيره» (٣/ ١٢٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٧٤).

وبالجملة؛ فالحديث حسن بمجموعهما.


خيبر
حرة خيبر
الجرف
بنو النغل
أبيار علي
المدينة المنورة
حرة واقم
النبيت
بنو عبد الأشهل وزعوراء
بنو ظفر
بنو الحارث بن الخزرج
السنح
البقيع
مسجد رسول الله
جبل سلع
بنو واقف
بنو وريق
وادي بطحان
بنو الحارث
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
بنو قريظة
وادي العقيق
وادي مذينب
بنو عوف بن الخزرج
منازل بني النضير
بنو عوف بن مالك بن الأوس
مسجد قباء
بنو قَيْنُقَاع
(٢ هـ)

ولما كان الغدر من خصال يهود؛ فقد نقض بنو قينقاع العهد، فخرج رسول الله ﷺ لحصارهم، واستخلف على المدينة بشير بن عبد المنذر، فحاصرهم ﷺ خمس عشرة ليلة[1]؛ فنزلوا على حُكمه ﷺ:

عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حُكمه، فقام عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله تعالى منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسلني**»، وغضب حتى رؤي لوجه رسول الله ﷺ ظلال، فقال له: «**ويحك أرسلني**»، فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائه حاسر، وثلاثمائة دارع؛ منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، أي والله إنّي لامرؤ أخشى الدوائر؛ فقال رسول الله ﷺ: «**هم لك**»[2].

○ ○ ○

---

(١) قاله ابن هشام -دون ذكر العدد- في «السيرة» (٣/ ٧٣٨).

(٢) سبق تخريجه في الحديث المتقدم.

وله شاهد مرسل صحيح من حديث عبادة بن الوليد: أخرجه ابن إسحاق، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٧٤-١٧٥).



قتل كعب بن الأشرف اليهودي

و أما كعب بن الأشرف اليهودي؛ فإنَّه كان رجلًا من طيء، وكانت أمُّه من بني النَّضير[١]، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويشبب في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وقعة بدر إلى مكَّة، وألَّب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى قتله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنَّه قد آذى الله ورسوله**»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحبُّ أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فَأْذَن لي أن أقولَ شيئًا. قال ﷺ: «**قل**»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إنَّ هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا[٢]، وإني قد أتيتك أستسلفك[٣]. قال[٤]: وأيضًا -والله!- لتَمَلُّنَّه.

قال: إنا قد اتَّبعناه، فلا نحبُّ أن ندعه حتى ننظر إلى أيِّ شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال: نعم، أرهنوني. قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: أرهنوني

---

(١) اليهودي عند اليهود هو من كانت أمة يهودية، ولا يزال الأمر على هذا إلى يومنا هذا (!!).

(٢) اتعبنا وأرهقنا.

(٣) أطلب قرضًا منك.

(٤) أي: كعب بن الأشرف.


حصن كعب بن الأشرف اليهودي

أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؛ فَيُسَبُّ أحدهم؛ فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنَّا نرهنك اللَّامة[1]، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا، ومعه أبو نائلة -وهو أخو كعب من الرضاعة -فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. فقال: إذا ما جاء؛ فإني قائل بشعره فأَشُمَّه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه؛ فدونكم فاضربوه قال مرة: ثم أُشِمَّكم. فنزل إليهم متوشحًا[2] وهو ينفخ منه ريح الطيب. فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا -أي: أطيب-.

قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. فقال: أتأذن لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمَّه. ثم أشمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم. فقتلوه، ثم أتوا النَّبيَّ ﷺ فأخبروه[3].

○ ○ ○

---

(١) يعني: السلاح.

(٢) متغطيًا.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١).



زواج النَّبيِّ ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: حين تأَيَّمت[١] حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان؛ فعرضت عليه حفصة بنت عمر؛ قال:

فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري. فلبث ليالٍ، ثم لقيني؛ فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر رضي الله عنه؛ فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أَوْجَدُ منّي على عثمان.

فلبث ليالٍ ثم خطبها رسول الله ﷺ؛ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر؛ فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ؛ إلا أنّي كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[٢].

○ ○ ○

---

(١) مات زوجها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥١٢٢).



زواج علي وفاطمة رضي الله عنها

عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: كانت لي شارف[1] من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة رضي الله عنها بنت النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ واعدت رجلًا صوَّاغًا[2] في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر، فأردت أن أبيعه من الصوَّاغين؛ فنستعين به في وليمة عرسي، فبينما أنا أجمع لشارفيَّ مِن الأقتاب والغرائر والحبال، وشارِفايَ مُنَاخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أُجِبَّت أسنِمَتُهما[3]، وبُقِرَت خواصرهما، وأُخِذت من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر؛ قلت: من فعل هذا؟ قالوا: حمزة بن عبد المطلب...» فذكر الحديث[4].

وعنه رضي الله عنه؛ قال: خُطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت مولاةٌ لي: هل عَلِمْتَ أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا. قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيزوجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به! فقالت: إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوَّجك.

---

(١) الناقة أو الجمل.

(٢) الصائغ.

(٣) قطع من السنام بعد ذبح الناقة.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٠٣)، ومسلم (١٩٧٩).

قال: فوالله! ما زالت ترجِّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أُفحِمتُ، فوالله ما أستطعت أن أتكلم جلالةً وهيبةً.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟ ألك حاجة؟**»، فسكت، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**»، فقلت: نعم، فقال: «**وهل عندك من شيء تستحلَّها به؟**»، فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**ما فعلت درع سلَّحتُكَها؟**».

فوالذي نفس علي بيده! إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندي. فقال: «**قد زوجتكها فابعث إليها بها؛ فاستحلها بها**»؛ فإنَّها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1].

وعنه رضي الله عنه؛ قال: جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[2]، وقربة، ووسادة أدم[3] حشوها[4] إذخر[5].

وكان زواج عليٍّ رضي الله عنه من فاطمة بنت محمد ﷺ عقب وقعة بدرٍ بقليل، وولدت له الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأم كلثوم الكبرى، وأم كلثوم الصغرى.

○ ○ ○

---

(١) **حسن** - أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٦٠).

(٢) القطيفة.

(٣) الجلد.

(٤) حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

(٥) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٤)، وابن ماجه في «السنن» (٤١٥٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٦١).





غزوة أحد[1]

وهي وقعة امتحن الله -عزَّ وجلَّ- فيها عباده المؤمنين، واختبرهم، وميَّز بها بين المؤمنين والمنافقين.

وذلك: أن قريشًا حين قتل الله سُراتهم ببدر، وأصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب؛ لعدم وجود أكابرهم، وجاء -كما ذكرنا- إلى أطراف المدينة في غزوة السَّويق، ولم ينل ما في نفسه؛ شرع يجمِّع قريشًا، ويؤلِّب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، فجمع قريبًا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش[2].

---

(١) بضم أوله وثانيه معًا؛ اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد.

(٢) حبشي: جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك، بينه وبين مكة ١٠ كم؛ يقال: منه سمي أحابيش قريش، وذلك: أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده، فحالفوا قريشًا، وتحالفوا بالله: إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه؛ فسموا: أحابيش قريش باسم الجبل.

وجاؤوا بنسائهم؛ لئلَّا يفرُّوا، ثم أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريبًا من جبل أحد بمكان يقال له: «عينين»[١]، وذلك في شوال من السنة الثالثة.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أخبر المسلمين عن رؤياه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار[٢] يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال: **«رأيت في سيفي ذي الفقار فلًّا[٣]؛ فأوَّلتُه فَلًّا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشًا؛ فأوَّلتُه كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة، فأوَّلتها المدينة، ورأيت بقرًا تذبح، فبقر والله خير، فبقر والله خير»**؛ فكان الذي قال رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) جبل صغير يقع جنوب شهداء أحد، وسمي بذلك؛ لوجود عيني ماء كانتا عنده، وهو المعروف الآن بـ«جبل الرماة».

(٢) سمي بذلك؛ لأنه فيه حُفَرٌ حسانٌ صِغار.

(٣) الثلم في السيف.

(٤) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧١)، والترمذي (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٢٨).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**رأيت في رؤياي أنِّي هززت سيفًا؛ فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى؛ فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقَرًا واللهُ خيرٌ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد**»[١].

ولذلك استشار رسول الله ﷺ أصحابه: أيخرج إليهم، أم يمكث في المدينة؟ فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر إلى الإشارة بالخروج إليهم، وألحّوا عليه ﷺ في ذلك.

وأشار عبد الله بن أبي ابن سلول بالمقام بالمدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة.

فألَحَّ أولئك على رسول الله ﷺ؛ فنهض، ودخل بيته، ولبس لأْمته[٢]، وخرج عليهم، وقد انثنى عزم أولئك، فقالوا: يا رسول الله! إن أحببت أن تمكث في المدينة؛ فافعل. فمضى رسول الله ﷺ حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقَرًا منحرة[٣]؛ فأوَّلتُ أنَّ الدِّرع الحصينة: المدينة، وأنَّ البقر هو والله خير**»، قال: فقال لأصحابه: «**لو أنا أقمنا بالمدينة؛ فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم؟**»، فقالوا: يا رسول الله! والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟

فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبيَّ الله! شأنك إذًا، فقال: «**إنه ليس لنبيٍّ إذا لبس لأْمته أن يضعها حتى يقاتل**»[٤].

فخرج ﷺ إلى أُحد في ألفٍ، فلما كان ببعض الطريق؛ انخزل عبد الله بن أبي

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٨١)، ومسلم (٢٢٧٢).

(٢) الدرع.

(٣) مذبوحة.

(٤) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٥١)، والدارمي في «السنن» (٢٢٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١٠٠).

في نحو ثلاثمائة إلى المدينة، فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام -والد جابر رضي الله عنهما- يُوَبِّخهم ويحضهم على الرجوع، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون؛ لم نرجع. فلما أبوا عليه؛ رجع عنهم وسبَّهم.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد؛ رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النَّبيِّ ﷺ فرقتين، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨]، وقال: «**إنها طيِّبة تنفي الذنوب؛ كما تنفي النَّار خبث الفضة**»[١].

عن الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن قتادة وحصين بن عبد الرحمن: حتى خرج في ألفٍ من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشَّوط بين المدينة وأحد؛ انخزل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيُّها الناس! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيب، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام؛ يقول:

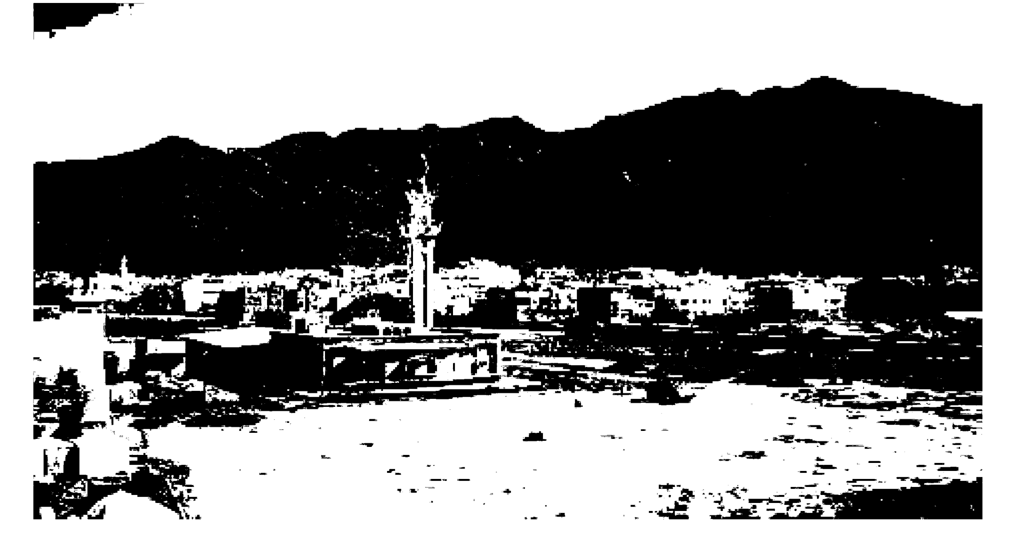
يا قوم! أذكركم الله؛ ألا تخذلوا قومكم ونبيَّكم عند من حضر من عدوِّهم، فقالوا: لو نعلم أنَّكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنَّا لا نرى أنَّه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف؛ قال: أبعدكم الله، أعداء الله؛ فسيغني الله عنكم نبيَّه[٢].

واستقلَّ رسول الله ﷺ بمن بقي معه حتى نزل شعب أحد في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره إلى أُحدٍ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح؛ تعبَّأ ﷺ للقتال في أصحابه، وكان فيهم خمسون فارسًا، واستعمل على الرماة -وكانوا

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

(٢) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢٠/ ٦٠-٦٤)؛ لكنه مرسل، وله شواهد يثبت بها -إن شاء الله-.



خمسين- عبد الله بن جبير الأوسي، وأمره وأصحابه: أن لا يتغيروا من مكانهم، وأن يحفظوا ظهور المسلمين؛ أن يُؤْتَوْا مِن قِبَلِهِم.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم جيشًا من الرُّماة، وأمَّر عليهم عبد الله، وقال: «**لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم؛ فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا؛ فلا تعينونا**»، فلما لقينا هربوا؛ حتى رأيت النساء يشتددن[1] في الجبل رفعن عن سوقهن[2] قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد الله بن جبير: عهد إليَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلمَّا أَبَوْا؛ صُرِف وجوهُهم، فأصيب سبعون قتيلًا[3].

وأعطى اللواء مصعب بن عمير؛ وجعل على إحدى المجنبتين: الزبير بن العوام، وعلى المجنبة الأخرى: المنذر بن عمرو؛ المعنق ليموت[4].

---

(١) يُسْرِعْنَ المشي.

(٢) ظهرت سيقانهن.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٤٣).

(٤) هذا لقبه، وهو صحابي مشهور، أنصاري خزرجي، شهد العقبة، وكان من النقباء، شهد بدرًا وأحدًا، واستشهد يوم بئر معونة.

وتعبَّأت قريش -أيضًا- وهم في ثلاثة آلاف؛ فيهم مئتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل.

فكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزموا راجعين؛ حتى وصلوا إلى نسائهم.

فلما رأى ذلك أصحاب عبد الله بن جبير؛ قالوا: يا قوم! الغنيمة الغنيمة!

فذكَّرهم عبد الله بن جبير تقديم[1] رسول الله ﷺ إليهم في ذلك، فظنُّوا أن ليس للمشركين رجعة، وأنّهم لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فذهبوا في طلب الغنيمة.

وكرَّ الفرسان من المشركين؛ فوجدوا تلك الفرجة قد خلت من الرماة؛ فجاوزوها، وتمكّنوا، وأقبل آخرهم، فكان ما أراد الله كونه، فاستشهد من أكرم الله بالشهادة من المؤمنين، فَقُتِلَ جماعة من أفاضل الصحابة، وتولّى أكثرهم.

وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ، فَجُرِحَ في وجهه الكريم، وكُسِرَت رباعيته اليمنى السفلى بِحَجَرٍ، وهُشمت البيضة على رأسه الشريف.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنه سئل عن جرح النَّبيِّ ﷺ يوم أحد. فقال: جرح وجه النَّبيّ ﷺ، وكسرت رباعيته، وهمشت البيضة على رأسه، فكا نت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدَّم وعليٌّ رضي الله عنه يمسك؛ فلما رأت أن الدَّم لا يرتد إلا كثرة؛ أخذت حصيرًا؛ فأحرقته حتى صار رمادًا؛ ألزقته؛ فاستمسك الدَّم[2].

وقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه بين يديه، فدفع ﷺ اللِّواء إلى عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عن خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه؛ قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومِنَّا مَن مضى -أو ذهب- لم يأكل من أجره شيئًا؛ كان منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة؛ كنَّا إذا اغطينا بها رأسه خرجت

---

(١) عهد رسول الله ﷺ بعدم النزول مهما كانت النتيجة.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٠).

جبل الرماة، ومن خلفه جبل أحد



رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النَّبيُّ ﷺ: «**غطُّوا بها رأسه، واجعلوا على رجله الإذخر**»، أو قال: «**ألقوا على رجله من الإذخر**»، ومنَّا من أينعت له ثمرته؛ فهو يَهدِبُها[1].

وأدرك المشركون رسول الله ﷺ، فحال دونه نفر من المسلمين؛ فقتلوا:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه؛ قال: «**من يردَّهم عنَّا وله الجنَّة، أو: هو رفيقي في الجنَّة؟**»، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا، فقال: «**من يردّهم عنَّا وله الجنَّة، أو: هو رفيقي في الجنة؟**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما انصفنا أصحابنا**»[2].

ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: لما كان يوم أحد، وولّى الناس، كان رسول الله

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٤٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٨٩).

ﷺ في ناحية في إثني عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**من للقوم؟**»، قال: طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**»، فقال رجل: أنا، قال: «**أنت**»، فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «**من لهم؟**»، قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**»؛ فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبيِّ الله: طلحة، فقال: «**من للقوم؟**»، قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قُطعت أصابعه؛ فقال: حسس، فقال: رسول الله ﷺ: «**لو قلت: باسم الله؛ لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**»، ثم ردَّ الله المشركين[1].

وأراد ﷺ أن يعلو صخرة هناك، فلم يستطع؛ لما به ﷺ، ولأنه ظاهر يومئذ بين درعين، فجلس طلحة تحته حتى صعدها؛ فقال رسول الله ﷺ عندئذ: «**أوجب طلحة**»[2].

وحانت الصلاة؛ فصلَّى بهم جالسًا.

ثم مال المشركون إلى رحالهم، ثم استقبلوا طريق مكة منصرفين إليها.

واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين[3]، فدفنهم في دمائهم وكلومهم، ولم يُصلِّ عليهم يومئذ[4].

وقد ذكر -سبحانه- هذه الوقعة في سورة آل عمران؛ حيث يقول: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢١].

○ ○ ○

---

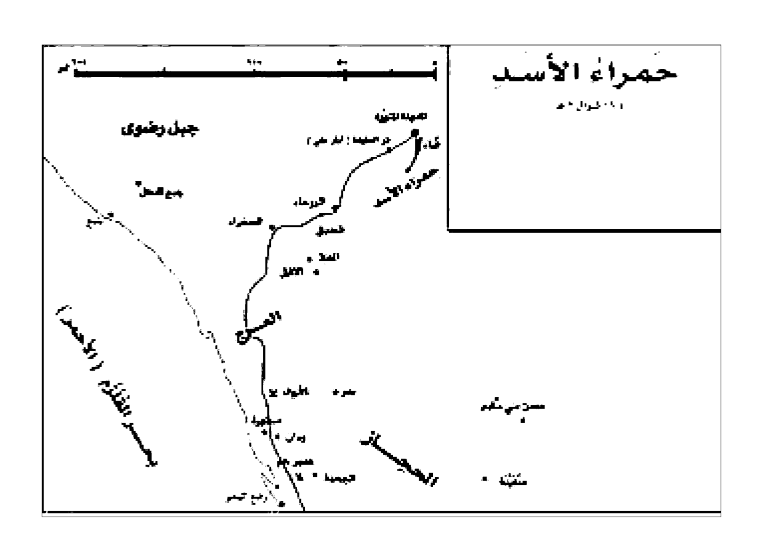
(١) **صحيح** - أخرجه النسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٩-٣٠)، و«السنن الكبرى» (٤٣٤٢).

(٢) **حسن** - أخرجه الترمذي (١٦٩٢ و٣٧٣٨)، وابن حبان (٦٩٧٩)، والحاكم (٣/ ٢٥ و٣٧٣-٣٧٤)، والبيهقي (٦/ ٣٧٠ و٩/ ٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٩١٥) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٣٤٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.





غزوة حمراء الأسد

ولما أصبح يوم أُحُدٍ؛ ندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى النهوض في طلب العدوِّ؛ إرهابًا لهم، وهذه غزوة حمراء الأسد[1].

فنهض المسلمون كما أمرهم ﷺ، وهم مثقلون بالجراح، حتى بلغ حمراء الأسد؛ فذلك قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢]:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت لعروة: يا ابن أختي! كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر؛ لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد؛ وانصرف عنه المشركون؛ خاف أن يرجعوا، قال: «**من يذهب في إثرهم؟**»، فانتدب منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير[2].

فَفَتَّ ذلك في أعضاد قريش، وكانوا أرادوا الرُّجوع إلى المدينة؛ فثناهم ذلك، واستمروا راجعين إلى مكة.

○ ○ ○

(١) موضع على طريق المدينة إلى مكة؛ يبعد عن المدينة النبوية ثمانية أميال.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).



بعث الرجيع

ثم بعث ﷺ بعد أُحُد بعث الرَّجيع، وكان ذلك في صفر من السنة الرابعة؛ فبعث عشرة نفر من أصحابه ﵃:

عن أبي هريرة ﵁؛ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جدّ عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدَّة بين عسفان ومكة، ذُكِروا لحيٍّ من هذيل؛ يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام؛ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه.

فقالوا: تمر يثرب؛ فاتَّبعوا آثارهم، فلما أحسَّ بهم عاصم وأصحابه؛ لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم؛ فقالوا لهم: انزلوا فاعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق: أن لا نقتل منكم أحدًا.

فقال عاصم بن ثابت: أيُّها القوم! أمَّا أنا فلا أنزل في ذمَّة كافر.. ثم قال: اللَّهم أخبر عنّا نبيَّك ﷺ، فرموهم بالنَّبل؛ فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق؛ منهم: خُبَيْبٌ وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمسكوا منهم أطلقوا أوتار قِسيِّهم؛ فربطوهم بها.

قال الرجل الثالث: هذا أوَّل الغدر، والله! لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة -يريد القتلى-: فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم؛ فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وزيد


البحر المتوسط
صحراء النفود الكبرى
مؤتة
القدس
البتراء
القلزم
أيلة
دومة الجندل
تبوك
تيماء
تميم
أسد طيء
الوجه
الطرف
خضرة
الخبط
القابة
ذو القصة
بئر معونة
بنو سليم
رابغ
عسفان
عرنة
مكة
جدة
الطائف
هوازن
تربة
خثعم
بيشة
النوبة
نجران
صعدة
همدان
صنعاء
سرية الرَّجيع
صفر ٣ هـ

ابن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا -وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر-. فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحِدُّ بها، فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجْلِسَهُ على فخده والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله! ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله! لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة.

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم؛ ليقتلوه في الحلِّ، قال لهم خبيب: دعوني أصلِّي ركعتين. فتركوه، فركع ركعتين، فقال: والله! لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع؛ لزدت -ثم قال- اللَّهم أحصهم عَدَدًا، وأقتلهم بَدَدًا، ولا تُبقِ منهم أحدًا. ثم أنشأ يقول:

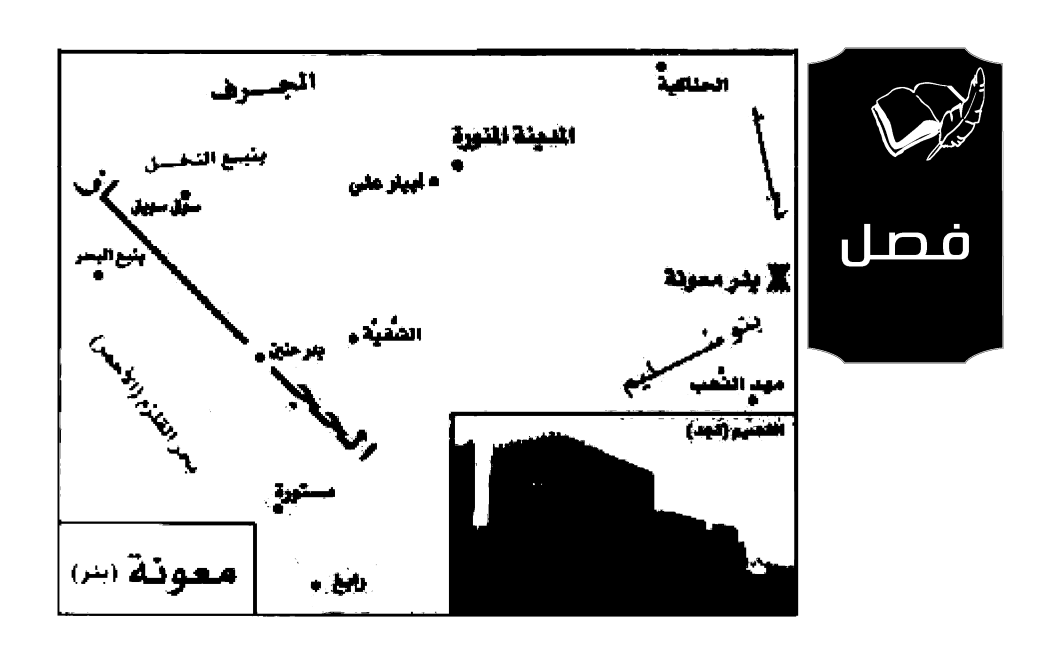
فَلَسْتُ أبالي حين أقتلُ مسلـمًا	على أيِّ جنبٍ كان لله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشَأ	يُبارِكُ على أوصالِ شِلْوٍ مُـمَزَّعِ

ثم قام إليه أبو سَرْوَعَةَ عقبة بن الحارث؛ فقتله.

وكان خُبَيْبُ سنَّ لكلِّ مسلم قُتل صبرًا: «الصلاة»، وأخبر -يعني: النَّبيَّ ﷺ- أصحابه يوم أُصيبوا خبرهم، وبعث ناسًا من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدَّثوا أنه قتل أن يَؤتوا بشيء منه يُعرف -وكان قتل رجلًا عظيمًا من عظمائهم- فبعث الله لعاصم مثل الظُّلَّة من الدُّبر؛ فَحَمَتْهُ من رُسُلِهِم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا[1].

○ ○ ○

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٣٠٤٥ و٣٩٨٩ و٤٠٨٦).



بعث بئر معونة[1]

وفي صفر هذا: بعث إلى بئر معونة: سبعين رجلًا وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة، وكانوا من فضلاء المسلمين وسادتهم وقرَّائهم:

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: إن رِعْلًا وذَكْوَان وعُصَيَّة وبني لِحْيان: استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ، فأمدَّهم بسبعين من الأنصار كنا نسمِّيهم: القُرَّاء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار، ويُصَلُّون باللَّيل؛ حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ؛ فقنَتَ شهرًا يدعو في الصبح على أحياءٍ مِن أحياء العرب، على رعل وذكوان وعصيَّة وبني لحيان[2].

وعنه رضي الله عنه؛ قال: جاء ناس إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فقالوا: أن ابعث معنا رجالًا يُعلِّمونا القرآن والسُّنَّة، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار؛ يقال لهم: القراء؛ فيهم خالي

(١) بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم، وهي من جهات نجد، على أربع مراحل من المدينة النبوية.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧).

حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون باللَّيل يتعلَّمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء؛ فيضعونه في المسجد، ويحتطبون؛ فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة وللفقراء، فبعثهم النَّبيُّ ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلِّغ عنّا نبيَّنا: أنا قد لقيناك؛ فرضينا عنك، ورضيت عنَّا، قال: وأتى رجل حرامًا -خال أنس- من خلفه فطعنه برمحٍ حتى أنقذه، فقال حرام: فزتُ وربِّ الكعبة! فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إن إخوانكم قد قتلوا، وإنَّهم قالوا: اللهمَّ! بلِّغ عنَّا نبيَّنا: أنا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنَّا**»[1].

فلما نزل القرَّاء بئر معونة بعثوا منها حرام بن ملحان -أخا أم سليم- بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه؛ وأمر به فقتله؛ ضربه رجل بحربة، فلما خرج الدم؛ قال: فزت ورب الكعبة[2].

واستنفر عدوُّ الله عامر: بني عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه؛ فاستنفر بني سليم؛ فأجابته عُصَيَّةُ وَرِعْل وَذَكْوان، فأحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم ﷺ؛ إلا كعب بن زيد، من بني النجار؛ فإنه ارْتُث[3] من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة في سرح المسلمين؛ فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر بن محمد هذا؛ فقاتل المشركين حتى قُتل مع أصحابه، وأُسِرَ عمرو بن أمية، فلما أخبر أنه من مضر؛ جزَّ عامرٌ ناصيته، وأعتقه -فيما زعم- عن رقبةٍ كانت على أمِّه!

وقنَتَ رسولُ الله ﷺ شهرًا يدعو على الذين قَتلوا القُرَّاء؛ أصحاب بئر معونة:

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٦٧٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧) -مختصرًا-.

(٣) حمل من أرض المعركة وهو جريح.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: قنَتَ رسول الله ﷺ شهرًا متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح، في دُبر كلِّ صلاة، إذا قال: «سمع الله لمن حمده» من الركعة الأخيرة؛ يدعو على أحياء من بني سليم، على رِعْلٍ، وذكوان، وعصيَّة، ويُؤَمِّنُ مَن خلفه[1].

○ ○ ○

(١) حسن – أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠١)، وأبو داود (١٤٤٣).



فصل

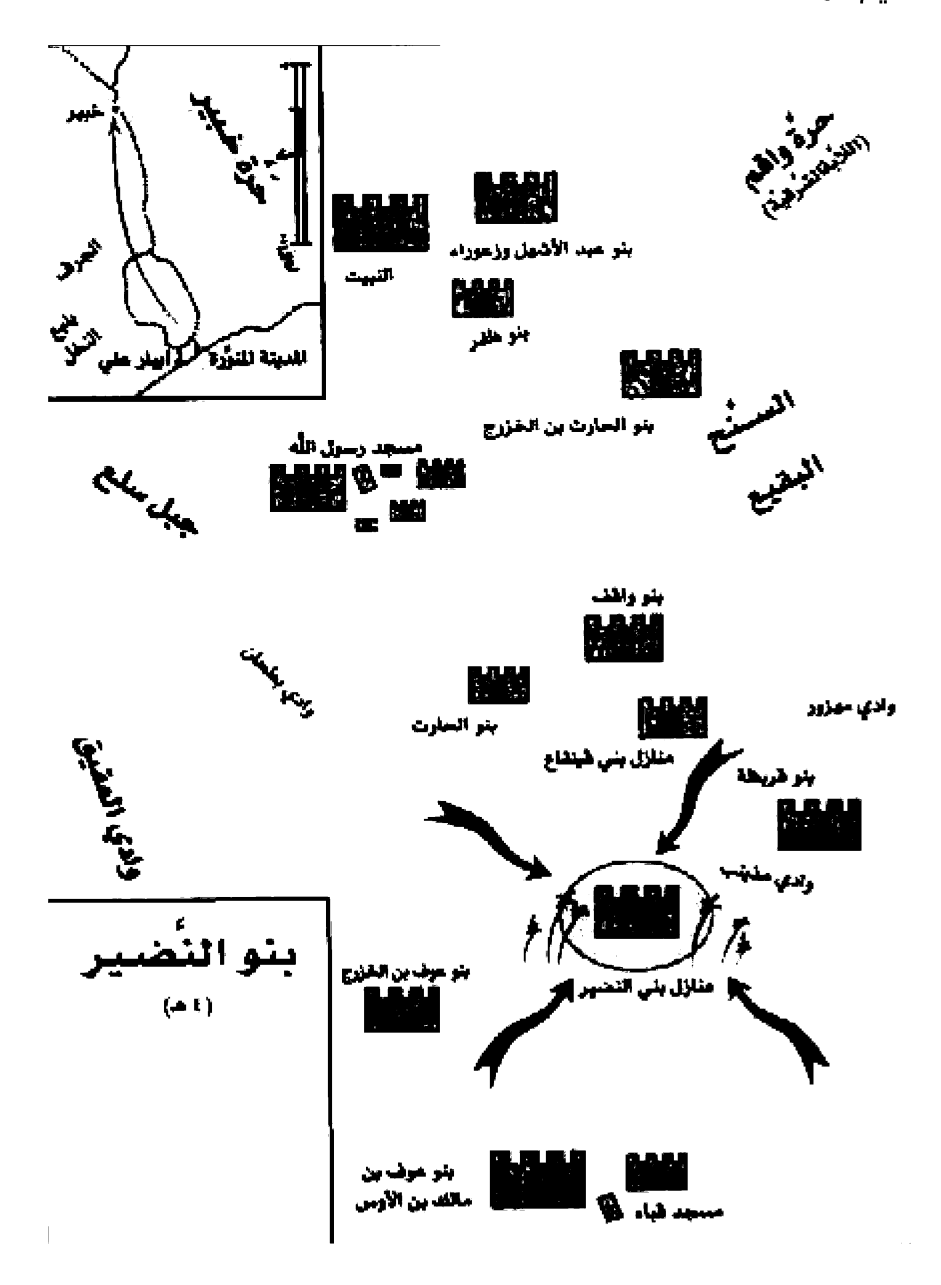
غزوة بني النَّضير[1]

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: أنَّ كفَّار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنَّكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنا نقسم بالله لتقتلنَّه أو لتخرجنَّه، أو لنستعن عليكم العرب، ثم لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتليكم، ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك ابن أُبيٍّ ومعه من معه من عبدة الأوثان، تراسلوا، فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فلقيهم في جماعة، فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم**»، فلما سمعوا ذلك من النَّبيِّ ﷺ تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفَّار قريش، وكانت وقعة بدر، فكتبت كفَّار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنَّكم أهل الحلقة[2] والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلنَّ كذا وكذا،

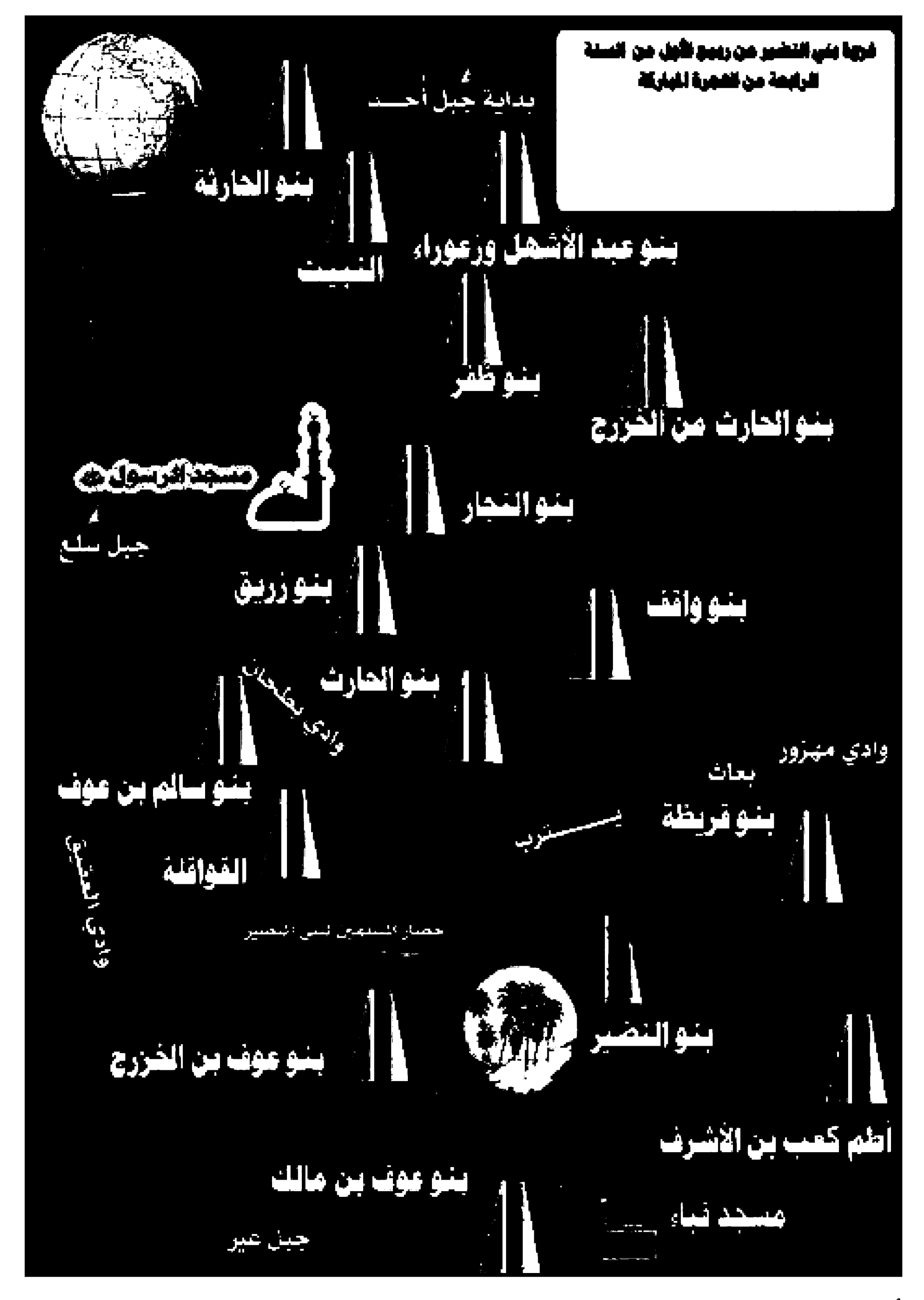
---

(١) قبيلة يهودية سكنت المدينة النبوية قبل البعثة، ثم أجلاهم رسول الله ﷺ بسبب غدرهم وتحالفهم مع قريش.

(٢) أهل الحرب والسلاح.



ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء -وهو الخلاخل- فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النَّضير على الغدر، فأرسلت إلى النَّبيِّ ﷺ: أُخرج إلينا في ثلاثين رجلًا من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرًا، حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإذا صدَّقوك وآمنوا بك؛ آمنَّا كلُّنا. فخرج النَّبيُّ ﷺ في ثلاثين من



أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرًا من يهود؛ قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلًا من أصحابه، كلّهم يحبُّ أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف

تفهم ونفهم، ونحن ستون رجلًا؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك؛ آمنَّا كلُّنا وصدَّقناك.

فخرج النَّبيُّ ﷺ في ثلاثة نفرٍ من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ؛ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النَّضير إلى بني أخيها -وهو رجل مسلم من الأنصار-، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النَّضير من الغدر برسول الله ﷺ؛ فأقبل أخوها سريعًا، حتى أدرك النَّبيَّ ﷺ، فسارَّ بخبرهم، قبل أن يصل النَّبيُّ ﷺ إليهم، فرجع النَّبيُّ ﷺ.

فلمَّا كان من الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم، وقال لهم: «**إنَّكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه**»، فأبوا أن يعطوه عهدًا، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون.

ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم.

وغدا على بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أنَّ لهم ما أقلَّت الإبل؛ إلا الحلقة، فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلَّت إبل منهم من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها؛ فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر النَّاس إلى الشَّام.

وكان بنو النضير من سبطٍ من أسباط بني إسرائيل، لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني اسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذَّبهم في الدنيا كما عُذِّبت بنو قريظة، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ حتى بلغ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ١-٦]، وكانت نخل بني النضير لرسول الله خاصة، فأعطاه الله إياها، وخصَّه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]؛ يقول:

بغير قتال، قال: فأعطى النَّبيُّ ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسَّمها بينهم، ولرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ في يد بني فاطمة[1].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أنه قال: «حرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النَّضير وقطع؛ وهي: البويرة؛ فنزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾».

قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

قال: فأجابه ابو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنـــزه وتعلم أي أرضيـنا تضير[2]

فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويحقن دماءهم؛ على أن لهم ما حملت إبلهم غير السلاح، فأجابهم إلى ذلك.

فتحمَّل أكابرهم؛ كحييِّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، بأهليهم وأموالهم إلى خيبر؛ فدانت لهم، وذهبت طائفة منهم إلى الشام.

ولم يُسْلِم منهم إلا رجلان؛ وهما: أبو سعد بن وهب، ويامين بن عمير بن كعب -وكان قد جعل لمن قتل ابن عمه عمرو بن جحاش جعلًا؛ لما كان قد هَمَّ به من الفتك برسول الله ﷺ-؛ فأحرزا أموالهما.

وقسَّم رسول الله ﷺ أموال الباقين بين المهاجرين الأولين خاصة؛ إلا أنه أعطى

---

(١) **صحيح** - أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٣)، وأبو داود (٣٠٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٣١ و٤٠٣٢)، ومسلم (١٧٤٦).

أبا دجانة وسهل بن حنيف الأنصاريين؛ لفقرهما.

وقد كانت أموالهم مما أفاء الله على رسوله، فلم يوجف المسلمون بخيل ولا ركاب(١).

وفي هذه الغزوة أنزل الله -سبحانه- سورة الحشر(٢).

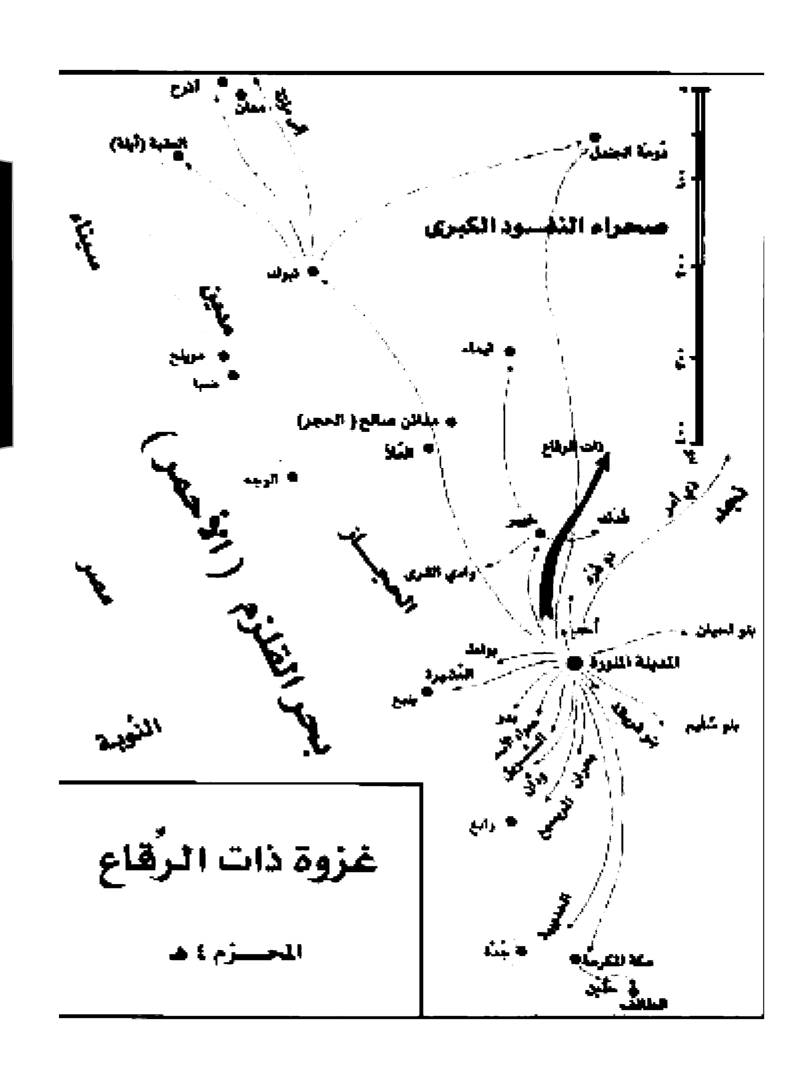
وقد كان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يسميها: سورة بني النضير(٣).

○ ○ ○

(١) أي: بغير قتال ولا حرب ولا مشقة، ومشوا إليها مشيًا؛ فلم يركبوا خيلاً ولا إبلاً؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر:٦].

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٨٨٣)، ومسلم (٣٠٣١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٢٩).



غزوة ذات الرِّقاع

وهي: غزوة نجد.

فخرج رسول الله ﷺ يريد محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، فسار حتى بلغ نخلًا [1]، فلقي جمعًا من غطفان، فتوقفوا، ولم يكن بينهم قتال؛ إلا أنه صلَّى يومئذ صلاة الخوف.

ويؤيد ذلك: أن أبا موسى الأشعري؛ وأبا هريرة رضي الله عنهما شهداها.

---

(١) منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، قِبَل نجد من أرض غطفان، مذكور في غزوة ذات الرقاع.

أمَّا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه؛ فعنه: أنَّه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنَّهم كانوا يلفون على أرجلهم الخِرَق لمَّا نقُبت[1]؛ فسُمِّيت بذلك[2].

وأما أبو هريرة رضي الله عنه؛ فعن مروان بن الحكم؛ أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد... وذكر صِفةً مِن صفات صلاة الخوف[3].

ومن الحوادث التي وقعت في هذه الغزوة: حديث غورث بن الحارث الذي هَمَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو قائل تحت الشجرة-؛ فاستلَّ سيفه وأراد ضربه، فصده الله عنه، وحُبستْ يده، واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه، فدعا أصحابه؛ فاجتمعوا إليه، فأخبرهم عنه، وما هَمَّ به غورث من قتله، ومع هذا كلِّه أطلقه وعفا عنه صلى الله عليه وسلم[4].

○ ○ ○

---

(١) رقت وتخرقت لمشيهم حفاة.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٠)، وأبو داود في «سننه» (١٢٤٠ و١٢٤١)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٧٣)، و«السنن الكبرى» (١٩٤٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٦١ و١٣٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٣٨-٣٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٦٤)، عن مروان بن الحكم به.

(٤) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٦٤-٣٦٥ و٣٩٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه به.



بدر الموعد

وقد كان أبو سفيان يوم أُحد عند منصرفه نادى: موعدكم وإيانا بدر العام المقبل. فأمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه أن يجيبه: بنعم، فلما كان شعبان من هذه السنة؛ نهض رسول الله ﷺ حتى أتى بدرًا للموعد، واستخلف على المدينة عبد الله بن عبدالله ابن أبيٍّ، فأقام هنالك ثماني ليال ثم رجع، ولم يلق كيدًا، وذلك أن أبا سفيان خرج بقريش، فلما كان ببعض الطريق؛ بدا لهم الرجوع؛ لأجل جدب سنتهم، فرجعوا.

وهذه الغزوة تسمى: بدرًا الثالثة، وبدر الموعد.

○ ○ ○



غزوة دُومة الجَنْدَل

ربيع الأول ٥ هـ

غزوة دومة الجندل[1]

وخرج ﷺ إلى دومة الجَنْدل في ربيع الأول من سنة خمس، ثم رجع في أثناء الطريق، ولم يلق حربًا، وكان استعمل على المدينة سباع بن عرفطة.

○ ○ ○

(١) على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، وهي المسماة -الآن- الجوف، شمال تيماء على بعد (٤٥٠) كم.



فصل

غزوة الخندق[1]

وهي غزوة الأحزاب التي ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم، وثبَّت الإيمان في قلوب أوليائه، وأظهر ما كان يبطنه أهل النِّفاق، وفضحهم، وقرَّعهم، ثم أنزل نصره، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعزَّ جنده، وردَّ الكفرة بغيظهم، ووقى المؤمنين شرَّ كيدهم، وذلك بفضله ومَنِّه.

وحرَّم عليهم شرعًا وقدرًا أن يغزوا المؤمنين بعدها:

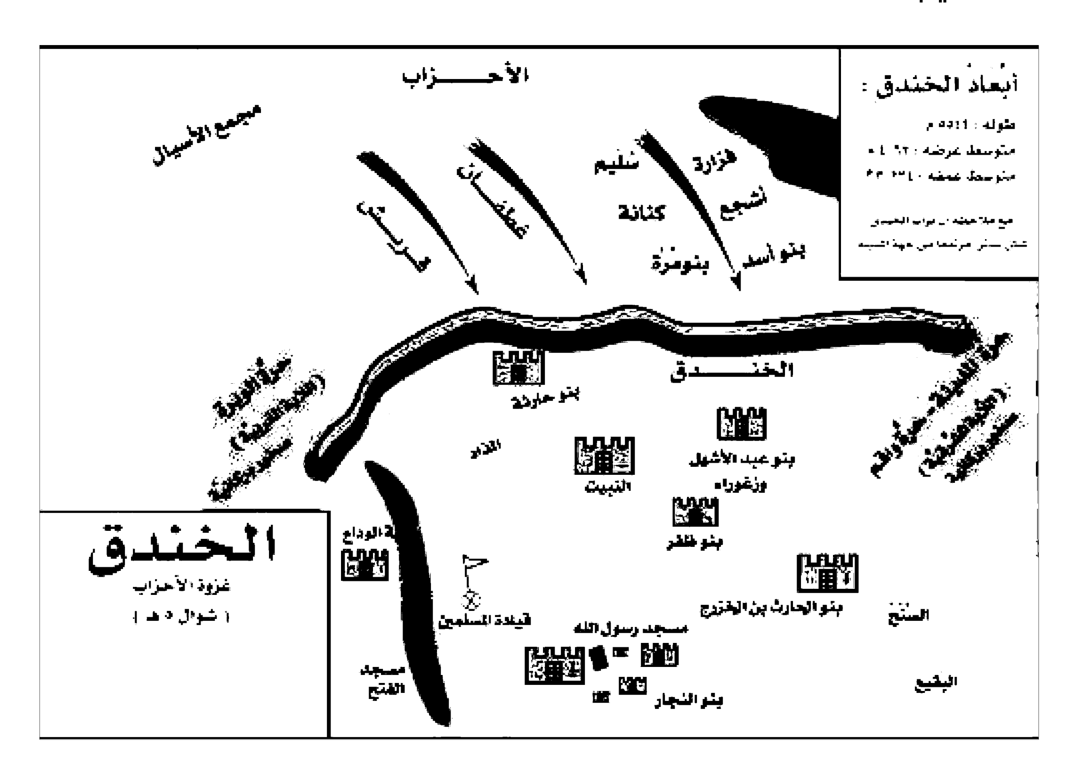
عن سليمان بن صرد رضي الله عنه؛ قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول -حين أجلى الأحزاب عنه-: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا؛ نحن نسير إليهم**»[2].

بل جعلهم المغلوبين، وجعل حزبه هم الغالبين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في «صحيح البخاري» (كتاب المغازي - ٣٠ - باب غزوة الخندق؛ وهي: الأحزاب).
قال الحافظ في «الفتح»: «اسمان، والأحزاب: جمع حزب؛ أي: طائفة:
فأما تسميتها: الخندق؛ فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه.
وأما تسميتها: الأحزاب؛ فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم.
وقد أنزل الله -تعالى- في هذه القصة صدر سورة الأحزاب».

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٠٩ و٤١١٠).



وكانت في سنة خمس، في شوالها على الصحيح من قولي أهل المغازي والسير.

وكان سبب غزوة الخندق: أن نفرًا من يهود بني النَّضير الذين أجلاهم ﷺ من المدينة إلى خيبر- كما قدمنا، وهم أشرافهم: كسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وغيرهم- خرجوا إلى قريش بمكة، فألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسهم النَّصر، فأجابوهم، ثم خرجوا إلى غطفان، فدعوهم، فاستجابوا -أيضًا-، وخرجت قريش وقائدهم: أبو سفيان بن حرب، وعلى غطفان: عيينة بن حصن، كلّهم في نحو عشرة آلاف رجل.

فلمَّا سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه؛ أمر المسلمين بحفر خندق يحول بين المشركين وبين المدينة[1]، فعمل المسلمون فيه مبادرين هجوم الكفار عليهم.

---

(١) اشتهر في كتب السير: أن الذي أشار بحفر الخندق؛ هو: سلمان الفارسي ﷺ؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك في بلاد فارس، وهذا لا يصح سنده!!

عن أنس ﷺ؛ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق؛ فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصب والجوع؛ قال:

«اللهمَّ إنَّ العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة».

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

وفي روايةٍ: قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الإسلام ما بقينا أبدًا

قال: يقول النَّبيُّ ﷺ وهو يجيبهم:

«اللهم أنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة»

قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة[1] سنخ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق، ولها ريح منتن[2].

وعن البراء بن عازب ﷺ؛ قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب؛ يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل سكينةً علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

---

(١) الدهن الذي يؤدم به، سواء كان زيتًا، أو سمنًا، أو لحماً.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٩٩ و٤١٠٠)، ومسلم (١٨٠٥).





قال: ثم يمدّ صوته بآخرها[١].

وكانت في حفره آيات مفصلة، وأعلام نبوَّةٍ قد تواتر خبرها:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول؛ فاشتكينا إلى رسول الله؛ فجاءنا فأخذ المعول؛ فقال: «**بسم الله**»، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: «**الله أكبر؛ أعطيت مفاتيح الشام، والله إنِّي لأبصر قصورها الحمر الساعة**»، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال: «**الله أكبر؛ أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن أبيض**»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «**بسم الله**»؛ فقطع بقية الحجر فقال: «**الله أكبر؛ أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة**»[٢].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق.

وأصحابه قد شدّوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «**هل دللتم على أحد يطعمنا أكلة؟**»، قال رجل: نعم. قال: «**أما لا؛ فتقدم، فدلنا عليه**»، فانطلقوا إلى رجل؛ فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه فيه، فأرسلت إليه

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٠٤ و٤١٠٦)، ومسلم (١٨٠٣).

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٠٣)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤١٧).

امرأته: أن جيىء؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا؛ فجاء الرجل يسعى.

فقال: بأبي بأمي، وله مِعزَةٌ وجَدْيُها؛ فوثب إليها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**الجدي من ورائنا**»؛ فذبح الجدي، وعمدت امرأته إلى طحينة لها؛ فعجنتها، وخبزت، وأدركت وتردت، فقرَّبتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابة، فوضع النَّبيُّ ﷺ أصبعه فيها، فقال: «**بسم الله، اللهم بارك فيها! اللهم بارك فيها! اطعموا**»؛ فأكلوا منه حتى صدروا، ولم يأكلوا ثلثها وبقي ثلثاها، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أنِ اذهبوا، وسرِّحوا إلينا نغديكم، فذهبوا وجاء أولئك العشرة مكانه، فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام، ودعا لربة البيت وسمَّتَ[٣] عليها وعلى أهلها، ثم مشوا إلى الخندق، فقالوا: اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال النَّبيُّ لأصحابه: «**دعوني؛ فأكون أول من ضربها -فقال- بسم الله**»؛ فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال: «**الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة**»، ثم ضرب أخرى؛ فوقعت فلقة، فقال: «**الله أكبر، قصور فارس ورب الكعبة**»، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق، وهو يعدنا قصور فارس والروم[٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: لما حفر الخندق رأيت برسول الله خمصًا[٥]؛ فانكفأتُ[٦] إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله خمصًا شديدًا، فأخرجت لي جرابًا[٧] فيه صاع من شعير، ولنا بهيمه[٨] داجن[٩]، قال: فذبحتها، وطحنت، ففزعت إلى فراغي، فقطَّعتها في برمتها، ثم ولَّيت إلى رسول

---

(٣) دعا لها.

(٤) **صحيح** - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٧٦/ ١٢٠٥٢).

(٥) خلاء البطن من الطعام.

(٦) فرجعت وانقلبت.

(٧) الوعاء من الجلد.

(٨) السخلة الصغيرة من ولاد المعز.

(٩) ما ألف البيت.

الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ومن معه، قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ، قال: «**يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سورًا**[1]**؛ فحيهلا بكم**».

وقال رسول الله: «**لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزنَّ عجينتكم؛ حتى أجيء**»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم النَّاس، حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك[2]، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي. فأخرجت له عجينتنا؛ فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى بُرمتنا؛ فبصق فيه وبارك، ثم قال: «**ادعي خابزة؛ فلتخبز معك، واقدحي في برمتكم**[3] **ولا تنزلوها**»، وهم ألف، فأقسم بالله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا[4]، وإن برمتنا لتغطُّ[5] كما هي، وإن عجينتنا -أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو[6].

فلما كَمُلَ؛ قَدِم المشركون، فنزلوا حول المدينة؛ كما قال تعالى: ﴿**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ [الأحزاب:١٠].

عن عائشة رضي الله عنها عندما ذكرت الآية؛ قالت: كان ذاك يوم الخندق[7].

وخرج رسول الله ﷺ، فتحصَّن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف من أهل المدينة.

فجعلوا ظهورهم إلى سلع[8]، وأمر ﷺ بالنِّساء والذَّراري؛ فجعلوا في آطام[9]

---

(١) الطعام الذي يدعي إليه.

(٢) ذمَّته ودعت عليه.

(٣) أغرفي.

(٤) شبعوا وانصرفوا.

(٥) تغلي ويسمع غليانها.

(٦) أخرجه البخاري (٤١٠١ و٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٧) أخرجه البخاري (٤١٠٣).

(٨) جبل بسوق المدينة.

(٩) الآطام: الحصون، واحدها: أُطم.



منحدر جبل سلع

المدينة، واستخلف عليها ابن أم مكتوم ﵁.

وانطلق حييٌّ بن أخطب النَّضري إلى بني قريظة، فاجتمع بكعب بن أسد رئيسهم، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ، مالأ كعب المشركين على حرب رسول الله ﷺ؛ فَسُرُّوا بذلك.

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وخوّات بن جبير، وعبد الله بن رواحة؛ ليعرفوا له: هل نقض بنو قريظة العهد أم لا؟ فلما قربوا منهم؛ وجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر، فتسابّوا، ونال اليهود -عليهم لعائن الله- من رسول الله ﷺ؛ فسبَّهم سعد بن معاذ، وانصرفوا عنهم.

وقد أمرهم ﷺ إن كانوا قد نقضوا أن لا يفتّوا ذلك في أعضاد المسلمين؛ لئلا يورث وهنًا، وأن يلحنوا إليه لحنًا -أي: لغزًا-، فلما قدموا عليه؛ قال: «**ما وراءكم؟**»، قالوا: عضل والقارة؛ يعنون: غدرهم بأصحاب الرجيع، فعظم ذلك على المسلمين، واشتدَّ الأمر، وعظم الخطر، وكانوا كما قال الله -تعالى-: ﴿**هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب:١١].

ونَجَم النفاق وكثر، واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذَّهاب إلى المدينة؛ لأجل بيوتهم؛ قالوا: إنها عورة، وليس بين العدو وبينها حائل. وهمَّ بنو سلمة بالفشل، ثم ثبَّت الله كلتا الطائفتين.

ولبث المشركون محاصِرين رسول الله ﷺ شهرًا، ولم يكن بينهم قتال؛ لأجل ما حال الله به من الخندق بينه وبينهم.

إلا أنَّ فوارس من قريش؛ منهم: عمرو بن عبد ودٍّ العامري، وجماعة معه؛ أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه؛ قالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم تيمّموا مكانًا ضيقًا من الخندق، فاقتحموه وجازوه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع، ودعوا للبراز؛ فانتدب لعمرو بن عبد ودٍّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان عمرو لا يجارى في الجاهلية شجاعة، وكان شيخًا قد جاوز المئة يومئذ.

وأما الباقون؛ فينطلقون راجعين إلى قومهم من حيث جاؤوا، وكان هذا أوَّل ما فتح الله به من خذلانهم.

وكان شعار المسلمين تلك الغزوة: حم، لا ينصرون[1].

أرسل الله -عزَّ وجلَّ- على قريش ومن معهم الخَوَر[2] والرِّيح تزلزلهم؛ فجعلوا لا يقرُّ لهم قرار، ولا تثبت لهم خيمة ولا طنب[3] ولا قِدْرٌ ولا شيء، فلما رأوا ذلك؛ ترحلوا من ليلتهم تلك.

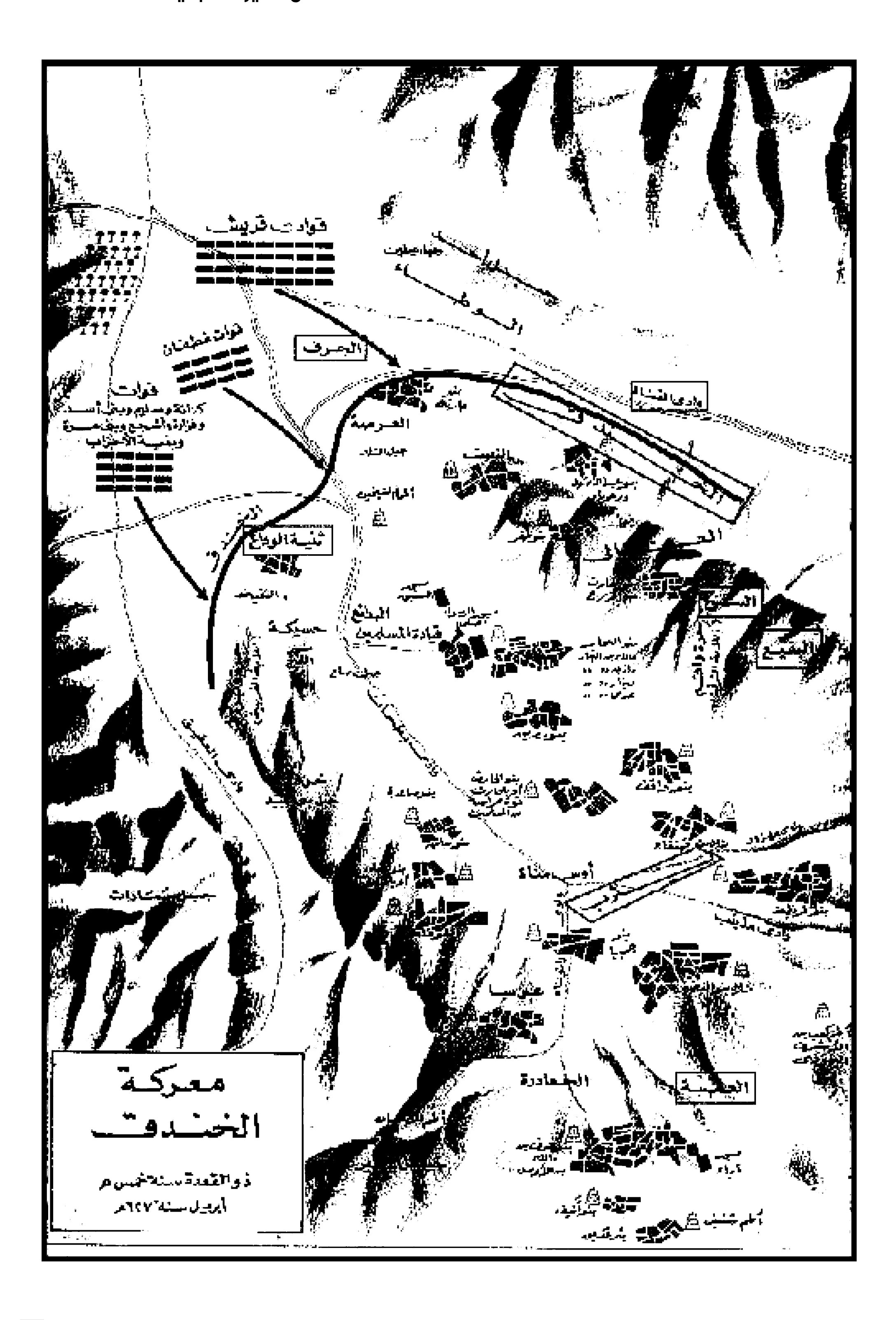
---

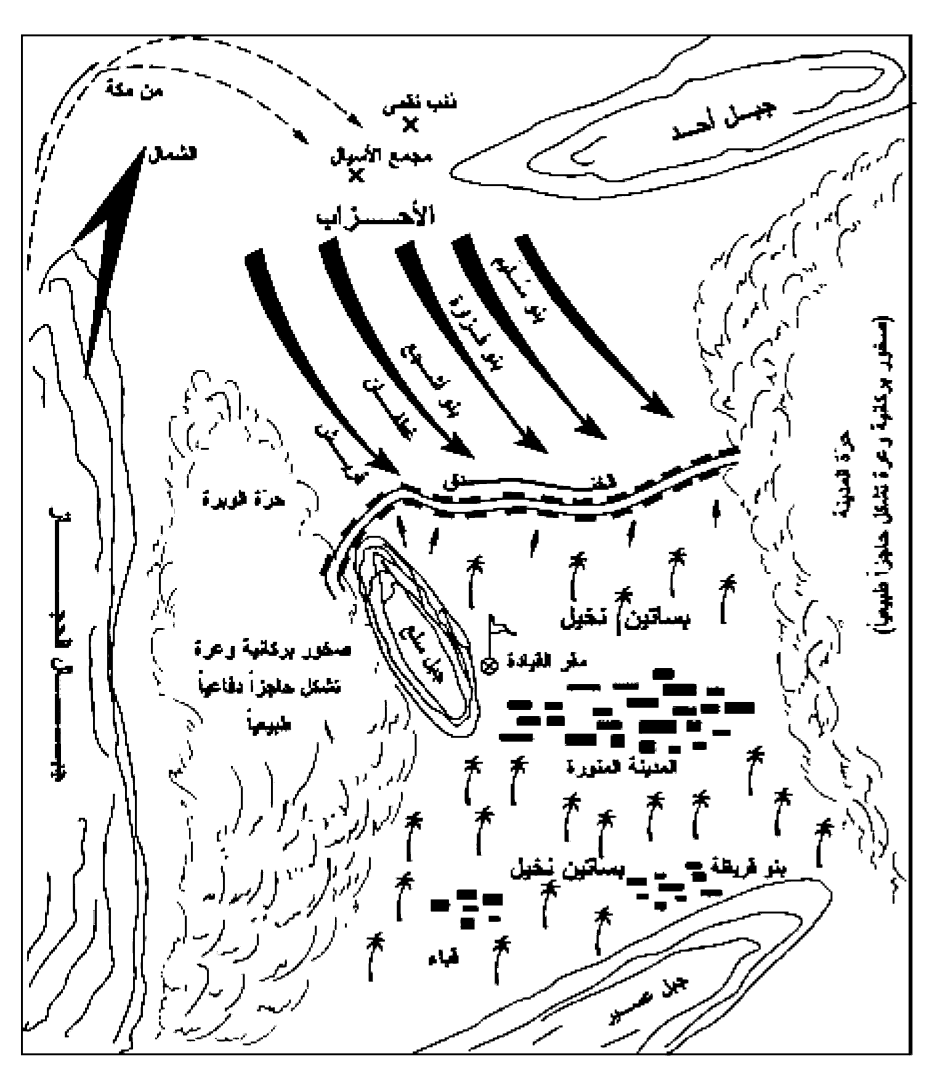
(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود في «سننه» (٢٥٩٧)، والترمذي في «سننه» (١٦٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٧) -ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦١-٣٦٢)-، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ به.

قلت: وهذا إسناد صحيح، وجهالة الصحابي لا تضرُّ كما هو معلوم.

(٢) المراد: الضعف والوهن.

(٣) حبل يشدّ به الخباء والسّرادِق ونحوها.


قوات قريش
قوات غطفان
الجرف
ثنية الوداع
البقيع
معركة
الخندق
ذو القعدة سنة خمس هـ
أبريل سنة ٦٢٧م



وأرسل ﷺ حذيفة بن اليمان يخبر له خبرهم.

عن يزيد التيمي، قال: كنَّا عند حذيفة فقال رجلٌ: لو أدركتُ رسولَ الله ﷺ قاتلت معه وأَبْلَيت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلةَ الأحزاب، وأخذتنا ريحٌ شديدة وقرٌّ[1]، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله اللهُ معي يوم القيامة؟**»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟**»، فسكتنا فلم يُجبه منَّا أحدٌ،

(١) برد.

ثم قال: «**ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟**»، فسكتنا فلم يجبه منَّا أحدٌ، فقال: «**قم يا حذيفة! فأتنا بخبر القوم**»، فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «**اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم عليَّ**»، فلما ولَّيت من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حَمَّام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يَصلِي ظهره بالنار[1]، فوضعت سهمًا في كبد القوس، فأردتُ أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «**ولا تذعرهم عليَّ**»، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحَمَّام، فلمَّا أتيتُه فأخبرته بخبر القوم، وفَرَغت؛ قُرِرْتُ[2]، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يُصلِّي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت، فلما أصبحت، قال: «**قم يا نومان!**[3]»[4].

○ ○ ○

(١) يدفئه ويدنيه من النار.

(٢) أي: بردت.

(٣) أي: كثير النوم.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٨٨) (٩٩).



غزوة بني قريظة[1]

فلما أصبح رسول الله ﷺ؛ غدا إلى المدينة، وقدوضع الناس السلاح، فجاء جبريل -عليه السَّلام- إلى رسول الله ﷺ و هو يغتسل في بيت أم سلمة؛ فأمره بالنفير إلى بني قريظة:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: لما رجع النَّبيُّ ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام؛ فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه؛ فاخرج إليهم، قال: «**فإلى أين؟**»، قال: ههنا، وأشار إلى قريظة، فخرج النَّبيُّ ﷺ إليهم[2].

فنهض رسول الله ﷺ من وقته إليهم، وأمر المسلمين أن لا يصلي أحد صلاة العصر -وقد كان دخل وقتها- إلا في بني قريظة.

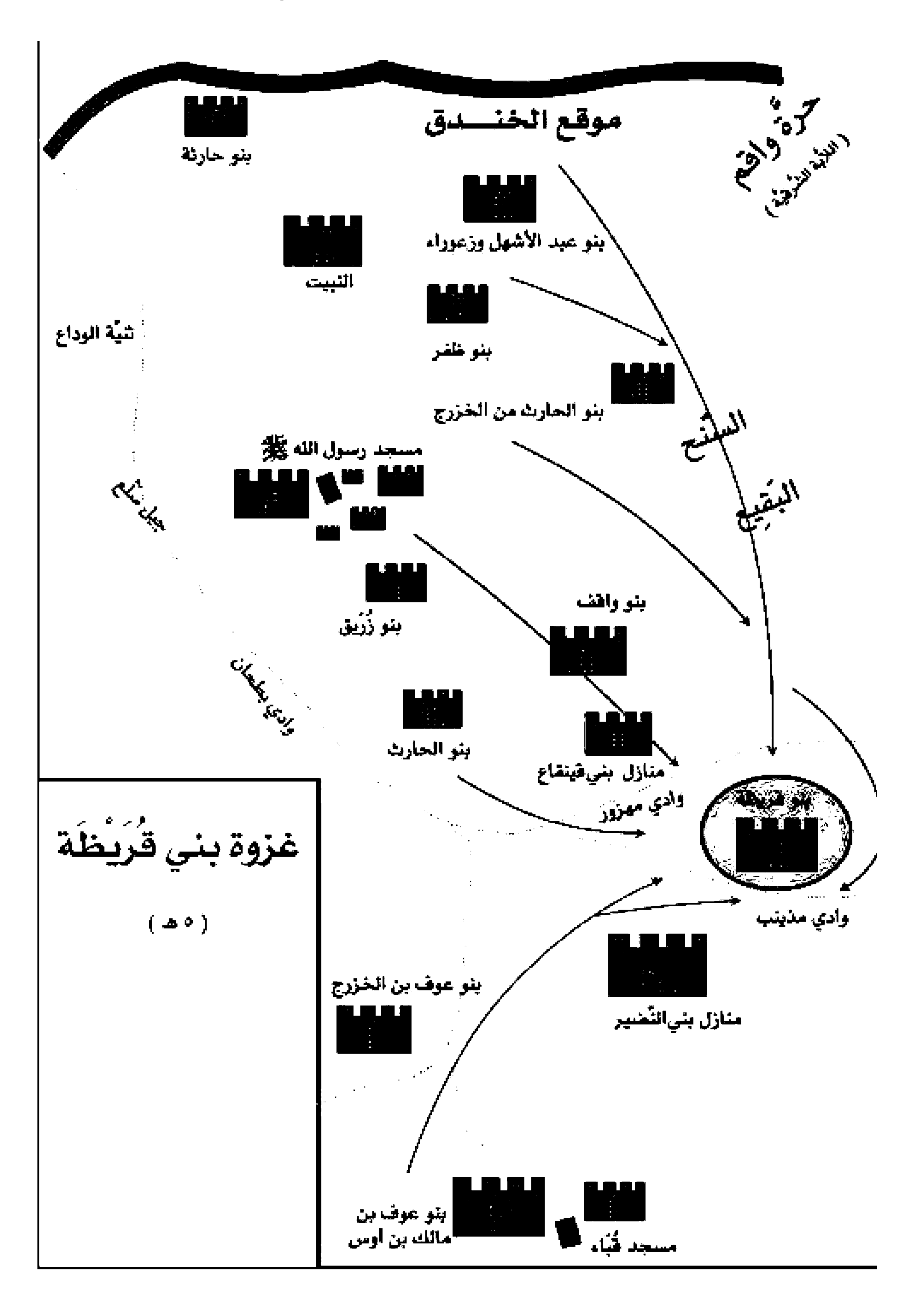
فراح المسلمون أرسالًا، وكان منهم من صلَّى العصر في الطريق، وقالوا: لم يرد منَّا رسول الله ترك الصلاة؛ إنما أراد تعجيل السَّيْر.

وكان منهم من لم يصلِّ حتى غربت الشمس، ووصل إلى بني قريظة، فلم يعنِّف ﷺ واحدًا من الفريقين.

---

(١) قبيلة يهودية سكنت المدينة النبوية في جنوبها الشرقي، قبل البعثة النبوية؛ يرجع نسبهم إلى قريظة ابن التمام.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١١٧)، ومسلم (١٧٦٩).


موقع الخنـــدق
حرة واقم
(الحرة الشرقية)
بنو حارثة
بنو عبد الأشهل وزعوراء
النبيت
بنو ظفر
ثنيّة الوداع
بنو الحارث من الخزرج
السّنح
البقيع
مسجد رسول الله ﷺ
جبل سلع
بنو زُرَيق
بنو واقف
وادي بطحان
بنو الحارث
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
بنو قريظة
وادي مذينب
منازل بني النّضير
بنو عوف بن الخزرج
بنو عوف بن
مالك بن اوس
مسجد قُباء
غزوة بني قُرَيْظَة
(٥ هـ)

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه؛ قال: إنَّ رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع؛ فوضع لأْمته، واستجمر[1]. قال رسول الله ﷺ: «**فنزل جبريل -عليه السلام-، فقال: عذيرك من محارب؛ ألا أراك قد وضعت اللأْمة، وما وضعناها بعد**»، فوثب رسول ﷺ فزِعًا على النَّاس ألا يُصلّوا العصر إلَّا في بني قريظة، فلبسوا السلاح، وخرجوا فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس، واختصم النَّاس في صلاة العصر؛ فقال بعضهم: صلُّوا؛ فإن رسول الله ﷺ لم يُرِدْ أن تتركوا الصلاة، وقال بعضهم: عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة، وإنما نحن في عزيمةِ رسول الله ﷺ، فليس علينا إثمٌ، فصلَّت طائفةٌ العصرَ إيمانًا واحتسابًا، وطائفة لم يصلُّوا حتى نزلوا بني قريظة بعد ما غربت فصلُّوها إيمانًا واحتسابًا، فلم يُعنِّف رسول الله ﷺ واحدةً من الطائفتين[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال النَّبيُّ ﷺ -يوم الأحزاب-: «**لا يُصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، فلم يرد منَّا ذلك، فذُكِر ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فلم يعنِّف أحدًا منهم[3].

وقد شاركت الملائكة في محاربة بني قريظة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: كأني أنظر إلى الغُبار ساطعًا في زقاق بني غنم؛ موكب جبريل -عليه السلام- حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة[4].

وأعطى رسول الله ﷺ الرَّاية عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، ونازَلَ حصونَ بني قريظة، وحصرهم خمسًا وعشرين ليلةً.

---

(١) تطيب.

(٢) **صحيح** - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٧٩-٨٠ / ١٦٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١١٨).

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: لبس رسول الله ﷺ لأْمته، وأَذَّن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ، فمرَّ على بني غنم، وهي جيران المسجد حوله، فقال: «**مَن مرَّ بكم؟**»، فقالوا: مرَّ بنا دِحْية الكلبي[1].

تُشْبِهُ لحيتُه وسنُّه ووجهه جبريل -عليه السلام-، فقالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة[2].

وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال:

إمَّا أن يُسلموا ويدخلوا مع محمد ﷺ في دينه.

وإمَّا أن يقتلوا ذراريهم، ويُخرجوا جرائد[3]، فيقاتلوا حتى يُقتلوا عن آخرهم، أو يخلصوا فيصيبوا بعد الأولاد والنساء.

وإما أن يهجموا على رسول الله ﷺ وأصحابه يوم سبتٍ حين يأمن المسلمون شرَّهم، فأَبَوْا عليه واحدة منهنَّ.

وكان قد دخل معهم في الحصن حيي بن أخطب حين انصرفت قريش؛ لأنه قد كان أعطاهم عهدًا بذلك، حتى نقضوا العهد، وجعلوا يسبّون رسول الله ﷺ ويُسمعون أصحابه بذلك، فأراد رسول الله ﷺ أن يخاطبهم، فقال له علي رضي الله عنه: لا تقرب منهم يا رسول الله! خشية أن يسمع منهم شيئًا، فقال ﷺ: «**لو قد رأوني؛ لم يقولوا شيئًا**»، فلما رأوه؛ لم يستطع منهم أحد أن يتكلم بشيء[4].

---

(١) صحابي جليل؛ كان سفيرًا لرسول الله ﷺ، كان جبريل عليه السلام، يأتي رسول الله ﷺ في صورته، شهد المشاهد كلها إلا بدرًا، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٤١-١٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٨٩).

(٣) جمع جريدة، وهي جماعة الخيل لا مشاة فيها.

(٤) أخرجه موسى بن عقبة في «مغازيه» -ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١١-١٤)-، عن الزهري مرسلًا.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٤) بسند حسن عن عروة بن الزبير به مرسلًا.

وهذه المراسيل تدل على أنَّ للحديث أصلًا، والله أعلم.

ثم بعث ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي -وكانوا حلفاء الأوس- فلما رأوه؛ قاموا في وجهه يبكون: رجالهم ونساؤهم، وقالوا: يا أبا لبابة! كيف ترى لنا؟ أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم.

وأشار بيده إلى حَلْقِه -يعني: أنه الذَّبح-، ثم ندم على هذه الكلمة من وقته، فقام مسرعًا فلم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى جاء مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف: لا يحلّه إلا رسول الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدًا. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك؛ قال: «**دعوه حتى يتوب الله عليه**»، وكان من أمره ما كان حتى تاب الله عليه رضي الله عنه[(١)].

ثم إن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ.

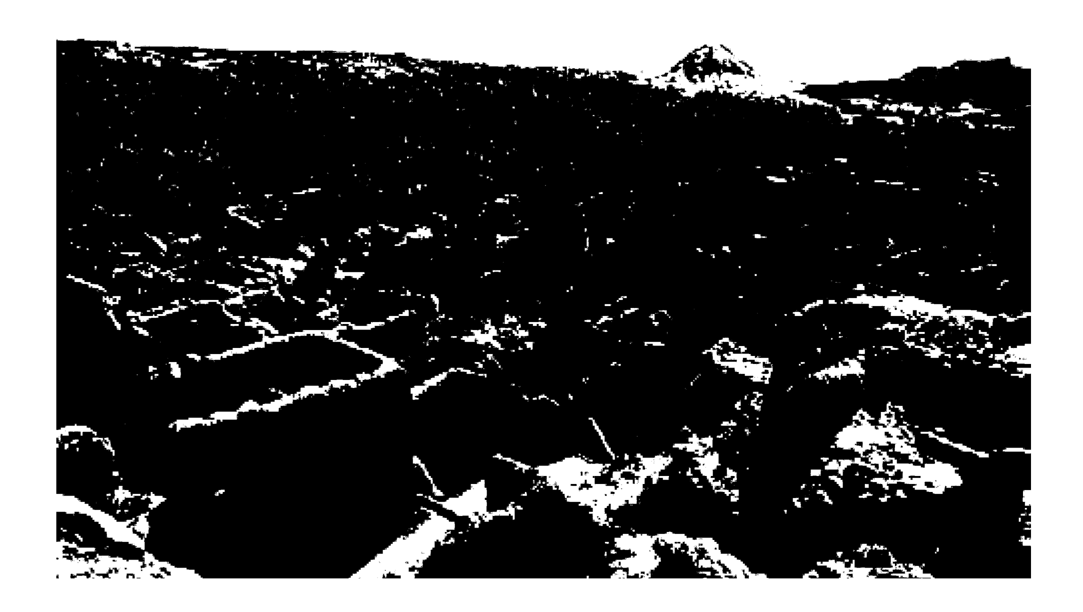
فأسلم -ليلتئذٍ- ثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد، وهمَّ نفر من بني هدل من بني عم قريظة والنضير، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فانطلق، فلم يُعلم أين ذهب، وكان قد أبى الدخول معهم في نقض العهد.

ولـمَّا نزلوا على حكمه ﷺ؛ قالت الأوس: يا رسول الله! قد فعلت في بني قينقاع[(٢)] ما قد علمت وهم حلفاء إخوتنا الخزرج، وهؤلاء موالينا، فقال ﷺ: «**ألا**

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٩١٤-٩١٥- ابن هشام) -ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥)-، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري مرسلًا.
وللفقرة الثانية -قصة أبي لبابة- شواهد؛ منها: عن عائشة رضي الله عنها: أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤١-١٤٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٢١-٤٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٢٨) بإسناد حسن.
وله شاهد آخر من مرسل قتادة: أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٨٧)، وابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٩/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٩٧٥).
وشاهد ثالث من مرسل موسى بن عقبة: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٢-١٤)، وهو مرسل صحيح الإسناد.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) يريدون تحكيم عبد الله بن أبي -سيّد الخزرج- في مواليه بني قينقاع.



ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟»، قالوا: بلى، قال ﷺ: «**فذاك إلى سعد بن معاذ**»، وكان سعد إذ ذاك قد أصابه جُرحٌ في أكحله[1]، وقد ضرب له رسول الله ﷺ خيمةً في المسجد؛ ليعوده من قريب، فبعث إليه ﷺ، فجيء به، وقد وطّؤوا له على حمار، وإخوته من الأوس حوله محيطون به، وهم يقولون: يا أبا عمرو! أحسن في مواليك. فلما أكثروا عليه؛ قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع رجال من قومه إلى بني عبد الأشهل، فنعوا إليهم بني قريظة، فلما دنا من رسول الله ﷺ؛ قال ﷺ: «**قوموا إلى سيِّدكم**»[2]؛ فقام إليه المسلمون، فقالوا: يا سعد! قد ولَّاك رسول الله ﷺ الحكم في بني قريظة. فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه: أن الحكم فيهم كما حكمت؟ قالوا: نعم.

---

(١) عرق وسط الذراع يكثر فصده.

(٢) لينزلوه عن الحمار؛ فهو جريح لا يستطيع النزول لوحده.
ولا حجة في ذلك لمن أباح القيام للقادم؛ فتدبر ولا تكن من الغافلين.
وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٤٦).

قال: وعلى مَن هاهنا؟ وأشار إلى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ -وهو معرض عن رسول الله ﷺ؛ إجلالًا له-، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فقال سعد: إنِّي أحكم فيهم؛ أن تُقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم[1]، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[2].

فأمر رسول الله ﷺ أن يقتل من أنبت منهم، ومن لم يكن أنبت؛ تُرك، فضرب أعناقهم في خنادق حفرت في سوق المدينة، وكانوا أربعمائة مقاتل:

عن عطيَّة القرظي؛ قال: عُرِضنا على النَّبيِّ ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت؛ قتل، ومن لم ينبت؛ خُلِّيَ سبيله، فكنت ممن لم ينبت؛ فخُلِّي سبيلي[3].

ولم يَقتل من النساء أحدًا سوى امرأة واحدة، وهي بنانة امرأة الحكم القرظي؛ لأنها كانت طرحت على رأس خلَّاد بن سويد، فقتلته -لعنها الله-[4]:

عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، قالت: «لم يقتل من نسائهم إلا امرأةٌ واحدة، قالت:

---

(١) **حسن** - أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٧٩٦)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ١٤١-١٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٢٨).
وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٦٧) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٩١٩ - ابن هشام) -ومن طريقه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ٤٣٨-٤٣٩)- عن علقمة بن وقَّاص الليثي مرسلًا ورجاله ثقات.
وله شاهد قوي الإسناد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٩٠٦ و٨١٦٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٢٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢١٦)، والبزار في «مسنده» (١٠٩١)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٦٣)، و«الأسماء والصفات» (٢/ ٣٢١/ ٨٨٥).

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٤٠٤ و٤٤٠٥)، والترمذي في «سننه»، (١٥٨٤)، وابن ماجه في « سننه» (٢٥٤١-٢٥٤٢)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ١٥٥).

(٤) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود (٢٦٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٥-٣٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٨٢)، و«معرفة السنن والآثار» (٥٤٠١)، وهذا إسناد حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث؛ فأمنا تدليسه، وهو حجة في المغازي.

والله! لعندي تتحدث معي تضحك ظهرًا وبطنًا[١] ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك! وما لك؟ قالت: أقتل، قالت: قلت: ولِمَ؟ حدثًا أحدثْتِه[٢]؟ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل.

وقسَّم أموال بني قريظة على المسلمين: للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم.

ولما فرغ منهم؛ استجاب الله دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: ثم دعا سعد؛ قال: اللهم! إن كنت أبقيت على نبيِّك ﷺ من حرب قريش شيئًا؛ فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم؛ فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمه[٣]، وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص[٤] ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت: فوالذي نفس محمد بيده! إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله -عز وجل-: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: علقمة: قلت: أيْ أمه! فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذ وجد[٥] فإنما هو آخذ بلحيته[٦].

وقد شاركت الملائكة في حمل جنازته رضي الله عنه:

عن محمود بن الوليد بن لبيد رضي الله عنه؛ قال: لما أصيب أكحل سعد، فثقل،حوَّلوه

---

(١) لا يبدو عليها الحزن والخوف.

(٢) أنها قتلت خلاد بن سويد رضي الله عنه.

(٣) جرحه.

(٤) لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص؛ وهو: الحلق الذي تزين به الأذن.

(٥) حزن.

(٦) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤١-١٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٨٩).

عند امرأة يقال لها: «رفيدة» تداوي الجرحى، فكان النَّبيُّ ﷺ، إذا مرَّ به يقول: «**كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟**»، فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل: فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ؛ فقيل: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه فقال ﷺ: «**إنِّي أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة، فتغسله كما غسلت حنظلة**»، فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه، وتقول:

ويل أم سعد سعدًا   حزامة وجدًا

فقال ﷺ: «**كُلُّ باكيةٍ تكذب إلَّا أمَّ سعدٍ**»، ثم خرج به، قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخفَّ علينا منه، قال ﷺ: «**ما يمنعه أن يخف، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم**»[(١)].

وقد اهتز عرش الرحمن فرحًا بقدوم روحه رضي الله عنه وأرضاه.

عن جابر بن بد الله رضي الله عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ؛ قال: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد**»[(٢)].

وأخبر ﷺ عن مناديله في الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُهدي للنَّبيِّ ﷺ جُبَّة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها؛ فقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[(٣)].

وقد استشهد يوم الخندق ويوم قريظة نحو العشرة رضي الله عنهم.

○ ○ ○

---

(١) **صحيح بشواهده** - أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢/ ٧-٨) وله شواهد يصح بها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٦١٥).



فصل

قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق

ولما قتل الله -وله الحمد- كعبَ بن الأشرف عدوَّ الله على يد رجال من الأوس، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن ألَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، ولم يُقتل مع بني قريظة كما قُتل صاحبه حُييّ بن أخطب؛ رغبت الخزرج في قتله؛ طلبًا لمساواة الأوس في الأجر -وكان الله -سبحانه- قد جعل هذين الحيَّين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات-، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله؛ فأذن لهم.

فانتدب له رجال كلُّهم من بني سلمة:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ، يُعين عليه، وكان في حصنٍ له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بِسَرْحِهم[1]، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإنِّي منطلق ومتلطف للبوَّاب؛ لَعلِّي أن أدخل.

فأقبل حتى دنا من البوَّاب، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجةً، وقد دخل النَّاس، فهتف به البوَّاب: يا عبد الله! إن كنت تريد أن تدخل؛ فادخل، فإني أريد أن أُغلِق

(١) السَّرْح: الماشية، ولا يسمَّى سرحًا إلا ما يغدى به ويراح.

الباب.

فدخلت، فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علَّق الأغاليق[1] على وتد.

قال: فقمت إلى الأقاليد[2] فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمَر عنده، وكان في علاليَّ له، فلمَّا ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلَّما فتحت بابًا أغلقت عليَّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لِأُمِّك الويل، إن رجلًا في البيت ضربني قبلُ بالسيف.

قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظَبَّة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصَبْتها بعِمامةٍ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم: أقتلته؟ فلما صاح الديك قام النَّاعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز.

فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النَّبيِّ ﷺ فحدثته، فقال: «**ابسط رجلك**»، فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكِها قطُّ[3].

○ ○ ○

(١) جمع غلق ما يغلق به الباب؛ وهو: المفتاح.

(٢) جمع إقليد؛ وهو: المفتاح.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٠٣٩).



زواجه ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها

كان زواج زيد بن حارثة رضي الله عنه من زينب بنت جحش رضي الله عنها أوَّل مرَّة استمرارًا في حركة البناء الاجتماعي للأُمَّة المسلمة حيث تحطمت تلك الفوارق الطبقية الموروثة من عادات الجاهلية؛ ليكون النَّاس متساويين لا فرق بينهم إلا بالإسلام، ولا فضل إلا بالتقوى؛ فقد كان زيد بن حارثة رضي الله عنه من الموالي، أعتقه الرسول ﷺ وتبنَّاه؛ فكان يدعى زيد بن محمد: رأى رسول الله ﷺ أن يزوج زيدًا من ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ لتبطل تلك الفوارق الطبقية المقيتة التي كانت متجذِّرة في النفوس لا يُحطِّمها إلا فعل واقعي من رسول الله؛ فيتأسَّ به المسلمون، وتقتدي به الأمة المسلمة إلى يوم القيامة.

انطلق رسول الله ﷺ؛ فخطب زينب بنت جحش رضي الله عنها لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ فأبت بادئ بدء؛ فأمرها رسول الله ﷺ بذلك، وأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦][(١)]؛ فقبلت ورضيت.

---

(١) حسن - ورد بإسنادين ضعيفين؛ كما بيَّنته في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/ ١١٤)؛ لكنها بمجموعها تدلُّ على أنَّ له أصلًا؛ ناهيك عن اتفاق العلماء على ذلك.

لَبِثَ زيدٌ مع زوجته بُرهةً مِن الزمن؛ لكنه لم يتوافق مع زينب؛ فأصبحت حياتها لا تُطاق، ولذلك صمَّم زيد على الفراق، وكان ﵁ يشكو لرسول ﷺ زينب، ورسول الله ﷺ يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾؛ كما أخبر بذلك الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

عن أنس بن مالك ﵁، قال: جاء زيد بن حارثة ﵁ يشكو؛ فجعل النَّبيُّ ﷺ يقول: «**اتَّقِ، وأمسك عليك زوجك**»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه[1].

لكن زيدًا لم تبقَ له رغبة في استمرار العلاقة الزوجية، فصمَّم على طلاقها؛ فطلَّقها لحكمةٍ بالغةٍ حيث زوجها الله لرسول الله ﷺ؛ لينهي بذلك عادة التبنِّي التي كانت مُتغلغلةً في المجتمع وليس من السهل التغلب عليها إلا بحَدَثٍ على هذا المستوى؛ قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٧-٤٠].

عن أنس بن مالك ﵁، قال: لما انقضت عدَّة زينب؛ قال رسول الله ﷺ لزيد: «**فاذكرها عليَّ**»، قال: فانطلق زيدٌ حتى أتاها وهي تخمِّرُ عجينها[2] قال: فلما رأيتها

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٢) تجعل منها الخمير.

عظمت في صدري[١] حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فولَّيتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يَذكُرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدَّثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتتبَّع حجر نسائه يُسلِّم عليهن، ويقلن: يا رسول الله! كيف وجدت أهلك، قال: فما أدري! أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني. قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه، فأُلقي الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بها وعظوا به[٢].

وفي رواية أخرى: قال أنس بن مالك: إن أمَّ سليم أهدت إلى رسول الله طعامًا يوم زواج زينب؛ فيقول: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، قال: فصنعت أمّي أمّ سليم حَيْسًا، فجعلته في تور[٣] فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثَتْ بهذا إليك أمّي، وهي تقرئك السَّلام، وتقول: إنَّ هذا لك منَّا قليل يا رسول الله! قال: فذهبتُ بها إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن أمّي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منَّا قليل يا رسول الله! فقال: «**ضعه**»، ثم قال: «**اذهب، فادع لي فلانًا فلانًا وفلانًا، ومن لقيت**»، وسمَّى رجالًا، قال: فدعوت من سمَّى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.

وقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أنس! هات التور**»، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة. فقال رسول الله ﷺ: «**ليتحلَّق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه**»، قال: فأكلوا حتى شبعوا. قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا

---

(١) هبتها من أجل رغبة رسول الله ﷺ الزواج منها.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٤٢٨/ ٨٩).

(٣) الإناء.

كلهم. فقال لي: «**يا أنس! ارفع**»، قال: فرفعت فما أدري حين وضعت: كان أكثر أم حين رفعت؟

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله جالس، وزوجته مُوَلِّيَةً وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فسلَّم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم ثقلوا عليه. قال: فابتدروا الباب فخرجوا، فخرجوا كلّهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى السِّتر ودخل، وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج عليَّ، وأنزلت هذه الآية.

فخرج رسول الله ﷺ وقرأهُنَّ على الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلى آخر الآية.

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدَثُ الناس عهدًا بهذه الآيات، وحجبن نساء النبي ﷺ(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: أنا أعلم الناس بالحجاب، لقد كان أُبيّ بن كعب يسألني عنه.

قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروسًا بزينب بنت جحش، قال: وكان تزوَّجها في المدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ، وجلس مع الرجال بعد ما قام القوم، قام رسول الله ﷺ، فمشى، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة، ثم ظنَّ أنَّهم خرجوا؛ فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت، فإذا هم قد قاموا، فضرب

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٤٢٨/ ٩٣).

بيني وبينه بالستر، وأنزل الله آيه الحجاب[1].

وَأَوْلَمَ رسول الله ﷺ في عرس زينب وليمة كبيرة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: ما رأيت النَّبيَّ ﷺ أَوْلَمَ على أحدٍ من نسائه ما أَوْلَمَ على زينب: أَوْلَمَ بشاةٍ[2].

وكانت زينب رضي الله عنها مسرورة بزواجها من رسول الله ﷺ؛ فتفخر بذلك على نساء النَّبيِّ ﷺ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: نزلت آية الحجاب في بيت زينب بنت جحش، وأطعم عليها خبزًا ولحمًا، وكانت تفخر على نساء النَّبيِّ ﷺ، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء[3].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥٤٦٦)، ومسلم (١٤٢٨/ ٩٣).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥١٧١).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧٤٢١).



غزوة بني لِحيَان

ربيع الأول ٦ هـ

غزوة بني لحيان

ثم خرج ﷺ بعد قريظة بستة أشهر، وذلك في جمادى الأولى من السنة السادسة، قاصدًا بني لحيان؛ ليأخذ بثأر أصحاب الرّجيع، فسار حتى نزل بلادهم في وادٍ يقال له: «غُرَان»[(١)]، وهو بين أمج[(٢)] وعسفان، فوجدهم قد تحصَّنوا في رؤوس الجبال، فتركهم وركب في مائتي فارس حتى نزل عسفان.

---

(١) موضع من منازل بني لحيان.

(٢) قرية جامعة كثيرة المزارع والنخل، وهي على وادٍ عظيم، وأهلها خزاعة.

فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاةَ الخوف لأوَّل مرَّةٍ:

وعن أبي عياش الزُّرقي رضي الله عنه؛ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون، عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلَّى رسول الله ﷺ الظهر؛ فقالوا: قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرَّتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

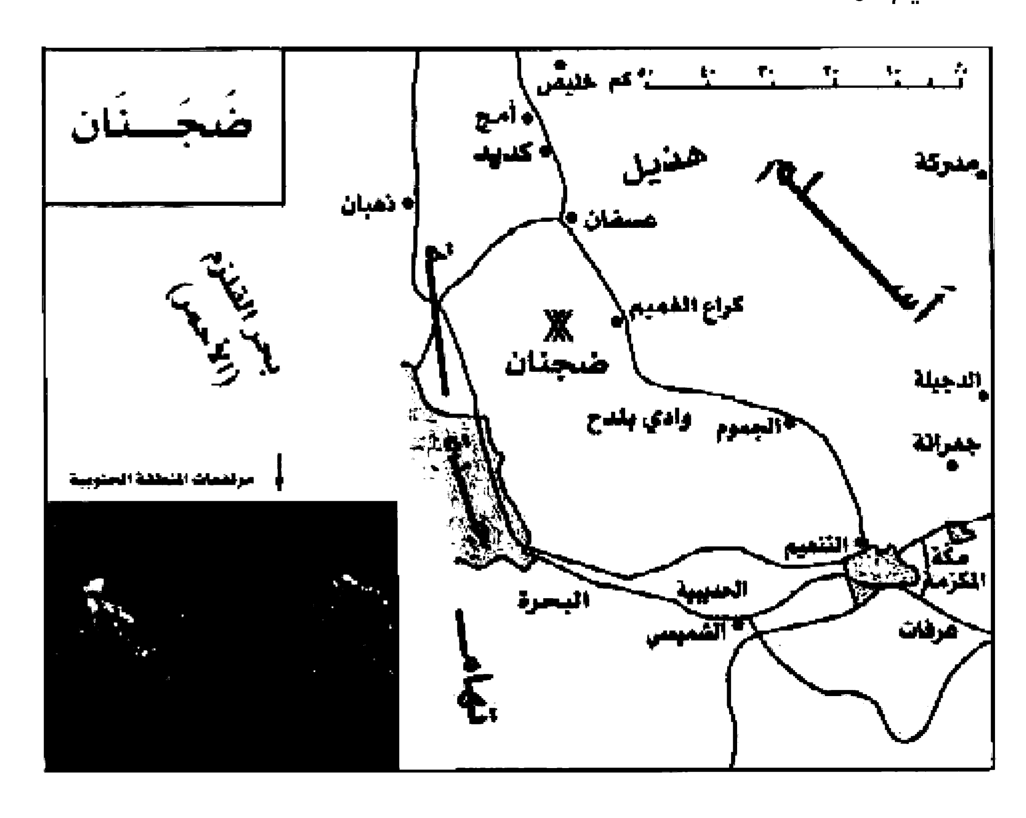
قال: فنزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢]، قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ، فأخذوا السِّلاح، قال: فصففنا صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعًا، ثم رفع، فرفعنا جميعا، ثم سجد النَّبيُّ ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا؛ جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد النَّبيُّ ﷺ والصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس؛ جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين: مرَّة بعسفان، ومرَّة بأرض بني سليم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: إن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان[2] وعسفان، فقال المشركون: إنَّ لهم صلاة هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأبنائهم؛ وهي: العصر، فأجمعوا أمركم، فميلوا عليهم ميلةً واحدةً، وإن جبريل -عليه السلام- أتى النَّبيَّ ﷺ فأمره: أن يقسِّم أصحابه شطرين، فيُصلِّي ببعضهم، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم؛ ليأخذوا حِذْرَهم وأسلحتهم، ثم تأتي الأخرى؛ فيصلّون معه، ويأخذ هؤلاء حِذْرَهم

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٥٩-٦٠)، وأبو داود (١٢٣٦)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٧٦-١٧٨).

(٢) جبل بناحية تهامة على ٤٥ كم من مكة، وتسمّى اليوم: خشم المحسنية.



وأسلحتهم، لتكون لهم ركعة مع رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ركعتان[١].

○ ○ ○

---

(١) صحيح - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٢٢)، والترمذي في «السنن» (٣٠٣٨)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٧٦-١٧٨).



غزوة ذي قرد[1]

أغار عيينة بن حصن في بني عبد الله بن غطفان على لِقاح[2] النَّبيِّ ﷺ التي بالغابة[3]، فاستاقها وقتل راعيها، وهو رجل من غفار، وأخذوا امرأته.

فكان أوَّل من أنذر[4] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه:

قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: خرجت قبل أن يؤذَّن بالأولى [5]. وكانت لقاح [6] رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد؛ قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف؛ فقال: أُخِذتْ لقاح رسول الله ﷺ، فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه! قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة [7]، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء؛ فجعلت أرميهم بنبلي -وكنت

---

(١) ماء على نحو بريد مما يلي بلاد غطفان.

(٢) ذوات الدَّرِّ من الإبل؛ لقرب ولادها، أو الحامل، واحدها: لقحة، واللقوح: الحلوب.

(٣) موضع قرب المدينة كان ذا أشجار كثيفة من الأثل والطرفاء على بعد ٦ كم في الشمال الغربي لأحد من ناحية الشام.

(٤) علم بهم.

(٥) صلاة الفجر.

(٦) جمع: لقحة؛ وهي: ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(٧) الأرض ذات الحجارة السود، والمدينة تقع بين حرَّتين عظيمتين، والمراد: أنه أَسْمَعَ بصراخه عامة أهل المدينة.



راميًا- وأقول:

أنا ابن الأكوع والیوم يوم الرُّضَّع[1]

(١) يوم هلاك القوم اللئام.

الصحيح المصفَّى

فأرتجز؛ حتى استنفدت[١] اللِّقاح منهم، واستلبتُ منهم ثلاثين بُردةً.

قال: وجاء النَّبيُّ ﷺ والناس، فقلت: يا نبي الله! إني قد حميت[٢] القوم الماء وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة.

فقال: «**يا ابن الأكوع! ملكت فَاسْجِحْ**[٣]».

قال: ثم رجعنا، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة[٤].

وقُتل في هذه الغزوة الأخرم؛ وهو: محرز بن نضلة رضي الله عنه؛ قتله عبد الرحمن بن عيينة، وتحوَّل على فرسه، فحمل على عبد الرحمن أبو قتادة؛ فقتله، واسترجع الفرس.

وأقبلت المرأة المأسورة على ناقةٍ لرسول الله ﷺ، وقد نذرت: إن الله أنجاها عليها؛ لتنحرنَّها، فلم يجزها رسول الله ﷺ.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأَسَرَت ثقيفٌ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء[٥]، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد! فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**»، قال: بِمَ أخذتني، وبِمَ أخذت سابقة الحاج[٦]؟ فقال: -إعظامًا لذلك-: «**أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف**»، ثم انصرف عنه فناداه، فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا، فرجع إليه فقال: «**ما شأنك؟**»، قال: إنِّي مسلم. قال: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك؛ أفلحت كل الفلاح**»، ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**»، قال: إنِّي جائع؛ فأطعمني،

---

(١) أنفذت.

(٢) منعتهم الماء.

(٣) أحسن وأرفق.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

(٥) ناقة نجيبة كانت لرجل من بني عقيل ثم صارت لرسول الله ﷺ.

(٦) أراد العضباء؛ فإنها لا تسبق، ولا تكاد تسبق، معروفة بذلك.

وظمآن؛ فاسقني، قال: «**هذه حاجتك**»، ففدى الرجلين.

قال: وأُسِرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلةٍ من الوثاق؛ فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتى تنتهي إلى العضباء، فلم ترغ. قال: وناقة منوقة[1]، فقعدت في عجزها، ثم زجرتها، فانطلقت، ونذروا بها [2]، فطلبوا، فأعجزتهم، وقال: ونذرت لله! إن نجَّاها الله عليها؛ لتنحرنَّها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ. فقالت: إنَّها نذرت إن نجَّاها الله عليها؛ لتنحرنَّها. فأتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فقال: «**سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجَّاها عليها؛ لتنحرنها، لا وفاءَ لنذرٍ في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**»[3].

○ ○ ○

(١) مذللة.

(٢) علموا وأحسوا بهربها.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٦٤١).



غزوة بني المصطلق أو المريسيع[1]

ثم غزا ﷺ بني المصطلق من خزاعة في شعبان من السنة السادسة؛ فأغار عليهم وهم غارُّون[2] على ماء لهم؛ يقال له: المريسيع، وهو من ناحية قديد إلى الساحل، فقتل من قتل منهم، وسبى النِّساء والذُّرِّيَّة[3]:

عن محمد بن إسحاق؛ قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق؛ قال: بلغ رسول الله: أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ.

فلمَّا سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا؛ فهزم الله بني المصطلق، وَقُتِلَ الحارث بن أبي ضرار أبا جويرية، وَقُتِلَ مَن قُتِلَ منهم، ونفل رسول

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٣٠): «المصطلق لقب، اسمه: جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ابن حارثة، بطن من بني خزاعة.
والمريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم.

(٢) غافلون.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.



الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم.

وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبيًا كثيرًا، قَسَمَهُ بين المسلمين، وكان فيما أصاب يؤمئذ جويرية بنت أبي ضرار سيِّدة قومها.

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر؛

يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدوِّ؛ فقتله خطأً. وقد وفد مقيس بن صبابة من مكة مسلمًا فيما يظهر، فقال: يا رسول الله! جئتك مسلمًا، وجئتك أطلب ديَة أخي؛ قُتل خطأً.

فأمر له رسول الله ﷺ بِدِيَةِ أخيه هشام بن صبابة، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه؛ فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدًا، أصيب من بني المصطلق يومئذٍ ناس، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين -مالكًا وابنه-، وقتل عبد الرحمن ابن عوف رجلًا من فرسانهم يقال له: حمر، أو أحيمر[1].

وكان شعار المسلمين يومئذٍ:

يا منصور! أمت، أمت[2].

فكان من السَّبي: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار؛ سيِّد[3] بني المصطلق، وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتَبها، فأدَّى عنها رسول الله ﷺ وتزوجها؛ فصارت أم المؤمنين، فأعتق المسلمون بسبب ذلك مئة بيت من بني المصطلق قد أسلموا:

عن عائشة ﵂؛ قالت: لما قَسَم رسولُ الله سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عمٍّ له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها.

قالت: فوالله! ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي، فكرهتها وعرفته أنه سيرى

---

(١) **مرسل صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٩٩٧) وهو مرسل صحيح، ويشهد له حديث عبد الله بن عمر ﵄.

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٢): «رواه الطبراني في «الأوسط»، و«الكبير» وإسناده حسن».

(٣) هكذا في بعض مصادر السيرة: «سيد»، وهو أدق؛ لأنَّ الملك لم يعرف في خزاعة.

منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله! أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني مالم يخف عليك، فوقعت في السَّهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابي.

قال ﷺ: «**فهل لك خير من ذلك؟**».

قالت: وما هو يا رسول الله؟

قال ﷺ: «**أقضي كتابك وأتزوجك**».

قالت: نعم يا رسول الله!

قال ﷺ: «**قد فعلت**».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوَّج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله؛ فأرسلوا ما بيديهم.

قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[1].

وقد حاول المنافقون إثارة فتنة العصبية الجاهلية بين المسلمين، لكن الله -عزَّ وجلَّ- أصلح بينهم برسول الله ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في غزوة -قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق-؛ فكَسَعَ[2] رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بال دعوى جاهلية؟**»، قالوا: يا رسول الله! كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «**دعوها؛ فإنها مُنْتنة**»[3].

---

(١) **حسن** - أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود في «السنن» (٣٩٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦).

(٢) ضرب دبره بيد، أو رجل، أو سيف.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٩٠٥ و٤٩٠٧)، ومسلم (٣٥٨٤).

وفي مرجعه ﷺ قال الخبيث عبد الله ابن أُبيٍّ ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة؛ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، يُعرِّض برسول الله ﷺ.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه؛ قال: خرجنا مع النَّبيِّ ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدَّةً، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ لأصحابه: لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله.

وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزّ منها الأذلّ، فأتيت النَّبيَّ ﷺفأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبَيٍّ فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل.

قالوا: كَذَبَ زيدٌ رسولَ الله ﷺ. فوقع في نفسي ما قالوا شدَّة حتى أنزل الله –عز وجل– تصديقي في قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١].

فبعث إلى النَّبيِّ، فقرأ فقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ قد صدقك يا زيد**»[١].

فأراد عمر رضي الله عنه قتل عبد الله بن أُبَيٍّ، فلم يأذن له رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «**دعه؛ لا يتحدَّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إنَّ المهاجرين كثروا بَعْدُ[٢].

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ موقف أبيه من رسول الله ﷺ، فقال لأبيه: والله! لا تنفلت حتى تُقِرَّ أنَّك الذَّليلُ، ورسول الله هو العزيز؛ ففعل[٣].

وكان في هذه الغزوة من الحوادث:

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٩٠٠ و٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٢) تقدم تخريجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما المتقدم آنفًا.

(٣) **صحيح لغيره** - أخرجه الترمذي في «السنن» (٣٣١٥)، وله شواهد من حديث أبي هريرةَ موصولًا، وأخرى مرسلة؛ هم: عروة بن الزبير، وعاصم بن عمر بن قتادة.



فصل

قصَّة الإِفْك

الذي افتراه عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول وأصحابه من المنافقين؛ وذلك: أنَّ أمَّ المؤمنين؛ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كانت قد خرجت مع رسول الله ﷺ في هذه السفرة، فكانت تُحمَل في هَوْدَجٍ[1]، فنزلوا بعض المنازل، ثم أرادوا أن يرتحلوا أول النهار، فذهبت إلى المتبرَّز[2]، ثم رجعت؛ فإذا هي فاقدة عقدًا[3] لأختها أسماء كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي كانت فيه، فجاء النَّفر الذين كانوا يرحلون بها، فحملوا الهودج حملةَ رجلٍ واحد، وليس فيه أحد، فرحَّلوه على البعير، ولم يستنكروا خِفَّته؛ لتساعُدِهم عليه، ولأن عائشة رضي الله عنها كانت في ذلك الوقت لم تحمل اللحم، بل كانت طفلة في سن أربع عشرة سنة.

فلما رجعت -وقد أصابت العقد-؛ لم تَرَ بالمنزل أحدًا، فجلست في المنزل، وقالت إنهم سيفقدونها؛ فيرجعون إليها، والله غالب على أمره، وله الحكمة فيما يشاء، وأخذتها سِنَةٌ من النَّوم، فلم تستيقظ إلا بترجيع[4] صفوان بن المعطل السُّلمي، ثم

(١) محلٌّ له قبة تستره الثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير، يركب عليه النساء؛ ليكون أستر لهن.

(٢) مكان قضاء الحاجة في الخلاء، ولم يكونوا قد اتخذوا الكُنُف والمراحيض.

(٣) قلادة تعلَّق في العنق للتزيُّن بها.

(٤) قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

الذكواني[1]، وكان قد عرس[2] في أخريات القوم؛ لأنه كان شديد النَّوم[3]، فلما رأى أُمَّ المؤمنين؛ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ؟! ثم أناخ بعيره، فقرَّبه إليها، فركبته، ولم يكلِّمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا ترجيعه، ثم سار بها يقودها حتى قدما، وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة.

فلما رأى ذلك الناس؛ تكلَّم المنافقون بما الله مجازيهم به، وجعل عبد الله بن أُبيٍّ الخبيث يتكلم في ذلك، ويستحكيه، ويظهره، ويشيعه، ويبديه.

وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك صعد على المنبر، فخطب المسلمين، واستعذر من عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه، فقال: «من يعذرني[4] من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، وذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما يدخل على أهلي إلا معي»؛ فقام سعد بن معاذ -أخو بني عبد الأشهل-، فقال: يا رسول الله! أنا أعذرك منه؛ فإن كان من الأوس؛ ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج؛ أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة، فقال: كذبت لعمر الله! لا تقتله، ولا تستطيع قتله، ولو كان

---

(١) وهو صفوان السلمي الذكواني، شهد الخندق وما بعدها من أيام رسول الله ﷺ، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية سنة (١٩هـ).

(٢) نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٠ و٨٤-٨٥)، وأبو داود (٢/ ٣٣٠/ ٢٤٥٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٣٧ و٣٩٨/ ١١٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠٣) عن أبي سعيد؛ قال: جاءت امرأة صفوان بن المعطّل إلى النبي ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله! إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صلَّيت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس -قال: وصفوان عنده-، فسأله.. وفيه: وأما قولها: إنِّي لا أُصلِّي حتى تطلع الشمس؛ فإنَّا أهل بيت قد عرف لنا ذلك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس.. الحديث، وإسناده صحيح.

(٤) ينصرني.

من رهطك؛ لما أحببت أن يُقْتَلَ.

فقال أسيد بن الحضير: والله! لنقتلنَّه؛ فإنَّك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيَّان؛ حتى كادوا يقتتلون، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم ويسكنهم حتى سكنوا[1].

ولم يلبثوا حتى أنزل الله براءة عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق من فوق سبع سماوات؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

فلما أنزل الله ذلك؛ جلد رسول الله ﷺ الذين تكلَّموا في الإفك.

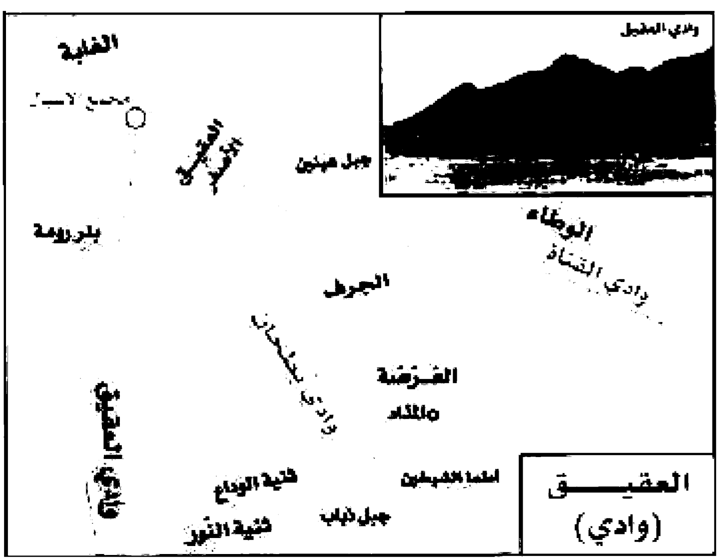
○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.



فصل



غزوة الحديبية

ولما كان ذو القعدة من السنة السادسة؛ خرج رسول الله ﷺ معتمرًا في ألفٍ ونيِّف[1]، وأحرم رسول الله ﷺ من ذي الحُليفة[2].

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم -يُصدِّق حديثُ كلٍّ منهما حديث صاحبه-؛ قالا: خرج رسول الله زمان الحديبية في بضع عشر مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الخليفة؛ قلَّد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره[3].

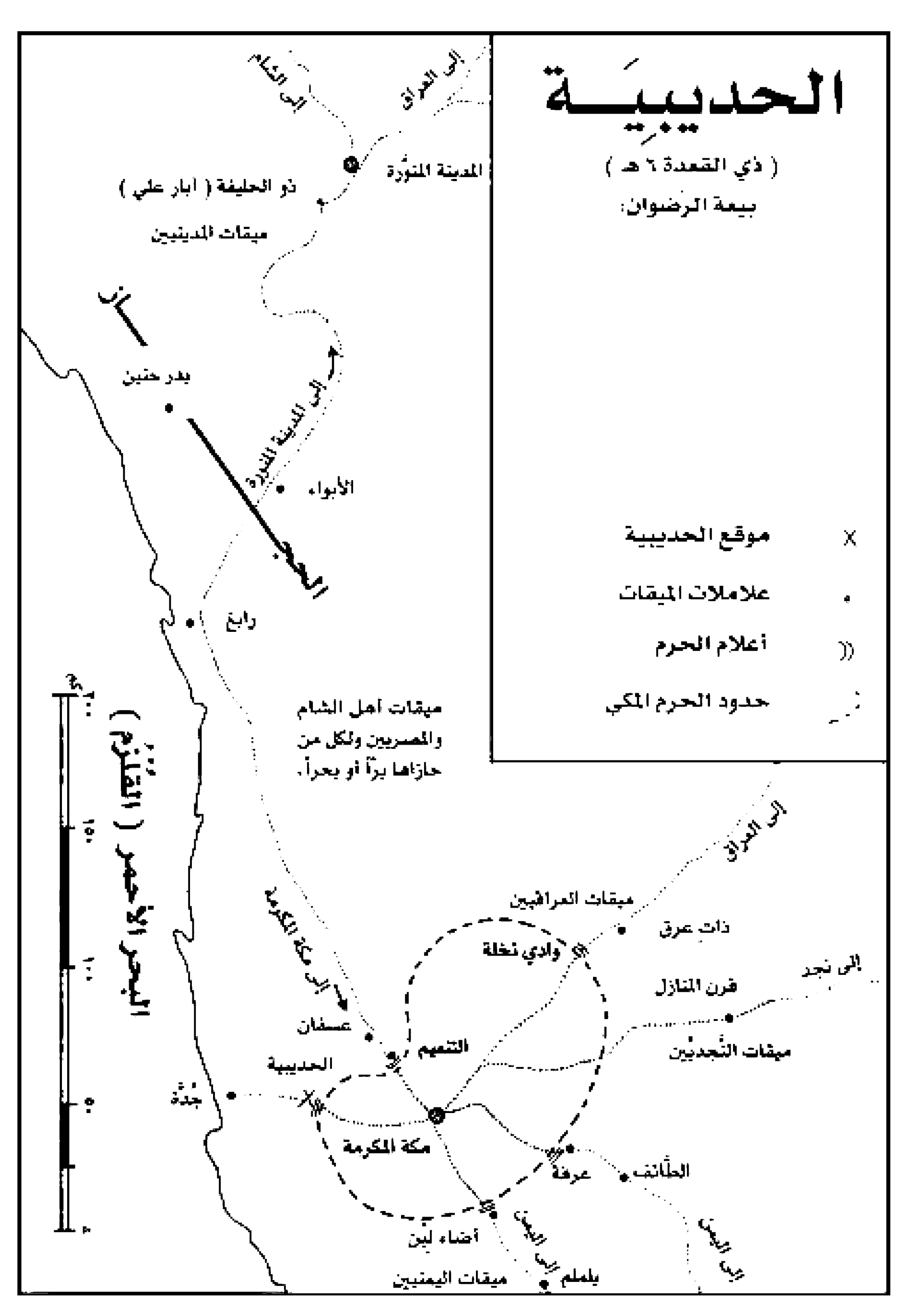
---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٥٥ و٤١٥٧ و٤١٥٨)، ومسلم (١٥٨٦ و١٨٥٧).

(٢) هو ميقات لأهل المدينة والذين يمرون عليه من غير أهلها.

ويقع على الجانب الغربي من وادي العقيق في المنطقة المعروفة بـ (آبار علي)، ويبعد عن المسجد النبوي (١٤ كم).

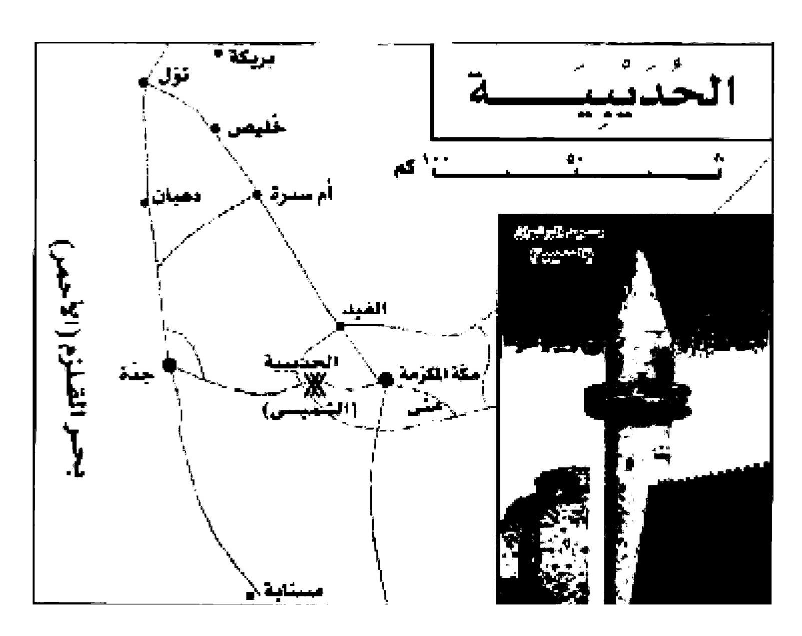
(٣) بشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، وهذا علامة لها؛ لتعرف بأنها من الهدي.



وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينًا[١] له من خزاعة يخبره عن قريش[٢].

(١) جاسوسًا.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٧٨ و٤١٨١).



فلمَّا علم المشركون بذلك؛ جمعوا أحابيشهم، وخرجوا من مكة صادِّين له عن الاعتمار هذا العام.

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم؛ قالا: وسار النَّبيُّ ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعي؛ فقال: إنِّي قد تركت كعب ابن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك ا لأحابيش وجمعوا لك جموعًا، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**أشيروا عليَّ؛ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم؛ فنصيبهم؛ فإن قعدوا، قعدوا موتورين محروبين، وإن نجوا نجوا محزونين، وإن يجيئوا تكن عنقًا قطعها الله، أترون أن نؤمَّ البيت فمن صدَّنا عنه قاتلناه؟**»، فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، يا نبيَّ الله! إنَّما جئنا معتمرين، ولم نجئ نقاتل أحدًا، ولكن مَن حال بيننا وبين البيت قاتلناه. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**فرُوحُوا إذًا**»[1]، وَقَدَّموا على خيل لهم: خالد بن الوليد إلى كراع الغميم.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٦٠).

وخالفه ﷺ في الطريق، فانتهى ﷺ إلى الحديبية[1]:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم؛ قالا: فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ خالد بن الوليد بالغميم، في خيلٍ لقريشٍ طليعة؛ فخذوا ذات اليمين**»، فوالله! ما شعر بهم خالد حتى إذا همَّ بقترة الجيش[2]، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النَّبيُّ ﷺ حتى إذا كان بالثَّنيَّة[3] التي يهبط عليهم منها؛ بركتْ راحلته، فقال النَّاس: حَلْ حَلْ[4]. فألحَّت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل[5]**»[6].

واستعدَّ رسولُ الله ﷺ لمفاوضة قريش؛ فقال: «**والذي نفسي بيده! لا يسألوني خطة يعظِّمون فيها حرمات الله؛ إلا أعطيتهم إياها**»[7].

ثم عدل رسول الله ﷺ حتى نزل الحديبية على قليل من الماء؛ فشكا الناس إلى رسول الله ﷺ العطش؛ فظهرت يومئذٍ آياتٌ كثيرة:

ففي حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمدٍ قليل الماء يَتبَرَّضَه الناس تَبَرُّضًا، فلم يُلبِّثْه الناس حتى نزحوه، وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله! ما زال يَجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صَدَروا عنه[8].

---

(١) بئر تبعد (٢٢كم) غرب مكة ناحية المدينة النبوية على طريق جدّة، وبها سمي المكان، وتعرف اليوم بالشُّمَيسي، وعندها مسجد الشجرة؛ حيث كانت بيعة الرضوان.

(٢) غبار الجيش.

(٣) هي ثنية المرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٤) لفظ يزجر به الدَّابة إذا حُملت على السير.

(٥) حبسها اللهُ عن دخول مكَّة؛ كما حبس الفيل الذي كان مع الأحباش الذين جاؤوا لهدم الكعبة عن دخول مكة.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢).

(٧) سبق تخريجه (ص٢٦٠).

(٨) سبق تخريجه آنفًا في الحديث السابق.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: تعدُّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتحًا، ونحن نعد الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديبية؛ كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر؛ فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فأتى فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء منها، فتوضأ، ثم مضمض، ودعا، ثم صبَّه فيها، فتركها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا[١].

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: قدمنا مع رسول الله الحديبية، ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الرَّكيَّة[٢]، فإمَّا دعا وإمَّا بزق فيها؛ فجاشت[٣] فسقينا، وأسقينا[٤].

وظهرت بركته ﷺ في تكثير الطعام:

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جَهْدٌ[٥] حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبيُّ الله ﷺ؛ فجمعنا مزاودنا[٦]، فبسطنا له نطعًا[٧]؛ فاجتمع زاد القوم على النّطع، قال: فتطاولت لأحزره[٨] كم هو؟ فحزرته كربضة العنز[٩]، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعًا، ثم حَشَوْنا جُرُبَنا[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٠ و٤١٥١).

(٢) ما حول البئر.

(٣) ارتفعت وفاضت.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٨٠٧).

(٥) المشقة.

(٦) الوعاء الذي يحمل فيه الزاد.

(٧) وضعنا له بساطًا.

(٨) لأقدره وأخمنه.

(٩) كقدرها وهي رابضة.

(١٠) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٤٨٤ و٢٩٨٢)، ومسلم (١٧٢٩).

وتراسل هو والمشركون حتى جاء سهيل بن عمرو؛ فصالحه على أن يرجع عنهم عامه هذا، وأن يعتمر من العام المقبل؛ على أن لا يدخل مكة إلا في جُلْبان السلاح[1].

وأن لا يقيم عندهم أكثر من ثلاثة أيام.

وعلى أن يأمن الناس بينهم وبينه عشر سنين.

وعلى أنه من شاء دخل في عقد رسول الله ﷺ، ومن شاء دخل في عقد قريش.

وعلى أنه لا يأتيه أحد منهم -وإن كان مسلمًا- إلا ردَّه إليهم، وإن ذهب أحد من المسلمين إليهم لا يردُّونه إليه.

وقد ورد الصلح وشروطه في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: باسمك اللهمَّ! هذا ما صالحَ عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين: يأمن فيها الناس، ويكفُّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن أتى قريشًا ممن مع رسول الله ﷺ لم يردُّوه عليه، وإن بيننا عيبةً[2] مكفوفة[3]، وأنه لا إسلال[4]، ولا إغلال[5]، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده؛ دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم؛ دخل فيه، وإنك ترجع عنَّا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فتدخلها بأصحابك، وأقمت فيها ثلاثًا معك

(١) شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغمودًا، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته، ويعلقه في آخرة الكور أو وسطته.

(٢) صدرًا نقيًّا من الغل والخداع، مطويًّا على الوفاء بالصلح.

(٣) مشدودة.

(٤) السرقة الخفية.

(٥) الحقد والشحناء.

سلاح الراكب، لا تدخلها بغير السيوف في القرب[1].

فتواثبت خزاعة؛ فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر؛ فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم[2].

فأقرَّ الله -سبحانه- ذلك كلَّه؛ إلا ما استثنى من المهاجرات المؤمنات من النساء؛ فإنَّه نهاهم عن ردهنَّ إلى الكفَّار، وحرَّمهنَّ على الكفَّار يومئذٍ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وكره ذلك جماعة من الصحابة ﭫ؛ منهم: عمر بن الخطاب ﭬ، وراجع أبا بكر الصديق في ذلك، ثم راجع النَّبيَّ ﷺ؛ فكان جوابه ﷺ كجواب أبي بكر الصديق ﭬ:

عن أبي وائل: قام سهل بن حنيف يوم صفين؛ فقال: أيُّها الناس! اتَّهموا أنفسكم، لقد كنَّا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالًا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! ألسنا على حقٍّ وهم على باطل؟ قال: «**بلى**»، قال: أليس قتلانا في الجنَّة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**»، قال: ففيم نعطي الدَّنِيَّة[3] في ديننا، ونرجع، ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «**يا ابن الخطاب! إنِّي رسول الله، ولن يُضَيِّعَني الله أبدًا**»، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيِّظًا، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر! ألسنا على حقٍّ، وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال:

---

(١) غمد السيف.

(٢) سبق تخريجه (ص٢٦٠).

(٣) النقيصة والحالة المزرية.

بلى. قال: فعلام نعطي الدَّنِيَّة في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: يا ابن الخطاب! إنَّه رسول الله، ولن يُضَيِّعَه الله أبدًا.

قال: فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح.

فأرسل إلى عمر؛ فأقرأه إيَّاه.

فقال: يا رسول الله! أَوَفتحٌ هو؟ قال: «**نعم**»؛ فطابت نفسه ورجع[1].

وقد كان ﷺ قبل وقوع هذا الصلح بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة؛ يُعْلِمُهُم أنه لم يجيىء لقتال أحد، وإنما جاء معتمرًا، فكان من سيادة عثمان رضي الله عنه أنه عرض عليه المشركون الطواف بالبيت؛ فأبى عليهم، وقال: لا أطوف بها قبل رسول الله ﷺ.

ولم يرجع عثمان رضي الله عنه حتى بلغه ﷺ أنه قد قُتل عثمان؛ فحمي لذلك رسول الله ﷺ، ثم دعا أصحابه إلى البيعة على القتال، فبايعوه تحت شجرة هناك- وكانت سمرة[2]-، وكان عِدَّة من بايعه هناك جملة من قدمنا أنه خرج معه إلى الحديبية؛ إلا الجد بن قيس؛ فإنه كان قد استتر ببعير له نفاقًا منه وخذلانًا[3].

وكان أوَّل مَن بايع يومئذٍ أبو سنان؛ وهب بن محصن رضي الله عنه.

وبايع سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يومئذٍ ثلاث مرات بأمر رسول الله ﷺ له بذلك[4]؛ ووضع ﷺ يده عن نفسه الكريمة، ثم قال: «**وهذه عن عثمان**»[5] رضي الله عنه؛ فكان ذلك أجلّ من شهوده تلك البيعة.

---

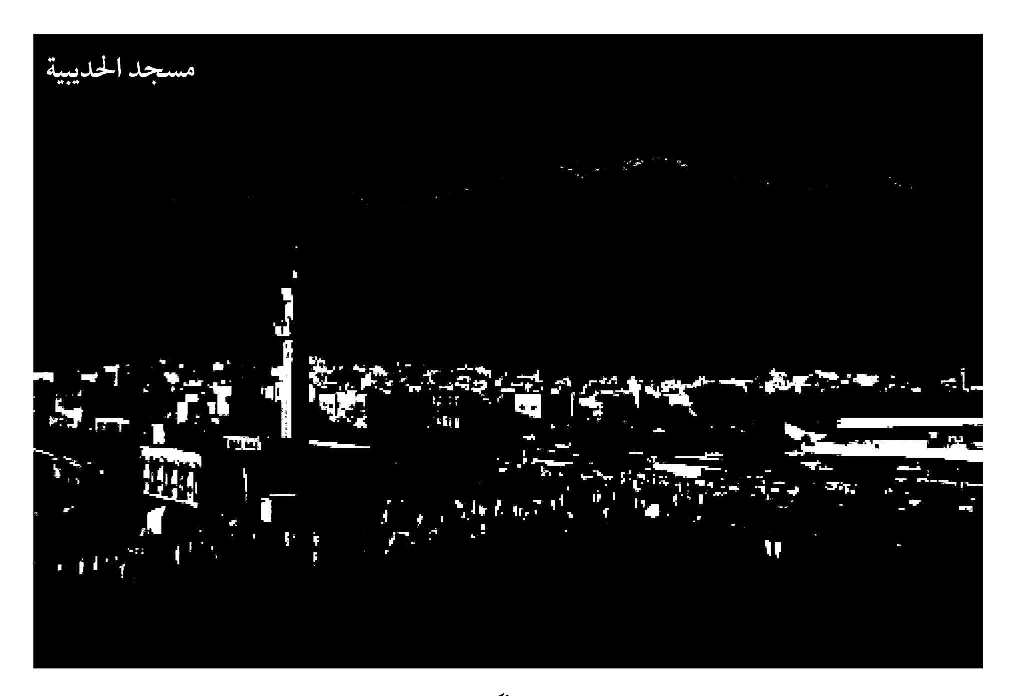
(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥) (٩٤).

(٢) هو ضرب من شجر الطَّلح.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨٥٦) (٦٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٨٠٧).

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري في« صحيحه» (٣٦٩٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.


مسجد الحديبية

وأنزل الله -عز وجل- في ذلك: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وقال ﷺ: «**لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشَّجرة النَّار**»[١]؛ فهذه هي بيعة الرضوان.

ولما فرغ النَّبيُّ ﷺ من مقاضاة المشركين؛ شرع في التحلُّل من عمرته، وأمر الناس بذلك، فشقَّ عليهم، وتوقفوا؛ رجاء نسخه؛ فغضب النَّبيُّ ﷺ من ذلك، فدخل على أُمِّ سلمة، فقال لها ذلك، فقالت: اخرج أنت يا رسول الله! فاذبح هديك، واحلق رأسك، والناس يتبعونك يا رسول الله! فخرج ففعل ذلك، فبادر الناس إلى موافقته[٢]، فحلقوا كلُّهم وكاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا؛ لأنَّهم يرون المشركين قد ألزموهم بشروطٍ كما أحبُّوا، وأجابهم ﷺ إليها، وهذا من فرط شجاعتهم رضي الله عنهم، وحرصهم على نصر الإسلام؛ ولكنَّ الله -عز وجل- أعلم بحقائق الأمور ومصالحها منهم.

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مُبَشِّر رضي الله عنها، و(٢٤٩٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري في الحديث الطويل (٢٧٣١ و٢٧٣٢).

ولهذا؛ لما انصرف ﷺ راجعًا إلى المدينة؛ أنزل الله -عز وجل- عليه سورة الفتح بكمالها في ذلك.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنكم تعدُّون الفتح: فتح مكة، وإنَّما كنَّا نعدُّه: فتح الحديبية.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما: تَعُدُّون أنتم الفتح فتح مكة! وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعدُّ الفتحَ: بيعة الرضوان يوم الحديبية[1].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾؛ قال: الحديبية[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ما كنَّا نَعدُّ فتح مكة فتحًا إلَّا يوم الحديبية[3].

وصدَقوا رضي الله عنهم؛ فإن الله -سبحانه- جعل هذه هي السبب في فتح مكة.

وعوَّض من هذه خيبر سلفًا وتعجيلًا.

فكانت مدَّة إقامتهم بالحديبية نحوًا من عشرين ليلة.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٥٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٧٢ و٤٨٣٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٦/ ٤٤).



غزوة خيبر

ولما رجع ﷺ إلى المدينة؛ أقام بها إلى المحرَّم من السنة السابعة، فخرج في آخره إلى خيبر.

فسار ﷺ إليها، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه[(١)].

وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم؛ يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فاغفر نداء لك ما اتقينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أبينا

وبالصياح عولوا علينا

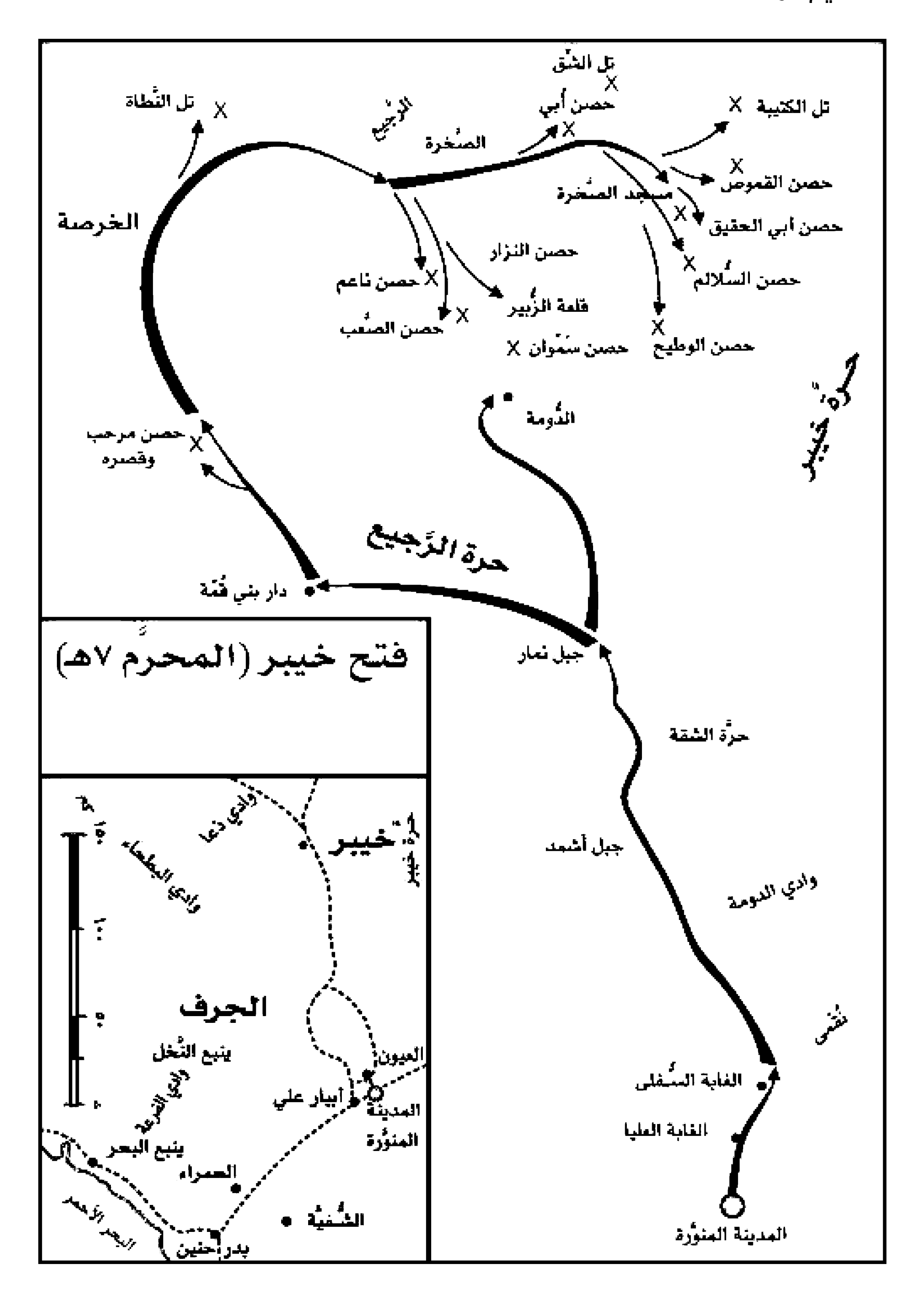
فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا؟**»، قال: أنا عامر. قال: «**غَفَر لك ربُّك**». قال: وما استغفرَ رسولُ الله ﷺ لإنسانٍ يخصُّة إلا استشهد[(٢)].

وفاجأ رسول الله ﷺ أهل خيبر:

---

(١) **حسن** – أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥)، والحاكم (٣/ ٣٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٩٨). وانظر –لزامًا–: «زاد المعاد» (٤/ ٣١٧)؛ ففيه تحقيق نفيس.

(٢) **صحيح** – أخرجه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).


فتح خيبر (المحرَّم ٧هـ)
تل الشّق
حصن أبي
تل النَّطاة
تل الكتيبة
الرَّجيع
الصُّخرة
حصن القموص
مسجد الصُّخرة
الخرصة
حصن أبي الحقيق
حصن النزار
حصن السُّلالم
حصن ناعم
قلعة الزُّبير
حصن الصَّعب
حصن سَمْوان
حصن الوطيح
الدُّومة
حرَّة خيبر
حصن مرحب وقصره
حرة الرَّجيع
دار بني قَمَة
جبل نمار
حرَّة الشقة
جبل أشمد
وادي الدومة
نقمى
الغابة السُّفلى
الغابة العليا
المدينة المنوَّرة
خيبر
الجرف
ينبع النَّخل
العيون
أبيار علي
المدينة المنوَّرة
ينبع البحر
الحمراء
الشُّفية
بدر حنين

عن أنس بن مالك ﵁: أن رسول الله ﷺ غزا خيبر؛ قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغَلَس، فركب نبيُّ الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبيُّ الله ﷺ في زقاق خيبر، وإن ركبتي لتمس فخذ نبيِّ الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «**الله أكبر! خربت خيبر، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»، قالها ثلاثَ مرارٍ.

قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم؛ فقالوا:محمد والخميس. قال: وأصبناها عنوة[1].

وعن أبي طلحة ﵁؛ قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، فسكت عنهم حتى إذا كان عند السَّحر، وذهب ذو الضرع إلى ضرعه، وذو الزرع إلى زرعه؛ أغار عليهم، وقال: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[2].

وأعطى رسول الله ﷺ الرَّاية لعلي بن أبي طالب ﵁:

عن سهل بن سعد ﵁: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطينَّ هذه الرَّاية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويُحبه اللهُ ورسوله**»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها؟ فقال ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو -يا رسول الله!- يشتكي عينيه.

قال ﷺ: «**فأرسلوا إليه**»، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له خيرًا حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونون مثلنا، فقال: «**انفذ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه؛ فوالله! لأَنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ**

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٩٧ و٤١٩٨)، ومسلم (١٣٦٥).

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨و٢٩).

لك من أن يكون لك حُمْرُ النِّعَم»[١].

وبرز إليهم مَرْحَبُ اليهودي يريد المبارزة؛ فقتله علي بن أبي طالب ﵁:

وعن سلمة بن الأكوع ﵁؛ قال: فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مَرْحَب يخطر بسيفه، ويقول:

قد علمت خيبر أنِّي مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّب
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

قال: وبرز له عمّي عامر؛ فقال:

قد علمت خيبر أنِّي عامر شاكي السلاح بَطَلٌ مُغامِرُ

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أَكْحَلَه، فكانت فيها نَفْسُهُ.

قال سلمة: فخرجت، فإذا نفر من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يقولون: بَطَلَ عملُ عامرٍ؛ قتل نفسه. قال: فأتيت النَّبيَّ ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله! بطل عمل عامر؟ قال رسول الله ﷺ: «**من قال ذلك؟**»، قلت: ناس من أصحابك، قال: «**كذب مَن قال ذلك، بل له أَجْرُه مرَّتين**».

ثم أرسلني إلى عليٍّ وهو أرمد، فقال: «**لأُعطينَّ الرَّاية رجلًا يحبُّ الله ورسوله، ويُحبُّه الله ورسوله**».

قال: فأتيت عليًّا، فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الرَّاية، وخرج مرحب؛ فقال:

قد علمت خيبر أنِّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

فقال عليٌّ:

أنا الذي سمَّتني أُمِّي حَيْدَرَه[1]   كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنْظَره

أَوْفيهم بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَه[2]

قال: فضرب رأس مرحب؛ فقتله، ثم كان الفتح على يديه[3].

وحاصرها رسول الله حصنًا حصنًا، يفتحه الله -عز وجل- عليه ويغنمه؛ حتى استكملها ﷺ وخَمَسَها، وقسَم نصفها بين المسلمين، وكان جملتهم من حضر الحديبية فقط، وأرصد النصف الآخر لمصالحه، ولما ينوبه من أمر المسلمين.

واستعمل اليهود الذين كانوا فيها -بعد ما سألوا ذلك عوضًا عمَّا كان صالحَهم عليه من الجلاء- على أن يعملوها؛ ولرسول الله ﷺ النصف ممَّا يخرج منها من ثمر أو زرع:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرِّهم؛ فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ويخرجون منها.

فاشترط عليهم: أن لا يكتموا شيئًا، ولا يُغَيِّبوا شيئًا، فإن فعلوا؛ فلا ذمَّة لهم، ولا عصمة، فغيَّبوا مسكًا فيه مالًا وحليًّا لحُيَيِّ بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر عندما أُجْلِيَت النَّضير، فقال رسول الله ﷺ لعمِّ حييَّ سعية: «**ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟**»، فقال: أذهبته النفقات والحروب. فقال رسول الله ﷺ: «**العهد قريب، والمال أكثر من ذلك**».

فدفعه رسول الله ﷺ على الزُّبير؛ فمسَّه بعذاب، وكان حُيَيَّ قبل ذلك دخل

---

(١) اسم للأسد.

(٢) مكيال واسع.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٨٠٧).

خربة، فقال: قد رأيت حييًّا يطوف في خربة ههنا، فذهبوا فطافوا، فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم، وقسَّم أموالهم للنكث الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم منها، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها، ونقوم عليها. ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقوموا عليها، وكانوا لا يتفرَّغون أن يقوموا عليها.

فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطر من كلِّ نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ.

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام يخرصها عليهم، ويضمِّنهم الشطر، قالوا: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدَّة خرصه؛ وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله! أتُطعِمُوني السُّحت؟ والله! لقد جئتكم من عند أحبِّ النَّاس إليَّ، ولأنتم أبغض الناس إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

قال: ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة؛ فقال: «**يا صفية ما هذه الخضرة؟**»، فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمرًا وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنَّين ملك يثرب؟ قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ؛ قتل زوجي وأبي، فما زال يعتذر إليَّ، ويقول: «**إنَّ أباك ألَّب عليَّ العرب وفعل وفعل**»؛ حتى ذهب ذلك من نفسي.

ورسول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وسقًا من تمر كلِّ عام، وعشرين وسقًا من شعير، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غَشُّوا المسلمين، وألقوا ابن عمر من فوق بيت؛ ففدغوا يديه، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خيبر، فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها بينهم، وقال رئيسهم: لا تخرجنا! دعنا نكون فيها كما

أقرَّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر. فقال لرئيسهم: أتراه سقط عنّي قول رسول الله ﷺ: «**كيف بك إذا رقصت بك راحلتك تخوم الشام يومًا ثم يومًا ثم يومًا**»، وقسَمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية[1].

وقد اصطفى ﷺ من غنائمها صفية بنت حيي بن أخطب لنفسه؛ فأسلمت، فأعتقها، وتزوَّجها، وبنى بها في طريق المدينة بعدما حلَّت[2].

وقد أهدت إليه امرأة من يهود خيبر -وهي زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم- شاة مصلية مسمومة، فلما انتهش من ذراعها؛ أخبره الذراع: أنه مسموم؛ فترك الأكل، ودعا باليهودية فاستخبرها: «**أسممت هذه الشاة؟**»، فقالت: نعم. فقال: «**ما أردت إلى ذلك؟**»، فقالت: أردت إن كنت نبيًّا؛ لم يضرك، وإن كنت غيره؛ استرحنا منك[3]، فعفا عنها ﷺ بادئ بدء.

وكان بشر بن البراء بن معرور ؓ ممن أكل منها؛ فمات؛ فقتلها به[4].

وقدِم على النَّبيِّ ﷺ في غزوة خيبر بعد فراغهم من القتال: جعفر بن أبي طالب، وأصحابه ممن بقي مهاجرًا بأرض الحبشة، وفي صحبتهم أبو موسى الأشعري في جماعة من الأشعريين يزيدون على السبعين[5].

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٠٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٧ - موارد)، والسياق له، بإسناد صحيح، وأصله في «الصحيحين».

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس ؓ.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس.

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٥١١ و٤٥١٢) -ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٦٢)-، والدارمي في «مسنده» (٧١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن به مرسلًا.
وهذا مرسل حسن الإسناد، وقد وصله الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١٩) بسند صحيح، عن أبي هريرة ؓ به.

(٥) أخرجه البخاري (٣١٣٦).



وقدِم عليه أبو هريرة وآخرون ﭫ؛ فأعطاهم ﷺ من المغانم[1] كما أراه الله -عز وجل-.

وقد قال ﷺ لجعفر: «**لا أدري بأيِّهما أنا أُسَرُّ؟! أبفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟**»، ولما قدم عليه؛ قام وقبَّل ما بين عينيه[2].

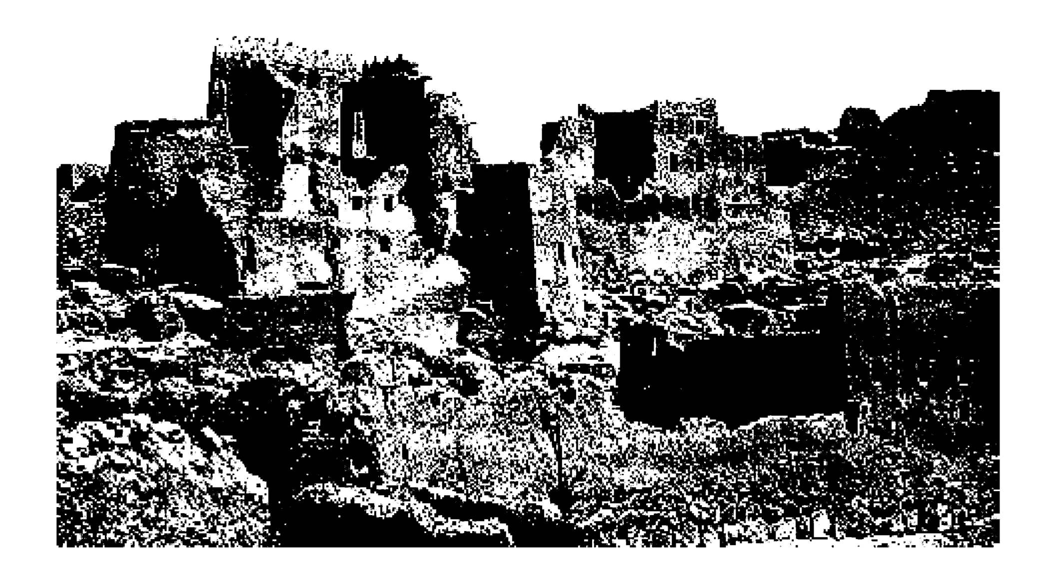
وقد استشهد بخيبر من المسلمين نحو عشرين رجلًا ﭫ.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرج أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٢) **صحيح** - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٨٢/ ٢٤٤)، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٣٣٥) بطرقه وشواهده.





فتح فدك [1]

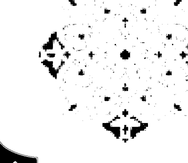
ولما بلغ أهل فدك ما فعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر؛ بعثوا إليه يطلبون الصلح، فأجابهم، فكانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب.

فوضعها ﷺ حيث أراه الله -عز وجل-، ولم يَقْسِمْها.

○ ○ ○

---

(١) قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان.







فتح وادي القرى[1]

ورجع إلى المدينة على وادي القرى؛ فافتتحه.

○ ○ ○

(١) هو واد كثير القرى، معروف بخصبه وعيونه وآباره، وسكانه عرب ويهود.



فصل

عمرة القضاء

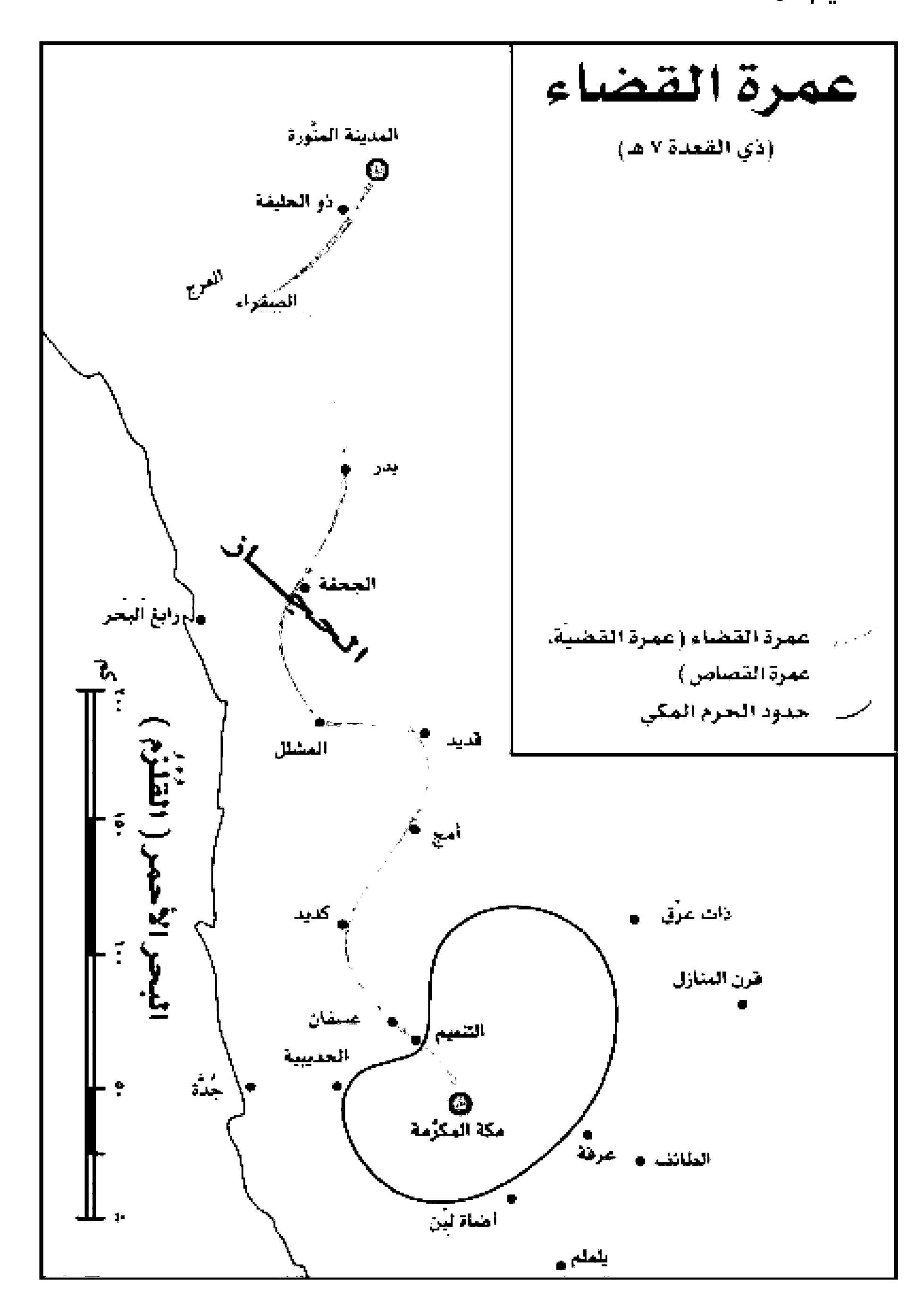
ولما رجع ﷺ إلى المدينة؛ أقام بها إلى شهر ذي القعدة سنة سبع، فخرج فيه معتمرًا عمرة القضاء[1] التي قاضى قريشًا عليها.

فسار حتى بلغ مكة، فاعتمر، وطاف بالبيت، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة؛ ليرى المشركون منهم قوَّة:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قدم رسول ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمّى يثرب؛ فأمرهم رسول الله ﷺ: أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلَّها إلا الإبقاء عليهم، وقال: «**ارملوا؛ ليرى المشركون من قبل قعيقعان**»، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتهم: أنَّ الحمَّى قد وهنتهم، هؤلاء كذا وكذا[2].

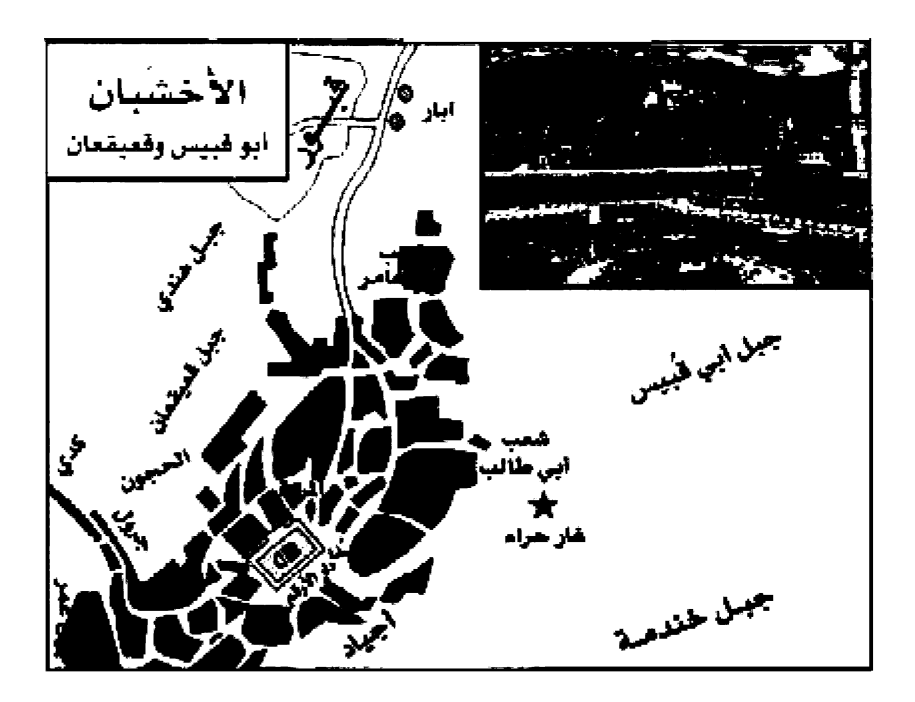
(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٥٠٠): «واختلف في سبب تسميتها: عمرة القضاء: فقيل: المراد: ما وقع من المقاضات بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء: الفصل الذي وقع عليه الصلح، ولذلك يقال لها: عمرة القضية... قلت: فتحصل من أسمائها أربعة: القضاء، والقضية، والقصاص، والصلح».
قال: «وروى يعقوب بن سفيان في «تاريخه» بسند حسنٍ عن ابن عمر؛ قال: كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع».

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٥٦)، ومسلم (١٢٦٦).



وكان عبد الله بن رواحة ﵁ ينشد بين يدي رسول الله ﷺ أثناء الطواف.

وعن أنس بن مالك ﵁: أن النَّبيَّ ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن



رواحة يمشي بين يديه، وهو يقول:

خلُّوا بني الكفَّار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله

ضربًا يزيل الهام عن مقيلـه   وَيُذْهِلُ الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة! بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله -عزَّ وجلَّ- تقول الشعر، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خلِّ عنه، فهو أسرع فيهم من نضح النَّبل**»(١).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يسترون رسول الله ﷺ خوفًا من غلمان المشركين أن يؤذوه:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه؛ قال: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ(٢).

وتمَّت الأيام الثلاثة؛ فبعث المشركون عليًّا رضي الله عنه يخبره طلبهم: أنِ أُخرج من بلدنا:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل

---

(١) **صحيح** - أخرجه النسائي في «المجتبى» (٥/ ٢٣٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٥٥).

مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب؛ كتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ﷺ. قالوا: لا نقرّ بهذا؛ لو نعلم أنَّك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال ﷺ: «**أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**»، ثم قال لعلي: «**امح: رسول الله**»، قال علي: لا والله! لا أمحوك أبدًا.

فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب -وليس يحسن يكتب-، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله: لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها.

فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًّا؛ فقالوا: قل لصاحبك أخرج عنَّا، فقد مضى الأجل. فخرج النَّبيُّ ﷺ؛ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم! يا عم! فتناولها علي؛ فأخذها بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: «**دونكِ ابنة عمك احمليها**»، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر؛ قال عليّ: أنا أخذتها، هي بنت عمّي، وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي؛ فقضى بها النَّبيُّ ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**».



وقال لعليٍّ: «**أنت مني وأنا منك**»، وقال لجعفر: «**أشبهت خَلقي وخُلقي**»؛ وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال ﷺ: «**أنها ابنة أخي من الرضاعة**»[1].

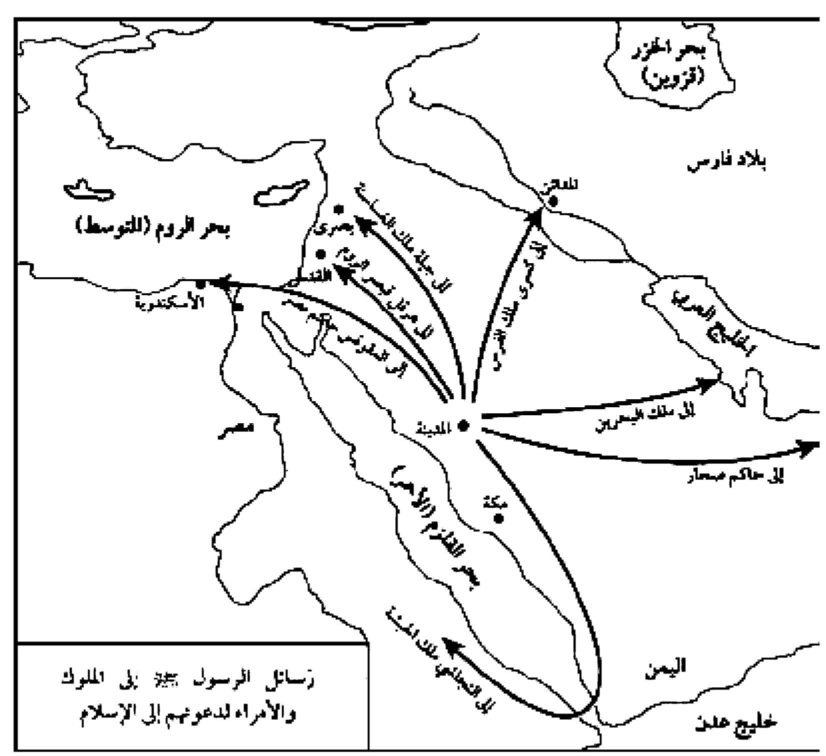
وتزوَّج رسول الله ﷺ بعد إحلاله بأُمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، وبنى بها بِسَرَفٍ[2]، ورجع إلى المدينة مؤيدًا منصورًا.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٦٩٩ و٤٢٥١).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٤١١) من حديث يزيد الأصم.





رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك

دعا رسول الله ﷺ ملوك الأرض في زمانه إلى الله -عز وجل-؛ فأرسل إليهم رسله، وبعث معهم كتبه يدعوهم إلى الله -عز وجل-:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبيَّ الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النَّجاشي، وإلى كلِّ جبَّار؛ يدعوهم إلى الله -تعالى-، وليس النجاشيّ الذي صلَّى عليه النَّبيُّ ﷺ[1].

(١) صحيح - أخرجه مسلم (١٧٧٤).

كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أبا سفيان أخبره مِن فيهِ إلى فيهِ؛ قال: انطلقتُ في المدَّة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتابٍ من رسول الله ﷺ إلى هرقل -يعني: عظيم الروم-، قال: وكان دِحية الكلبي جاء به، فدفعه إلى عظيم بُصرى[1]، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

فقال هِرقل: هل ههنا أحدٌ مِن قوم هذا الرجل الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم. قال: فدُعيتُ في نفرٍ من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه. فقال: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم: أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال له: قل لهم: إنِّي سائلٌ هذا عن الرجل الذي يزعم: أنَّه نبيٌّ، فإن كذبني فكذِّبوه. قال: فقال أبو سفيان: وأيمَ الله! لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذب؛ لكذبتُ.

ثم قال لتُرجمانه: سلهُ كيف حَسَبُه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسبٍ. قال: فهل كان من آبائِه مَلِك؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: ومن يتبعه؛ أشراف الناس[2] أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون.

قال: هل يرتدُّ أحد منهم عن دينِه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إيَّاه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا، يصيب منَّا ونُصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن

---

(١) بصرى: منطقة حوران، وهي منطقة ذات قلاع وأعمال قريبة من طرف البرية التي بين الشام والحجاز، والمراد بعظيم بصرى: أميرها، وحوران -الآن- هي منطقة جنوب سورية، وجزء من شمال الأردن.

(٢) كبارهم، وأهل الأحساب فيهم.

منه في مدَّة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني مِن كلمة أدخلُ فيها شيئًا غير هذه. قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ قبلَه؟ قال: قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إنِّي سألتك عن حَسَبِه؛ فزعمت أنَّه فيكم ذو حَسَبٍ، وكذلك الرُّسل تُبعث في أحساب قومها.

وسألتك: هل كان في آبائه مَلِك؛ فزعمت: أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب مُلْكَ آبائِه.

وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرُّسل.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت: أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على النَّاس، ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطةً له؟ فزعمت: أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت: أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت: أنَّكم قد قاتلتموه، فتكون الحربُ بينكم وبينه سجالًا، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت: أنَّه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت: أن لا، فقلت: لو قال هذا القولَ أحدٌ قبله؛ قلت: رجلٌ ائتم بقولٍ قيل قبله.

قال: ثم قال: بمَ يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال: إن يكن ما تقول فيه حقًّا؛ فإنه نبيٌّ، وقد كنت أعلم أنَّه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أنِّي أعلم أنِّي أُخلص إليه؛ لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده؛ لغسلت عن قدميه،

وليبلغنَّ مُلكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه، فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد؛ فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام[1]**: أسلم تَسْلَم، وأَسْلِم يُؤتِكَ اللهُ أَجرَك مرتين، وإن تولَّيت؛ فإنَّ عليك إثم الأريسيين**[2]**، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران:٦٤]».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب: كثر عنده السخب، وارتفعت الأصوات، وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنَّه ليخافه ملك بني الأصفر، قال: فما زلت موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنَّه سيظهر، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

وكان ابنُ النَّاطور -صاحب إيلياء وهرقل- أسقُفًا على نصارى الشام، يُحدِّث: أنَّ هرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيثَ النفسِ، فقال بعضُ بطارقته: قد استنكرنا هيئتك.

قال ابن الناطور: وكان هرقل حزَّاءً ينظرُ في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إنِّي رأيتُ حين نظرتُ في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، ولا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك؛ فليقتلوا من

---

(١) دعوة الإسلام، وهي كلمة التوحيد.

(٢) **الراجح عندي**: أنهم موحدو النصارى؛ نسبوا إلى القس أريوس الذي تصدّى لبدعة الثالوث المقدس في زمن الملك قسطنطين.

واضطهدت الدولة الرومانية أتباعه واستأصلتهم في مجازر جماعية.

وانظر -تفضُّلًا- كتابي: «**أجزل المواهب من قصة رسول الله ﷺ مع بحيرا الراهب**».

فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم: أُتي هرقلُ برجلٍ أرسل به مَلِكُ غسَّان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه؛ فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب؟ فقال: هم يختتنون.

فقال هرقل: هذا مَلِكُ هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحبٍ له برُوميَّة، وكان نظيره في العلم.

وسار هرقل إلى حمص؛ فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه نبيٌّ.

فأذن هرقل لعظماء الروم في دَسْكَرةٍ[1] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت.

ثم اطلع فقال: «يا معشر الروم! هل لكم في الفلَاح والرُّشد، وأن يثبت لكم ملككم؛ فتبايعوا هذا النَّبيَّ؟ فحاصوا حَيْصَةَ[2] حُمُرِ الوحش إلى الأبواب؛ فوجدوها قد غُلِّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردُّوهم عليَّ. وقال: إنِّي إنَّما قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدَّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له، ورضوا عنه؛ فكان ذلك آخر شأن هرقل»[3].

كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ بعث بكتابِه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذافة السَّهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى، فلما قرأه: مزَّقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزَّق[4].

○ ○ ○

(١) بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم، فيها الشراب والملاهي؛ يكون للملوك.

(٢) جالوا كالحمر الوحشية يطلبون الفرار والمهرب.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٢٤).



فصل

بعث مؤتة[١]

ولما كان في جمادى الأولى من سنة ثمان؛ بعث ﷺ الأمراء إلى مؤتة؛ ليأخذوا بثأر من قتل هناك من المسلمين، فَأَمَّرَ على النَّاس: مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال: «**إنْ قُتِلَ زيد؛ فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر؛ فعبد الله بن رواحة**»[٢].

فخرجوا في نحو من ثلاثة آلاف، وخرج ﷺ معهم يودِّعهم إلى بعض الطريق:

عن عروة بن الزُّبير؛ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة على مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «**إن أُصِيب زيد؛ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصِيب جعفر؛ فعبد الله بن رواحة على الناس**».

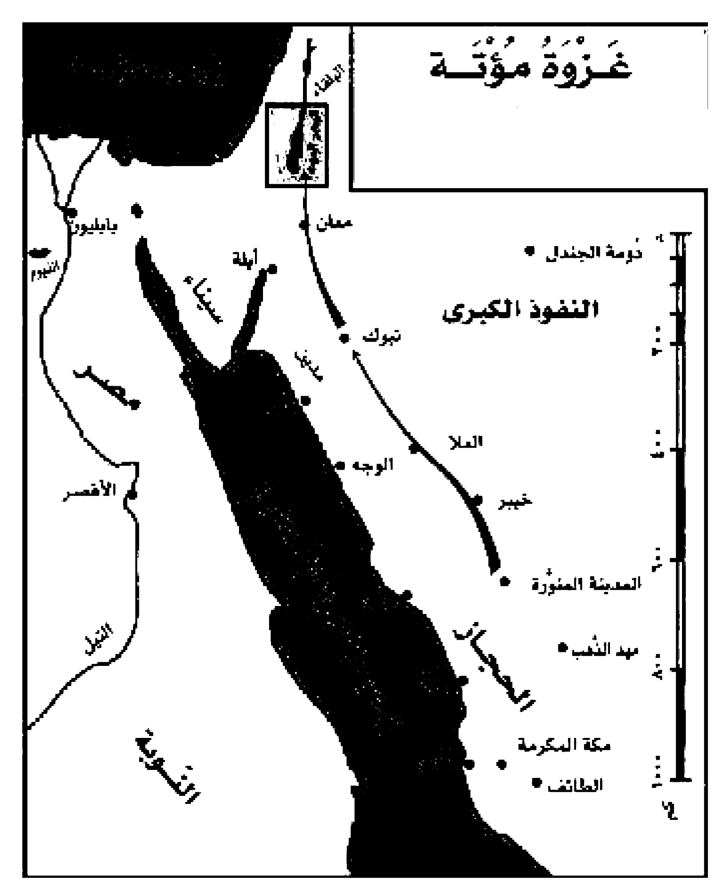
فتجهَّز الناس، ثم تهيَّؤوا للخروج -هم ثلاثة آلاف-، فلَمَّا حضر خروجهم؛ ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم، فلَمَّا ودَّعَ عبد الله بن رواحة مع مَن ودَّع من أمراء رسول الله ﷺ؛ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله! ما بي حبُّ الدنيا ولا صَبَابَةٌ[٣] بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب

---

(١) هي بالقرب من البلقاء على مرحلتين من بيت المقدس، وهي -الآن- في الأردن؛ تابعة لمحافظة الكرك.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٦١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) دقة الشوق ومنتهاه.



الله -عزَّ وجلَّ-، يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلستُ أدري كيف لي بالصدر بعد الورود.

فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين.

فقال عبد الله بن رواحة:

لكني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ [(١)] تقذف الزبدا[(٢)]

أو طعنة بيدي حرّان مجهزة[(٣)] ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[(٤)]

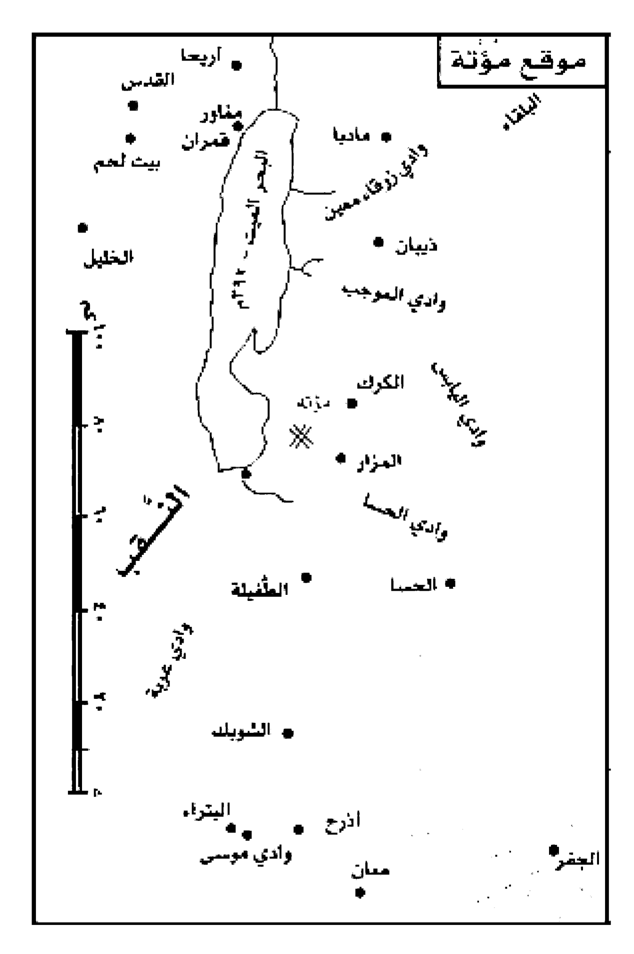
---

(١) يريد طعنه واسعة.

(٢) هو ما يعلو الماء إذا غلا، والمراد: ما يعلوا الدم الذي ينفجر من الطعنة.

(٣) سريعة القتل.

(٤) تخرق الأحشاء وتصل إلى الكبد.



حتى إذا مروا على جدثي[1] أرشده الله من غاز وقد رشدا[2]

فساروا، حتى إذا كانوا بمعان[3]؛ بلغهم أن هرقل ملك الرّوم قد خرج إليهم في مائة ألف، ومعه مالك بن زافلة في مائة ألف أخرى من نصارى العرب: من لخم،

---

(١) قبري.

(٢) **حسن لغيره** - أخرجه ابن إسحاق (٤/ ١٠٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٥٨-٣٥٩).

وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس، وآخر من حديث عبد الله بن جعفر ﷺ.

وبالجملة؛ فالحديث حسن.

وانظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٤١٥).

(٣) مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وهي -الآن- من المدن الأردنية.

وجذام، وقبائل قضاعة؛ من بهراء، وبلي، وبلقين.

فاشْتَوَر[1] المسلمون هناك، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ يأمرنا بأمره أو يمدُّنا. فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: يا قوم! والله! إن الذي خرجتم تطلبون أمامكم -يعني: الشهادة-، وإنكم ما تقاتلون الناس بعددٍ ولا قوَّة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا؛ فهي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فوافقه القوم، فنهضوا.

فلما كانوا بتخوم البلقاء[2]؛ لقوا جموع الرُّوم، فنزل المسلمون إلى جنب قرية مؤتة، والرُّوم على قرية يقال لها: مشارف، ثم التقوا، فقاتلوا قتالًا عظيمًا.

وقتل أمير المسلمين زيد بن حارثة رضي الله عنه والرَّاية في يده، فتناولها جعفر، ونزل عن فرس له شقراء، فعقرها، وقاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الرَّاية بيده الأخرى فقطعت -أيضًا-؛ فاحتضن الرَّاية، ثم قتل رضي الله عنه، وهو ينشد:

يا حبذا الجنَّة واقترابها ... طيِّبة وباردًا شرابُها

والرُّوم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

وعليَّ إذ لاقيتها ضرابها

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: فالتمسنا جعفر بن أبي طالب؛ فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين؛ من طعنة ورمية، ليس منها شيء في دبره -يعني: في ظهره-[3].

فأخذ الرَّاية عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه، وتلوَّم بعض التلوّم، ثم صمَّم

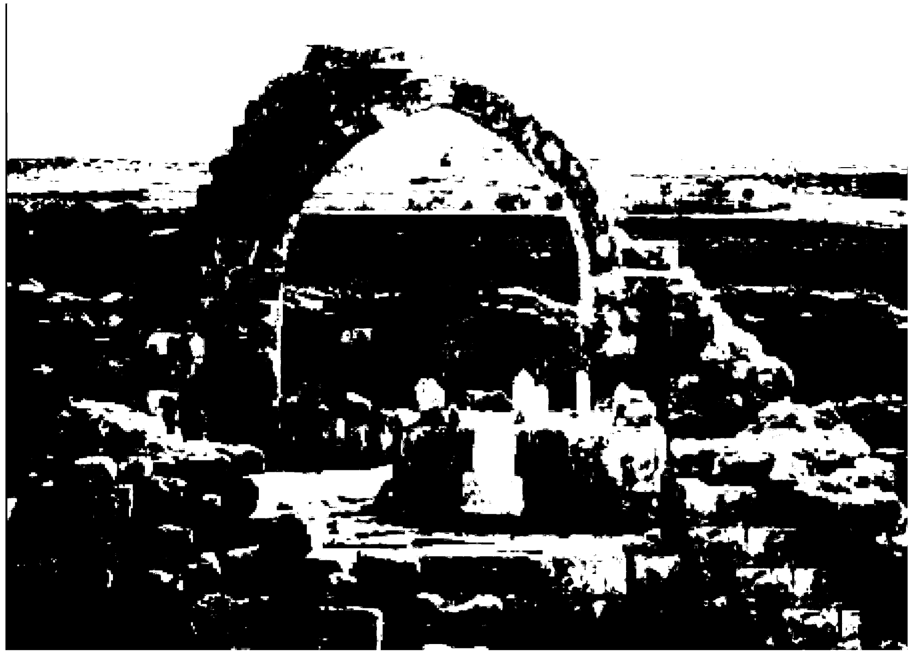
---

(١) أي: تشاوروا فيما بينهم، وهذه عبادة جليلة حث عليها الشارع الحكيم في قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

(٢) أرض بالشام في جند الأردن.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٦٠ و٤٢٦١).





وقاتل حتى قُتل.

قال أحد بني مرة بن عوف:

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الرَّاية، ثم تقدَّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردَّد بعض التردُّد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنَّه ... لتنزلنَّ أو لتكرهنَّه

إن أَجلَب الناسُ وشدُّوا الرَّنَّة ... ما لي أراك تكرهين الجنَّة

وقد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنة[1]

وقال -أيضًا-:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

(١) السقاء البالي.

يريد صاحبيه: زيدًا وجعفرًا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق[١] من لحم فقال: شُدَّ بهذا صُلبك، فإنَّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه من يده ثم انتهس[٢] منه نهسة، ثم سمع الحطمة[٣] في ناحية النَّاس؛ فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه؛ فتقدم، فقاتل حتى قتل[٤].

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ﵁، وأراد المسلمون أن يؤمِّروه عليهم فأبى:

عن أحد بني مرة بن عوف: ثم أخذ الرَّاية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الرَّاية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس[٥].

فأخذ الراية خالد بن الوليد ﵁؛ فانحاز بالمسلمين، وتلطَّف؛ حتى خلص المسلمون من العدو، ففتح الله على يديه؛ كما أخبر بذلك كلِّه رسول الله ﷺ أصحابه الذين بالمدينة يومئذ -وهو قائم على المنبر-؛ فنعى إليهم الأمراء واحدًا واحدًا، وعيناه تذرفان ﷺ[٦].

وعن أبي قتادة ﵁: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: «**عليكم زيد بن حارثة؛ فإن أصيب زيد؛ فجعفر، فإن أصيب جعفر؛ فعبد الله بن رواحة الأنصاري**»، فوثب جعفر؛ فقال: بأبي أنت يا نبيَّ الله! ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيدًا، قال:

---

(١) العظم الذي عليه بعض اللحم.

(٢) أخذ منه بفمة يسيرًا.

(٣) زحام الناس وهم يحطم بعضهم بعضًا.

(٤) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١٠٤٧)، ومن طريقه أبو داود (٢٥٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٦٣).

(٥) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١٠٤٨-١٠٤٩).

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٦٢) من حديث أنس ﵁.

«**امضوا؛ فإن لا تدري أي ذلك خير**»، قال: فانطلق الجيش؛ فلبثوا ما شاء الله، ثمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن ينادي: الصلاة جامعة، فقال رسول الله ﷺ: «**ناب خبر -أو ثاب خبر- ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدوَّ، فأصيب زيد شهيدًا؛ فاستغفروا له**»؛ فاستغفر له الناس، «**ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب؛ فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيدًا، اشهدوا له بالشهادة**»، فاستغفروا له، «**ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة؛ فأثبت قدميه حتى أُصيب شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسه**»، فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه، وقال: «**اللهمَّ! هو سيفٌ من سيوفك؛ فانصره**».

فيومئذ سُمِّي خالدٌ: «سيف الله»، ثم قال النَّبيُّ ﷺ: «**انفروا؛ فأمدُّوا إخوانكم، ولا يتخلفنَّ أحد**»، فنفر الناس في حرٍّ شديدٍ، مشاةً وركبانًا[1].

وجاء الليل؛ فكفَّ الكفَّار عن القتال.

ومع كثرة هذا العدو، وقلَّة عدد المسلمين بالنسبة إليهم؛ لم يُقتل من المسلمين خلق كثير.

وكرَّ المسلمون راجعين، ووقى الله شرَّ الكفرة، وله الحمد والمنّة؛ إلا أنَّ هذه الغزوة كانت إرهاصًا لما بعدها من غزو الروم، وإرهابًا لأعداء الله ورسوله[2].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٩٩ و٣٠٠-٣٠١)، والدارمي في «مسنده» (٢٦٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٠٣ و٨١٩٢ و٨٢٢٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٤٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٦٧-٣٦٨) بسند صحيح.

(٢) انظر -لزامًا-: «البداية والنهاية» (٦/ ٤٣٠ و٤٣٥-٤٣٧).



فصل

سرية ذات السلاسل[١]

في جمادى الآخرة سنة ثمان، بعث رسول الله ﷺ إلى بلاد بكر وعذرة من قضاعة، وأمَّر عليها عمرو بن العاص رضي الله عنه:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ قال: بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «**خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني**»، فأتيته وهو يتوضأ، فَصَعَّدَ فِيَّ النظر ثم طأطأه، فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش؛ فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**». قال: فقلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبةً في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال: «**يا عمرو! نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح**»[٢].

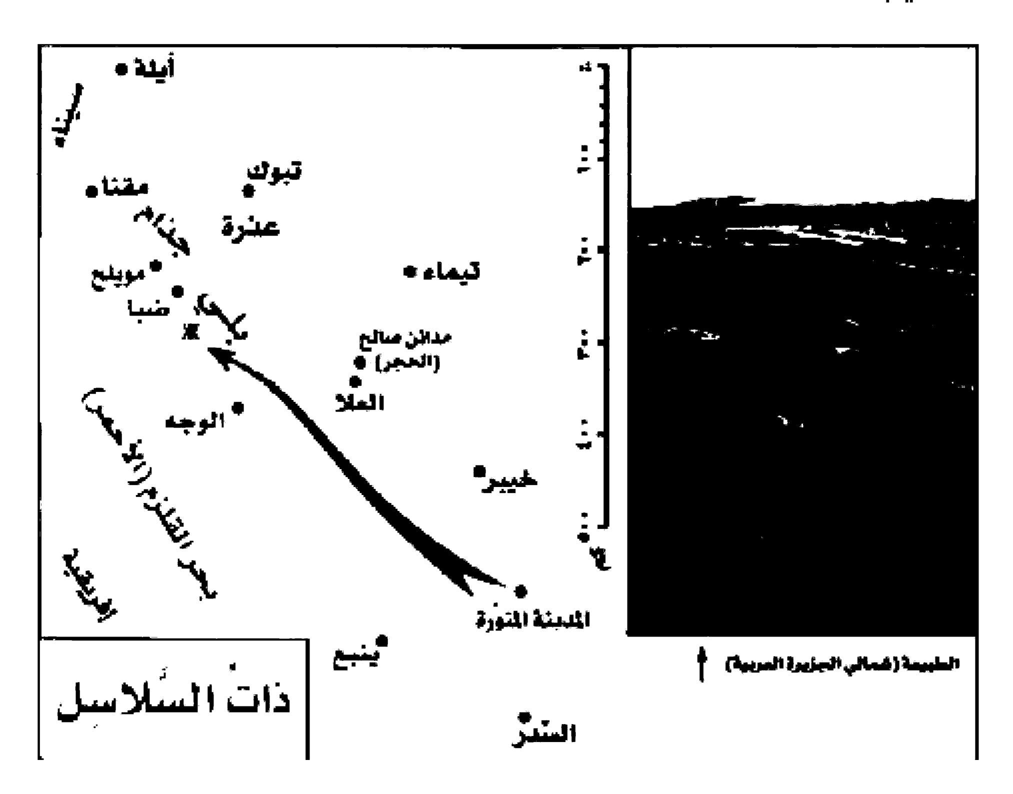
وكان معه في هذه السرية أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ قال: إنَّ رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل،

---

(١) وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام، سميت بذلك؛ لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد (٤/ ١٩٧ و٢٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان (٢٢٧٧ - موارد)، والحاكم (٢/ ٢ و٢٣٦).



فسأله أصحابه أن يوقدوا؛ فمنعهم، فكلَّموا أبا بكر، فكلمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحدٌ منهم نارًا إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدوَّ؛ فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم؛ فمنعهم.

فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فسأله؛ فقال: كرهت أن آذنَ لهم أن يوقدوا نارًا؛ فيرى عدوهم قلَّتهم، وكرهت أن يتبعوهم؛ فيكون لهم مَدد، فحمد أمره، فقال: يا رسول الله! مَن أحبُّ الناسِ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: مِنَ الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: «**عمر**»، فعدَّ رجالًا، فسكت؛ مخافة أن يجعلني في آخرهم[1].

وصلَّى عمرو بن العاص رضي الله عنه بأصحابه الصبح وهو جنب بعدما تيمَّم في ليلةٍ

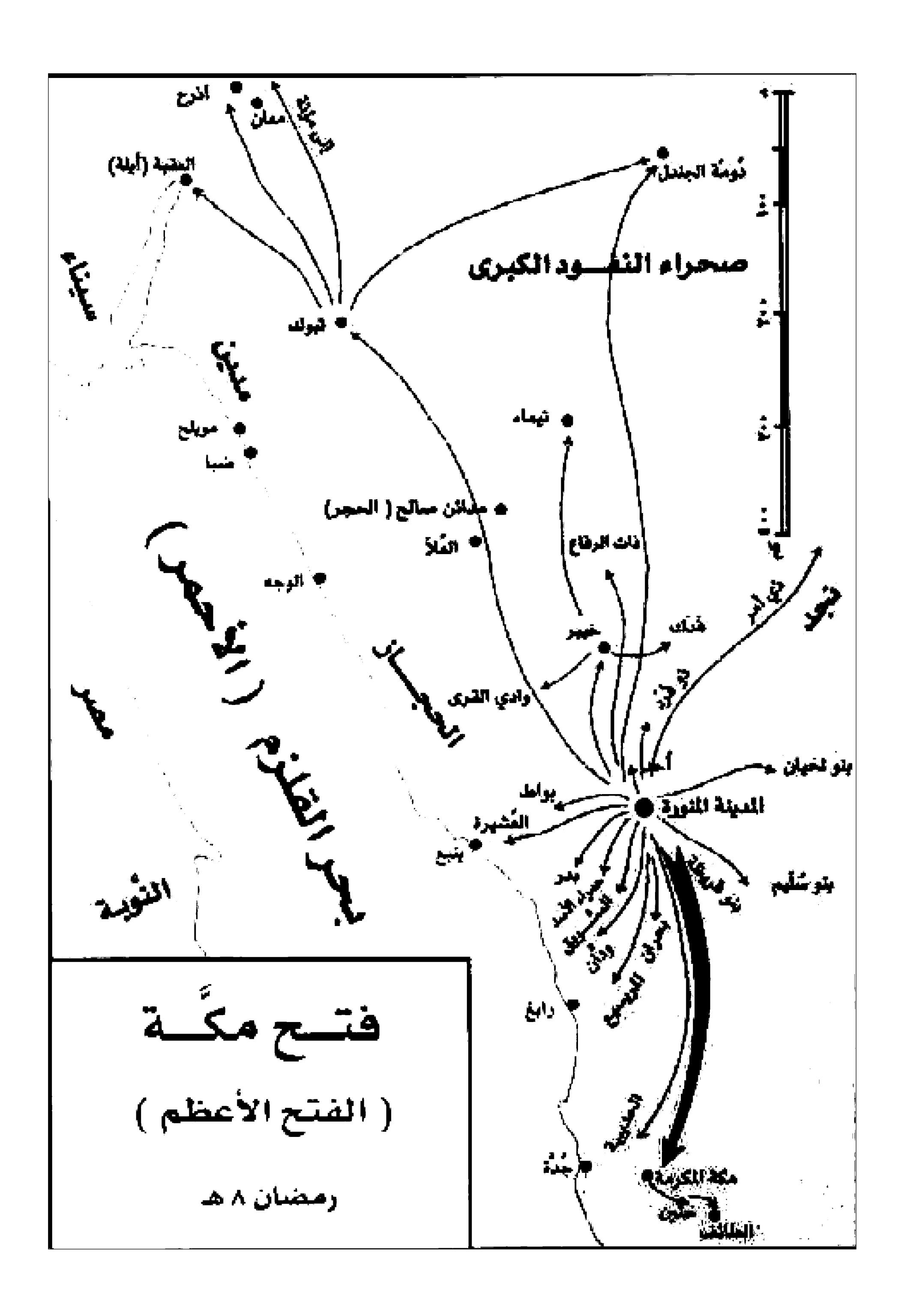
(١) **صحيح** - أخرجه الترمذي (٣٨٨٦)، وابن حبان (٤٥٢٣)، وأصله في «الصحيحين».

باردةٍ؛ خشية أن يهلك، وأقرَّه رسول الله ﷺ:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ قال: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل؛ فأشفقتُ إنِ اغتسلتُ أن أهلكَ، فتيمَّمت، ثم صلَّيت بأصحابي الصُّبح، فذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «**يا عمرو! صلَّيت بأصحابك وأنت جنب؟**»، فأخبرتُه بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إنِّي سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٩٢]، فضحكَ رسولُ الله ﷺ، ولم يَقُل شيئًا[1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٣٣٤)، والبيهقي (١/ ٢٢٥ و٢٢٦).


فتح مكّة
(الفتح الأعظم)
رمضان ٨ هـ
صحراء النفود الكبرى
دومة الجندل
تبوك
العقبة (أيلة)
أذرح
معان
سيناء
مدين
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
الوجه
تيماء
ذات الرقاع
خيبر
فدك
وادي القرى
نجد
أحد
بنو لحيان
المدينة المنورة
بواط
العُشيرة
ينبع
بدر
بنو سُليم
رابغ
الحديبية
مكة المكرمة
حنين
الطائف
جدة
مصر
النوبة
بحر القلزم (الأحمر)
جبال الحجاز



فصل

غزوة فتح مكة

فتح مكة أكرم الله -عزَّ وجلَّ- به رسوله ﷺ، وأقرَّ عينه به، وجعله علمًا ظاهرًا على إعلاء كلمته، وإكمال دينه، والاعتناء بنصرته.

وذلك؛ أنه لما دخلت خزاعة عام الحديبية في عقد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش، وضربت المدة إلى عشر سنين؛ أَمِنَ النَّاسُ بعضهم بعضًا، ومضى من المدَّة سنة، ومن الثانية نحو تسعة أشهر، فلم تكْمُل حتى غدا نوفل بن معاوية الدِّيلي فيمن أطاعه من بني بكر ابن عبد مناة، فبيَّتوا خزاعة على ماءٍ لهم، يقال له: الوتير، فاقتتلوا هناك بذحول[1] كانت لبني بكر على خزاعة من أيام الجاهلية، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسِّلاح، وساعدهم بعضهم بنفسه خفية، وفرَّت خزاعة إلى الحرم؛ فاتبعهم بنو بكر إليه، فذكَّر قوم نوفل نوفلًا بالحرم، وقالوا: اتق إلهك. فقال: لا إله له اليوم، والله يا بني بكر! إنكم لتسرقون في الحرم؛ أفلا تدركون فيه ثأركم؟

وقتلوا من خزاعة، وتحصَّنت خزاعة في دور مكة، فانتقض عهد قريش بذلك.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي وقوم من خزاعة حتى أتوا رسول الله ﷺ، فأعلموه بما كان من قريش، واستنصروه عليهم، فأجابهم ﷺ وبشَّرهم بالنصر.

---

(١) جمع ذحل؛ وهو: الثارات والأحقاد.

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم؛ قالا: كان في صُلح رسول الله ﷺ يوم الحديبية بينه وبين قريش: أنَّه من شاء يدخل في عقد محمدٍ وعهدِه: دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم: دخل، فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمّد ﷺ وعهده. وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم.

فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهرًا.

ثم؛ إنَّ بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله ﷺ وعهده ليلًا بماءٍ لهم يُقال له: الوتير، قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمَّد، وهذا الليل وما يرانا أحدٌ. فأعانوهم بالكراع والسلاح، فقاتلوا معهم للضغن على رسول الله ﷺ.

وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا ربُّ إني ناشدٌ محمّدًا ... حِلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولدًا وكنا والدًا ... ثمت أسلمنا ولم ننزع يدًا

فانصر رسول الله نصرًا أعتدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددًا

فيهم رسول الله قد تجرَّدا ... إن سيم خسفًا وجهه تربَّدا

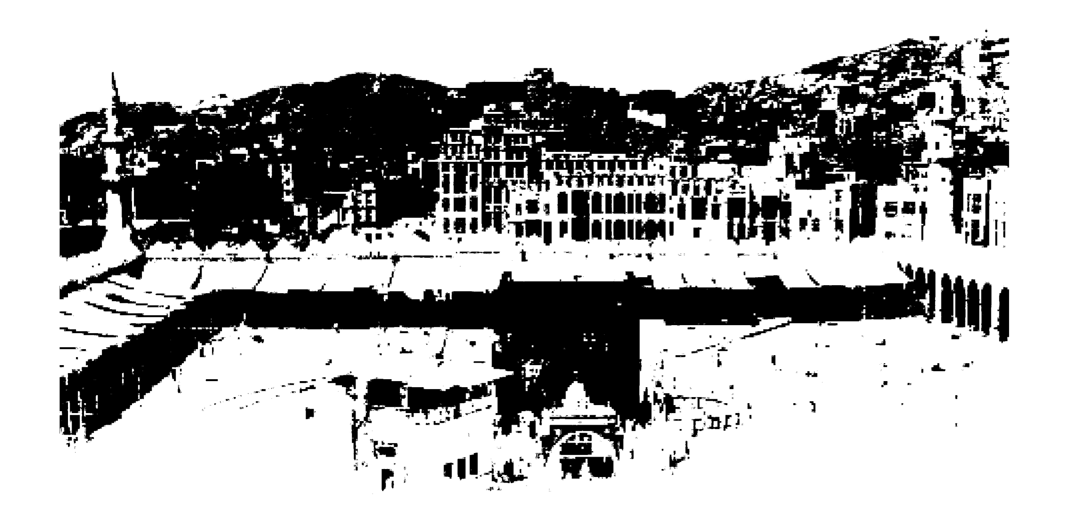
في فيلقٍ كالبحر يجري مزبدًا ... إن قريشًا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وزعموا أن لستُ أدعو أحدًا

فهم أذلُّ وأقلُّ عددًا ... قد جعلوا لي بكداء مرصدًا

هم بيَّتُونا بالوتير هُجَّدًا ... وقتلونا رُكَّعًا وسُجَّدًا

فقال رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»، فما برح رسول الله ﷺ حتى



مرت عنانة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذه السحابة لتستهلُّ بنصر بني كعب**»[1].

وندمت قريش على ما كان منهم؛ فبعثوا أبا سفيان؛ ليشُدَّ العقد الذي بينهم وبين محمد ﷺ، ويزيد في الأجل، حتى قَدِم المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها -زوج رسول الله ﷺ-، فذهب ليقعد على فراش رسول الله ﷺ؛ فمنعته.

ثم جاء رسول الله ﷺ، فعرض عليه ما جاء له، فلم يجبْه ﷺ بكلمة واحدة، ثم ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه؛ فطلب منه أن يكلِّم رسول الله ﷺ فأبى عليه، ثم جاء إلى عمر رضي الله عنه فأغلظ له، وقال: أنا أفعل ذلك؟! والله لو لم أجدْ إلَّا الذَّر لقاتلتكم به.

ثمَّ شرع رسول الله ﷺ في الجهاز إلى مكة، وسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يُعمِّي على قريشٍ الأخبار، فاستجاب له ربه -تبارك وتعالى-؛ ولذلك لما كتب حاطب بن أبي

(١) حسن - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١٠٩٥)، ومن طريقه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٣/ ١١١-١١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٥-٧) بإسناد حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وهو إمام في المغازي.

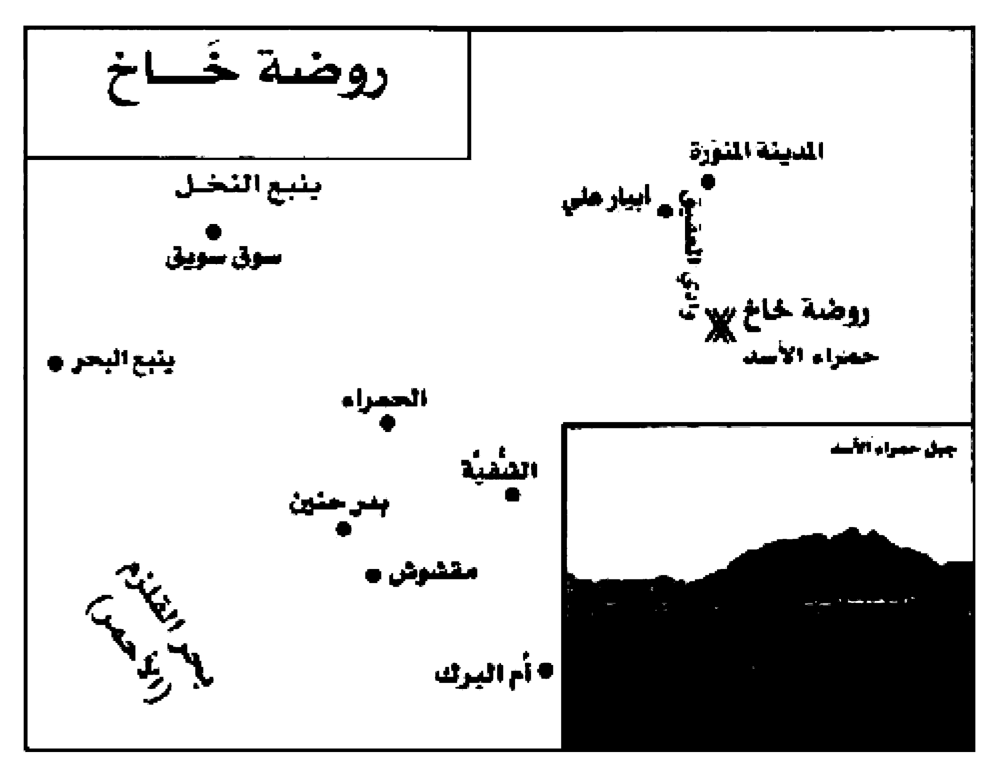
بلتعة[1] كتابًا إلى أهل مكة يُعْلِمُهم فيه بما هَمَّ به رسول الله ﷺ من العزم على قتالهم، وبعث به مع امرأة -وقد تأوَّل في ذلك؛ مصلحةً تعود عليه، وقَبِلَ ذلك منه رسول الله ﷺ وَصَدَّقه؛ لأنه كان من أهل بدر والحديبية-؛ بعث رسول الله ﷺ عليًّا والزبير والمقداد ﭫ، فردُّوا تلك المرأة من روضة خاخ[2]، وأخذوا منها الكتاب، وكان هذا من إعلام الله -عز وجل- نبيَّه ﷺ بذلك، ومن أعلام نبوَّته ﷺ:

عن عليٍّ ﭬ؛ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد؛ فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظعينة معها كتابٌ، فخذوا منها**»، قال: فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب، أو لنُلقينَّ الثياب. قال: فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يُخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب! ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ، إنِّي كنتُ امرَأً ملصقًا في قريش، يقول: كنت حليفًا، ولم أكن من أَنْفُسِها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قراباتٌ يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنَّه قد صدقكم**»، فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ اللهَ اطَّلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**». فأنزل الله السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ

---

(١) هو حاطب بن عمرو اللخمي، كان حليفًا لبني أسد، وكان صاحب تجارة واسعة بمكة، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة الماهرين، بعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية، توفي ﭬ في المدينة النبوية سنة (٣٠هـ).

(٢) موضع قرب حمراء الأسد في حدود العقيق على بعد بريد من المدينة في اتجاه مكة.



إن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١][١].

وخرج ﷺ لعشرٍ خلَون من رمضان، سنة ثمانٍ للهجرة، في عشرة آلاف مقاتل؛ من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، وقد ألفت[٢] مزينة وكذا بنو سليم على المشهور -رضي الله عنهم جميعهم-.

واستخلف ﷺ على المدينة: أبا رهم كلثوم بن حصين[٣].

ولقيه عمُّه العبَّاس بذي الحليفة، فأسلم، ورجع معه ﷺ، وبعث ثقله[٤] إلى المدينة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٠٠٧ و٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) بلغت الألف.

(٣) صحابي مشهور باسمه وكنيته، شهد أحدًا، واستخلفه الرسول ﷺ مرتين، رُمِيَ بسهم في نحره، فسمي: المنحور.

(٤) أهله ومتاعه.



الصحيح المصفَّى

فتــــح مكّــــة

٢٠ رمضان ٨ هـ

ولما انتهى ﷺ إلى نيق العقاب[١]؛ جاءه ابن عمِّه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أميَّة -أخو أمّ سلمة- مسلمين، فطردهما، فشفعت فيهما أمُّ

(١) موضع بين مكة والمدينة قرب الجحفة.

سلمة، وأبلغته عنهما ما رقَّقه عليهما؛ فقبلهما، فأسلما أتمَّ إسلام ، بعدما كانا أشدَّ النَّاس عليه ﷺ:

عن عبد الله بن عبَّاس ؛ قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مرَّ الظهران، في عشر آلاف من المسلمين، فسبعت سليم وألفت مزينة، وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلَّف عنه منهم أحد.

وقد عُمِّيت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو صانع، وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أميَّة بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ في ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلَّمته أمُّ سلمة فقالت: يا رسول الله! ابن عمِّك، وابن عمَّتك، وصِهرك، فقال: «**لا حاجة لي فيهما؛ أمَّا ابن عمِّي؛ فهتك عرضي، وأما ابن عَمَّتي وصِهري، فهو الذي قال لي بمكة ما قال**».

فلمَّا خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله! ليأذننَّ رسول الله ﷺ أو لآخذنَّ بيد ابني هذا، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشًا أو جوعًا، فلمَّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما، فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه؛ فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللَّات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوان الحقِّ أهدي وأهتدي
فقل لثقيف لا أريد قتالكم	وقل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلَّني	إلى الله من طردت كلَّ مطرد
أفلا سريعًا جامدًا عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
هم عصبة من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند

أريد لأرضيهم ولست بلاقط مع القوم مالم أهد في كلِّ مقعد

قبائل جاءت من بلاد بعيدة توابع جاءت من سهام وسردد

فما كنت في الجيش الذي نال عامرًا ولا كلّ عن خير لساني ولا يدي

وإن الذي أخرجتم وشتمتم سيسعى لكم سعي امرئ غير مقدد

قال: فلمَّا أنشد رسول الله ﷺ: إلى الله من طردت كل مطرد، ضرب رسول الله ﷺ في صدره، فقال ﷺ: «**أنت طردتني كل مطرد**»(١).

فانتهى ﷺ حتى نزل بمر الظهران(٢)؛ فبات به.

وأما قريش؛ فعمّى الله عليها الخبر؛ إلا أنهم قد خافوا، وتوهَّموا من ذلك، فلمَّا كانت تلك الليلة؛ خرج أبو سفيان، وبديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام يتجسسون الخبر، فلما رأوا النيران؛ أنكروها، فقال بديل: هي نار خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقلُّ وأذلُّ مِن أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فقلت: يا أبا حنظلة! تعرف صوتي؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم. قال: ما لك فداك أبي وأُمِّي؟

فقلت: هذا -والله- رسول الله في الناس، واصباح قريش! قال: فما الحيلة، فداك أبي وأُمِّي؟

قال: قلت: والله! لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك، فاركب عجز هذه البغلة. فركب، ورجع صاحباه، فخرجت به فكلما مررت بنارٍ من نيران المسلمين، فقالوا:

---

(١) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١٠٦٧-١٠٦٨- ابن هشام) -ومن طريقه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٣/ ١١٤-١١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٩-١٠/ ٧٢٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٣)- وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧-٢٨)-، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) هو المسمى اليوم: وادي فاطمة.

ما هذا؟ فإذا رأو بغلة رسول الله ﷺ عليها عمُّه قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمُّه. حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: مَن هذا؟ وقام إليَّ؛ فلمَّا رآه على عجز البغلة عرفه.

فقال: والله! عدوّ الله، الحمد الله الذي أمكن منك. فخرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ ودخل، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدَّابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر.

فقال: هذا عدوّ الله أبو سفيان قد أمكن الله منه، في غير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله! لا يناجيه الليلة رجل دوني.

فلما أكثر عمر، قلت: مهلا يا عمر! فوالله! لو كان رجلًا من بني عدي ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف.

فقال: مهلا يا عباس! لا تقل هذا؛ فوالله! لإسلامك حين أسلمت كان أحبَّ إليَّ مِن إسلام الخطاب أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب.

فقال رسول الله ﷺ: «**يا عباس! اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت؛ فائتنا به**».

فذهبت به إلى الرَّحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟**».

فقال: بأبي وأُمِّي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره؛ لقد أغنى شيئًا بعد.

فقال ﷺ: «**ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أنِّي رسول الله؟!**».

فقال: بأبي وأُمِّي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك! أما هذا فكأن في النَّفس منها حتى الآن شيء.

قال العبَّاس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله قبل أن يضرب عنقك. فشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

قال العبَّاس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحبُّ الفخر، فاجعل له شيئًا.

فقال ﷺ: «**نعم؛ من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن أغلق بابه؛ فهو آمن**».

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم، قال رسول الله ﷺ: «**احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل**[1]**؛ حتى تمرَّ جنود الله**»، فحبسه العبَّاس حيث أمره رسول الله ﷺ، فمرَّت القبائلُ على ركابها، فكلَّما مرَّت قبيلةٌ، قال: مَن هذه؟ فأقول: بنو سليم، فيقول: ما لي ولبني سليم، ثم تمرُّ أُخرى، فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة.

فلم يزل يقول ذلك حتَّى مرَّت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء[2]، فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرى منهم إلَّا الحدق[3]، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار.

فقال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل[4]، والله! لقد أصبح مُلك ابن أخيك اليوم لعظيم.

فقلت: ويحك يا أبا سفيان! إنَّها النُّبوَّة. قال: فنعم إذًا. فقلت: النجاء على قومك.

فخرج حتَّى أتاهم بمكة، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش! هذا محمَّد، قد أتاكم بما لا قِبل لكم به. فقامت امرأته هند بنت عتبة، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميث[5] الدسم[6]؛ فبئس طليعة قوم.

---

(١) ازدحامها، ووردت بلفظ: «خطم الجبل»؛ أي: أنفه.

(٢) ما غلب عليها لبس الحديد، شبَّه سواده بالخضرة، والعرب تطلق الخضرة على السواد.

(٣) العيون.

(٤) طاقة ومقدرة.

(٥) الزق.

(٦) الأسود الدني.

فقال أبو سفيان: لا يغرنَّكم هذه من أنفسكم، من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن.

فقالوا: ويحك! ما تغني عنَّا دارك.

قال: ومن أغلق بابه؛ فهو آمن، ومن دخل المسجد؛ فهو آمن. فتفرَّق النَّاس إلى دورهم وإلى المسجد[1].

وأصبح رسول الله ﷺ يومه ذلك سائرًا إلى مكة.

وقد جعل ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه على المقدّمة، وخالد بن الوليد رضي الله عنه على الميمنة، والزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه على الميسرة، ورسول الله ﷺ في القلب، وكان أعطى الرَّاية سعد بن عبادة رضي الله عنه؛ فبلغه أنه قال لأبي سفيان حين مرَّ عليه: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة -والحرمة: هي الكعبة-، فلما شكا أبو سفيان ذلك إلى رسول الله ﷺ؛ قال: «**بل هذا يوم تُعظَّم فيه الكعبة**»؛ فأمر بأخذ الرَّاية من سعد فتُعطى الزُّبير، وأمر ﷺ الزُّبير أن يدخل من كداء من أعلى مكة، وأن تنصب رايته بالحجون[2]، وأمر خالدًا أن يدخل من كُدَي من أسفل مكة، وأمرهم بقتال من قاتلهم.

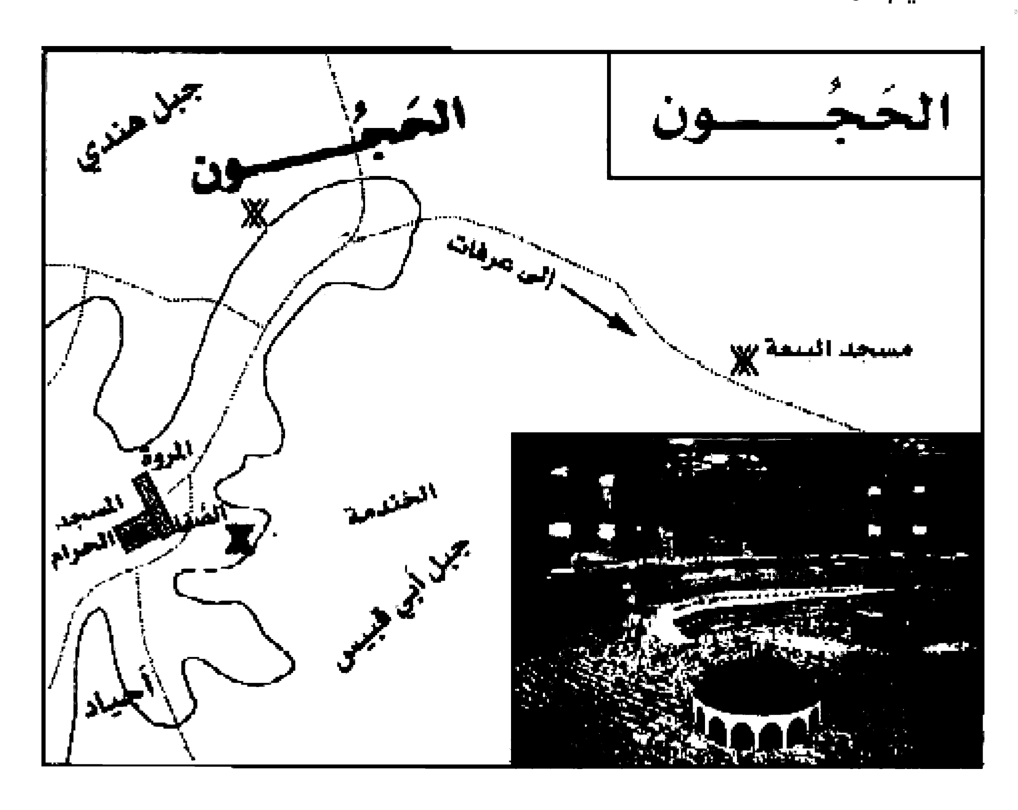
وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، قد جمعوا جمعًا بالخندمة، فمرَّ بهم خالد بن الوليد فقاتلهم وقتل منهم ثلاثة عشر رجلًا، وفرَّ بقيتهم.

عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: وفدت وفود إلى معاوية: وذلك في رمضان، فكان يصنع بعضها لبعض الطعام، فكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله، فقلت: ألا أصنع طعامًا فأدعوهم إلى رحلي؟ فأمرت بطعام يصنع، ثم لقيت أبا هريرة من العشيِّ، فقلت: الدَّعوة عندي الليلة. فقال: سبقتني. قلت: نعم. فدعوتهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» بهذا السياق كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٦٤-١٦٧)، وصححه الحافظ في «فتح الباري». وله شاهد في «مسند عروة بن الزبير»: أخرجه البخاري (٤٢٨٠).

(٢) بفتح الحاء، موضع بمكة عند المحصَّب، وهو الجبل المشرف بجانب المسجد الحرام.



فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم؟ يا معشر الأنصار! ثم ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة، فبعث الزُّبير على إحدى المجنبتين[1]، وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر[2] فأخذوا بطن الوادي[3]. ورسول الله في كتيبة. قال: فنظر؛ فرآني، فقال: «**أبو هريرة**»، قلت: لبيك يا رسول الله! قال: فقال: «**اهتف لي بالأنصار**[4]**، ولا يأتيني إلا أنصاري**»، قال: فأطافوا به[5]، ووبشت قريش أوباشًا لها[6] وأتباعًا، فقالوا: نقدم هؤلاء. فإن

(١) الميمنة والميسرة، القلب يكون بينهما.

(٢) الذين لا دروع لهم.

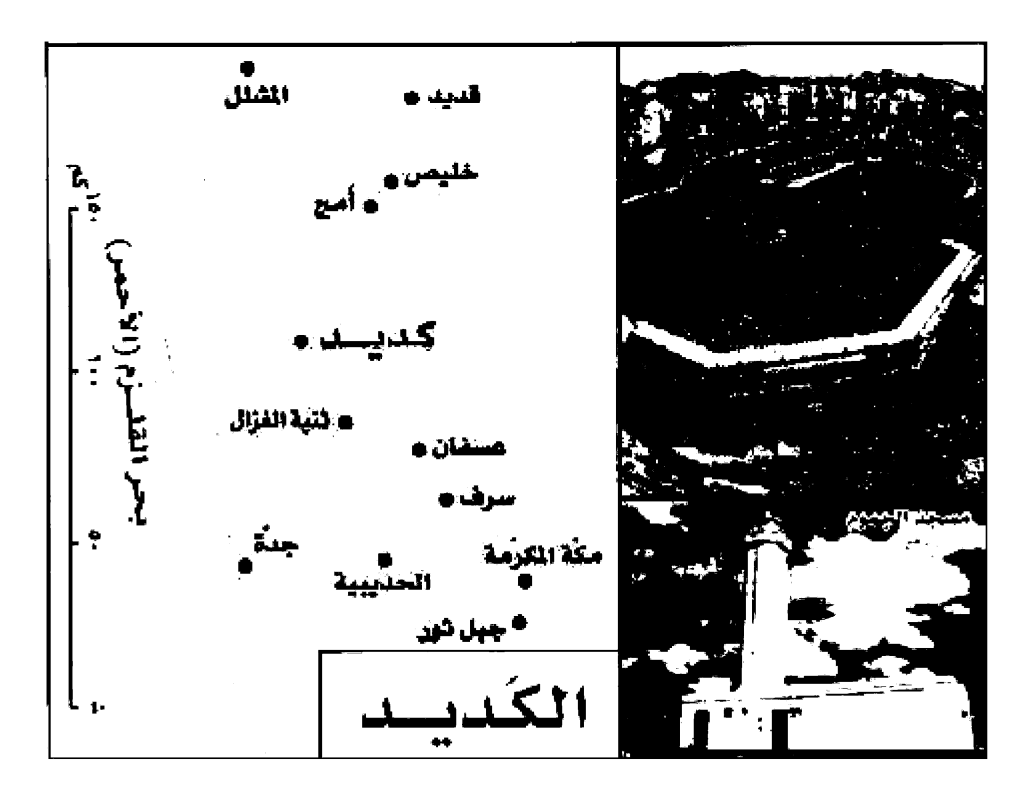
(٣) جعلوا طريقهم في بطن الوادي.

(٤) صِحْ بهم وادعهم لي.

(٥) أحاطوا به.

(٦) جمعت جموعًا من قبائل شتَّى.

الصحيح المصفَّى



كان لهم شيء كنَّا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذي سُئلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم**»، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى[1]: «**حصدًا حتى توافوني بالصفا**»، قال: فانطلقنا، فما شاء أحد منَّا أن يقتل أحدًا إلَّا قتله، وما أحد منهم يوجِّه إلينا بشيء، قال: فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله! أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**من أغلق بابه؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن**»، قال: فغلَّق النَّاس أبوابهم [2].

ودخل رسول الله ﷺ مكة -وهو راكب على ناقته- من كداء التي بأعلى مكة، وعلى رأسه المِغفر[3]، ورأسه يكاد يمسُّ مقدمة الرَّحل؛ من تواضعه لربِّه -عزَّ وجلَّ-

(١) أشار إلى هيئتهم المجتمعة.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٨٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكان يقرأ سورة الفتح[1].

وقد أمَّن ﷺ النَّاسَ إلَّا عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، ومقيس بن صبابة، والحويرث بن نقيذ، وقينتين لابن خطل، -وهما فرتنا وصاحبتها-، وسارة مولاة لبني عبد المطلب؛ فإنه ﷺ أهدر دماءهم، وأمر بقتلهم حيث وجدوا؛ حتى ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة؛ فقتل ابن خطل، وهو متعلق بالأستار، ومقيس بن صبابة، والحويرث بن نقيذ، وإحدى القينتين[2]، وآمن الباقون.

ونزل ﷺ مكة واغتسل في بيت أم هانئ[3]، وصلَّى صلاة الضُّحى ثماني ركعات[4]، يُسَلِّمُ من كل ركعتين.

وخرج ﷺ إلى البيت، فطاف به طواف قدوم[5]، ولم يَسْعَ، ولم يكن معتمرًا.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٨١)، ومسلم (٧٩٤).

(٢) **حسن** - أخرجه أبو داود في «السنن» (٢٦٨٣ و٤٣٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ١٠٥-١٠٦)، وسنده ضعيف.

وله شاهد من حديث سعيد بن يربوع المخزومي به: أخرجه أبو داود في «السنن» (٢٦٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٢٩)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٣٠١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٢-٦٣)، وسنده ضعيف.

وشاهد آخر من حديث أنس رضي الله عنه به: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٧٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٠-٦١) بسند حسن في الشواهد.

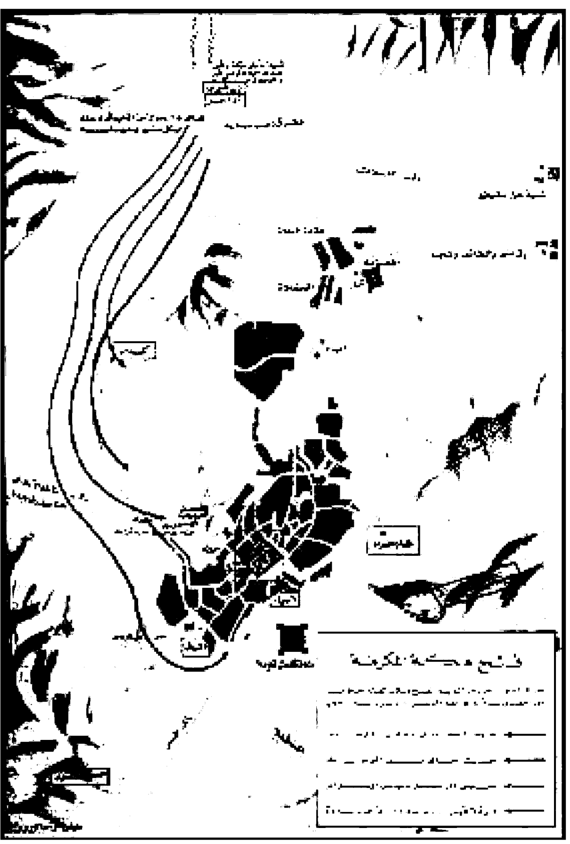
وثالث من مرسل سعيد بن المسيب عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤١) بسند حسن في الشواهد.

وبالجملة؛ فالحديث ثابت بمجموع ذلك إن شاء الله.

(٣) هي بنت أبي طالب، وهي ابنة عمِّ رسول الله ﷺ، أسلمت عام الفتح، وكانت تحت هبيرة بن عامر المخزومي حيث فرّ يوم فتح مكة إلى نجران، وهلك هناك مشركًا.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١١٧٦)، ومسلم (٣٣٦) (٧١) من حديث أم هانىء رضي الله عنها.

(٥) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



ودعا بالمفتاح، فدخل البيت[(١)] وأمر بإلقاء الصُّور ومحوها منه[(٢)]، وأذَّن بلال يومئذ على ظهر الكعبة، ثم ردَّ ﷺ المفتاح إلى عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة، وأقرَّهم على السِّدانة.

وكان الفتح لعشر بقين من رمضان.

واستمر ﷺ مفطرًا بقية الشهر، يصلي ركعتين[(٣)].

وخطب ﷺ الغد من يوم الفتح؛ فبيَّن حُرْمة مكة، وأنها لم تحلَّ لأحد قبله، ولا تحلُّ لأحدٍ بعده، وقد أُحِلَّت له ساعةً من نهار، وهي غير ساعته تلك حرام[(٤)].

عن أبي شريح العدوي؛ أنه قال لعمرو بن سعيد -وهو يبعث البعوث إلى مكة-: ائذن لي يا أيها الأمير! أُحدِّثك قولًا، قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمِعَتْهُ أُذُناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٨٩) معلقًا؛ ووصله في (٢٩٨٨)، ومسلم (١٣٣١) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣٠ و٤٣١ و٤٣٢ و٤٤٠)، وأبو داود (١٢٢٩)، والترمذي -بنحوه- (٥٤٥).

وأما مداومته ﷺ على فطر بقية الشهر؛ فقد ثبت عند البخاري (٤٢٧٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وكذلك مداومته على صلاة ركعتين عنده (٤٢٩٨).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤).

حين تكلم به: إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ مكَّة حرَّمها الله، ولم يحرِّمها النَّاس، لا يحلُّ لامرئٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخَّص لقتال النَّبيِّ فيها؛ فقولوا له: إنَّ الله أذن لرسول الله ولم يأذن لكم، وإنَّما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلِّغ الشاهد الغائب**».

فقيل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح؛ أن الحرم لا يُعيذُ عاصيًا[١]، ولا فارًّا بِدَمٍ[٢]، ولا فارًّا بِخَرْبَةٍ[٣][٤].

ثم شرع رسول الله ﷺ في إزالة الأصنام من حول الكعبة، مُنْهِيًا بذلك عصرَ الشركِ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: دخل النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب؛ فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: «**جاء الحقُّ وزهق الباطل، جاء الحق وزهق الباطل، وما يُبدئُ الباطل وما يُعيد**»[٥].

وبعث ﷺ السَّرايا إلى مَن حول مكة مِن أحياء العرب يدعونهم إلى الإسلام.

وكان في جملة تلك البعوث:

○ ○ ○

---

(١) لا يجيره الحرم ولا يمنعه.

(٢) مَن التجأ إليه هاربًا من سبب من الأسباب الموجبة للقتل.

(٣) اللِّص المفسد في الأرض.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤).

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).



بعث خالد بن الوليد ﵁ إلى بني جذيمة

وهم الذين قتلهم خالد بن الوليد ﵁ حين دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: صبأنا. ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا؛ فَوَداهم[1] رسول الله ﷺ، وتبرَّأ من صنيع خالد بهم.

عن عبد الله بن عمر ﵄؛ قال: بعث النَّبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة؛ فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلِّ رجل منَّا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كلُّ رجل منَّا أسيره، فقلت: والله! لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النَّبيِّ ﷺ فذكرناه، فرفع النَّبيُّ ﷺ يديه فقال: «**اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إليك مما صنع خالد**» مرتين[2].

○ ○ ○

(١) دفع الدِّيَة لأولياء الدَّم.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري (٤٣٣٩ و٧١٨٩).



فصل

بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العُزّى

وكان -أيضًا- في تلك البعوث بعث خالد -أيضًا- إلى العُزّى، وكان بيتًا تُعظِّمه قريش وكنانة وجميع مضر، فدمّرها:

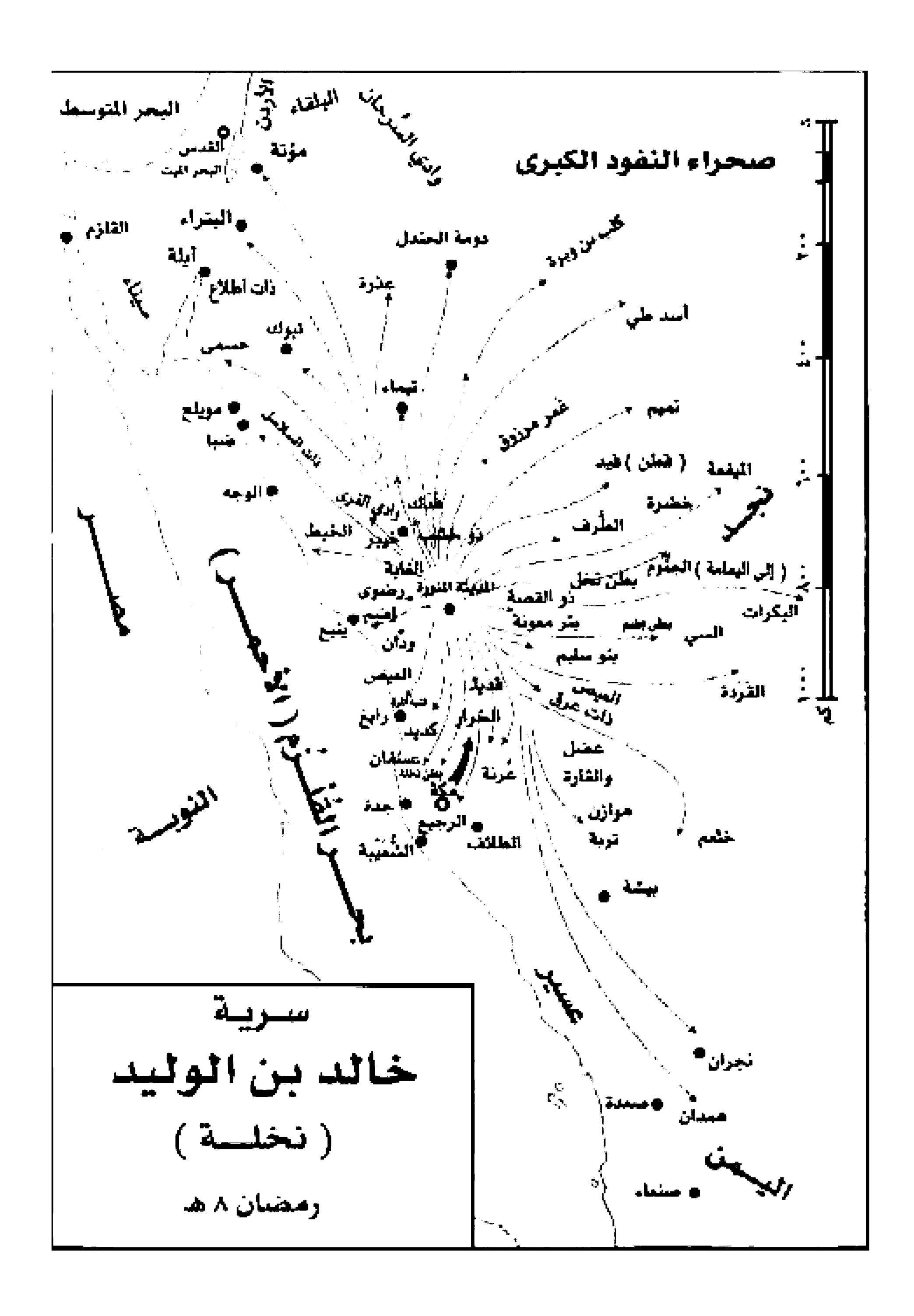
عن أبي الطفيل؛ قال: لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالدَ بن الوليد إلى نَخْلة، وكانت بها العُزَّى، فأتاه خالد بن الوليد، وكانت على تلال السَّمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النَّبيَّ ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «**ارجع؛ فإنَّك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالد، فلما نظرت إليه السَّدنة، وهم حُجَّابها أمعنوا في الجبل، وهم يقولون: يا عزَّى خبِّليه! يا عُزَّى عوِّريه، وإلا؛ فموتي برَغْمٍ! قال: فأتاها خالد، فإذا امرأة عُريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فعمَّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبره، قال: «**تلك العزَّى؟**»[1].

○ ○ ○

---

(١) حسن - أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٤٦٩).

من سيرة النبي المصطفى





فصل

غزوة حنين[1]

ولما بلغ فتح مكة هوازن؛ جمعهم مالك بن عوف النصري[2]، فاجتمع إليه ثقيف وقومه بنو نصر بن معاوية، وبنو جشم، وبنو سعد بن بكر، ويسير من بني هلال ابن عامر، وقد استصحبوا معهم أنعامهم ونساءهم؛ لئلا يفروا[3]، فلما تحقَّق ذلك دريد بن الصَّمَّة شيخ بني جشم، وكانوا قد حملوه في هودج؛ لكبره تيمُّنًا برأيه، فقال دريد -حين نزلوا بأوطاس فسمع رغاء البعير، ونهيق الحمير، ويعار الشاء، وبكاء الصغير-: بأيِّ واد أنتم؟ فقالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس[4]، ولا سهل دهس[5]، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهيق الحمار، ويعار الشاة؟ فقالوا: ساق مالك مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم.

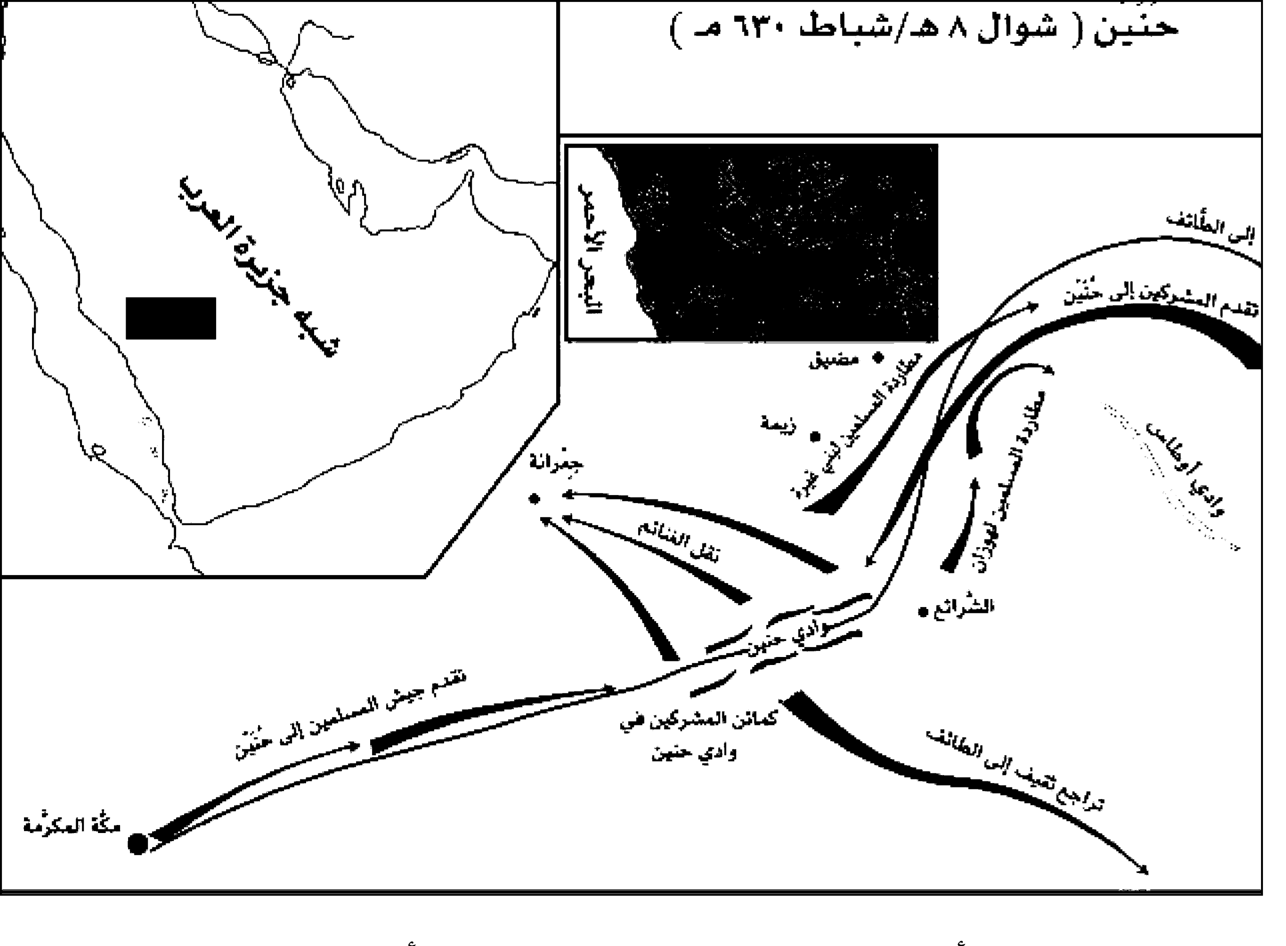
(١) واد إلى جنب ذي المجاز، قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات. وتسمى -أيضًا- باسم مكانها: غزوة أوطاس؛ لأنها بدأت بحنين وانتهت بأوطاس، وتسمى كذلك: غزوة هوازن؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ.

(٢) نسبة إلى جده الأعلى نصر بن معاوية، وقد أسلم ﷺ بعد غزوة الطائف، وشهد القادسية وفتح دمشق.

(٣) **صحيح** - وهذا القدر أخرجه أبو داود (٢٥٠١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨١٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٣٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٦- ١٢٥)، وسنده صحيح.

(٤) الحزن ما غلظ من الأرض، والضرس: الأكمة الخشنة، أو الموضع الذي فيه حجارة محددة.

(٥) سهل ضد الحزن، والدهس: المكان السهل اللين الذي لا يبلغ أن يكون رملاً وهو تراب.



قال: فأين مالك؟ فدعي مالك، فقال: يا مالك! إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، فما دعاك إلى أن تسوق مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل أهله وأمواله ليقاتل عنهم، قال: فانقض[1] به دريد، وقال: يا راعي ضأن والله، وهل يرد وجه المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، فارفع الأموال والنساء والذراري إلى علياء قومهم، وممتنع بلادهم.

ثم قال دريد: وما فعلت كعب وكلاب. فقالوا: لم يحضرها منهم أحد. فقال: غاب الحَدُّ[2] والجَدُّ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت لو فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن حضرها؟ فقالوا: عمرو بن عامر وعوف بن

(١) زجره كما تزجر الدابة.

(٢) الشجاعة والحدة.

عامر. فقالوا: ذانك الجذعان[1] لا يَضُرَّان ولا ينفعان. فكره مالك أن يكون لدريد فيها رأي، فقال: إنك قد كبرت، وكبر علمك، والله لتطيعن يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. فقالوا: أطعناك.

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفان سيوفكم ثم شدُّوا شدَّة رجلٍ واحد[2].

وبعث ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي[3]، وأمره أن يدخل في القوم حتى يعلم مِن علمهم، فقصدهم، ومكث فيهم يومًا أو يومين، ثم أتى رسول الله، فأخبره خبرهم؛ فتهيَّأ رسول الله ﷺ للقائهم، واستعار من صفوان بن أمية أدرعًا، فقال: أَغَصْبٌ يا محمد؟ فقال ﷺ: «**لا؛ بل عارية مضمونة**»[4]، واقترض منه جملة من المال، وسار إليهم في العشرة آلاف الذين كانوا معه في الفتح، وألفين من طلقاء مكة[5]، وذلك في شوال سنة ثمانٍ للهجرة، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس[6]، فلما جدُّوا في السَّير؛ بشَّرهم رسول الله ﷺ بالنَّصر:

عن سهيل بن الحنظليَّة رضي الله عنه: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فأطنبوا السَّير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس،

---

(١) يريد أنهما ضعيفان بمنزلة الجذع في سنة.

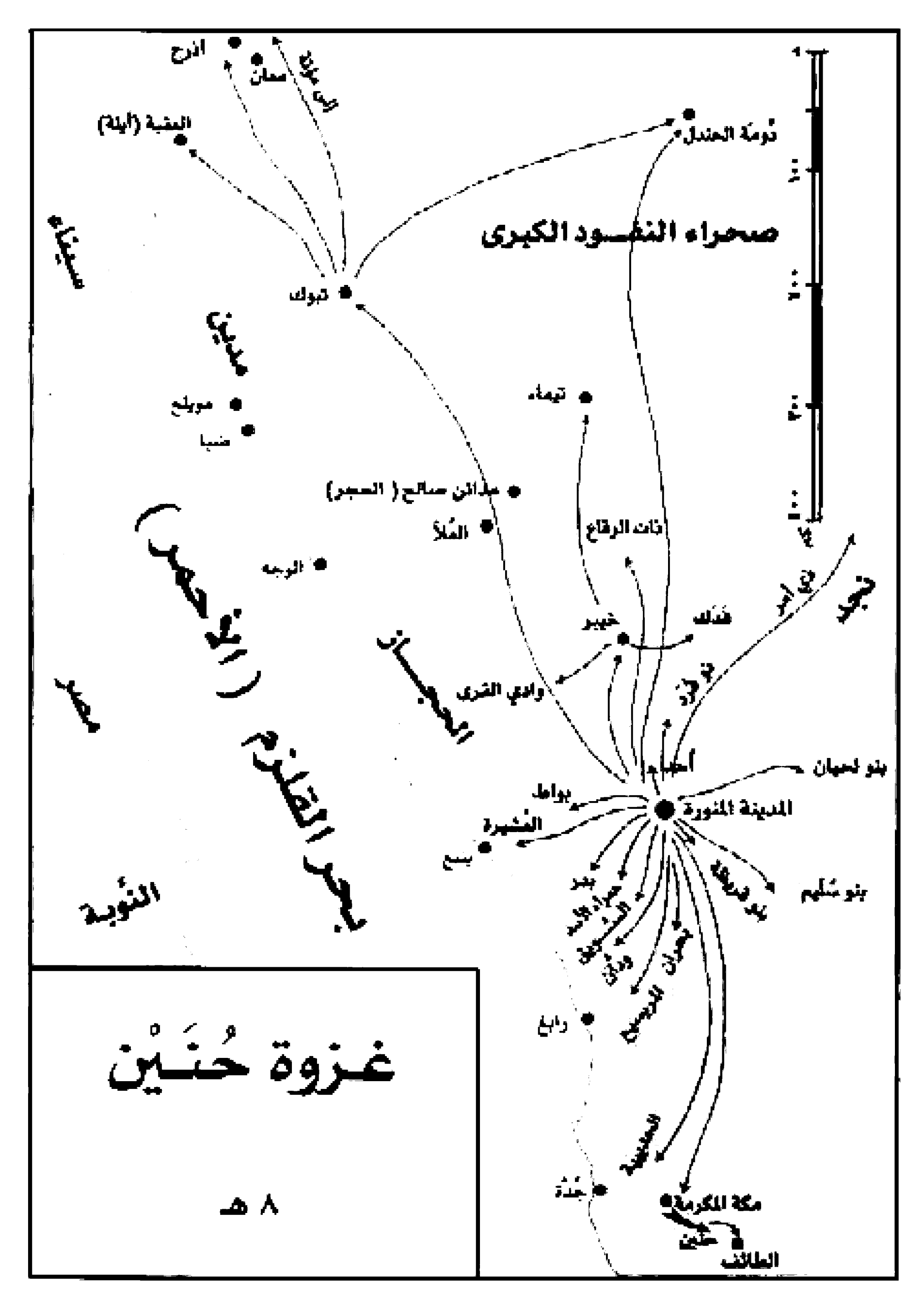
(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٦)، وابن حبان (١٧٠٤)، وأبو يعلى (١٨٦٢ و١٨٦٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٠-١٢٣).

(٣) هو عبد الله بن أبي حدرد بن عمير بن هواز بن أسلم، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وخيبر وما بعدها، توفي سنة (٧١هـ).

(٤) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٢)، وأبو داود في«سننه» (٣٥٦٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٧٧٦ و٥٧٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٢٠)، عن يعلى بن أُميَّة رضي الله عنه.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩) (١٣٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) أسلم يوم الفتح، وكان عاقلاً من أشراف العرب، بقي واليًا على مكة حتى توفي في نهاية خلافة عمر رضي الله عنه.



فقال: يا رسول الله! إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم؛ بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**».

ثم قال ﷺ: «**من يحرسنا الليلة؟**»، فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول؟! قال: «**فاركب**»، فركب فرسًا له، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**استقبل هذا الشِّعبَ حتى تكون في أعلاه، ولا نُغَرَّنَّ مِن قِبلك الليلة**».

فلما أصبحنا خرج رسول الله إلى مصلاه، فركع ركعتين، ثم قال ﷺ: «**هل أحسستم فارسكم؟**»، قالوا: يا رسول الله! ما أحسسناه. فثوَّب بالصَّلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلِّي، وهو يلتفت إلى الشِّعب، حتَّى إذا قضى صلاته وسلّم، قال: «**أبشروا؛ فقد جاءكم فارسكم**».

فجعلنا ننظر إلى الشجرة في الشِّعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ، فسلَّم، فقال: إني انطلقت حتَّى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشِّعبين كليهما، فنظرت فلم أرَ أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هل نزلت الليلة؟**»، قال: لا؛ إلَّا مُصلِّيًا أو قاضيَ حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: «**فقد أوجبت؛ فلا عليك ألا تعمل بعدها**»[١].

ومرَّ ﷺ في مسيره ذلك على شجرة يُعَظِّمها المشركون، يقال لها: ذات أنواط[٢]، فقال بعض جُهَّال الأعراب: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ فقال ﷺ: «**قلتم -والذي نفسي بيده- كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلَهًا كما لهم آلهة. لتركبنَّ سنن من كان قبلكم**»[٣].

ثم نهض ﷺ فوافى حنينًا، وقد كمنت لهم هوازن فيه، وذلك في عماية[٤] الصبح،

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود في «السنن» (٢٥٠١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٦).

(٢) أنواط: جمع نوط؛ وهو: معلق كلِّ شيء. وكان المشركون يأتونها يعلِّقون عليها أسلحتهم، ويتقربون إليها، ويعكفون عندها.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٩٨)، والترمذي في «سننه» (٢١٨٠)، والنسائي في «التفسير» (٢٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٣٥).

(٤) هو الغَبَش، والمراد: بقية ظلامه قبل أن يتبين.

فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد؛ فولّى المسلمون لا يلوي أحد على أحد، فذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: لما استقبلنا وادي حنين، قال: انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حطوط[1] إنما ننحدر فيه انحدارًا، قال: وفي عماية الصبح، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه، وفي أجنابه، ومضايقه، قد جمعوا وتهيَّؤوا، وأعدُّوا، فوالله! ما راعنا ونحن منحطُّون إلَّا الكتائب قد شدَّت علينا شدَّة رجلٍ واحد، وانهزم أُناس راجعين، فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، قال: «**إليَّ أيُّها النَّاسُ! هلمَّ إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**»، قال: فلا شيء[2][3].

وثبت رسول الله ﷺ ولم يفرَّ، ومعه مِن الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعمُّه العبَّاس، وابناه: الفضل وقثم، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وابنه جعفر، وأخوه ربيعة، وأسامة بن زيد، وآخرون رضي الله عنهم.

وهو ﷺ يومئذ راكب بغلته التي أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، وهو يركضها

---

(١) منحدر واسع من أعلى إلى أسفل.

(٢) فلا مجيب.

(٣) **صحيح** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١١٠٤-١١٠٥ - ابن هشام)، ومن طريقه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٧٦-٣٧٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٨٦٢)، والبزار في «مسنده» (١٨٣٤-«كشف»)، والطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٧٤-٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٧٤ -«إحسان»)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٦-١٢٨و١٢٩)-، عن جابر بن عبدالله، به.

قلت: وهذا سند صحيح؛ كما قال شيخنا الألباني رحمه الله في «تخريج فقه السيرة» (ص ٤٢٢).

إلى وجه العدوِّ، والعباس آخذ بحَكَمَتها[1] يكفُّها عن التقدُّم، وهو ﷺ ينوِّه باسمه، يقول: «**أنا النَّبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[2].

ثم أمر العبَّاس -وكان جهير الصوت- أن ينادي بأهل بيعة الرضوان والأنصار:

عن العبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين. فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلةٍ له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي! فلمَّا التقى المسلمون والكفَّار؛ ولَّى المسلمون مدبرين، فطفِق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبل الكفَّار.

قال العبَّاس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ؛ أكفُّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أيْ عبَّاس! نادِ أصحاب السَّمُرة**»، فقال العبَّاس -وكان رجلًا صيِّتًا-: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمُرة؟

قال: فوالله! لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك؟ يا لبيك! قال: فاقتتلوا والكفَّار، والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حين حمي الوطيس**».

قال: ثمَّ أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهنَّ وجوه الكفَّار، ثم قال: «**انهزموا، وربُّ محمد!**»، قال: فذهبتُ أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال:

(١) بلجامها وزمامها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلًا وأمرَهم مُدبرًا[١].

وتفرُّ هوازن بين يدي المسلمين، ويتبعونهم: يقتلون ويأسرون، فلم يرجع آخر الصحابة إلى رسول الله ﷺ إلا والأسارى بين يديه، وحاز ﷺ أموالهم وعيالهم.

وانحازت طوائف من هوازن إلى أوطاس، فبعث ﷺ إليهم أبا عامر الأشعري، حاملًا راية المسلمين في جماعة من المسلمين، فقتلوا منهم خلقًا، وقُتِل أميرُ المسلمين أبو عامر؛ رماه رجل فأصاب ركبته، فكان منها حتفه، فقَتل أبو موسى الأشعري قاتله.

ولما أَخبرَ أبو موسى رسول الله ﷺ بذلك؛ استغفر ﷺ لأبي عامر[٢].

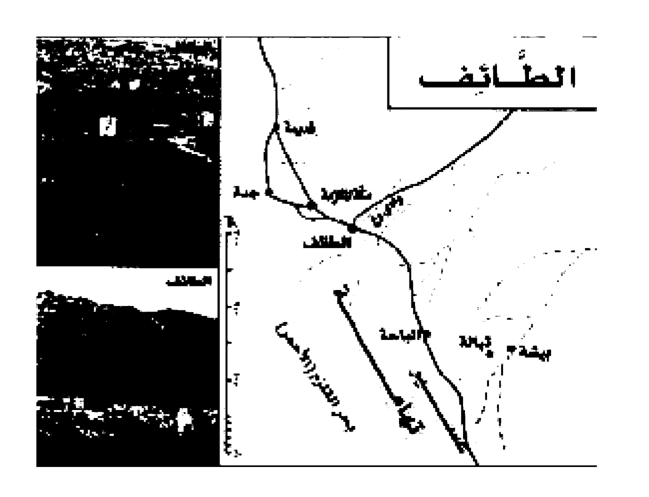
وكان أبو عامر رابع أربعة استشهدوا يوم حنين، وأما المشركون؛ فقتل منهم خلق كثير نحو الأربعين.

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٧٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.





غزوة الطائف[1]

وأما مَلِكُ هوازن -وهو مالك بن عوف النصري-: فإنه حين انهزم جيشه؛ دخل مع ثقيف حصن الطائف.

ورجع ﷺ من حنين فلم يدخل مكَّة حتَّى أتى الطائف، فحاصرهم أربعين يومًا ﷺ، فاستعصوا وتمنَّعوا، وقتلوا جماعة من المسلمين بالنبل وغيره[2].

وقد خرَّب رسولُ الله ﷺ كثيرًا من أموالهم الظاهرة، وقطَّع أعنابهم، ولم ينل منهم كبير شيء، فرجع عنهم، فأتى الجعرانة[3]، ودعا لثقيف بالهداية.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قالوا: يا رسول الله! أَحْرَقَتْنا نِبالُ ثقيف؛ فادعُ الله عليهم؛ قال ﷺ: «**اللَّهمَّ اهدِ ثقيفًا**»[4].

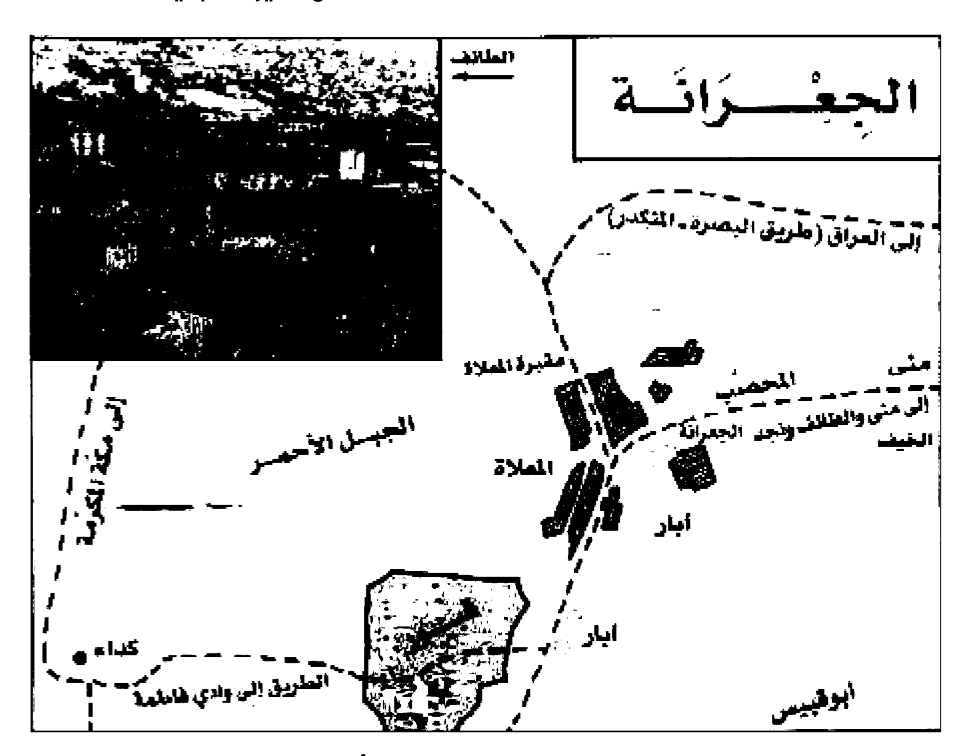
---

(١) بلد كبير مشهور، كثير الأعناب والنخيل، على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٠٥٩).

(٣) ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، وفيها قسَّم رسول الله ﷺ غنائم حنين، ومنها أحرم معتمرًا.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٤٣)، والترمذي (٣٩٤٢) بإسناد على شرط مسلم؛ لكن فيه عنعنة أبي الزبير!!



فأتاه وفد هوازن هنالك مسلمين، وذلك قبل أن يَقْسِمَ الغنائم، فخيَّرهم ﷺ بين ذراريهم وبين أموالهم، فاختاروا الذُّرِّيَّة:

عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: أنَّ رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين؛ فسألوه: أن يردَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**معي مَن ترون، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقُه، فاختاروا إحدى الطائفين: إما السَّبي، وإما المال. وقد كنت استأنيت بكم**»، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضعَ عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبيَّن لهم أنَّ رسول الله ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين؛ قالوا: فإنَّا نختار سبينا.

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد؛ فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإنِّي قد رأيت أن أردَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يطيب ذلك؛ فليفعل، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظه حتَّى نعطيه إياه من أوَّل ما يفيء الله علينا؛ فليفعل**»، فقال النَّاس: قد طبنا بذلك يا رسول الله! فقال



الصحيح المصفَّى

الطائف

٨ هـ

رسول الله ﷺ: «**إنَّا لا ندري مَن أذن منكم في ذلك ممَّن لم يأذن، فارجعوا حتَّى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**»، فرجع الناس، فكلَّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول ﷺ، فأخبروه: أنَّهم قد طيَّبوا وأذنُوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن[١].

وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وقومهما، حتى أرضاهما وعوَّضهما

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣١٨ و٤٣١٩).

ﷺ، وأراد العبَّاس بن مرداس السُّلمي: أن يفعل كفعلهما؛ فلم توافقه بنو سليم، بل طيَّبوا ما كان لهم لرسول الله ﷺ[1]، فرُدَّت الذُّرِّيَّة على هوازن[2]، وكانوا ستة آلاف؛ فيهم الشيماء بنت الحارث بن عبد العزَّى من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فأكرمها وأعطاها، ورجعت إلى بلادها مختارةً لذلك، وقد كانت هوازن مَتُّوا[3] إلى رسول الله ﷺ برضاعتهم إياه.

ثم قسم ﷺ بقيَّته على المسلمين، وتألَّف جماعةً من سادات قريش وغيرهم، فجعل يعطي الرجل المئة بعير، والخمسين، ونحو ذلك.

وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مئةً مِنَ الإبل[4].

وعتب بعض الأنصار، فبلغه؛ فخطبهم وحدهم، وامتنَّ عليهم بما أكرمهم الله من الإيمان به، وبما أغناهم الله به بعد فقرهم، وألَّف بينهم بعد العداوة التامة؛ فرضوا، وطابت أنفسهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لما فتح حنينًا قَسَّمَ الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أنَّ الأنصار يُحبون أن يصُيبوا ما أصاب النَّاس، فقام رسول الله ﷺ، فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **«يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضُلَّالًا؛ فهداكم الله بي؟ وعالةً[5]؛ فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين[6]؛ فجمَّعكم اللهُ بي»**،

---

(١) **حسن** - أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١١٤٧ و١١٤٨ - ابن هشام) -ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٤ - ١٩٥)- عن عبد الله بن عمرو به.
وأخرجه البخاري (٤٣١٨ و٤٣١٩) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٢) **حسن** - أخرجه ابن سحاق (٤/ ١١٤٨-١١٤٩ - ابن هشام): عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو السابق.

(٣) أي: توسلوا إليه.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

(٥) فقراء.

(٦) متدابرين يعادي بعضكم بعضًا.



ويقولون: الله ورسوله أَمَنُّ. فقال: «**ألا تُجيبوني؟**»، فقالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. فقال: «**أما إنَّكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا**».

فقال ﷺ: «**ألا ترضون أن يذهب النَّاس بالشاء[1] والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والنَّاس دثار[2]، ولولا الهجرة؛ لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك النَّاس واديًا وشعبًا؛ لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلْقَون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[3].

وطعن ذو الخويصرة التميميُّ على النَّبيِّ ﷺ في قسمه ذلك، وصفح عنه ﷺ وحَلَم، بعدما قال له بعض الأمراء: ألا نضرب عنقه؟ فقال ﷺ: «لا».

(١) جمع شاة؛ وهي: الغنم.

(٢) الأنصار هم بطانتي وخاصتي وأصفيائي من دون الناس.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

ثم أخبر ﷺ: «**إنَّه سيخرج من ضِئضئ[1] هذا قوم: يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فأينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتلهم**»[2].

واستعمل ﷺ مالك بن عوف النصري على من أسلم من قومه، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وامتدح رسول الله ﷺ في قصيدة ومطلعها:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله   في النَّاس كلِّهم بمثل محمد.

واعتمر ﷺ من الجعرانة[3]، ودخل مكة، فلما قضى عمرته؛ ارتحل إلى المدينة.

ο ο ο

---

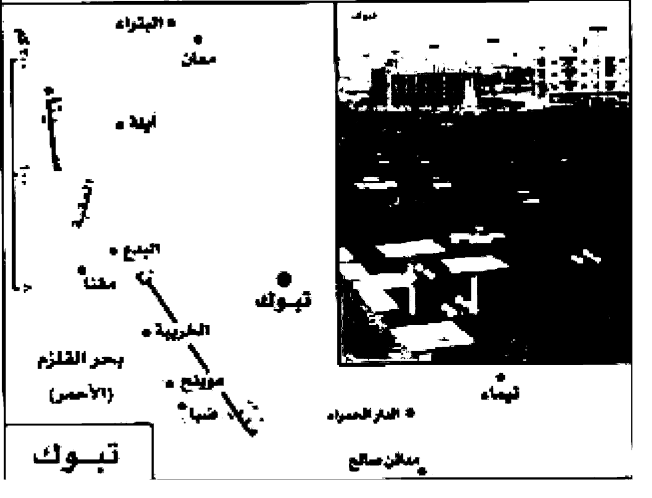
(١) أصله ونسله.

وقد تكاثرت الخوارج من بعد، كما أخبر رسول الله ﷺ على الوصف الذي جاء في السنة المتواترة، وتطاير شررهم، وأحدق بالمسلمين خطرهم، وكانوا جسرًا مرَّ أعداء الإسلام عليه، فعاثوا فيه إفسادًا وفسادًا في البلاد والعباد.

وقد صنَّفت في مسألة الخوارج عدَّة مصنفات؛ منها: «**قراءات منهجية في أحاديث لخوارج**»، و«**منهج السلف في مواجهة الخوارج**» يسَّر الله نشرها على خير وبركة.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٧٧٨)، ومسلم (١٢٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.





غزوة تبوك[1]

وهي غزوة العسرة[2]

لَمَّا أنزل الله -عزَّ وجلَّ- على رسوله: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]؛ ندب رسول الله ﷺ أهل المدينة ومن حولهم إلى الجهاد، وأعلمهم بغزو الرُّوم، وذلك في رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع، وكان لا يريد غزوة إلا ورّى بغيرها؛ إلا غزوته هذه؛ فإنه صرَّح لهم بها؛ ليتأهَّبوا؛ لشدَّة عدوِّهم وكثرته، وذلك حين طابت الثِّمار، وكان ذلك في سنة مجدبة، فتأهَّب المسلمون لذلك:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ قلَّما يريد غزوة يغزوها إلَّا ورَّى[3] بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، استقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا[4]، استقبل عدوًّا كثيرًا، فَجَلى[5] للمسلمين أمرهم؛ ليتأهَّبوا

---

(١) مدينة بين المدينة النبوية والشام، وهي -الآن- من المدن السعودية الشمالية المشهورة.

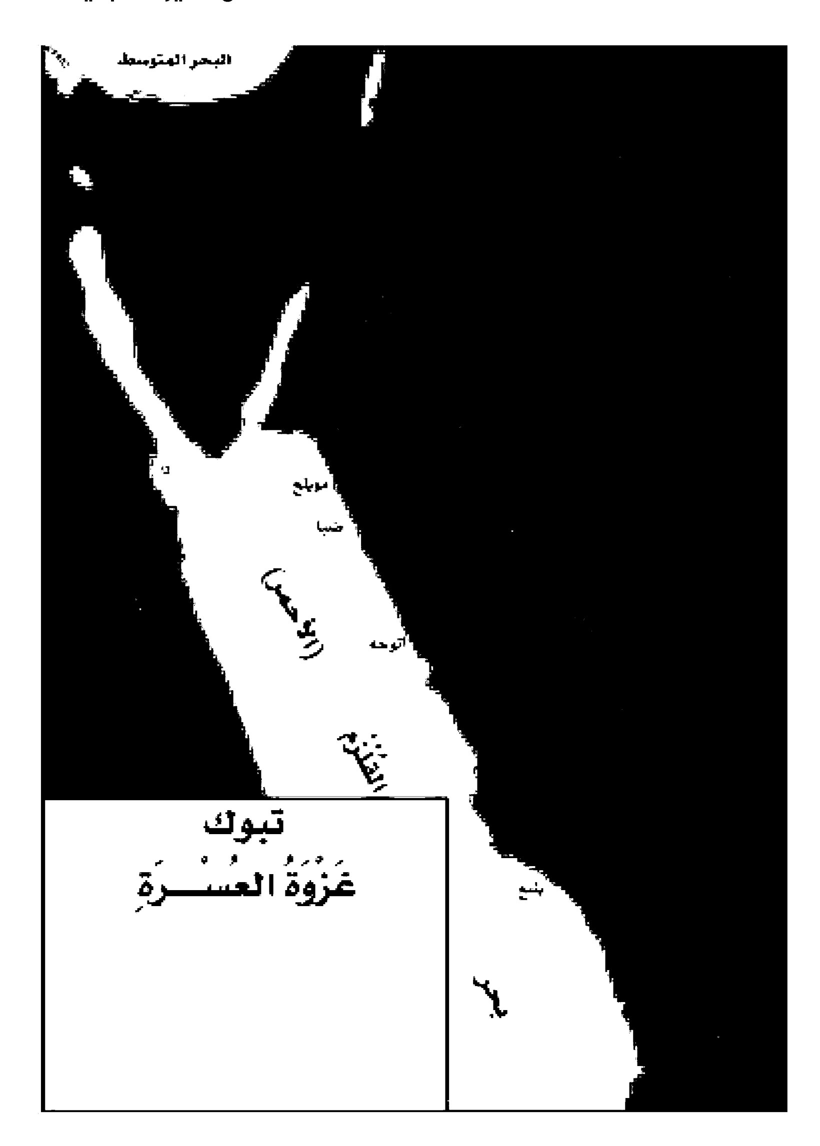
(٢) لأن جميع أوقات الغزوة كانت في عسرة؛ فاجتمع عليهم: عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء، وعسرة القيظ.

(٣) أَوْهَم بغيرها.

(٤) الفلاة التي لا ماء فيها.

(٥) أوضح لهم أمرهم ووجهة مقصدهم.

من سيرة النبي المصطفى



أهبة[1] عدوِّهم، أخبرهم بوجهه الذي يُريد[2].

وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه على هذا الجيش- وهو جيش العسرة- مالًا جزيلًا، وحمل على ألف بعير، وجهزها أتمَّ جهاز؛ حتى لم يفقدوا عِقالًا، ولا خِطامًا:

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه؛ قال: جاء عثمان بن عفان إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بألف

(١) الاستعداد للسفر بما يحتاجون إليه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

دينارٍ في ثوبه حين جهَّز النَّبيُّ ﷺ جيش العسرة؛ قال: فصبَّها في حِجْر النَّبيِّ ﷺ، فجعل النَّبيُّ ﷺ يُقلِّبها بيده ويقول: «**ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم**»، يُردِّدها مرارًا[(١)].

ونهض ﷺ في نحوٍ من ثلاثين ألفًا، واستخلف على المدينة: محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وعلى النِّساء والصِّبيان: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولهذا؛ لمَّا آذاه المنافقون، فقالوا: تركه على النِّساء والذُّريَّة؛ لَحِقَ رسولَ الله ﷺ فشكا إليه ذلك، فقال ﷺ: «**ألا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى؟ غيرَ أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[(٢)].

وتخلَّف عن رسول الله ﷺ النِّساء والذُّريَّة، ومن عذره الله من الرجال؛ ممن لا يجد ظهرًا يركبه، أو نفقة تكفيه؛ فمنهم البكاؤون، وكانوا سبعة: سالم بن عمير، وعلبة ابن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحمام، وعبد الله بن المغفل المزنيّ، وهرمي بن عبد الله، وعرباض بن سارية الفزاريّ رضي الله عنهم.

وقد أخبر عنهم رسول الله ﷺ: أنَّهم شاركوا إخوانهم الذين نفروا في سبيل الله في الأجر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «**إنَّ بالمدينة أقوامًا ما سِرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا؛ إلَّا كانوا معكم**»، قالوا: يا رسول الله! وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذرُ**»[(٣)].

وتخلَّف منافقون كفرًا وعنادًا، وكانوا نحو الثمانين رجلًا.

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٦٣)، والترمذي في «السنن» (٣٧٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٤٣ و٤٤).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٢٣).



وتخلَّف عُصاة؛ مثل: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

ثم تاب الله عليهم بعد قدومه ﷺ بخمسين ليلة[1].

فسار ﷺ، فمرَّ في طريقه بالحِجْر؛ فأمرهم أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا أن يكونوا باكين:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحِجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ إلا أن تكونوا باكين؛ حذرًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»، ثم زجر [2] فأسرع حتى خلفها[3].

وأمرهم ألَّا يشربوا إلا من بئر الناقة، وما كانوا عجنوا به من غيره يطعموه للإبل، وجازها ﷺ مُقنَّعًا[4].

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) زجر ناقته وساقها سوقًا سريعًا؛ لتتجاوز مساكن ثمود.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٨١)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وليس عند مسلم في هذا الموطن: «وجاوزها ﷺ مقنعًا».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: إنَّ النَّاس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بيارها[1]، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تَرِدُها الناقة[2].

فبلغ ﷺ تبوك، وفيها عين تبضُّ بشيء من الماء قليل، فكَثُرت ببركته:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أنَّهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء؛ قال: فأخَّر الصلاة يومًا، ثم خرج فصلَّى الظُّهر والعصر جميعًا، ثم دخل، ثم خرج فصلَّى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال ﷺ: «**إنَّكم ستأتون غدًا -إن شاء الله- عين تبوك، وإنَّكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمسَّ مِن مائها شيئًا حتَّى آتي**».

قال: فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشِّراك تبضُّ بشيءٍ من ماءٍ، فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئًا؟**»، قالا: نعم. فسبَّهما، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله فيه وجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماءٍ كثير، فاستقى النَّاس، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك -يا معاذ!- إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلئ جنانًا**»[3].

مع ما شوهد من بركة دعائه في هذه الغزوة؛ من تكثير الطعام الذي كان حاصل الجيش جميعه منه مقدار العنز الباركة، فدعا الله -عز وجل- فأكلوا منه، وملؤوا كلَّ وعاء كان في ذلك الجيش.

عن أبي هريرة -أو: أبي سعيد الخدري- رضي الله عنهما؛ قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب النَّاسَ مجاعةٌ، فقالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[4] فأكلنا

---

(١) أي: آبارها، جمع: بئر.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٧٠٦).

(٤) الإبل التي تركب ويجلس عليها الماء.

وادَّهنَّا، فقال رسول الله ﷺ: «**افعلوا**»، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إن فعلت؛ قلَّ الظَّهرُ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، وادعُ الله لهم فيها بالبركة؛ لعلَّ الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

فدعا بِنَطْعٍ[1]، فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بِكَفِّ ذُرَةٍ، ويجيءُ الآخر بكف تمرٍ، ويجيءُ الآخرُ بكسرةٍ، حتى اجتمعوا على النَّطْعِ من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: «**خذوا في أوعيتكم**»، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلَّا ملؤوه، فأكلوا حتَّى شبعوا وفضُلت فضالة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ؛ فحُجب عن الجنة**»[2].

وكذا لَّما عطِشوا؛ دعا الله -تعالى-، فجاءت سحابة فأمطرت، فشربوا حتَّى رووا واحتملوا، ثم وجدوها لم تُجاوز الجيشَ.

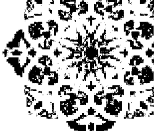
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا مِن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظٍ شديدٍ، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش، حتَّى ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع، حتَّى إنْ كان الرَّجل ليذهب يلتمس الرَّجل، فلا يرجع حتَّى يظنَّ أنَّ رقبته ستنقطع، حتَّى إن كان الرَّجل لينحر بعيره؛ فيعصر فرثه؛ فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله! إن الله -عزَّ وجلَّ- قد عوَّدك في الدُّعاء خيرًا؛ فادعُ الله لنا، قال ﷺ: «**أتحبُّ ذلك؟**»، قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتَّى قَالَتِ السماء، فأظلَّت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر[3].

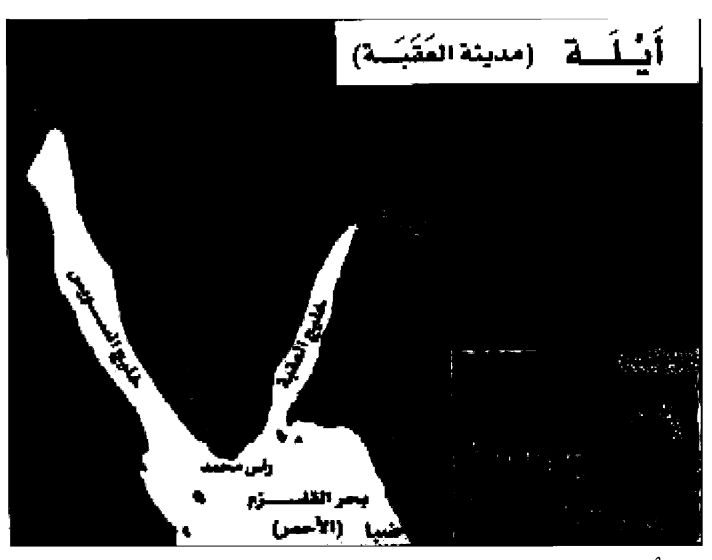
---

(١) بساط من جلد.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) **صحيح** - أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٧٠٧ - الموارد)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١)، والبزار في «مسنده» (١٨٤١ - الكشف).





في آيات أُخر كثيرةٍ احتاجوا إليها في ذلك الوقت.

و لما انتهى إلى هناك؛ لم يلقَ عدوًّا، ورأى أنَّ دخولهم إلى أرض الشام هذه السَّنة يشقُّ عليهم؛ عزم على الرجوع، وصالح ﷺ يحنة بن رؤبة صاحب أيلة[1].

وبعث خالدًا إلى أكيدر دومة[2]، فجيء به؛ فصالحه -أيضًا-، وردَّه.

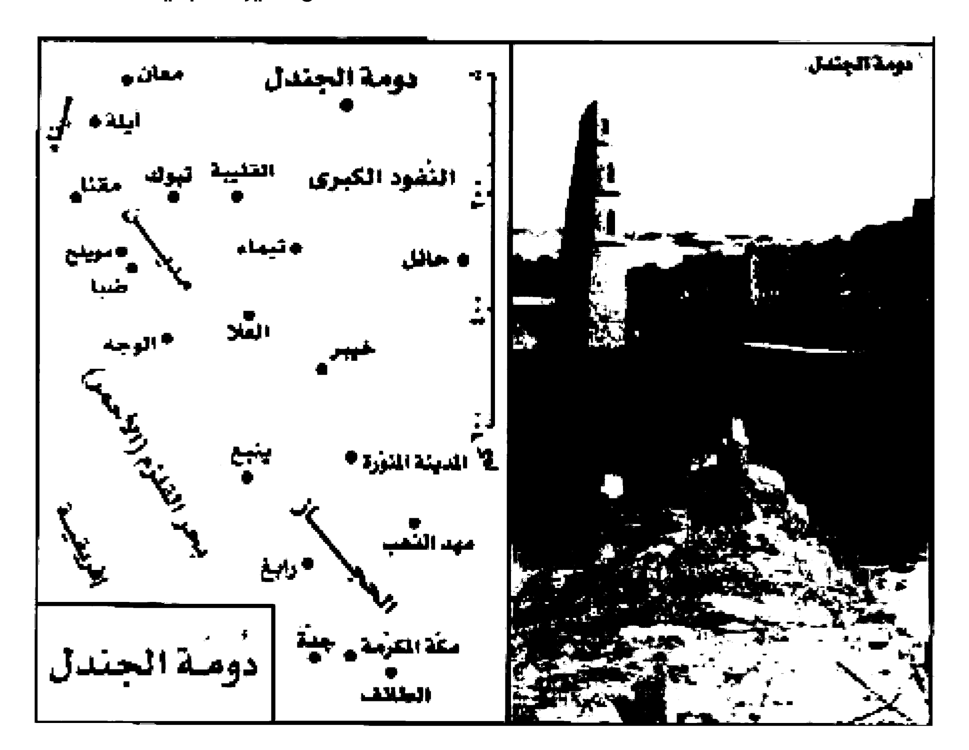
وكان رجوعه من هذه الغزاة في رمضان من سنة تسع، وأنزل الله فيها عامَّة سورة التوبة، وعاتب الله -عزَّ وجلَّ- مَن تخلَّف عنه ﷺ؛ فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ...﴾ الآية والتي تليها، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٠-١٢٢].

فبَانَ لك من هذا واتضح ما اختُلِف فيه؛ وهو: أن الطائفة النَّافرة هم الَّذين

---

(١) هي مدينة العقبة اليوم: آخر الحجاز وأول الشام، على رأس خليج العقبة، المتفرِّع من البحر الأحمر، وهي الآن من المدن الأردنية.

(٢) هي دومة الجندل بين الشام والمدينة، قرب جبلي طي، كانت بها بنو كنانة من كلب، وهي -الآن- قرية في الجوف، شمال تيماء، على بعد ٤٥٠ كم، يشرف عليها حصن أكيدر الكندي.



يتفقهون في الدين؛ لصحبتهم رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، وإذا رجعوا أنذروا قومهم؛ ليحذروا مما تجدد بعدهم من الدين، والله -سبحانه وتعالى- أعلم.

○ ○ ○



قدوم وفد ثقيف

وقدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان سنة تسعٍ، فأسلموا، وكان سبب ذلك: أنَّ عروة بن مسعود سيدهم جاء رسول الله ﷺ منصرفه من حنين والطائف وقبل وصوله إلى المدينة، فأسلم وحَسُن إسلامه، واستأذن رسول الله ﷺ في الرُّجوع إلى قومه؛ ليدعوهم إلى الله -عزَّ وجلَّ-، فأَذِنَ له وهو يخشى عليه، فلما رجع إليهم ودعاهم إلى الإسلام؛ رموه بالنَّبل؛ فقتلوه.

ثم إنَّهم ندموا، ورأوا أنَّهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ، فبعثوا وفدهم إليه في رمضان، وكانوا ستة، فأوَّل من بصر بهم: المغيرة بن شعبة الثقفي، وكان يرعى[1]، فترك ذلك، وأقبل بهم على رسول الله ﷺ، وعلَّمهم في الطريق كيف يُسلِّمون عليه، وسبق أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه المغيرة، فبشَّر رسول الله ﷺ بقدومهم.

فأنزلهم رسول الله ﷺ في المسجد، وضرب لهم فيه قبَّة، وكان السفير بينهم وبينه: خالد بن سعيد بن العاص.

فكان الطعام يأتيهم من عند النَّبيِّ ﷺ، فلا يأكلون حتى يأكل خالد قبلهم.

فأسلموا، واشترطوا: أنْ يبقى عندهم طاغيتهم[2]؛ وهي اللَّات، وأن لا تهدم؛

---

(١) يرعى ركاب أصحاب محمد ﷺ في نوبته.

(٢) اسم جامع لكل ما يعبد من دون الله برضاه، والمراد: صنمهم الكبير المعروف بـ«اللات».

فلم يُجبهم ﷺ إلى ذلك، وسألوا أن يخفِّف عنهم بعض الصلوات؛ فلم يجبهم إلى ذلك، فسألوا أن لا يهدموا بأيديهم طاغيتهم؛ فأجابهم إليه، وبعث معهم أبا سفيان والمغيرة ابن شعبة لهدمها، فهدماها؛ وعظُم ذلك على نساء ثقيف، واعتقدوا أن يصيبهم منها سوء! وقد طنز[1] بهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه حين هدمها، فخرَّ صريعًا، وذلك بتواطؤ منه ومن أبي سفيان؛ ليوهمهم أنَّ ذلك منها، ثم قام يبكِّتهم ويقرِّعهم رضي الله عنه، فأسلموا، وحسُن إسلامهم[2].

وجعل ﷺ إمامهم أحد الستَّة الذين قدموا عليه؛ وهو: عثمان بن أبي العاص -وكان أحدثهم سنًّا-؛ لما رأى من حرصه على قراءة القرآن، وتعلُّمه الفرائض، وأمره أن يتَّخذ مُؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا، وأن يقتدي بأضعفهم:

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! اجعلني إمام قومي؛ فقال: «**أنت إمامهم، واقتدِ بأضعفهم، واتَّخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا**»[3].

لكنه شكا للنَّبيِّ ﷺ اعتراض الشيطان له في صلاته:

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! إنَّ الشَّيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: فقال ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له: خَنْزَبٌ، فإذا حسسته فتعوَّذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاث**»، قال: ففعلت؛ فأذهبه الله عني[4].

---

(١) سخر بهم وتهكم عليهم.

(٢) انظر كلام ابن إسحاق حول قدوم هذا الوفد في «السيرة» (٤/ ١١٩١-١١٩٥- ابن هشام)، وانظر:« الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ٣١٢-٣١٣)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٢٠٤-٢٠٧ و٢١٣-٢١٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢١٧)، وأبو داود في «سننه» (٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٢/ ٢٣)، وابن ماجه في «سننه» (٩٨٧).

وأصله عند مسلم (٤٦٨) من حديث عثمان -نفسه- دون ذكر المؤذن.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

وعنه -أيضًا- قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لي شيئًا في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك، ورحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أبي العاص؟**»، قلت: نعم يا رسول الله! قال: «**ما جاء بك؟**»، قلت: يا رسول الله! عرض لي شيئًا في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي.

قال ﷺ: «**ذاك الشيطان؛ أُدْنُه**»، فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: «**اخرج! عدو الله**».

ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «**اِلْحق بعملك**»، قال: فقال عثمان: فلعمري! ما أحسبه خالطني بعد[1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٣١)، والروياني في «مسنده» (١٥١٥).

وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ١٠٠٢) لشيخنا الألباني رحمه الله.



فصل

حجَّة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وبعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أميرًا على الحج سنة تسع؛ ليقيم للمسلمين حجَّهم، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين، وأردفه عليًّا رضي الله عنه بسورة براءة:

عن زيد بن يثيع؛ قال: سألت عليًّا بأيِّ شيءٍ بُعِثتَ في الحجَّة؟ قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان بينه وبين النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدَّته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنَّة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: بعثني أبو بكر الصِّدِّيق في الحجَّة الَّتي أمَّرَهُ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل حجَّة الوداع في رهطٍ يُؤذنون في النَّاس يوم النَّحر: «**لا يحجُّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان**»[2].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٧٩)، والترمذي (٨٧١ و٨٧٢).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).



قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

ولما تمَّت كلمة الله -تبارك وتعالى- حقًّا وصدقًا وعدلًا في الجزيرة العربية كلِّها؛ تواترت الوفود هذه السَّنة وما بعدها على رسول الله ﷺ، مذعنة بالإسلام، داخلين في دين الله أفواجًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:١-٣].

وفد بني سعد بن بكر، وقدوم ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: بينما نحن جلوسٌ مع النَّبيِّ ﷺ في المسجد، دخل رجلٌ على جملٍ، فأناخَه في المسجدِ ثم عقلَه، ثم قال لهم: أيُّكم محمَّد؟ والنَّبيُّ ﷺ مُتَّكئٌ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرَّجل: يا ابن عبد المطلب! فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**قد أجبتك**»، فقال الرجل للنَّبيِّ ﷺ: إنِّي سائِلُك فمُشدِّد عليك في المسألةِ، فلا تجد عليَّ في نفسك؟ فقال: «**سَل عمَّا بدا لك**»، فقال: أسألُك بربِّك وربِّ مَن قبلك، آلله أرسلك إلى النَّاسِ كلِّهم؟ فقال: «**اللَّهمَّ! نعم**»، قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نُصلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «**اللَّهمَّ! نعم**»، قال: أنشدك

بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «**اللَّهمَّ! نعم**»، قال: أنشدك بالله، آلله أمركَ أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا؛ فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهمَّ! نعم**»، فقال الرَّجل: آمنتُ بما جِئْتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنا ضِمامُ بن ثعلبةَ أخو بني سعد بن بكر[1].

❊ ❊ ❊

وفد بني عبد القيس

عن مزيدة العصري رضي الله عنه؛ قال: بينما النَّبيُّ ﷺ يُحدِّث أصحابه؛ إذ قال لهم: «**سيطلع عليكم مِن ههنا الوجه رَكْبٌ هم خيرُ أهل المشرق**»، فقام عمر فتوجَّه نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكبًا، فقال: مَن القوم؟ قالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد، أتجارة؟ قالوا: لا. قال: أما أنَّ النَّبيَّ قد ذكركم آنفًا، فقال خيرًا، ثم مشى معهم، حتَّى أتوا النَّبيَّ ﷺ، فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم، فمنهم من مشى إليه، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتَّى أتوا النَّبيَّ ﷺ، فأخذوا بيده يُقبِّلونها.

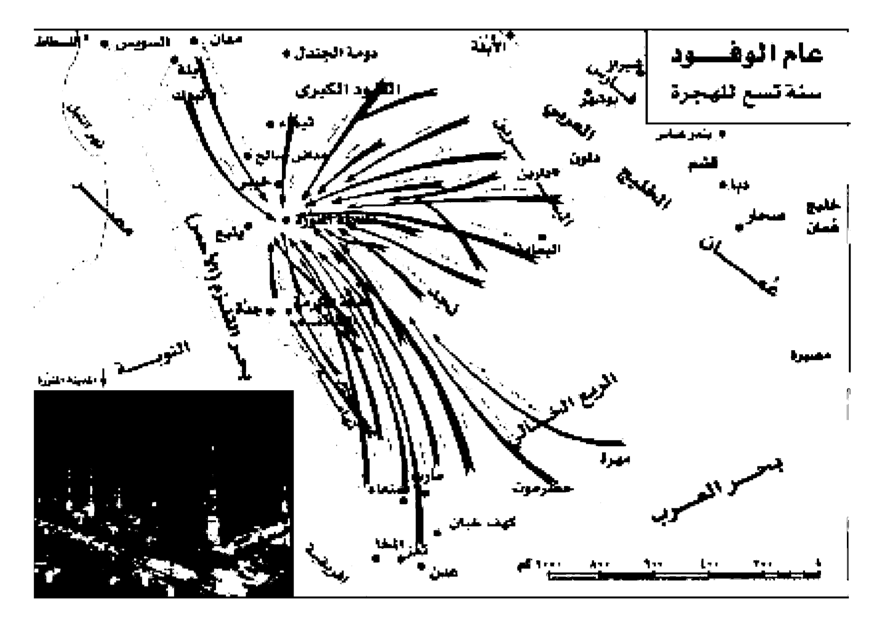
وتخلَّف الأشجُّ في الرِّكاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبَّلها، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ فيك خُلَّتين يُحبّهما الله ورسوله**»، فقال: جِبْلٌ جُبِلْتُ عليه أم تخلُّقًا منِّي؟ قال ﷺ: «**بل: جبلٌ**»، قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحبُّ الله ورسوله[2].

عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما؛ قال: إنَّ وفد عبد القيس أتوا رسولَ الله ﷺ، فقال

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

(٢) **حسن** - أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٩٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٨٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٤٥/ ٨١٢)، والبيهقي في «دلائل» (٥/ ٣٢٧) بإسناد جيد.



رسول الله ﷺ: «**مَنِ الوفدُ؟**»، أو: «**مَن القوم؟**»، قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبًا بالقوم**[1] **-أو: بالوفد- غير خزايا، ولا الندامى**»[2].

قال: فقالوا: يا رسول الله! إنَّا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدةٍ[3]، وإنَّ بيننا وبينك هذا الحيَّ من كُفَّار مُضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلَّا في شهر الحرام، فمُرنا بأمرٍ فَصْلٍ[4] نُخبر به مَن وراءَنا؛ ندخلُ به الجنَّة، قال: فأمرهم بأربعٍ، ونهاهم عن أربعٍ، قال: «**أمرهم بالإيمان بالله وحده**»، وقال: «**هل تدرونَ ما الإيمانُ بالله؟**»، قالوا: الله ورسولُه أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم**»، ونهاهم عن الدُّبَّاء[5]، والحَنْتَم[6]،

---

(١) نزلتم رحبًا وسعة.

(٢) لم يكن منكم من تأخر عن الإسلام، فلم يصبكم أسار ولا سباء، مما تستحيون بسببه، أو تذلون، أو تهانون، أو تذمون لأجله.

(٣) سفر بعيد ومسافة طويلة.

(٤) البين الواضح الذي يتضح به المراد.

(٥) الوعاء من القرع اليابس.

(٦) جرار خضر كان يحمل فيها الخمر.

والمزفَّت[1]، والنَّقير[2]، وقال: «**احفظوه، وأخبروا به من وراءَكم**»[3].

❊ ❊ ❊

وفد بني تميم

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما؛ قال: دخلت على النَّبيِّ ﷺ، وعقلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم، فقال ﷺ: «**اقبَلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشَّرتنا فأعطنا (مرتين)، ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن، فقال ﷺ: «**اقبَلوا البُشرى يا أهل اليمن! إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله! قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذِّكر كلّ شيءٍ، وخلق السموات والأرض**»، فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين! فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله! لوددت أنِّي كنت تركتها»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: لا أزال أحبُّ بني تميم بعد ثلاث سمعتهنَّ مِن رسول الله ﷺ يقولهنَّ فيهم: «**هم أشدُّ أُمَّتي على الدجَّال**»، وكانت فيهم سبية عند عائشة، فقال ﷺ: «**أعتقيها؛ فإنها من ولد إسماعيل**»، وجاءت صدقاتهم، فقال ﷺ: «**هذه صدقات قوم، أو: قومي**»[5].

❊ ❊ ❊

---

(١) الأوعية التي فيها الزفت.

(٢) جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيه الرطب والبسر، ثم يدعونه يهدر، ثم يموت.
والمراد: النهي عن الانتباذ بهذه الأوعية؛ لأن الإسكار يسرع إلى الشراب المنبوذ فيها؛ فيصير حرامًا.
ثمَّ إنَّ هذا النهي نُسِخَ:
عن بريدة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن الأشربة إلا في ظروف الأدم؛ فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرًا**». أخرجه مسلم (١٩٩٩) (٦٥).
وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وأنس، وعبد الله بن المغفل رضي الله عنهم.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٦٦)، ومسلم (٢٥٢٥).

وفد بني عامر

عن مُطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير رضي الله عنهما، عن أبيه: أنَّه وفد إلى النَّبيِّ ﷺ في رهطٍ من بني عامر، قال: فأتيناه فسلَّمنا عليه، فقلنا: أنت وليّنا، وأنت سيِّدنا، وأنت أطول علينا، وأنت أفضلنا علينا فضلًا، وأنت الجفنة الغرَّاء، فقال: «**قولوا قولكم، ولا يستجرنكم الشيطان**»[(١)].

* * *

وفد بني حنيفة وخبر مسيلمة الكذاب ورؤيا رسول الله ﷺ فيه

عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما؛ قال: قدم مسيلمة الكذَّاب على عهد رسول الله ﷺ؛ فجعل يقول: إنْ جعل لي محمَّد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بَشَرٍ كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس -وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد- حتَّى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت؛ ليعقرنَّك الله، وإنِّي لأراك الَّذي أُريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يُجيبك عنِّي**»، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: «**وإنِّي لأراك الذي أريت فيه ما رأيت**»؛ فأخبرني أبو هريرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمَّني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة**»[(٢)].

وقد ارتدَّ مسيلمة كما أخبر الرسول ﷺ:

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣ و٢٢٧٤).

عن نُعيم بن مسعود الأشجعيِّ ﵁؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة الكذَّاب؛ قال للرسولين: «**فما تقولان أنتما؟**»، قالا: نقول كما قال. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**والله لولا أنَّ الرسل لا تُقتل؛ لضربت أعناقكما**»[1].

* * *

وفد الأشعرين

عن أنس ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم أقوام هم أرقُّ منكم قلوبًا**»، قال: فقدِم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون:

غدًا نلقى الأحبة   محمدًا وحزبه[2]

وقد مدحهم رسول الله ﷺ وأثنى عليهم:

عن أبي هريرة ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن؛ أرقُّ أفئدةً، وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسَّكينة والوقار في أهل الغنم**»[3].

وعن جبير بن مطعم ﵁؛ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: «**يطلع عليكم أهل اليمن، كأنَّهم السَّحاب، هم خيار مَن في الأرض**»، فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله! فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت،

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٧-٤٨٨)، وأبو داود (٢٧٦١).

(٢) **صحيح** - أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٥)، و«فضائل الصحابة» (١٦٥٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٩٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٩٣)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٩٤٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فقال في الثالثة: كلمة ضعيفة: «**إلا أنتم**»[1].

* * *

وفد دوس

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: إنَّ دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم؛ فقال: «**اللَّهمَّ! اهدِ دوسًا، وأتِ بهم**»[2].

* * *

وفد نجران

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ قال: جاء العاقب والسيِّد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله! لئن كان نبيًّا فلاعننا؛ لا نفلح نحن ولا عَقِبنا من بعدنا. قالا: إنَّا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: «**لأبعثنَّ معكم رجلًا أمينًا، حق أمين**»؛ فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح!**»، فلما قام؛ قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**»[3].

* * *

وفد كندة مع الأشعث بن قيس

عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه: قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة، ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله! ألستم منَّا؟ فقال ﷺ: «**نحن بنو النَّضر بن كنانة لا**

---

(١) **حسن** - أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٩٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٣٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٨٤)، و«فضائل الصحابة» (١٦١٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٨)، والبزار في «مسنده» (٣٤٢٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠١).
انظر: «السلسلة الصحيحة» (٣٤٣٧) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٩٢)، ومسلم (٣٥٢٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠).

نقفوا أُمَّنا، ولا ننتفي مِن أبينا».

قال: فكان الأشعث بن قيس؛ يقول: لا أوتى برجلٍ نفى رجلًا من قريش من النَّضر بن كنانة إلا جلدته الحدَّ[1].

* * *

وفد همدان

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستَّة أشهر ندعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوهُ، ثم إنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأمره أن يقفل خالدًا إلى رجلٍ كان ممن يمَّم مع خالدٍ، ومَن أحبَّ أن يعقب مع عليٍّ فليعقب معه.

قال البراء: فكنت فيمن عقب مع عليٍّ، فلما دنونا من القوم خرجوا لنا؛ فصلَّى بنا عليٌّ، ثم صفَّنا صفًّا واحدًا، ثم تقدَّم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ؛ فأسلمت همدان جمعًا، فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلمَّا قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرَّ ساجدًا، ثم رفع رأسه؛ فقال: «**السلام على همدان، السلام على همدان**»[2].

ولذلك؛ شرع رسول الله ﷺ في إرسال الدُّعاة إلى الله ليعلِّموا هؤلاء الأقوام:

فبعث ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن ومعه أبو موسى الأشعري رضي الله عنهما.

وبعث الرُّسل إلى ملوك الأقطار يدعوهم إلى الإسلام؛ فانتشرت الدعوة، وعلَت الكلمة.

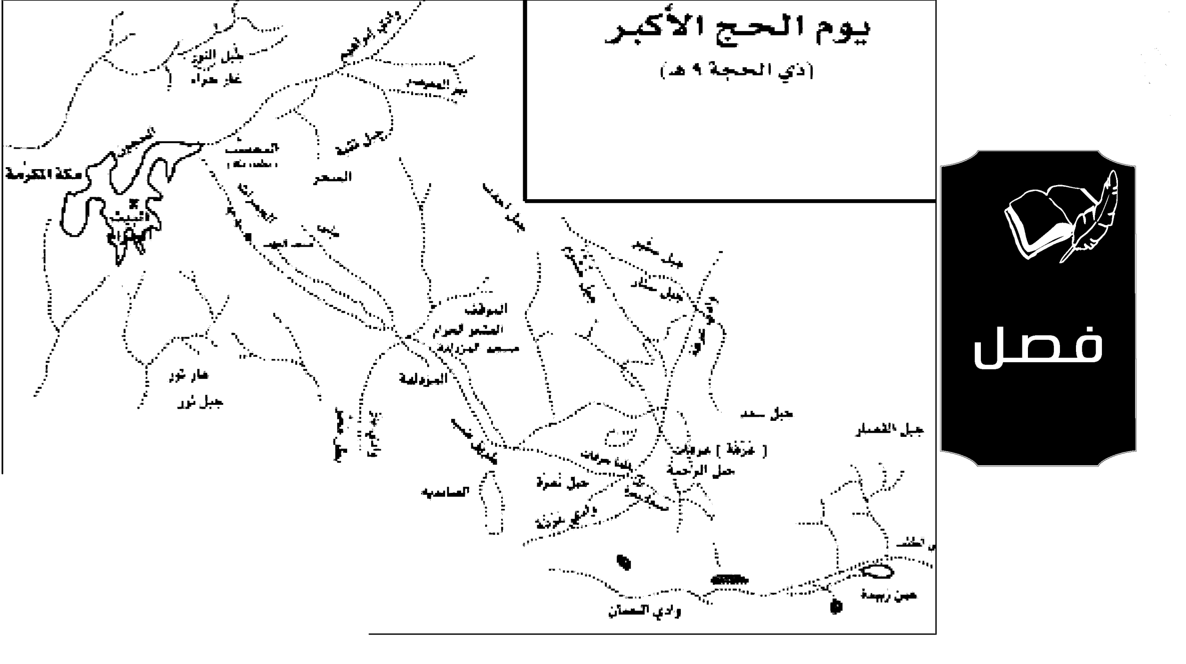
وجاء الحقُّ، وزهق الباطل؛ إنَّ الباطل كان زهوقًا.

○ ○ ○

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٣٤٩).



حجة الوداع

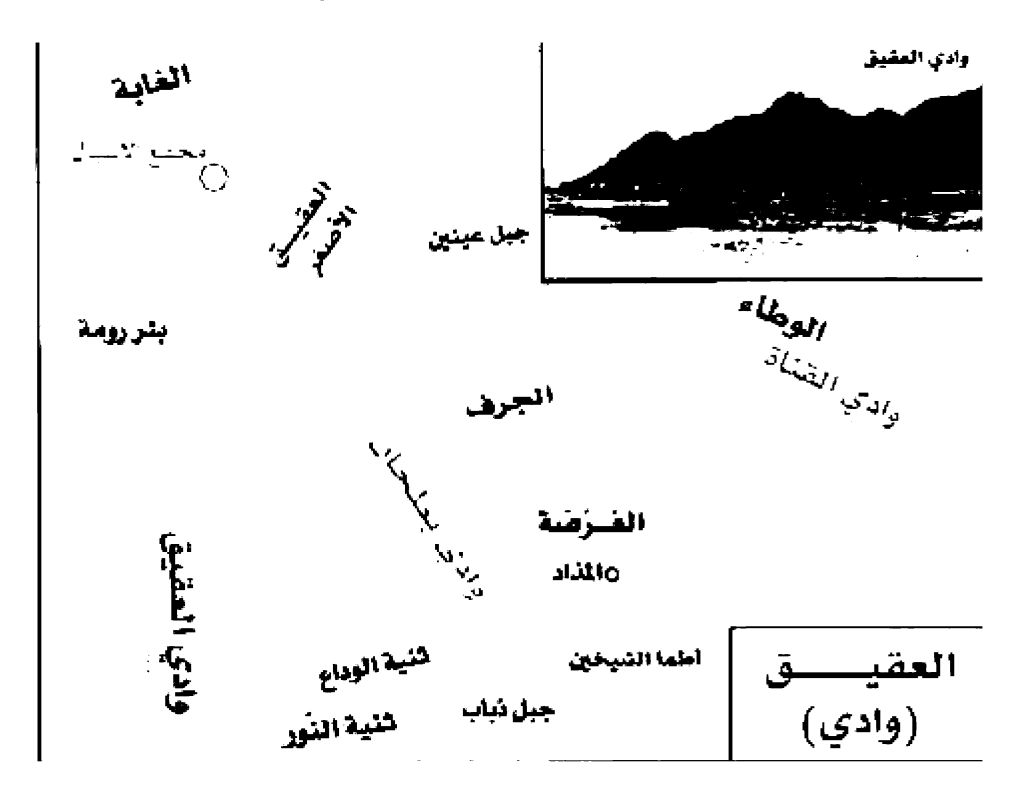
يُقال لها: حجة الوداع؛ لأن رسول الله ﷺ ودَّع الناس فيها، ولم يحجَّ بعدها.

وسُمِّيت -أيضًا-: حجَّة الإسلام؛ لأنه لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النُّبوَّة وبعدها.

وسُمِّيت: حجة البلاغ؛ لأنه ﷺ بلَّغ النَّاس شرع الله في الحجِّ قولًا وفعلًا، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلَّا وقد بيَّنه ﷺ، فلمَّا بيَّن لهم شريعة الحج، ووضَّحه، وشرحه؛ أنزل الله -عزَّ وجلَّ- عليه وهو واقف بعرفةَ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

والمقصود: ذكر حجته ﷺ كيف كانت؛ فإنَّ النَّقلةَ اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا جدًّا، بحسب ما وصل إلى كلٍّ منهم من العلم، وتفاوتوا في ذلك تفاوتًا كثيرًا، لا سيما مَنْ بَعد الصحابة ﷺ، ونحن نورد -بحمد الله وعونه وحسن توفيقه- ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات، ونجمع بينها جمعًا يُثْلِجُ قلب من تأمَّله وأنعم النظر فيه، وجمع بين طريقتي الحديث وفَهْمِ معانيه -إن شاء الله-:

صلَّى رسول الله ﷺ الظهر يوم الخميس، لخمسٍ بقين من ذي القعدة من سنة عشرٍ بالمدينة، ثم خرج منها بمن معه من المسلمين من أهل المدينة ومن حولها، فصلَّى



العصر بذي الحليفة[١] ركعتين، وبات بها[٢].

وأتاه آتٍ من ربِّه -عزَّ وجلَّ- في ذلك الموضع -وهو وادي العقيق- يأمره عن ربِّه -عزَّ وجلَّ- أنْ يقول في حِجَّته هذه: «**حجة في عمرة**»[٣]؛ أي: أنَّ الله أمره أن يقرن الحجَّ مع العمرة، فأصبح ﷺ، فأخبر النَّاس بذلك، وطاف على نسائه يومئذٍ بغسل واحد[٤]، ثم اغتسل وصلَّى في المسجد ركعتين، وأهلَّ بحجَّة وعمرة معًا.

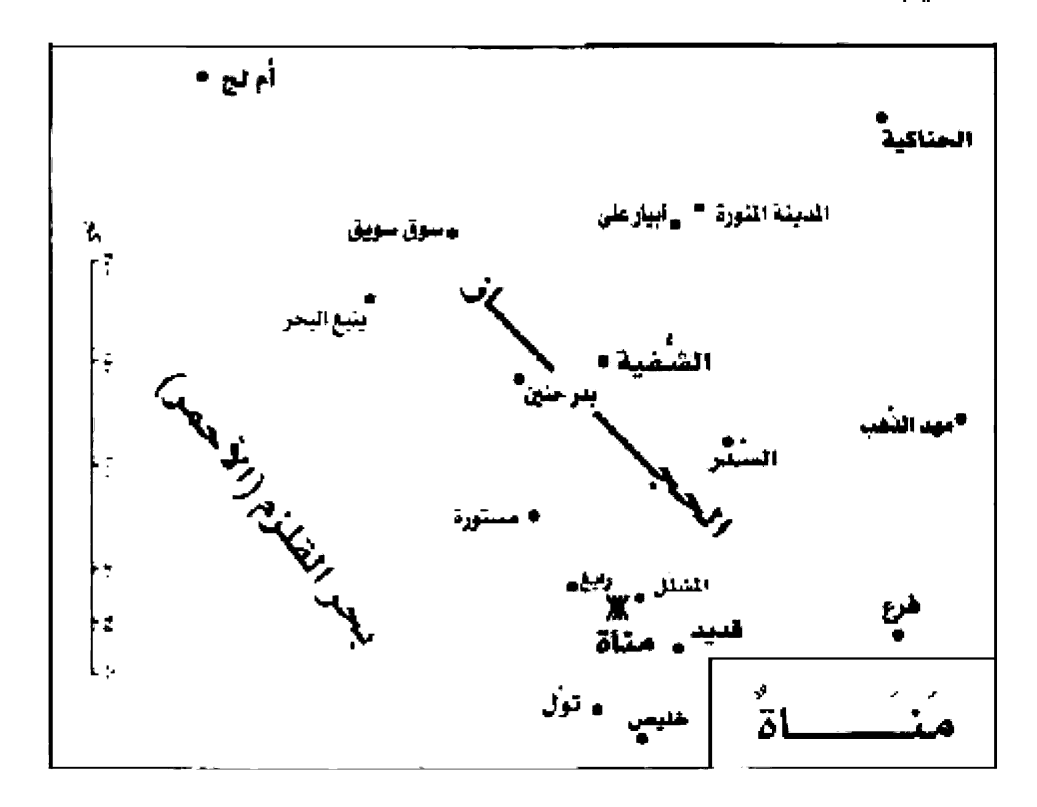
وساق ﷺ الهدي من ذي الحليفة، وأمر من كان معه هدي أن يهلَّ كما أهلَّ ﷺ.

(١) موضع بينه وبين المدينة سبعة أميال، وهو جزء من واد العقيق، وهو ميقات أهل المدينة ومن مرّ بها، ويُعرف عند العامَّة بـ «آبار علي»!

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٧٠٩)، ومسلم في « صحيحه» (١٣٦٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٥٣٤) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، ومسلم في «صحيحه» (١٢٥١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٠)، ومسلم (١١٩٢) من حديث عائشة ﷺ.



وسار ﷺ والنَّاس بين يديه وخلفه، وعن يمينه وشماله، أممًا لا يُحصَوْن كثرةً، كلُّهم قدم؛ ليأتمَّ به ﷺ.

فلما قدِم ﷺ مكَّة لأربعٍ ليال خَلَوْنَ من ذي الحجَّة؛ طاف للقدوم، ثم سعى بين الصفا والمروة، وأمر الذين لم يسوقوا هديًا أن يفسخوا حجَّهم إلى عمرة، ويتحلَّلوا حِلاً تامًّا، ثم يهلُّوا بالحجِّ وقت خروجهم إلى منى، وقال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ ما سقت الهدي، ولجعلتُها عمرةً**»(١).

ثم خرج ﷺ إلى منى، فبات بها، وكانت ليلة الجمعة؛ التاسع من ذي الحجة.

ثم أصبح، فسار إلى عرفة، وخطب بنَمِرة خطبةً عظيمة، شهدها أصحابه ﷺ.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٥٦٨)، ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله.
وهذا الحديث جزَّأه البخاري في مواطن من «صحيحه»، وساقه الإمام مسلم في موطن من «صحيحه» مساقًا بديعًا -رحمهما الله تعالى-.

ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجَّة الوداع؛ قال: فأجاز رسول الله ﷺ حتَّى أتى عرفةَ، فوجد القُبَّة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتَّى إذا زاغت الشمس؛ أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي؛ فخطب الناس وقال: «**إنَّ دماءَكم وأموالكم حرام عليكم؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، وبلدكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإنَّ أوَّل دمٍ أضعُ من دمائنا: دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعًا في بني سعد؛ فقتله هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأوَّل ربًا أضع رِبَانا: ربا عباس بن المطلب؛ فإنَّه موضوع كلُّه. فاتَّقوا الله في النِّساء، فإنَّكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمةِ الله، ولكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرَشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك؛ فاضربوهنَّ ضربًا غير مبرح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف.**

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله.

وأنتم تُسألون عنِّي؛ فما أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة؛ يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى النَّاس: «**اللَّهمَّ اشهد!**

اللَّهمَّ اشهد!» ثلاث مرات[1].

وعن أَبِي بَكْرَة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الزَّمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض؛ السَّنة إثنا عشر شهرًا؛ منها: أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أيُّ شهرٍ هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظنَّنا أنه سيُسَمِّه بغير اسمه، قال: «**أليس ذو الحجَّة**»، قلنا: بلى. قال: «**فأيُّ بلد هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس: البلدة؟**»، قلنا: بلى. قال: «**فأيُّ يومٍ هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس: يوم النحر؟**»، قلنا: بلى. قال: «**فإنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربَّكم؛ فسيسألكم عن أعمالكم؛ ألا: فلا ترجعوا بعدي ضُلَّالًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض: ألا ليبلِّغ الشاهد الغائب؛ فلعلَّ بعض من يبلُغه يكون أوعى له مِن بعض مَن سمعه**».

ثم قال: «**ألا هل بلَّغت؟**» مرتين[2].

وجمع بين الظهر والعصر، ثم وقف بعرفة، ثم بات بالمزدلفة، وجمع بين المغرب والعشاء ليلتئذٍ، ثم أصبح، فصلَّى الفجر في أوَّل وقتها.

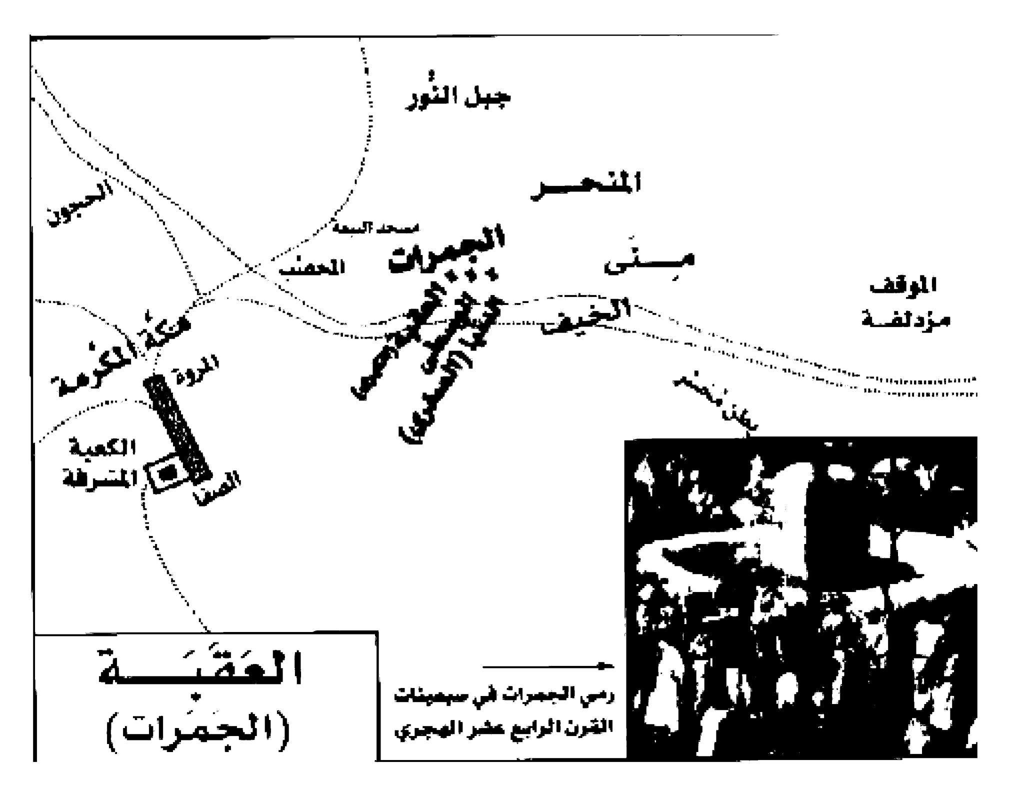
ثم سار قبل طلوع الشمس إلى منى، فرمى جمرة العقبة، ونحر، وحلق، ثم أفاض، فطاف بالبيت طواف الفرض -وهو طواف الزيارة-، ثم حلَّ من كلِّ شيء حرم منه ﷺ.

وخطب ثاني يوم النحر خطبة عظيمة -أيضًا-، ووصَّى، وحذَّر، وأنذر، وأشهدهم على أنفسهم أنَّه بلَّغ الرِّسالة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).



فنحن نشهد أنَّه بلَّغ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمَّة ﷺ.

ثم أقبل ﷺ منصرفًا إلى المدينة، وقد أكمل الله له دينه، وذلك بنزول قول الحقِّ -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

○ ○ ○



فصل

مرضه ﷺ ووفاته

أقام ﷺ في المدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم ابتدأ به وجعه ﷺ في بيت ميمونة يوم خميس، وكان وَجَعًا في رأسه الكريم، وكثيرًا ما كان يعتريه الصُّداع -عليه الصلاة والسلام-، فجعل ﷺ مع هذا يدور على نسائه حتَّى شُقَّ عليه، فاستأذنهنَّ أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها؛ فأَذِنَّ له[1].

فمَكَث وَجِعًا إثني عشر يومًا.

وأبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يُصلِّي بالنَّاسِ بنصِّه ﷺ عليه[2]، واستثنائه له من جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي كان قد جهَّزه ﷺ إلى الشَّام؛ لغزو الرُّوم.

فلمَّا حصل الوجع؛ تربَّصوا؛ لينظروا ما يكون من أمره ﷺ، وقد صلَّى ﷺ خلف الصِّدِّيق جالسًا.

وقُبِضَ ﷺ ضحى يوم الإثنين ثاني عشر من ربيع الأوَّل.

وكان عمره ﷺ يوم مات: ثلاثًا وستين سنة -على الصحيح-[3].

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٩٨ و٢٥٨٨)، ومسلم (٤١٨) (٩١، ٩٢) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨) (٩٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٢٣٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وأخرجه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



فاشتدَّت الرَّزيَّةُ بموته ﷺ، وعَظُم الخطْب وجلَّ الأمر، وأصيب المسلمون بنبيِّهم ﷺ.

وأنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، وقال: إنَّه لم يمت، وإنه سيعود؛ كما عاد موسى -عليه الصَّلاة والسلام- لقومه؛ وماج النَّاس.

وجاء الصِّدِّيق المؤيَّد المنصور رضي الله عنه؛ فأقام الأود، وصدع بالحقِّ، وخطب النَّاس، وتلا عليهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]؛ فكأنَّ النَّاس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من أحدٍ إلَّا يتلوها[(١)].

ثم ذهب المسلمون به رضي الله عنه إلى سقيفه بني ساعدة، وقد اجتمعوا على إمرة سعد ابن عبادة رضي الله عنه؛ فردَّهم عن ذلك وصدَّهم، وأشار عليهم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو بأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فأبيا ذلك والمسلمون، وأبى الله ذلك -أيضًا-، فبايعه -أي: أبا بكر- المسلمون رضي الله عنهم هناك، ثم جاء فبايعه الناس البيعة العامة على المنبر[(٢)].

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٥٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دون ذكر موسى -عليه الصلاة والسلام-.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦٦٧ و٣٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثم شرعوا في جهاز رسول الله ﷺ، فغسَّلوه في قميصه[١]، وكان الَّذي تولَّى ذلك عمُّه العبَّاس، وابنه قثم، وعلي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد وشقران -مولاهما- يصُبَّان الماء، وساعد في ذلك أوس بن خولي الأنصاري البدريُّ[٢] -رضي الله عنهم أجمعين-[٣].

وكفَّنوه في ثلاثة أثواب قطن سحولية[٤] بيض، ليس فيها قميص، ولا عمامة[٥].

وصلُّوا عليه أفذاذًا واحدًا واحدًا.

قال الشَّافعي: إنَّما صلُّوا عليه مرة بعد مرة أفذاذًا؛ لعظم قدره، ولتنافسهم أن يؤمهم عليه أحد.

فكان أوَّلهم صلاةً عليه: العبَّاس عمُّه، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر النَّاس، فلمَّا فرغ الرِّجال؛ دخل الصِّبيان، ثمَّ النِّساء.

ودفن ﷺ يوم الثلاثاء في الموضع الذي توفي فيه من حجرة عائشة ﵂:

---

(١) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٦٧)، وأبو داود في «السنن» (٣١٤١)، وابن ماجه (١٤٦٤- مختصرًا).

(٢) هو أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وتوفي بالمدينة النبوية في خلافة عثمان ﵁.

(٣) **حسن بشواهده** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٠) بإسناد ضعيف.

وله طريق آخر عن ابن عباس بنحوه: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ رقم ٦٢٩) بسند حسن في الشواهد والمتابعات.

وله شاهد من مرسل الشعبي بنحوه: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٤٣)، وسنده صحيح.

وآخر من مرسل ابن شهاب الزهري: أخرجه ابن سعد (٢/ ٢٤١) بسند صحيح عنه.

وبالجملة؛ فالحديث حسن بطرقه وشواهده.

(٤) منسوبة إلى سحول، وهو موضع باليمن مشهور بنسج الثياب.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم في«صحيحه» (٩٤١) من حديث عائشة ﵂.



عن عائشة ﵂؛ قالت: لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ؛ اختلفوا في دفنه؛ فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته؛ قال: «**ما قبض الله نبيًّا إلَّا في الموضع الَّذي يحبُّ أن يُدفن فيه**»؛ ادفنوه في موضع فراشه[1].

وهذا هو المتواتر تواترًا ضروريًّا، معلومًا من الدفن الَّذي هواليوم داخل مسجد المدينة[2].

○ ○ ○

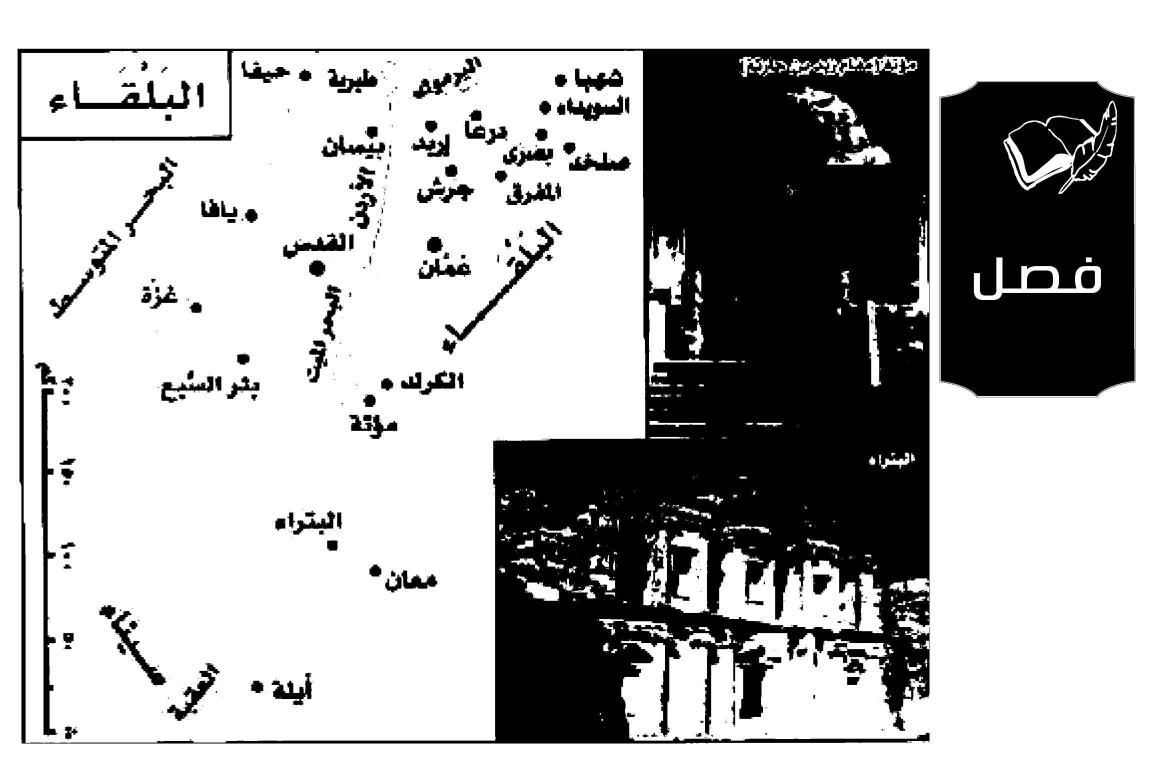
(١) **صحيح بشواهده** - أخرجه الترمذي في «السنن» (١٠١٨)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (٤٣).

وانظر -تفضُّلًا-: «أحكام الجنائز» (ص١٣٧) لشيخنا الألباني ﵀.

(٢) لم تكن حجرات أزواج النبي ﷺ في داخل المسجد النبوي، وإنما أُدخلت في التَّوسعة أيام الوليد ابن عبد الملك الخليفة الأموي، وأنكر ذلك جمع من الصحابة ﵃.

وعليه؛ فلا حجة فيه لمن احتج به على جواز الدفن في المساجد أو إقامة المساجد على القبور.

وانظر -تفضُّلًا-: «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» لشيخنا الألباني ﵀.



فصل

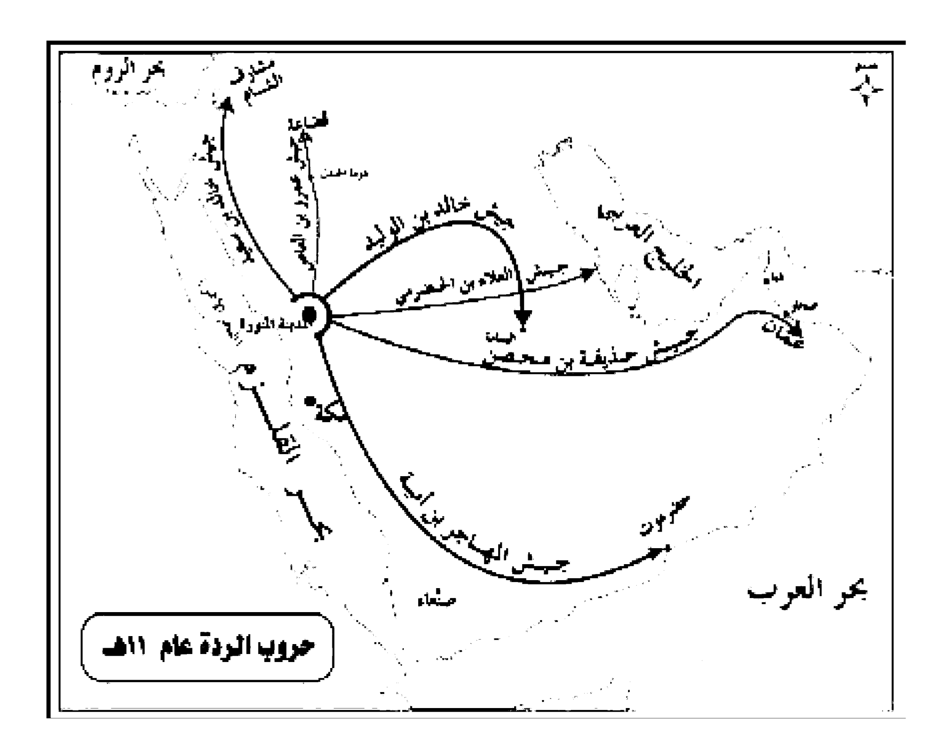
بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما

ندب رسول الله ﷺ المسلمين لغزو الرُّوم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، وَأَمَّرَ عليهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وكان ذلك يوم السبت قبل موت النَّبيِّ ﷺ بيومين، فقال: «**سر إلى موضع مقتل أبيك؛ فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش**»، وطعن بعض الناس في إمارة أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فردَّ عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**إن تطعنوا في إمارته؛ فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله! إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده**»[١].

ومرض النَّبيُّ ﷺ بعد البدء بتجهيز جيش أسامة بيومين، واشتدَّ وجعه ﷺ، فلم يخرج هذا الجيش وظلَّ مُعَسْكِرًا بالجرف[٢]، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ،

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٤٤٦٩).

(٢) بالضم ثم السكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.



وتغيرت الأحوال مع انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وصارت كما وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب قاطبة، واشرأبت[١] النفاق، والله قد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها[٢]، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى[٣] مطيرة في حشٍّ[٤] في ليلة مطيرة بأرض مُسْبِعَةٍ[٥][٦].

ولما تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر رجلًا في اليوم الثالث من وفاة رسول الله ﷺ: أن ينادي في الناس: ليُتَمَّ بَعْثُ أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ ألا لا يبيتنَّ في المدينة أحد

---

(١) ارتفعت وعلت.

(٢) كسرها.

(٣) المعز من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس.

(٤) بستان.

(٥) مسبعة: أرض ذات سباع.

(٦) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٩).

من جند أسامة ﵁ إلا خرج إلى عسكره بالجرف[1].

ولكن بعض الصحابة ﵃ اقترح على الصديق ﵁ بأن يبقى جيش أسامة، فقالوا: إن هؤلاء جلُّ المسلمين، والعرب كما ترى قد انتفضت بك؛ فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين[2].

وأرسل أسامة بن زيد ﵁ من معسكره عمر بن الخطاب ﵁ إلى أبي بكر الصديق ﵁ يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إنّ معي وجوه المسلمين وَجِلَّتُهم، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ، وحرم رسول الله ﷺ والمسلمين: أن يتخطفهم المشركون.

ولكن أبا بكر ﵁ خالف ذلك، وأصرَّ على أن يستمرَّ الجيش في مسيره إلى بلاد الشام مهما كانت الأحوال والنتائج، وعندما كَثُرَ الإلحاح على أبي بكر ﵁، دعا عامة المهاجرين والأنصار إلى اجتماع طارئ؛ حيث أبدى عمر بن الخطاب ﵁ تخوُّفه الشديدَ على الخليفة ونساء رسول الله والمدينة وأهلها من أن تقع في قبضة المرتدين، وأكثر وجوه الصحابة ﵃ على الخليفة وخَوَّفُوه مما ستتعرض له المدينة من أخطار جسام إن هو أصرّ على تحريك جيش أسامة لغزو الروم.

بعد أن سمع الصديق منهم طلب من الصحابة ﵃ أن يلغوا فكرة حلِّ راية عقدها رسول الله ﷺ بنفسه، وأبلغهم أنه سينفذ هذا البعث حتى لو تسبب تنفيذه في احتلال المدينة من قبل المرتدين، فقد وقف خطيبًا، وقال: والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السِّباع تخطفني؛ لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

حينئذٍ طلبت الأنصار رجلًا أقدم سنًّا من أسامة ليتولى أمر الجيش، وأرسلوا عمر بن الخطاب ﵁؛ ليحدث الصِّديق في ذلك، فقال عمر ﵁: فإن الأنصار تطلب

(١) المصدر نفسه (٦/ ٣٠٧).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٣٠٨).

رجلًا أقدم سنًّا من أسامة ﵁، فوثب أبو بكر ﵁ قائلًا: ثكلتك أمُّك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله[1]، فخرج عمر ﵁ إلى الناس، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ.

ثم خرج أبو بكر الصديق ﵁ حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيَّعهم، وهو ماش وأسامة راكب، وعبدالرحمن بن عوف ﵁ يقود دابة أبي بكر ﵁، فقال له أسامة ﵁: ياخليفة رسول الله! والله لَتَرْكَبَنَّ أو لَأَنْزِلَنَّ. فقال: والله لا تنزل، ووالله لاأركب. وماعلي أن أغبر قدميَّ في سبيل الله.

ثم قال الصديق ﵁ لأسامة ﵄: إن رأيت تعينني بعمر ﵁؛ فافعل، فأذن له.

ثم توجه الصديق ﵁ إلى الجيش، فقال: يا أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا[2]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرَّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منه شيئًا بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا[3] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[4] بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله.

وأوصى الصديق أسامة ﵄: أن يفعل ما أَمَرَ به النَّبيُّ ﷺ؛ قائلًا: اصنع ما أمرك به رسول الله ﷺ: ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إيت آبل[5]، ولا تقصرن في شيء من

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٦).

(٢) لا تقطعوا أطرافًا، ولا تشوهوا أحدًا.

(٣) حلقوا.

(٤) اصرعوهم واقتلوهم.

(٥) منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم.

أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلنَّ لما خلَّفت عن عهده[١].

ومضى أسامة بن زيد رضي الله عنهما بجيشه، وانتهى إلى ما أمر به النَّبيُّ ﷺ من بثِّ الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسلم وغنم، وكان مسيره ذاهبًا وقافلًا أربعين يومًا[٢].

وقدم بنعي رسول الله ﷺ على هرقل وإغارة أسامة بن زيد رضي الله عنهما في ناحية أرضه خبرًا واحدًا، فقالت الروم: مابال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا؟!

وقالت العرب: لو لم يكن لهم قوَّةٌ لما أرسلوا هذا الجيش؟! فكفُّوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

عاد جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما ظافرًا غانمًا بعدما أرهب الروم حتى قال لهم هرقل -وهو بحمص بعدما جمع بطارقته-: هذا الذي حذَّرتكم؛ فأبيتم أن تقبلوا منِّي!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر؛ فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلَّم.

فقال أخوه يناف: فابعث رباطًا[٣] تكون بالبلقاء، فبعث رباطًا واستعمل عليهم رجلًا من أصحابه، فلم يزل مقيمًا حتى تقدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

وعندما بلغ جيش أسامة بن زيد المدينة النبوية، تلقاه أبو بكر رضي الله عنه في جماعة من كبار المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وتلقاه أهل المدينة، ودخل أسامة بن زيد المدينة النبوية وقصد مسجد رسول الله ﷺ وصلى ركعتين ، ثم أتى أهله وبيته.

وكان لهذا البعث أثر عظيم في حياة المسلمين والعرب والروم؛ فقد فعل هذا

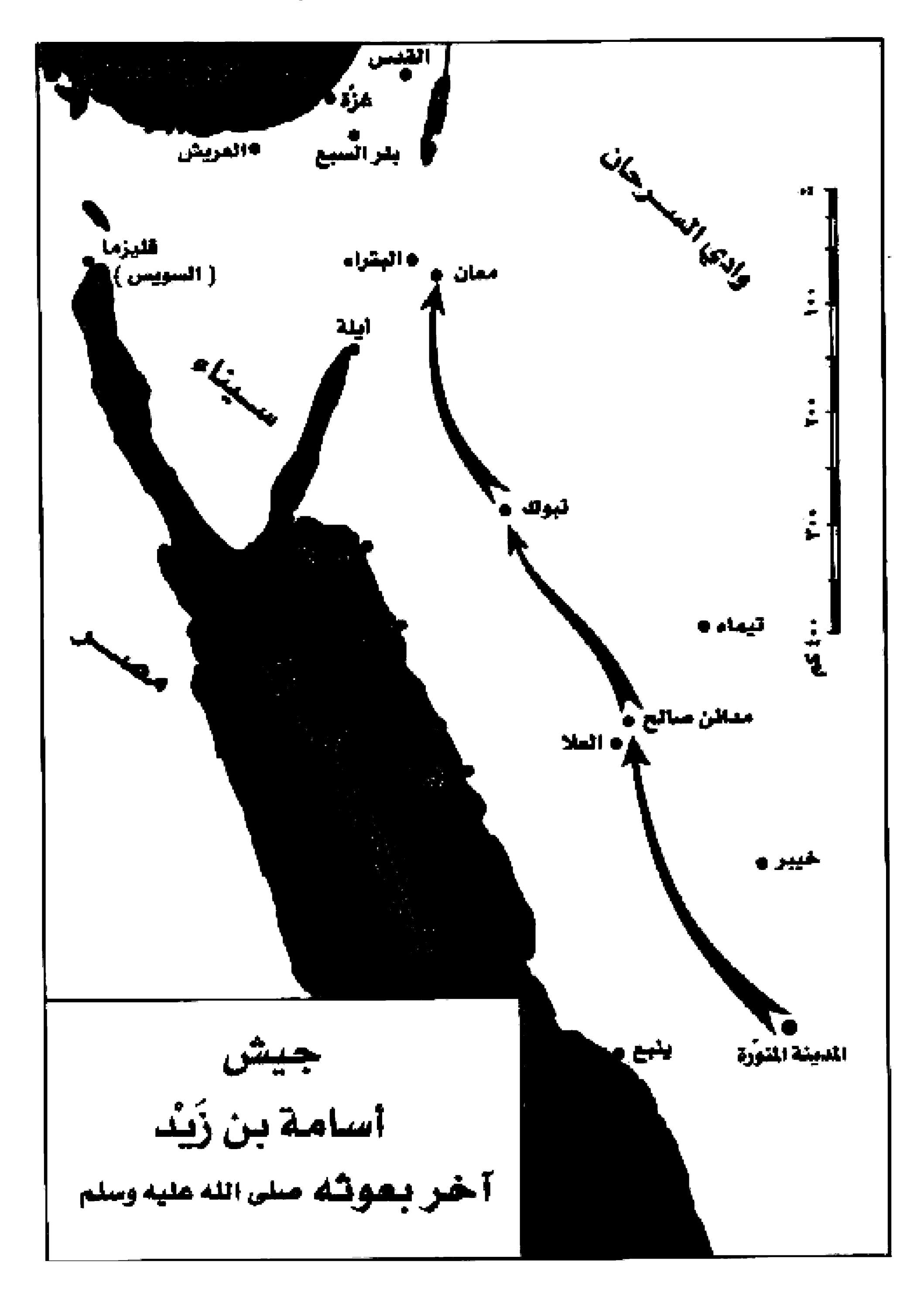
---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٧)؛ «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٠١).

(٣) جندًا مرابطين.

(٤) «المغازي» (٣/ ١١٢٤)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ١٩٢).


القدس
غزة
بئر السبع
العريش
وادي السرحان
قليزما
(السويس)
البتراء
معان
أيلة
سيناء
تبوك
تيماء
مدائن صالح
العلا
مصر
خيبر
ينبع
المدينة المنورة
جيش
أسامة بن زَيْد
آخر بعوثه صلى الله عليه وسلم

الجيش بسمعته مالم يفعله بقوَّته وعدده، فأحجم من المرتدين من تقدَّم، وتفرَّق من اجتمع، وهادن المسلمين من أراد أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبةُ صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يضع السلاح.

كل هذا يؤكد: أن أبابكر الصديق ﵁ كان في الأزمات أثقبَ المسلمين نظرًا، وأعمقَهم فهمًا، وأربطَهم جأشًا؛ فقد أعزَّ الله به الإسلام يوم الرِّدَّة.

○ ○ ○





دلائل النبوة وأعلام رسالته ﷺ

هذا باب في ذكر دلائل نبوَّتِه ﷺ وأعلام رسالته على سبيل الإجمال؛ لأن تفصيله يحتاج إلى مجلدات عديدة، وقد جمع الأئمة في ذلك ما زاد على ألف معجزة[1].

○ ○ ○

(١) كما نصَّ على ذلك أئمَّة الإسلام وشيوخه؛ كابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية -رحمهما الله تعالى-.

وقد شرعت في جمعها صحيحة مبوبة في: «الصحيح المسند من دلائل النبوَّة» يسَّر الله تمامها على خير وبركة.



فصل

القرآن الكريم

وهو من أبهرها وضوحًا، وأعظمها دلالة؛ فهو الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما مِنَ الأنبياءِ مِن نبيٍّ إلَّا قد أُعطي من الآيات؛ ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الَّذي أُوتيت وحيًا أوحى اللهُ إليَّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يومَ القيامة**»(١).

وإعجازه من جهة لفظه ومعناه:

أما لفظه؛ ففي أعلى غايات فصاحة الكلام، وكلّ من ازدادت معرفته بهذا الشأن؛ ازداد للقرآن تعظيمًا في هذا الباب، وقد تحدَّى الفصحاء والبُلغاء في زمانه - مع شدَّة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه-؛ بأن يأتوا بعشر سور من مثله؛ قال الله -تعالى-: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، أو بسورة، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٤٩٨١ و٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

وقال -تعالى-: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨].

فعجزوا، وأخبرهم أنهم لا يطيقون ذلك أبدًا، بل قد تحدَّى الجنَّ والإنس قاطبةً على أن يأتوا بمثله؛ فعجزوا، وأخبرهم بذلك؛ فقال الله -تعالى-: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، إلى غير ذلك من الوجوه المثبتة لإعجازه.

وأما معناه؛ فإنه في غاية التعاضد والحكمة، والرحمة والمصلحة، والعاقبة الحميدة والاتفاق، وتحصيل أعلى المقاصد، وتبطيل المفاسد، إلى غير ذلك مما يظهر لمن له لبٌّ وعقل صحيح، خالٍ من الشُّبَهِ والأهواء؛ نعوذ بالله منها، ونسأله الهدى.

ومن ذلك: أنَّه نشأ بين قوم يعرفون نسبه ومَرْباه، ومدخله ومخرجه، يتيمًا بين أظهرهم، أمينًا صادقًا، بارًّا راشدًا، كلُّهم يعرف ذلك، ولاينكره إلَّا مَن عاند وسفسط[١] وكابر.

وكان أميًّا لا يُحسن الكتابة، ولا يعاينها ولا أهلها[٢]، وليس في بلادهم من علم الأولين، ولا من يعرف شيئًا من ذلك، فجاءهم على رأس أربعين سنة من عمره يخبر بما مضى مفصَّلًا مبينًا، يشهد له علماء الكتب المتقدمة -البصيرون بها المهتدون- بالصدق.

بل أكثر الكتب المنزلة قبله قد دخلها التحريف والتبديل، ويجيء ما أنزل الله عليه مبيّنًا لذلك، مهيمنًا عليه، دالًّا على الحقِّ منه.

وهو ﷺ مع ذلك في غاية الصِّدق والأمانة، والسَّمت الذي لم يرَ أولو الألباب مثله، والعبادة لله، والخشوع له، والذُّلِّ، والدُّعاء إليه، والصبر على أذى من خالفه

---

(١) غالط وعاند وأتى بحكمة مضللة، والسفسطة كلمة يونانية؛ تعني: قياس مركب من الوهميَّات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته، والسفسطي المنسوب إلى السفسطة، والسوفسطائية: فرقة ينكرون الحسيَّات والبديهيَّات وغيرها.

(٢) لم يخالط أهلها بقصد التعليم.

واحتماله، وزهده في الدنيا، وأخلاقه السنيَّة الشريفة؛ من: الكرم، والشجاعة، والحياء، والبرِّ، والصِّلة، إلى غير ذلك من الأخلاق التي لم تجتمع في بشر قبله ولا بعده إلا فيه.

فبالعقل يدرك أن هذا يستحيل أن يكذب على أدنى مخلوق بأدنى كذبة؛ فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قد كذب على الله رب العالمين، الذي قد أخبر هو بما لديه من أليم العقاب، وما لمن كذب عليه وافترى؟! هذا لايصدر إلا من شرِّ عباد الله وأجرئهم وأخبثهم؛ قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٥٢].

ومثل هذا لا يخفى أمره على الصبيان في المكاتب؛ فكيف بأُولي الأحلام والنُّهى: الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم، وفارقوا أولادهم وأوطانهم وعشائرهم في حبِّه وطاعته؟!

○ ○ ○



مكارم أخلاقه ﷺ

مكارم أخلاقه ﷺ ونبل صفاته: دليل صدقه؛ فقد كان الرسول ﷺ قبل البعثة وحمل الرسالة في الذّروة السَّامقة من الأخلاق: صدقًا، وأمانةً، وكرمًا، وحلمًا، وشجاعةً، وعفَّةً، وقناعةً، وصلةً للرَّحم، والتي من أجلها تبوأ مكانة الإجلال والاحترام بين قومه.

فها هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تصف أخلاقه عندما أخبرها بنزول الوحي عليه، ويقول: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر[1].

بأصول مكارم الأخلاق وصفته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وبها استدلت على صدقه، وأن أمثالهم يخزيهم الله أبدًا؛ فهو معهم ينصرهم ويعينهم.

وها هم قومه يشهدون له بمكارم الأخلاق، ونبل الشيم؛ فيحتج ﷺ بذلك عليهم أنه رسول رب العالمين.

---

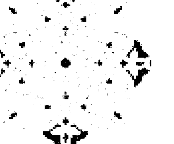
(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]؛ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا؛ فهتف: «**يا صباحاه**»، فقالوا: من هذا الذي يهتف. قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «**يا بني فلان! يا بني فلان! يا بني مناف! يا بني عبد المطلب!**»، فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا، قال: «**فإنِّي نذيرٌ لكم بين عذاب شديد**»[1].

بمكارم الأخلاق يستدلُّ الرسول ﷺ على صدق دعواه، وصحَّة رسالته.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٦١٤)، ومسلم (٢٠٨).





فصل

خوارق العادات التي جرت على يديه ﷺ

أظهر الله -تعالى- على يدي رسوله ﷺ جملة من خوارق العادات الباهرة التي تضمنت آيات معجزة ظاهرة؛ فمن ذلك:

ما أخبر الله -عز وجل- عنه في كتابه العزيز من انشقاق القمر؛ قال الله- تعالى-: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١].

وذلك: أنَّ المشركين سألوه آية -وكان ذلك ليلًا-؛ فأشار إلى القمر؛ فصار فرقتين.

فسألوا مَنْ حولهم من الأحياء؛ لئلا يكون قد سحرهم، فأخبروهم بمثل ما رأوا؛ وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار، وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم[1].

○ ○ ○

(١) ثبت هذا الحديث عن جمع من الصحابة؛ مثل: أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجبير بن مطعم، وحذيفة بن اليمان وغيرهم رضي الله عنهم في «الصحيحين»، و«السنن» و«المسانيد»، وهو متواتر؛ كما قال الإمام ابن كثير وغيره، وانظر -غير مأمور-: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني (ص١٣٥).



آثار بركة دعائه ﷺ

ظهرت بركة دعائه ﷺ في أماكن يطول بسطها، وتَضِيقُ مجلَّداتٌ عديدة عن حصرها، وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله كتابًا شافيًا[1] في ذلك؛ مقتديًا بمن تقدَّمه في ذلك[2]؛ كما اقتدى به كثيرون بعده -رحمهم الله-.

فمن ذلك: أنَّه ﷺ دعا الله -تعالى- في السَّخلة[3] التي كانت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الرَّعي، وسمَّى اللهَ وحلَبَها، فدرَّت عليه، فشرب، وسقى أبا بكر رضي الله عنه[4]،

---

(١) المسمى: «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»؛ وهو مطبوع في سبعة مجلدات، صدر عن دار الكتب العلمية ببيروت، وهو يحتاج إلى توثيق منهجي أمين، وتخريج علمي متين، يسَّر الله ذلك.

(٢) مثل كتاب: «دلائل النبوة» للفريابي، وهو مطبوع في جزء صغير، وكتاب: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني، وهو مطبوع.
وممن جاء بعده: قِوَام السنة الأصبهاني، وله كتاب: «دلائل النبوة»، وقد طبع جزء منه في أربعة مجلدات.

(٣) هي الصغيرة من أولاد المعز.

(٤) تقدم تخريجه (ص٦٥).

وكذلك فعل في شاة أُمِّ مَعْبد[١].

ودعا لأُسيد بن الحضير وعبَّاد بن بشر الأنصاريين ﵄؛ فصار لهما نورًا يسيران فيه، وقد خرجا من عنده في ليلة ظلماء[٢].

ودعا اللهَ على السَّبعة الذي سخِروا منه وهو يصلِّي؛ فقُتلوا ببدر[٣].

ودعا على سراقة؛ فساخت يدا فرسه في الأرض، ثم دعا الله فأطلقتا[٤].

ورمى كفار قريش يوم بدر بقبضةٍ مِن حصباء؛ فأصاب كلًّا منهم شيء منها، وهزمهم الله، وكذلك فعل يوم حنين سواء[٥].

وأخبر عمَّه العبَّاس -وهو أسير- بما دفن هو وأمُّ الفضل من المال تحت عتبة بابهم؛ فأقرَّ له بذلك[٦].

وأخبر عمير بن وهب بما جاء له من قتله، معتذرًا بأنه جاء في فداء أسارى بدر؛

---

(١) **حسن بشواهده** - أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٢٦٥).

وله طرق متعددة وشواهد كثيرة عن أبي بكر الصِّدِّيق، وقيس بن النعمان، وجابر بن عبدالله ﵃.

قال الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية» (٤/ ٤٧٢): «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشُدُّ بعضُها بعضًا».

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٦٥ و٣٦٣٩ و٣٨٠٥) من حديث أنس ﵁.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٤٠ و٥٢٠ و٢٩٣٤)، ومسلم (١٧٩٤) من حديث عبدالله بن مسعود ﵁.

والسبعة هم: أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، والسابع لم يحفظ.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩) من حديث أبي بكر ﵁.

وأخرجه البخاري (٣٩٠٦) من حديث سراقة بن جعشم نفسه ﵁.

(٥) تقدم تخريجها (ص٨٥).

(٦) **حسن بشواهده** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٥٣)، والطبري في «تاريخه» (١/ ٣٥٣)، وابن سعد «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٤-١٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٠ و٤١١) عن ابن عباس ﵁، وله شواهد عن عائشة، وعن الزهري مرسلًا.

فاعترف له بذلك، وأسلم من وقته رضي الله عنه[١].

وردَّ يوم أحد عين قتادة بن النُّعمان الظَّفري بعد أن سالت على خده؛ فصارت أحسَنَ عينيه، فلم تكن تُعرف من الأخرى[٢].

وأَطعم يوم الخندق الجمَّ الغفير الذين يُقاربون ألفًا، من سخلة وصاع شعير ببيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[٣].

وكذلك أطعم نحو الثمانين من طعام كادت تواريه يده المكرمة[٤].

وكذلك فعل يوم أصبح عروسًا بزينب بنت جحش رضي الله عنها[٥].

وأما يوم تبوك؛ فكان أمرًا هائلًا: أطعم الجيش، وملؤوا كلَّ وعاء معهم؛ من قدر ربضة[٦] العنز طعامًا[٧].

وأعطى أبا هريرة رضي الله عنه مِزْوَدًا[٨] فأكل منه دهره، وجهَّز منه في سبيل الله شيئًا

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٥٨/ ١٢٠)، وابن منده في «المعرفة»؛ كما في «الإصابة» (٣/ ٣٦-٣٧) عن أنس بن مالك به، بإسناد حسن.
وله شواهد مرسلة عن عروة بن الزبير، والزهري، وعكرمة؛ فهو بها صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٩-١٠٠)، وغيرهم، وهو حسن بمجموع طرقه، كما صرح بذلك شيخنا في تحقيقه لـ«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص٤٢).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥١٦٣) -تعليقًا-، و(٥١٦٦) -موصولاً-، ومسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) مبرك العنز.

(٧) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٨) وعاء من جلد.

كثيرًا، ولم يزل معه إلى أيام مقتل عثمان[1].

ودعا الله -تعالى- لما قحطوا، فلم ينزل عن المنبر؛ حتى تحدَّر الماء على لحيته ﷺ من سقف المسجد، وقد كان قبله لا يرى في السماء سحابة، ولا قزعة[2]، ولا قدر الكفِّ، ثم لما استصحى لهم؛ انجاب السحاب عن المدينة؛ حتى صارت المدينة في مثل الإكليل[3][4].

ودعا الله على قريش؛ فأصابهم من الجهد ما لا يُعبَّرُ عنه؛ حتى استرحموه، فعطف عليهم؛ فأفرج عنهم[5].

وأُتيَ بإناء فيه ماء؛ ليتوضأ به، فرغب إليه أقوام هناك أن يتوضؤوا معه، فوضع يده في ذلك الإناء، فما وَسِعَها، ثم دعا الله؛ فنبع الماء من بين أصابعه ﷺ[6].

وكذلك فعل يوم الحديبية، وكان الجيش ألفًا وأربعمائة، قال جابر: ولو كنا مائة ألف لكفانا[7].

وكذلك فعل في بعض أسفاره بقطرة من ماء في سقاء.

قال الراوي: لما أمرني أن أفرغها في الوعاء خشيت أن يشربها يابس القربة،

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٤ و٣٥٢)، والترمذي في «السنن» (٣٨٣٩)، وابن حبان (٦٥٣٢)-، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) القطعة من السحاب.

(٣) العصابة، وتطلق على كل محيط بالشيء، ويُسمَّى التَّاجُ: إكليلاً؛ لإحاطته بالرأس.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٠١٣ و١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٠٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه باختلاف في العدد.

وبالعدد نفسه: أخرجه البخاري (٣٥٧٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

فوضع يده فيها، ودعا الله -تعالى-؛ فنبع الماء من بين أصابعه لأصحابه؛ حتى توضؤوا وشربوا[1].

وكذلك بعث سهمه إلى عين الحديبية، فوضعت فيها؛ فجاشت بالماء حتى كفتهم[2].

وكذلك فعل يوم ذات السطيحتين[3]؛ سقى أصحابه، وأمر بعضهم فاغتسل من جنابة كانت عليه، ولم ينقص من تلك المزادتين اللَّتين للمرأة شيء، فذهبت إلى قومها، فقالت: إني رأيت اليوم أسحر أهل الأرض، أو إنَّه لنبيٌّ! ثم أسلمت، وأسلم قومها رضي الله عنهم[4].

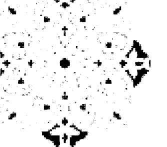
○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٣٠١٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) السَّطيحة من المزاد: ما كان من جلدين، قوبل أحدهما بالآخر، فسُطِحَ عليه، وتكون صغيرة وكبيرة، وهي من أواني المياه.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٦٨٢) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما.





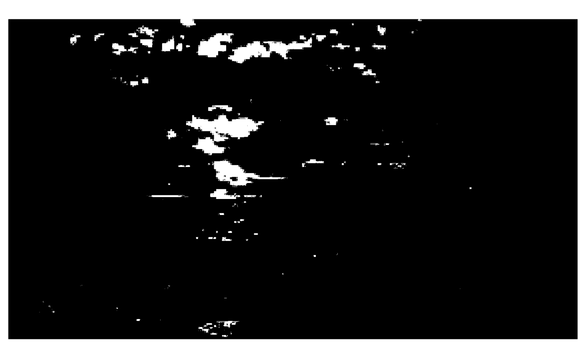
فصل

الإخبار بالغيوب المستقبلة

وقد أخبر ﷺ بالغيوب المستقبلة المطابقة لخبره؛ كما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه من إظهار دينه الحق على الدين كلّه، وإعلاء كلمته فلا يبقى إلا الإسلام، واستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أُمَّته في جميع الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥]؛ وكان كذلك، وسيكون -أيضًا- بإذن الله عز وجل؛ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الآية [التوبة:٣٣][1].

وأخبر ﷺ بغلبة الروم فارس في بضع سنين؛ قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(١) انظر -غير مأمور- كتابيَّ: «المستقبل للإسلام بمنهج السلف الكرام»، و«خارطة المستقبل الإسلامي في ضوء المبِّشرات النبويَّة».



يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ١-٦]، وكان كذلك(١).

وأخبر ﷺ يوم بدر قبل الوقعة بيوم بمصارع القتلى واحدًا واحدًا؛ فكان كما أخبر سواء بسواء(٢).

وأخبر ﷺ أنَّ كنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله(٣)؛ فكان كذلك.

وبشَّر أُمَّته بأن سيملكون الأرض كلها(٤)، وسيكون ذلك كله بأمر الله عزَّ وجلَّ.

وأخبر بأنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قومًا صغار الأعين ذلف الأنوف(٥)، كأنَّ وجوههم المجانّ المطرقة(٦).

وهذه حلية التَّتار؛ فكان كذلك(٧).

---

(١) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٦ و٣٠٤)، والترمذي في «السنن» (٣١٩٣)، والنسائي في «التفسير» (٤٠٩)، والحاكم (٢/ ٤١٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٠-٣٣١) عن ابن عباس به.

(٢) مضى تخريجه (ص٨٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وثبت من حديث جابر بن عبد الله، وعدي بن حاتم ﷺ.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ.

(٥) ومعناه: فطس الأنوف، قصارها مع انبطاح، وقيل: هو غلظ في أرنبة الأنف، وقيل: تطامن فيها، وكلها متقارب.

(٦) جمع مجن، بكسر الميم؛ وهو: الترس.
وأما المطرقة؛ هي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة، قالوا: ومعناه: تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترسة المطرقة.

(٧) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
وعند البخاري (٢٩٢٧) من حديث عمرو بن تغلب ﷺ.

وأخبر أنَّ الحسن بن علي رضي الله عنه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين؛ فكان كذلك[١].

وأخبر بقتال الخوارج[٢]، ووصف لهم ذا الثديَّة[٣]؛ فوُجد كما وصف سواء سواء.

وأخبر بأنَّ عمارًا ستقتله الفئة الباغية[٤]؛ فقتل يوم صفين مع عليٍّ رضي الله عنهما.

وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تُضيء لها أعناق الإبل ببصرى، وكان ظهور هذه في سنة بضع وخمسين وستمائة[٥]، وتواتر أمرها[٦]؛ فكان ذلك، وشاهدها أقوام كما وصفها رسول الله؛ شاهد إضاءة أعناق الإبل ببصرى؛ فصلَّى اللهُ عليه كلما ذكره الذاكرون.

وأخبر بجزيئات كانت وتكون بين يدي الساعة يطول بسطها[٧].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٧٤٦ و٧١٠٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أحاديث قتال الخوارج متواترة عند أهل العلم.

(٣) حديث ذي الثدية: أخرجه البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (١٠٦٦) (١٥٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٩١٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه الحادثة في كتابه «البداية والنهاية» (١٧/ ٣٢٨ - ٣٤٢ -ط دار هجر)، أحداث سنة أربع وخمسين وست مئة؛ فإنه ذكر ما يدهش العقول، ويفزع القلوب، مما يجعل مراقبة الله في كل وقت وعلى كل حال.

(٦) قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٢٨): وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة، سنة أربع وخمسين وستمائة -وكانت نارًا عظيمة جدًّا- من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة.

(٧) المراد: أشراط الساعة، وأحاديث الفتن والملاحم، وقد جمعتها وحلّلتها تحليلاً منهجيًّا في موسوعة كبرى؛ هي: «صحيح السنن الواردة في أشراط الساعة والملاحم والفتن»؛ يسَّر الله نشره على خير، ونفع به المسلمين، ونصر به الإسلام.



بشارة الكتب السماويَّة المتقدِّمة برسول الله ﷺ

وفي الكتب المتقدِّمة البشارة به؛ كما أخبر الله -تعالى- أنَّ ذلك في التوراة والإنجيل مكتوب، وكما أخبر عن نبيه عيسى -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

حِكو مَمْتَكيم فِكلّو محمديم زيه دُودي فَزيه ريعي.
التوراة : نشيد الأنشاد : الإصحاح الخامس : الفقرة :١٦

"كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي"

وفي التوراة الَّتي يقرُّ اليهود بصحَّتها- في السفر الأول: أنَّ اللهَ -تعالى- تجلَّى لإبراهيم، وقال له: قم؛ فاسلك في الأرض طولًا وعرضًا لولدك تعظيمًا[1].

ومعلوم أنَّه لم يملك مشارق الأرض ومغاربها إلا محمد ﷺ؛ كما جاء في قوله

(١) السفر الأول: (١٣ فقرة ١٥-١٨).

ﷺ: «إنَّ الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[1].

> قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضته البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره.

> " قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره "
>
> إنجيل متى :الإصحاح : ٢١ الفقرات : ٤١-٤٤

وفيه[2] -أيضًا-: «إن الله -تعالى- قال لإبراهيم: أمّا إسحاق؛ يكون لك منه نسل، وأما إسماعيل؛ فإني باركته وكثَّرته وعظمته، وجعلت ذرِّيته بنجوم السماء...» إلى أن قال: «وعظَّمته بماذ ماذ -أي: بمحمد، وقيل: بأحمد-، وقيل: جعلته عظيمًا عظيمًا، وقيل: جدًا جدًا»[3].

وفيه: «إنَّ الله وعد إبراهيم أن ولده إسماعيل تكون يده عالية على كلِّ الأمم، وكلُّ الأمم تحت يده، وبجميع مساكن إخوته يسكن»[4].

وقد علم أهل الكتاب وغيرهم: أن إسماعيل لم يدخل قط إلى الشام، ولا علت يده على إخوته، وإنما كان هذا لولده محمد ﷺ.

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) في السفر الأول من التوراة.

(٣) سفر التكوين (إصحاح ١٧ فقرة ٢٠).

(٤) سفر التكوين (إصحاح ١٦ فقرة ١٣).

ولا ملك الشام ومصر من العرب أحد قبل أمة محمد ﷺ؛ فإنَّ فتْحَهما كان في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

وفي السفر الرابع من التوراة: «نبيٌّ أُقيم لهم من أقاربهم من أخيهم مثلك يا موسى، أجعل نُطقي بفيه»[1].

ومعلوم لهم ولكل أحد: أن الله -عز وجل- لم يبعث من نسل إسماعيل نبيًّا سوى محمد ﷺ، بل لم يكن في بني إسرائيل نبيٌّ يماثل موسى إلا عيسى -عليهما الصلاة والسلام-، وهم لا يُقرُّون بنبوَّته، ثم ليس هو من إخوتهم، بل هو منتسب إليهم بأُمِّه؛ فتعيَّن ذلك في محمد ﷺ.

ومن ذلك: ما ختمت به التوراة في آخر السفر الخامس: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى من جبال فاران»[2].

١٣ وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم

" وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عـــدد قســـيّ أبطال بني قيدار تقل ؛ لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم" سفر أشعياء :
الإصحاح ٢١ الفقرة ١٢

---

(١) سفر التثنية (إصحاح ١٨ فقرة ١٧-٢٢).

(٢) سفر التثنية (إصحاح ٣٣ فقرة ٢).

ومعنى هذا: أن الله جاء شرعه ونوره من طور سيناء الذي كلَّم موسى -عليه الصلاة والسلام- عليه، وأشرق من ساعير؛ وهو: الجبل الذي ولد به عيسى -عليه الصلاة والسلام-، وبعث فيه، واستعلى من جبال فاران؛ وهي: مكة؛ بدليل: أنَّ اللهَ أمر إبراهيم أن يذهب بإسماعيل إلى جبال فاران[1].

وقد استشهد بعض العلماء على صحَّة هذا: بأنَّ اللهَ -سبحانه- أقسم بهذه الأماكن الثلاثة، فترقَّى من الأدنى إلى الأعلى في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين:١-٣].

ففي التوراة ذكرهنَّ بحسب الوقوع[2] الأوَّل فالأوَّل، وبحسب ما ظهر فيهنَّ من النُّور.

وفي القرآن لما أقسم بهنَّ؛ ذكر منزل عيسى، ثم موسى، ثم محمد - صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين-؛ لأنَّ عادة العرب إذا أقسمت ترقَّت مِن الأدنى إلى الأعلى.

وكذا زبور داود -عليه الصلاة والسلام- والنُّبوءات الموجودة الآن بأيدي أهل

---

(١) سفر التكوين (إصحاح ٢ فقرة ٢٠).

(٢) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٥٧٠): «وقال بعض الأئمة: هذه محالٌّ ثلاثة، بعث الله في كلِّ واحدٍ منها نبيًّا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار:

فالأول: محله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم- عليه الصلاة والسلام-.

والثاني: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، وهو: طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران -عليه الصلاة والسلام-.

والثالث: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾؛ وهو: مكة الذي من دخله كان آمنًا، وهو الذي أرسل فيه ﷺ».

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٥٣): «﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾؛ المراد بهما: منبتهما وأرضهما، وهي: الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، فهو مظهر نبوته، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾: مكة حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوة محمد -صلوات الله وسلامه عليهم-».



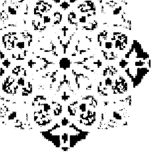
الكتاب، فيها البشارات به ﷺ.

وفي الإنجيل ذكر -الفارقليط- موصوفًا بصفات محمد ﷺ سواء بسواء.

وأما كلام أشعيا وأرميا[1]؛ فظاهر جدًا لكل من قرأه، ولله الحمد والمنَّة والحجَّة البالغة.

○ ○ ○

(١) انظر -لزامًا-: «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٣/ ٣٢٦-٣٢٨).





الباب

الثالث

الخصائص النبوية



فصل



خصائص رسول الله ﷺ

هذا باب مختصر فيه ذكرُ نُبَذٍ من خصائص رسول الله ﷺ التي لم يشاركه فيها غيره.

وهي على قسمين:

أحدهما: ما اختص به عن سائر إخوانه من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

الثاني: ما اختصَّ به من الأحكام دون أُمَّته.

○ ○ ○



ما اختصَّ ﷺ به دون غيره من الأنبياء

عن جابر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا؛ فأيُّما رجل من أُمَّتي أدركته الصلاة، فليُصلِّ، وأُحلَّت لِيَ الغنائمُ ولم تحلَّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النَّبيُّ يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى النَّاس عامَّة**»[1].

فقوله ﷺ: «**نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر**»؛ فقد كان ﷺ إذا هَمَّ بغزو قوم أُرهِبوا منه قبل أن يقدم عليهم بشهر، ولم يكن هذا لأحد سواه.

وأما قوله ﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»؛ فمعنى ذلك في الحديث: أنَّ من كان قبلنا كانوا لا يُصلُّون في مساكنهم، وإنما كانوا يصلُّون في كنائسهم[2].

وقوله: «**وطهورًا**»؛ أي: التيمم؛ فإنه لم يكن في أُمَّة قبلنا، وإنما شرع له ﷺ ولأُمَّته؛ توسعةً، ورحمة، وتخفيفًا.

وقوله ﷺ: «**وأُحِلّت لي الغنائم**»؛ فكان مَن قبله إذا غنموا شيئًا أخرجوا منه

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٢-٢٢٣).

قسمًا؛ فوضعوه ناحيةً، فتنزل نار من السماء؛ فتحرقه[1].

وقوله ﷺ: «**وأُعطيت الشفاعة**»؛ يريد بذلك ﷺ: المقام المحمود الذي يغبطه به الأوَّلون والآخرون، والمقام الذي يرغب إليه الخلق كلّهم ليشفع لهم إلى ربهم؛ ليفصل بينهم ويريحهم من مقام المحشر، وهي الشَّفاعة العظمى التي يحيد عنها أولو العزم؛ لما خصَّه اللهُ به من الفضل والتشريف.

فيذهب، فيقعقع[2] باب الجنَّة، فيقول الخازن: «**من أنت؟ فيقول: محمَّد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك**»[3].

وهذه خصوصيَّة -أيضًا- ليست إلَّا له من البشر كافَّة، فيدخل الجنَّة؛ فيشفع إلى الله -تعالى- في ذلك[4].

وهذه هي الشفاعة الأولى التي يختصُّ بها دون غيره من الرُّسل.

ثم تكون له بعد ذلك شفاعات: من إنقاذ من شاء الله من أهل الكبائر من النَّار من أُمَّته؛ ولكنَّ الرُّسل يشاركونه في هذه الشَّفاعة، فيشفعون في عصاة أممهم، وكذلك الملائكة، بل والمؤمنون؛ كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد: «**فيقول الله -تعالى-: شفعت الملائكة، وشفع النَّبيُّون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلَّا أرحم الراحمين**»[5].

ثم له بعد ذلك شفاعات أخر؛ منها أربع:

من إنقاذ خلقٍ ممن أدخل النَّار.

ثم هو أوَّل شفيع في الجنَّة؛ كما في حديث أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا**

---

(١) قرع وطرق مستئذنًا.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٢)، والترمذي في «السنن» (٣٠٨٥)، والنسائي في «التفسير» (٢٢٩)، و«السنن الكبرى» (٨٨٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أحاديث الشفاعة متواترة؛ كما نص على ذلك كثير من العلماء.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

أوَّل شافع في الجنَّة»[1].

وهو شفيع في رفع درجات بعض أهل الجنة، وهذه الشفاعة اتفق عليها أهل السُّنَّة والمعتزلة، ودليلها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن عمَّه أبا عامر لما قُتل بأوطاس؛ قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهمَّ! اغفر لِعُبَيْدِكَ أبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**»[2].

وأما قوله ﷺ: «**وكان النَّبيُّ يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى النَّاس عامَّة**»؛ فمعناه في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤]، وقوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

فكان النَّبيُّ ممَّن كان قبلنا لا يُكلَّف من أداء الرِّسالة إلا ما يدعو به قومه إلى الله، وأما محمَّد ﷺ؛ فقال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال -تعالى-: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧]، وقال -تعالى-: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]، في آي كثير من القرآن تَدُلُّ على عموم رسالته إلى الثَّقلين، فأمره الله -تعالى- أن ينذر جميع خلقه: إنسهم وجِنَّهم، وعربهم وعجمهم، فقام ﷺ بما أمر، وبلَّغ عن الله رسالته.

ومن خصائصه على إخوانه من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: أنه أكملُهم، وسيِّدُهم، وخطيبُهم، وإمامُهم، وخَاتَمُهم.

فما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أُخِذَ عليه الميثاق: لئن بُعث محمَّد وهو حيٌّ؛ ليؤمننَّ به

---

(١) **صحيح** - أخرجه البزار في «مسنده» (٦٤١٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي (٣٦١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد (١٠٩٨٧)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٩٢٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

ولينصرنه، وَأُمِرَ أن يأخذ على أُمَّته الميثاق بذلك.

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، يقول -تعالى-: مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول بعد هذا كلِّه؛ فعليكم الإيمان به ونصرته.

وإذا كان هذا الميثاق شاملًا لكلٍّ منهم؛ تضمن أخذه لمحمَّد ﷺ من جميعهم، وهذه خصوصية ليست لأحد منهم سواه.

ومن ذلك: أن معجزة كل نبيٍّ انقضت معه، ومعجزته ﷺ باقية بعده إلى ما شاء الله؛ وهو: القرآن العزيز، المعجز لفظه ومعناه، الذي تحدَّى الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثله، فعجزوا، ولن يمكنهم ذلك أبدًا إلى يوم القيامة.

ومن ذلك: أنَّه ﷺ أُسرِيَ به إلى سدرة المنتهى، ثم رجع إلى منزله في ليلة واحدة.

ولهذا؛ كانت منزلته في الجنَّة أعلاها منزلة وأقربها إلى العرش؛ كما جاء في الحديث: «**ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنَّها منزلة في الجنَّة، لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو**»[1].

ومن ذلك: أنَّ أُمَّته إذا اجتمعت على قول واحد في الأحكام الشرعية؛ كان قولها ذلك معصومًا من الخطأ، بل يكون اتفاقها ذلك صوابًا وحقًّا؛ وهذه خصوصيَّة لهم بسببه، لم تبلغنا عن أُمَّة من الأمم قبلها؛ لقوله ﷺ: «**لا يجمعُ اللهُ أُمَّتي على الضَّلالة أبدًا**»[2].

ومن ذلك: أنَّه ﷺ أوَّل من تنشق عنه الأرض[3].

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذي في «السنن» (٢١٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن ذلك: أنَّه ﷺ إذا صُعِقَ النَّاس يوم القيامة يكون هو أوَّلُهم إفاقةً؛ كما في قصة اليهودي لما قال: لا، والذي اصطفى موسى على العالمين؛ فلطمه رجل من المسلمين، وترافعا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**لا تفضلوني على موسى؛ فإنَّ النَّاس يُصعقون يوم القيامة، فأكون أوَّل مَن يفيق، فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش؛ فلا أدري: أفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله؟**»(١).

ومن ذلك: أنَّه صاحب اللِّواء الأعظم يوم القيامة(٢).

ومن ذلك: أنَّه صاحب الحوض المورود(٣).

ومن ذلك: أنَّ البلد الذي بعث فيه أشرف بقاع الأرض:

عن عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على راحلته واقفًا بالحَزْوَرَةِ(٤)، يقول: «**والله! إنَّك لَخَيْرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك؛ ما خرجت**»(٥).

ومن ذلك: أنَّه لم يكن ليورث بعد موته:

عن أبي بكر وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**لا نُوَرثُ؛ ما تركنا؛ فهو صدقةٌ**»(٦).

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٤)، والدارمي في «السنن» (٥٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥٤)، وابن منده في «الإيمان» (٨٧٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٧٩-٤٨٠)، و«الشعب» (١٤٨٩)، والضياء في «المختارة» (٦/ ٣٢٣-٣٢٤/ ٢٣٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) **صحيح لغيره** - أخرجه الترمذي في «السنن» (٢٤٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٢١).

(٤) هي الربوة الصغيرة، وكانت عند باب الوداع، أو ما بينه وبين باب إبراهيم قبل التوسعة السعودية، أمام المدرسة الفخرية، وكان عندها سوق الحناطين.

(٥) **صحيح** - أخرجه الترمذي في «السنن» (٣٩٢٥)، وابن ماجه في «السنن» (٢٣١٠٨).

(٦) **صحيح** - أما حديث أبي بكر رضي الله عنه؛ فقد أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).
وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ فقد أخرجه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).



مما يشترك فيه هو والأنبياء
-عليهم الصلاة والسلام-

كان ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه[١]، وكذلك الأنبياء[٢]:

ومن ذلك: أنَّه حيٌّ في قبره، وكذلك الأنبياء:

عن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**الأنبياءُ أحياء في قبورهم يُصَلّون**»[٣].

قال شيخنا الألباني رحمه الله: «اعلم أنَّ الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء -عليهم الصَّلاة والسلام- إنَّما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدُّنيا في شيء؛ ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها، ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٥٧٠) من قول أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة عروجه إلى السماء.
قال الحافظ: «ومثله لا يقال من قبل الرأي».

(٣) **صحيح** - أخرجه البزار في «مسنده» (٦٣٩١ و٦٨٨٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤٢٥)، وتمام في «فوائده» (٥٨)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» (٢).
وانظر: «أحكام الجنائز» (ص٢١٣) لشيخنا الألباني رحمه الله.

هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصَّدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزِّيادة عليه بالأقيسة والآراء؛ كما يفعل أهل البدع، الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية: يأكل ويشرب ويجامع نساءه!! وإنَّما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلَّا الله -سبحانه وتعالى-»[1].

○ ○ ○

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٩٠).





ما اختصَّ به دون أُمَّته

من هذه الخصائص: ما كان مختصًا به دون أُمَّته، وقد يشاركه في بعضها الأنبياء، وهذا هو المقصود الأوَّل؛ فلنذكره مرتبًا على أبواب الفقه:

○ ○ ○

كتاب الإيمان

فمن ذلك: أنَّه كان معصومًا في أقواله وأفعاله، لا يجوز عليه التَّعمد ولا الخطأ الذي يتعلق بأداء الرسالة ولا بغيرها؛ فيُقَرُّ عليه؛ فلا ينطق عن الهوى؛ إنْ هو إلَّا وحي يُوحى.

فلهذا؛ فهو ﷺ واجب العصمة؛ لا يُتصوَّر استمرار الخطأ عليه، بخلاف سائر أُمَّته؛ فإنه يجوز ذلك كلِّه على كلٍّ منهم منفردًا، فأمَّا إن اجتمعوا كلُّهم على قولٍ واحد؛ فلا يجوز عليهم الخطأ.

ومن ذلك: أنَّه كُلِّف وحده من العلم ما كلِّف النَّاس بأجمعهم، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم؛ إذ أتيت بقدح فيه لبن، فشربت منه؛ حتَّى إنِّي لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمرَ بن الخطاب** رضي الله عنه»، قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»[١].

ومن ذلك: أنه كان يرى ما لا يرى النَّاس حوله:

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «**هذا جبريل يقرأ عليك السَّلام**»، قالت: عليه السَّلام يا رسول الله! ترى ما لا نرى.

وعنها في حديث الكسوف؛ قال ﷺ: «**والله! لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**»[٢].

ومن ذلك: أنَّ الله أمره أن يختار الآخرة على الأولى.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

ولذلك؛ كان يَحْرُمُ عليه أن يمدَّ عينيه إلى ما مُتِّع به المترفون من أهل الدنيا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١].

وذلك كثير في كتاب الله؛ منها:

ومن ذلك: أنه لم يكن له تعلُّم الشعر؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٩٦]:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أبالي ما أتيت: إن شربت ترياقًا، أو تعلقت تميمة، أو قلت الشعر من قبل نفسي**»[1].

ومن ذلك: أنَّه لم يكن يحسن الكتابة، قالوا: وقد كان يُحْرم عليه ذلك، قال الله -تعالى-: ﴿**ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ**﴾ [الأعراف:١٥٧].

وقال -تعالى-: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨].

وقد زعم بعضهم: أنه ﷺ لم يمت حتى تعلَّم الكتابة!

وهذا قول لا دليل عليه؛ فهو مردود؛ لوجوه:

الأول: أنه مخالف لكتاب الله -عز وجل-.

الثاني: أن كلَّ ما ورد في ذلك أحاديث منكرة لا تصح.

الثالث: إنكار علماء الإسلام على من زعم ذلك؛ حيث تبرؤوا منه على المنابر.

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧١٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٧ و٢٢٣)، وأبو داود في «السنن» (٣٨٦٩) -ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٥)-، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٢٥٥).

ومن ذلك: أنَّ الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فقد تواترت عنه ﷺ: «**أنَّ مَن كذب عليه متعمدًا؛ فليتبوَّأ مقعده من النار**».

ورد هذا الحديث من طريق نيف وثمانين صحابيًّا.

وقد صنَّف فيه جماعة من الحفاظ؛ كإبراهيم الحربي، ويحيى بن صاعد، والطبراني، والبزَّار، وابن منده، وغيرهم من المتقدمين.

وابن الجوزي، ويوسف بن خليل؛ من المتأخرين.

وصرَّح بتواتره: ابن الصَّلاح، والنَّووي، وغيرهما من حفاظ الحديث؛ وهو الحقُّ.

فلهذا؛ أجمع العلماء على كفر من كذب عليه متعمِّدًا مستجيزًا لذلك، واختلفوا في المتعمد فقط؛ فقال الشيخ أبو محمد: يكفر -أيضًا-، وخالفه الجمهور[١].

ثم لو تاب؛ فهل تقبل روايته؟ على قولين:

فأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو بكر الحميدي، قالوا: لا تقبل؛ لقوله ﷺ: «**إنّ كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليَّ؛ فليتبوّأ مقعده من النار**»[٢].

قالوا: ومعلوم أنَّ مَن كذب على غيره؛ فقد أثم وفسق، وكذلك من كذب عليه، لكن من تاب من الكذب على غيره؛ يقبل بالإجماع، فينبغي أن لا تقبل رواية من كذب عليه؛ فرقًا بين الكذب عليه والكذب على غيره.

وأما الجمهور؛ فقالوا: تقبل روايته؛ لأن قصارى ذلك أنه كفر، ومن تاب من الكفر قبلت توبته وروايته، وهذا هو الصحيح[٣].

ومن ذلك: أنَّه من رآه في المنام؛ فقد رآه حقًّا.

---

(١) وانظر -لزامًا- كتابي: «كفاية الحفظة شرح المقدمة الموقظة» (ص١١٨-١١٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤- مقدمة).

(٣) وانظر -لزامًا-: «فتح الباري» (٢/ ٢٠٢-٢٠٤).

كما في الحديث: «**فإنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل بي**»[١]؛ لكن بشرط أن يراه على صورته التي هي صورته في الحياة الدنيا[٢].

واتَّفقوا: أنَّ من نقل عنه حديثًا في المنام أنَّه لا يُعمل به؛ لعدم الضبط في رواية الرائي؛ فإن المنام محلٌّ فيه تضعُف فيه الروح وضبطُها، والله تعالى أعلم.

ومن ذلك: أنَّه لم يكن له خائنة الأعين؛ أي: أنه لم يكن له أن يومئ بطرفه خلاف ما يظهره كلامُه، فيكون من باب اللَّمز:

ومستند هذا: قصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، حين كان قد أهدر ﷺ دمه يوم الفتح في جملة ما أهدر من الدماء، فلما جاء به أخوه من الرضاعة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! بايعه. فتوقف ﷺ؛ رجاء أن يقوم إليه رجل فيقتله، ثم بايعه، ثم قال لأصحابه: «**أما كان فيكم رجل رشيد؛ يقوم إلى هذا حين رآني قد أمسكت يدي فيقتله؟!**»، فقالوا: يا رسول الله! هلَّا أومأت إلينا؟ فقال: «**إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين**»[٣].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري (٦٩٩٥)، ومسلم (٢٢٦٧) عن أبي قتادة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري (٦٩٩٤و٦٩٩٧) عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.
وأخرجه مسلم (٢٢٦٨/ ١٢و١٣) عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهم أجمعين-.

(٢) كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه أحمد (١/ ٣٦١)، والترمذي في «الشمائل» (٤٢٠)، وابن أبي شيبة (١٠٥١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤١٧) بإسناد حسن.
وانظر: «مختصر الشمائل المحمدية» (٣٤٧).

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٦٨٣ و٤٣٥٩)، والنسائي (٢/ ١٧٠)، والحاكم (٣/ ٤٥) بإسناد صحيح.
وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٣/ ١٥١)، وأبو داود (٣١٩٤) بإسناد حسن.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح.



كتاب الطَّهارة

فمن ذلك: أنَّه كان قد أُمِرَ بالوضوء لكلِّ صلاةٍ، فلما شقَّ ذلك عليه؛ أُمِرَ بالسواك:

عن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ أمر بالوضوء لكل صلاة، طاهرًا وغير طاهر، فلما شقَّ ذلك عليه؛ أُمِرَ بالسواك لكلِّ صلاة»(١).

فالظاهر من هذا: أنه أوجب عليه السواك.

وعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**لقد أُمِرْتُ بالسواك؛ حتى ظننت أنه سينزل عليَّ به قرآن أو وحي**»(٢).

---

(١) **حسن** - أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارمي (٧٠٢ - «فتح المنان»)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٦٧-٦٨ و٦٨)، وأبو داود (٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٨)، والحاكم (١/ ١٥٥-١٥٦)، والبيهقي (١/ ٣٧-٣٨) عنه به.

(٢) **حسن لغيره** - أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧ و٢٨٥ و٣٠٧ و٣٣٩-٣٤٠)، وأبو يعلى (٢٧٠٢)، والبيهقي (١/ ٣٥)، والطيالسي (٢٨٦٢) بإسناد ضعيف؛ لأن أربدة التميمي مجهول.

وله شاهد من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٦٣/ ١٨٩ و١٩٠) بإسناد ضعيف؛ لأن ليث بن أبي سليم ضعيف لاختلاطه.

وبالجملة؛ فالحديث حسن بمجموع ذلك.

وعن أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالسواك؛ حتى خشيت على أضراسي**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ؛ قال: «**لقد لزمت السِّواك؛ حتى تخوَّفت أن يُدْرِدَنِي**»[2].

ومن ذلك: أنه كان لا ينتقض وضوؤه بالنَّوم، ودليله: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**أنه ﷺ نام حتى نفخ، ثم جاءه المؤذِّن، فخرج فصلَّى ولم يتوضأ**»[3].

وسببه: ما ذكر في حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألته، فقالت: يا رسول الله! تنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة! تنام عيناي ولا ينام قلبي**»[4].

○ ○ ○

---

(١) **حسن** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٢٦٩)، وابن ماجه في «السنن» (٢٨٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٩).

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٧) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٢) **حسن** - أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٩-٥٠) بإسناد حسن لغيره، وقوام السنة الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٥٦٩).

انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٧) لشيخنا الألباني رحمه الله.

ويدردني؛ أي: تتساقط أسناني كلُّها، حتى تلحق بدرادرها: جمع دردر؛ وهو مفرز السِّنِّ.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٣٨)، ومسلم (٧٦٣).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٣٨)، ومسلم (٧٦٣).



مسألة

هل كان يحتلم؟

على وجهين:

صحَّح النَّوويُّ المنع.

ويُشْكِلُ عليه حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير احتلام، ثم يغتسل ويصوم[1].

والأظهر في هذا: التفصيلُ؛ وهو: أن يُقال: إن أُريدَ بالاحتلام: فيض من البدن؛ فلا مانع من هذا.

وإن أريد به: ما يحصل من تخبط الشيطان؛ فهو معصوم من ذلك ﷺ.

ولهذا؛ لا يجوز عليه الجنون، ويجوز عليه الإغماء، بل قد أغمي عليه.

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّه ﷺ اغتسل من الإغماء غير مرَّة[2].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٩٣٠ و١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩) (٧٦).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨).

كتاب الصَّلاة

فمن ذلك: أنَّ صلاته النَّافلة قاعدًا؛ كصلاته قائمًا، وإن لم يكن له عذر، بخلاف غيره؛ فإنه على النصف من ذلك:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: حُدِّثت أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**صلاة الرَّجل قاعدًا نصف الصلاة**»، فأتيته فوجدته يصلِّي جالسًا، فوضعت يدي على رأسي، فقال: «**مالك يا عبد الله بن عمرو؟!**»، فقلت: حدِّثت يا رسول الله! أنَّك قلت: «**صلاة الرَّجل قاعدًا على نصف الصَّلاة**»، وأنت تصلِّي قاعدًا! فقال: «**أجل؛ ولكني لست كأحد منكم**»[1].

وكان يجب على المصلِّي إذا دعاه رسول الله ﷺ أن يجيبه.

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، قال: كنتُ أُصلِّي في المسجد؛ فدعاني رسول الله ﷺ؛ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله! إنِّي كنت أُصلِّي، فقال: «**ألم يقل الله**: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾»[2].

وكان لا يصلِّي على من مات وعليه دين لا وفاء له:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: كنَّا جلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ، إذ أُتي بجنازةٍ، فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «**هل عليه دينٌ؟**»، قالوا: لا، قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا. فصلَّى عليه، ثُمَّ أُتي بجنازة أُخرى، فقالوا: يا رسول الله! صلِّ عليها، قال: «**هل عليه دين؟**»، قيل: نعم. قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير. فصلَّى عليها، ثم

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (٧٣٥) (١٢٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

أتي بالثالثة، فقالوا: صلِّ عليها. قال: «**هل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا. قال: «**فهل عليه دين؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير. قال: «**صلُّوا على صاحبكم**»، فقال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول الله! وعليَّ دينه؛ فصلَّى عليه[1].

ومن ذلك: أنَّه مرَّ بقبرين؛ فقال: «**إنَّهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبيرٍ**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقَّها نصفين، فوضع على كلِّ قبر شقَّةً، ثمَّ قال: «**لعلَّ اللهَ يُخفِّف عنهما؛ ما لم ييبسا**»[2].

ومن ذلك: أنَّه ﷺ وعك في مرضه وعكًا شديدًا، فدخل عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! إنَّك لتوعَكُ وعكًا شديدًا، فقال: «**أجل؛ إنِّي لأوعك كما يوعك الرَّجلانِ منكم**»، قلت: لأنَّ لك أجرين؟ قال: «**نعم**»[3].

ولم يمُت ﷺ حتَّى خيَّره اللهُ -تعالى- بين أن يفسح له في أجله ثم الجنَّة، وإن أحبَّ لقي الله سريعًا؛ فاختار ما عند الله على الدنيا[4].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٢٨٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦).

كتاب الزَّكاة

كان يَحْرُم عليه أكلُ الصدقة، سواءً كانت فرضًا أم تطوُّعًا[1]:

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ﵁، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ الصَّدقةَ لا تنبغي لآل محمَّدٍ، وإنما هي أوساخ النَّاس**»[2].

وعن أبي هريرة ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا أُتي بطعام سأل عنه، فإن قيل: هدية؛ أكل منها، وإن قيل: صدقة؛ لم يأكل منها»[3].

○ ○ ○

(١) أحاديث تحريم الصدقة عليه ﷺ ثابتة في «الصحيحين» وغيرهما عن جمع من الصحابة ﵃.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٠٧٢).

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٠٧٧).

كتاب الصِّيام

كان الوصال في الصِّيام له مباحًا؛ ولهذا نهى أُمَّته عن الوصال، فقالوا: إنَّك تواصل؟ قال: «**لست كهيئتكم؛ إنِّي أبيت عند ربي يُطعمني ويسقيني**»[1].

فقطع ﷺ تأسِّيهم به بتخصيصه؛ بأن الله -تعالى- يُطعمه ويسقيه.

ومما قاله الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في هذا المقام: «ومعلوم أنَّ هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكلُه الإنسانُ بفمه، وإلَّا لم يكن مواصلًا، ولم يتحقَّق الفرق، بل لم يكن صائمًا؛ فإنه قال: «**أظلُّ يُطعمني ربِّي ويسقيني**».

وأيضًا: فإنَّه فرَّق بينه وبينهم في نفس الوصال، وأنَّه يقدر منه على ما لا يقدرون عليه، فلو كان يأكل ويشرب بفمه، لم يقل: «**لست كهيئتكم**»، وإنما فهم هذا من الحديث من قلَّ نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب، وتأثيره في القوة وإنعاشها، واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني، والله الموفق»[2].

وقال -أيضًا-: «وهذا أمرٌ يعلمه غالبُ النَّاس: أنَّ القلبَ متى حصل له ما يُفرِحُه ويَسرُّه من نيل مطلوبِه، ووصال حبيبه، أو ما يغمُّه ويسؤوه ويُحزنه: شُغل عن

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥) عن عائشة رضي الله عنها، وفي الباب عن أنس ابن مالك، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) انظر كتابي: «صحيح الطب النبوي» (ص١٤٩-١٥٠).

الطعام والشراب، حتَّى إنَّ كثيرًا مِنَ العُشَّاق تمرُّ به الأيام لا يأكل شيئًا، ولا تطلب نفسه أكلًا.

وقد أفصح القائلُ في هذا المعنى:

لها أحاديث مــن ذكــراك تشغلـهـا   عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لهـا بــوجـهـك نـورٌ تسـتـضيء بـه   ومن حديثك في أعقابها حادى

إذ اشتكت من كلال السير أو عدها   روح القدوم فتحيا عند ميعاد»[1].

○ ○ ○

(١) انظر كتابي: «تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١).

كتاب الحجِّ

أُبيحت له مكة يومًا واحدًا، فدخلها بغير إحرام، وقُتِلَ من أهلها يومئذ نحو من عشرين.

وهذا من خصائصه ﷺ؛ كما ذكر في خطبته صبيحة ذلك اليوم، حيث قال: «**فإن ترخَّص أحد بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم**»[1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

كتاب الأطعمة

وكان يجب على من طلب منه طعامًا ليس عنده غيره: أن يبذله له؛ صيانةً لمهجة النَّبيِّ ﷺ، ووقايةً لنفسه الكريمة بالأموال والأرواح؛ لقوله -تعالى-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

ويشبه هذا قوله ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاس أجمعين**»[١].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

كتاب الفرائض

وهو أنَّه ﷺ لا يُورَث، وأن ما تركه صدقة:

عن أبي بكر رضي الله عنه: أنَّ فاطمةَ رضي الله عنها سَأَلَتْهُ ميراثها من أبيها؛ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا نُورث؛ ما تركنا صدقة**»[1].

إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإنِّي والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه في عهده.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا؛ ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي؛ فهو صدقة**»[2].

وقد أجمع على ذلك أهل الحَلِّ والعقد، ولا التفات إلى خرافات الشيعة وهرطقات الرافضة؛ فإنَّ جهلهم قد سارت به الرُّكبان.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).



كتاب النِّكاح

وفيه عامَّة أحكام التَّخصيصات النَّبويَّة، ولنذكرها مُرتبةً على الأقسام؛ ليكون ذلك أخصر لها، وأسهل تناولًا:

فالقسم الأول:

وهو ما وجب عليه دون غيره

أمره الله -تعالى- بتخيير أزواجه؛ فقال -تعالى-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٨-٢٩].

○ ○ ○

القسم الثاني:
ما أبيح له من النكاح دون غيره

فمن ذلك: أنَّه مات ﷺ عن تسعِ نسوةٍ، واتَّفقوا على إباحةِ تسعٍ له دون أُمَّته؛ حيث أُبيح لهم أربع نسوة[1].

ومن ذلك: أنَّه كان يصحُّ عقده بلفظ الهبة؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠].

وإذا عقده بلفظ الهبة؛ فلا مهر بالعقد ولا بالدخول، بخلاف غيره.

ومن ذلك: أنه كان يُباح له التزوُّج بغير وليٍّ ولا شهود على الصَّحيح:

عن زينب بنت جحش؛ أنَّها كانت تفخر على أزواج النَّبيِّ ﷺ، وتقول: زوجكنَّ أهلوكنَّ، وزوَّجني اللهُ من فوق سبع سماوات[2].

○ ○ ○

(١) انظر -لازمًا-: (ص٤٢٢-٤٢٤).

(٢) سيأتي تخريجه (ص٤٣٦).



ما اختصَّ به من الفضائل دون غيره

فمن ذلك: أنَّ أزواجه أمَّهات المؤمنين:

قال الله -تعالى-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

ومعنى هذه الأمومة: الاحترام، والطاعة، وتحريم العقوق، ووجوب التعظيم؛ لا في تحريم بناتهن، وجواز الخلوة بهن، ولا تنتشر الحرمة إلى من عداهنَّ.

وهل هُنَّ أمهات المؤمنات؟

على وجهين، صحَّحوا المنع، وهو قول عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ امرأة قالت لها: يا أُمَّهْ! فقالت: أنا أمُّ رجالكم؛ لست بأمِّك(١).

ومن ذلك: أنَّ أزواجه أفضل نساء الأُمَّة؛ لتضعيف أجرهنَّ، بخلاف غيرهنَّ، ثم أفضلهنَّ خديجة وعائشة -رضي الله عنهن-.

ومن ذلك: أنَّه يحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهُنَّ إجماعًا؛ لأنَّهن أزواجه في الجنَّة.

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٠).

والمرأة إذا لم تتزوج بعد موت زوجها؛ فهي له في الآخرة:

عن أبي الدَّرداء ﷺ: أن زوجته[1] عند الاحتضار قالت له: يا أبا الدرداء! إنك خطبتني إلى أهلي؛ فزوجوك، وإنِّي أخطبك اليوم إلى نفسك. قال: فلا تتزوجي بعدي.

فخطبها بعد موته معاوية -وهو أمير- فأبت عليه[2].

فلذلك؛ حُرِّم على أزواج النَّبيِّ ﷺ أن يُنكَحن بعده؛ لأنَّهنَّ أزواجه في الجنَّة.

ومَن قذف عائشة أم المؤمنين ﷺ؛ قتل إجماعًا؛ لنص القرآن على براءتها[3].

وكذلك: مَن سبَّ الرسول ﷺ قُتل -رجلًا كان أو امرأة-؛ للأحاديث المتضافرة في ذلك:

فمن ذلك: حديث الأعمى الذي قتل أمَّ ولده لمَّا وقعت في النَّبيِّ ﷺ، وذكر ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «**ألا اشهدوا: أنَّ دمها هَدْرٌ**»[4].

وعن أبي برزةَ: أنَّ رجلًا سبَّ أبا بكر، فقلت: ألا ضربت عنقه؟ فقال: ما كانت لأحد بعد النَّبيِّ ﷺ[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لا يُقتل أحدُكم بسبِّ أحدٍ إلَّا بسبِّ النَّبيِّ ﷺ[6].

وكان من خصائصه ﷺ: أنه إذا سبَّ رجلًا؛ ليس بذلك حقيقًا؛ أن يُجْعَلَ سَبُّ

---

(١) هي أم الدرداء الصغرى، واسمها: هجيمة بنت حيي الوصابية، تابعية فقيهة ثقة، توفيت سنة (٨١هـ).

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٤/ ١١٤-١١٥).

(٣) كما في سورة النور ضمن الآيات التي تحدثت عن حادثة الإفك.

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٧/ ١٠٧-١٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٠ و١٠/ ١٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٤) عن ابن عباس ﷺ، عنها.

(٥) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٩)، والنسائي (٧/١٠٨-١٠٩)، وأبو يعلى (٨١ و٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٠).

(٦) **حسن** - أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٧٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٠).

رسول الله ﷺ كفَّارة عنه:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهمَّ! إنِّي اتَّخذت عندك عهدًا لن تخلفه: إنَّما أنا بشرٌ، فأيُّ المؤمنين آذيته، أو شتمته، أو جلدته، أو لعنته؛ فاجعلها له صلاة وزكاة، وقربة؛ تُقرِّبُه بها إليك يوم القيامة**»[1].

ولهذا؛ لما ذكرالأمام مسلم في «صحيحه» في فضل معاوية؛ أورد أولًا هذا الحديث، ثم أتبعه بحديث: «**لا أشبع الله بطنه**»[2]؛ فيحصل منهما مزيَّة لمعاوية رضي الله عنه[3]، وهذا من جملة إمامة مسلم رحمه الله، وفقهه.

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٦٠٤).

(٣) بخلاف ما يفهمه من لا علم عنده ولا بصر له.

وانظر -تفضُّلًا-: «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٦٤-١٦٧).

كتاب الجهاد

فمن ذلك: أنه كان أشدَّهم بأسًا، وأقواهم شجاعةً؛ كان لا يفرُّ من عدوٍّ، قلَّ أو كَثُرَ.

قال أنس بن مالك -لما ذكر أنه ﷺ طاف على نسائِه في يومٍ واحدٍ-: وكنَّا نعدُّه في قوَّة ثلاثين من أُمَّته[1].

ومن ذلك: أنَّه كان إذا لبس لأْمة الحرب؛ لم يجز له أن يقلعها، حتى يقضي الله أمره:

لحديث يوم أُحُدٍ، لمّا أشار عليه جماعة من المؤمنين بالخروج إلى عدوِّه إلى أُحُدٍ، فدخل، فلبس لأْمته، فلما خرج عليهم؛ قالوا: يا رسول الله! إن رأيت أن ترجع؟ فقال: «**إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأْمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل**»[2].

ومن ذلك: أنَّه كان يجب عليه مصابرة العدوِّ، وإن زادوا على الضعف، وكأن ذلك مأخوذ من حديث الحديبية -والله أعلم-؛ حيث يقول -عليه الصلاة والسلام- لعروة في جملة كلامه: «**فإن أبوا؛ فوالله لأقاتلنَّهم -يعني: قريشًا- على هذا الأمر؛ حتى تنفرد سالفتي**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه (٣٥٣).

(٢) مضى تخريجه (ص١٩٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٣١).

ومن ذلك: أنَّه يجوز له الخديعة في الحروب؛ لقوله ﷺ: «**الحرب خدعة**»[1].

ومن ذلك: أنَّه كان له ﷺ الصَّفيُّ من المغنم؛ وهو: أن يختار فيأخذ ما يشاء؛ عبدًا، أو أمةً، أو سلاحًا، أو نحو ذلك قبل القسمة:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كانت صفيَّة من الصَّفيِّ[2].

ومن ذلك: أنه كان له خمس خمس الغنيمة، وأربعة أخماس الفيء.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٤٠/ ١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (٢٦٣٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
وأخرجه البخاري (٣٦١١ و٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦/ ١٥٤ و١٧٣٩/ ١٧) من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٩٩٤)، وابن حبان (٤٨٢٢)، والحاكم (٢/ ١٢٨ و٣/ ٣٩)، والبيهقي (٦/ ٣٠٤).

ومن الأحكام

فمن ذلك: أنَّ له أن يحكم بعلمه؛ لعدم التهمة:

وشاهده: حديث هند بنت عتبة رضي الله عنها، حين اشتكت من شُحِّ زوجها أبي سفيان ابن حرب رضي الله عنه، فقال ﷺ: «**خُذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**»(١).

ومن ذلك: أنَّه مَن استهان بحضرته؛ كفر إجماعًا.

ومن ذلك: أنه يجوز التَّسمي باسمه بلا خلاف، وفي جواز التكنِّي بكنية أبي القاسم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: المنع من ذلك مطلقًا؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسمُّوا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**»(٢).

والثاني: إباحته مطلقًا؛ لأن ذلك كان لمعنى في حال حياته، زال بموته ﷺ.

الثالث: يجوز لمن ليس اسمه محمدًا، ولا يجوز لمن اسمه محمد؛ لئلا يكون قد جمع بين اسمه وكنيته.

والصواب: القول الأول بلا مثنوية(٣).

ومن ذلك: أنَّ أولاد بناته ينتسبون إليه:

عن أبي بَكْرَة رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي رضي الله عنهما عند النَّبيِّ ﷺ على المنبر، وهو

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣١١٤)، ومسلم (٢١٣٣).

(٣) وانظر تفصيل ذلك في كتابي: «موسوعة المناهي الشرعية» (٢/ ٤٨٥ - ٤٩٢)، و«تحفة المودود» (ص٢٣٧-٢٤٦- بتحقيقي).

ينظر إليه مرَّة وإلى النَّاس أُخرى، فيقول: «**إنَّ ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1].

ومن ذلك: أنَّ كلَّ نسبٍ وسببٍ؛ فإنَّه ينقطع نفعه وبرُّه يوم القيامة؛ إلَّا نسبه وسببه وصهره ﷺ؛ قال الله -تعالى-: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون:١٠١]:

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة بضعة منِّي؛ يُغيظني ما يغيظها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع؛ غير نسبي وسببي وصهري**»[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه لمَّا خطب أُمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقال له عليٌّ: إنها صغيرة، فقال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة؛ إلا سببي ونسبي**»؛ فأحببت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب؛ فزوَّجه عليٌّ رضي الله عنهما[3].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٥٧)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٦٤).

(٣) **صحيح بشواهده** - أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٥٤)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٦٩ و١٠٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٤).

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٠٣٦) لشيخنا الألباني رحمه الله.





الباب

الرابع

الشمائل النَّبويَّة



في صفته ﷺ الظاهرة

وقد جمع الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فصلًا مختصرًا فيه[1]، فقال: «كان ﷺ ليس بالطويل البائن ولا القصير، ولا الأبيض الأمهق ولا الآدم، ولا الجعد القطط، ولا السبط»[2].

وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء.

وكان حسن الجسم، بعيد ما بين المنكبين، له شعر إلى منكبيه، وفي وقت: إلى شحمة أذنيه، وفي وقت: إلى نصف أذنيه.

كثُّ اللحية، شثن الكفين؛ أي: غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس[3].

في وجهه تدوير، أدعج العينين[4] طويل أهدابهما، أحمر المآقي[5] ذا مسربة؛ وهي:

---

(١) «تهذيب الأسماء والصفات» (١/ ٢٥- ٢٦).

(٢) هو الكريه البياض؛ كلون الجصِّ، يريد: أنه كان نيرِّ البياض.
الآدم: الأسمر.
الجعد القطط: الشعر فيه التواء وانقباض.
السبط: الشعر المسترسل».

(٣) هي رؤوس العظام، واحدها: كُرْدُوس.

(٤) السواد في العين مع شدة بياضها.

(٥) مؤق العين: مؤخرها، ومأقها: مقدمها.

الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة؛ كالقضيب.

إذا مشى تَقَلَّع كأنما ينحط من صبب؛ أي: يمشي بقوَّة، والصبب: الحدور.

يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر؛ كأن وجهه كالقمر.

حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم[1]، سواء البطن والصدر، أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة.

أشكل العينين؛ أي: طويل شقهما، منهوس العقبين؛ أي: قليل لحم العقب.

بين كتفيه خاتم النبوَّة؛ كزر الحجلة[2]، وكبيضة الحمامة.

وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدُّون في لحاقه و هو غير مكترث.

وكان يسدل شعر رأسه، ثم فرَّقه، وكان يرجله، ويسرح لحيته.

وكان أحبَّ الثياب إليه القميصُ والبياض والحبرة، وهي ضرب من البرود فيه حمرة، وكان كمُّ قميصه ﷺ إلى الرسغ.

ولبس في وقت حلة حمراء و إزارًا و رداء، وفي وقت ثوبين أخضرين، وفي وقت جبة ضيِّقة الكمِّين، وفي وقت قباء، وفي وقت عمامة سوداء، وأرخى طرفها بين كتفيه، وفي وقت مرطًا أسود؛ أي: كساء، ولبس الخاتم والخفَّ والنعل». انتهى ما ذكره.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما مسست ديباجًا و لا حريرًا ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قطُّ أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، و لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين؛ فما قال لي: «**أفٍّ**» قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟[3].

(١) عظيمه، وقيل: واسعه. والعرب تمدح عظيم الفم، وتذم صِغَره.

(٢) كبيض الحجلة؛ وهي الطائر المعروف.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٥٦١ و٦٠٣٨).

وقال عبدالله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ انجفل الناس إليه[1]، فلما نظرت إليه؛ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[2].

❍ ❍ ❍

(١) ذهبوا إليه مسرعين.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١).



فصل

في أخلاقه ﷺ الطاهرة

فقد قال الله -سبحانه-: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:١-٤].

عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: كان خُلُق الرسول ﷺ القرآن[٣].

ومعنى هذا: أَنَّه ﷺ قد ألزم نفسه ألّا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن؛ فصار امتثال أمر ربِّه خُلُقًا له وسجيَّةً.

وقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]؛ فكانت أخلاقه ﷺ أشرف الأخلاق وأكرمها وأبرها وأعظمها:

فكان أشجع الناس[٤]؛ وأشجع ما يكون عند شدَّةِ الحروب.

وكان أكرم الناس؛ وكان أكرم ما يكون في رمضان[٥].

---

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٨٢٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٠٧) من حديث أنس، قوله: «**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس...**».

(٥) ثبت هذا في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

وكان أعلم الخلق بالله، وأفصح الخلق نطقًا، وأنصح الخلق للخلق، وأحلم الناس.

وكان ﷺ أشدَّ الناس تواضعًا في وقار:

قالت قيلة بنت مخرمة: فلمَّا رأيت رسول الله ﷺ المتخشِّع في جلسته؛ أَرْعَدْتُ من الفَرَقِ[1].

وكان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[2]، ومع ذلك فأشدُّ الناس بأسًا في أمر الله.

وهكذا مدح الله -عز وجل- أصحابه حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

○ ○ ○

(١) **حسن** - أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٨٤٧)، والترمذي في «سننه» (٢٨١٤ - مختصرًا)، و«الشمائل» (٦٦و١٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٧٨) بإسناد حسن.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٥٦٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٢٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



فصل

في أولاده ﷺ

فأمَّا أولاده ﷺ؛ فذكورهم ثلاثة، وإناثهم أربعٌ بلا خلاف، وكلُّهم مِن خديجة بنت خويلدٍ رضي الله عنها؛ إلّا إبراهيم، فمِن مارية القبطيَّة رضي الله عنها:

أوَّلهم: القاسم، ولد بمكة قبل النُّبوَّة، وبه كان يكنَّى؛ لأنَّه أكبر أولاده، مات طفلًا.

ثمَّ زينب، ثمَّ رُقيَّة، وأمّ كلثومٍ، وفاطمة.

ثمَّ ولد له عبدالله، وله لقبان؛ هما: الطَّيِّب، والطَّاهر.

ثمَّ ولد له إبراهيم بالمدينة من سرِّيَّته مارية القِبطيَّة سنة ثمانٍ من الهجرة، وبشَّره به أبو رافعٍ مولاه؛ فوهب له عبدًا، ومات طفلًا قبل الفطام، وحزن عليه رسول الله ﷺ، ودمعت عينه، وقال: «**إنَّ القلب ليحزن، وإنَّ العين لتدمع، وإنَّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[1].

وكلُّ أولاده تُوفِّي قبله إلَّا فاطمة:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: دعا النَّبيُّ ﷺ فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارَّها بشيءٍ؛ فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيءٍ؛ فضحكت، فسألنا عن ذلك؛ فقالت: سارَّني

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٢٨٧)، ومسلمٌ (١٠٨٨).

النَّبيُّ ﷺ أنَّه يُقبض في وجعه الذي توفِّي فيه؛ فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أنِّي أوَّل أهله يتبعه؛ فضحكت[1].

فإنَّها تأخَّرت بعده بستَّة أشهرٍ[2]، وصلَّى عليها زوجها عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدَّرجات ما فُضِّلت به على نساء العالمين.

وفي رواية؛ قال ﷺ: «**أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء أهل الجنَّة، أو نساء المؤمنين**»؛ فضحكت لذلك[3].

وفاطمة أفضل بناته على الإطلاق، ومنها ذريته ﷺ.

ο ο ο

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٦٢٦)، ومسلمٌ (٢٤٥٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٠٩٣)، ومسلمٌ (١٧٥٩) (٥٤) من حديث عائشة.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٦٢٤)، ومسلمٌ (٢٤٥٠).



فصل

في أزواجه ﷺ

أُولاهنَّ: خديجة بنت خويلدٍ القُرشيَّة الأسديَّة، تزوَّجها قبل النُّبوَّة، ولم يتزوَّج عليها حتَّى ماتت؛ لجلالها وعِظَم محلِّها عنده:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قال ﷺ: «لم يتزوَّج النَّبيُّ ﷺ على خديجة رضي الله عنها حتَّى ماتت»[1].

فكانت وزير صدق له لَمَّا بُعث؛ فهي الَّتي آزرته على النُّبوَّة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السَّلام مع جبريل عليه السَّلام، وهذه خاصَّةً لا تُعرف لامرأةٍ سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين:

عن عروة بن الزُّبير رضي الله عنه؛ قال: «توفِّيت خديجة قبل مخرج النَّبيِّ ﷺ بثلاث سنين»[2].

ثمّ؛ تزوَّج بعد موتها بأيَّام: سودة بنت زمعة بن قيس القرشيّة، ودخل بها بمكة، ولما كبرت وأراد الرَّسول ﷺ طلاقها؛ فصالحته على أن وهبت يومها لعائشة؛ فأمسكها.

وفيها نزل قول الله -تعالى-: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن

---

(١) صحيح - أخرجه مسلمٌ (٢٤٣٦).

(٢) صحيح - أخرجه البخاريُّ (٣٨٩٦)، ومسلمٌ (١٤٢٢).

﴿تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨][١].

وتُوفِّيت رضي الله عنها في آخر أيَّام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثمَّ؛ تزوَّج بعدها: أمَّ عبدالله عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرَّأة من فوق سبع سماواتٍ، حبيبة رسول الله ﷺ، عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعرَضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقةٍ[٢] من حريرٍ:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُكِ في المنام مرتين، إذْ رجلٌ يحملك في سرقةٍ من حريرٍ، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمضه**»[٣].

تزوَّج بها في شوَّال، وعمرها ستَّ سنين، وبنى بها في شوَّال في السَّنة الثانية من الهجرة[٤]، وعمرها تسع سنين، ولم يتزوَّج بكرًا غيرها[٥]، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأةٍ غيرها[٦]، وكانت أحبُّ النِّساء إليه[٧].

ونزل عذرها من السَّماء[٨]، واتَّفقت الأُمَّة على كفر قاذفها[٩]، وهي أفقه نسائه

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أبو داود (٢١٣٥)، والحاكم (٢/ ١٨٦).
وله شاهد عن ابن عباس: أخرجه الترمذيُّ (٣٠٤٠)، والطيالسي (٢٨٠٥) بإسناد يعتبر به.
وأصل الحديث عند البخاريِّ (٥٢١٢)، ومسلمٍ (١٤٦٣) دون التصريح بسبب النزول.

(٢) شقة من حرير أبيض.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٠٧٨)، ومسلمٌ (٢٤٣٨).

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (١٤٢٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٤٧٥٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٧٧٥) ومسلمٌ (٢٤٤٢).

(٧) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٦٦٢)، ومسلمٌ (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٨) في سورة النور الآيات (٤-٢٠).

(٩) وهذا إجماع؛ كما قرره غير أحد من أهل العلم. وانظر «حديث الإفك» لعبد الغني المقدسي (ص ٨٦-٩٧ - بتحقيقي).

من سيرة النبي المصطفى

وأعلمهنَّ، بل أفقه نساء الأُمَّة وأعلمُهنَّ على الإطلاق، فلا يُعلم في هذه الأُمَّة امرأة بلغت من العلم مبلغها، وكان الأكابر من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها، ولها مآثر وفضائل ذُكرت في الكتاب والسُّنَّة.

وتُوفِّيت رضي الله عنها سنة ثمانٍ وخمسين من الهجرة.

ثمَّ؛ تزوَّج: حفصة بنت عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، وطلَّقها، ثمَّ راجعها؛ حيث أمره الله بذلك؛ لأنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ[1]، وتُوفِّيت سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

ثمَّ؛ تزوَّج: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله، من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمَّى: أمُّ المساكين؛ لكثرة إطعامها المساكين، تزوَّجها سنة ثلاث من الهجرة، ولم تلبث عنده إلَّا شهرين ثم ماتت رضي الله عنها.

ثمَّ؛ تزوَّج: أمَّ سلمة هند بنت أبي أميَّة القرشيَّة المخزوميَّة، واسم أبي أُميَّة: حذيفة ابن المغيرة، وهي آخر نسائه موتًا.

ثمَّ؛ تزوَّج: زينب بنت جحشٍ، من بني أسد بن خزيمة، وهي ابنة عمَّته: أميمة، وقد كانت أوَّلًا عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبنَّاه، فلمَّا طلَّقها زيدٌ؛ زوَّجه الله -تعالى- إيَّاها؛ لتتأسَّى به أمَّته في نكاح أزواج من تبنَّوه.

وكان وليُّها الله -سبحانه وتعالى- دون النَّاس، وفيها نزل قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تفتخر على نساء النَّبيِّ ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النَّبيُّ ﷺ يقول: «**اتقِ الله، أمسكْ عليك زوجك**».

قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا؛ لكتم هذه.

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦)، والنِّسائيُّ (٣٥٩٠)، عن عمر بإسناد صحيح.

قال: فكانت زينب تفتخر على أزواج النَّبيِّ ﷺ تقول: «زوَّجكنَّ أهاليكنَّ، وزوَّجني الله -تعالى- من فوق سبع سماوات»[1].

وكانت أولى أزواج رسول الله وفاةً، توفيت سنة عشرين في أوَّل خلافة عمر بن الخطَّاب، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتزوَّج ﷺ: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرارٍ المصطلقيَّة، وكانت من سبايا بني المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها؛ حيث وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فأدَّى عنها كتابتها، وتزوَّجها، وتُوفِّيت سنة خمسين.

ثمَّ؛ تزوَّج: أمَّ حبيبة، واسمها: رملة بنت أبي سفيان -صخر بن حربٍ- القرشيَّة، الأُمويَّة، تزوَّجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرةً، خطبها عليه عمرو بن أمية الصخري، وذلك حين تُوفِّي عنها زوجها عبيد الله بن جحش، فوُلِّي عقدها منه خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقَها عنه النَّجاشيُّ أربع مائة دينار وجهَّزها، وسِيقتْ إليه مِن هناك[2]، وماتت في أيَّام أخيها معاوية سنة تسعٍ وخمسين.

هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السِّير والتَّواريخ، وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكَّة، ولحفصة بالمدينة، ولصفيَّة بعد خيبر.

وتزوَّج ﷺ: صفيَّة بنت حُييٍّ بن أخطب سيَّد بني النَّضير، من ولد هارون بن عمران أخي موسى؛ فهي ابنة نبيٍّ، وزوجة نبيٍّ، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من الصَّفيِّ أمَةً؛ فأعتقها، وجعل عِتْقَها صداقها، فصار ذلك سُنَّةً للأُمَّة إلى يوم القيامة: أن يُعْتِقَ الرَّجل أمَته، ويجعل عِتْقَها صداقها، فتصير زوجته بذلك، فإذا قال: أعتقت أمَتي، وجعلت عتقها صداقها، أو قال: جعلت عتق أمَتي

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٧٤٢٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢١٠٧)، والنِّسائيُّ (٦/ ١١٩)، وأحمد (٦/ ٤٢٧) عن أم حبيبة رضي الله عنها.

صداقها؛ صحَّ العتق والنِّكاح، وصارت زوجته من غير احتياجٍ إلى تجديد عقدٍ، ولا وليٍّ.

وكان ذلك في أوائل سنة سبعٍ، فلما حلَّت في أثناء الطريق؛ بنى بها، فعلموا أنَّها مِن أمهات المؤمنين[1]، توفيت سنة خمسين.

ثمّ؛ تزوَّج: ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة، وهي خالة خالد بن الوليد، وعبد الله ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، تزوَّجها بمكَّة في عُمرة القضاء، بعد أن حلَّ منها على الصَّحيح، وتزوَّجها رسول الله ﷺ وهو حلالٌ، وبنى بها وهو حلالٌ، وماتت في أيَّام معاوية، وقبْرها بسرف[2]حيث بنى بها رسول الله ﷺ، وكان موتها سنة إحدى وخمسين، وصلَّى عليها ابن أختها عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه.

وهي آخر من تزوج ﷺ من النِّساء، وآخر من مات منهنَّ على المشهور.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللَّاتي دخل بهنَّ.

وأمَّا مَن خطبها ولم يتزوَّجها، ومن وهبت نفسها له ولم يتزوَّجها؛ فنحو أربعٍ أو خمسٍ.

ولا خلاف: أنَّه ﷺ توفِّي عن تسعٍ: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحشٍ، وأمِّ سلمة، وصفيَّة، وأمِّ حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

وكان يُقْسِمُ لهنَّ جميعًا إلَّا جويرية؛ فإنها جعلت ليلتَها لعائشةَ رضي الله عنهنَّ جميعًا.

إنَّ تعدُّد زوجات الرَّسول ﷺ دعى بعض الحاقدين على الإسلام أن يتَّهم رسول الله ﷺ بوجود رغبات جنسية جامحةٍ كانت وراء ذلك التَّعدُّد.

وهذا القول خيالٌ زائفٌ، ليس له منطقٌ يساعده، ولا دليلٌ يعضده، وهو

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥١٦٩)، ومسلمٌ (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) موضع قرب التنعيم.

متناقضٌ من وجوهٍ:

الأول: إنَّ حُبَّ الرَّجل للمرأة أمرٌ فطريٌّ، ورسول الله ﷺ رجل إنسان لم يخرج عن بشريته، وليس الكثرة في نساء النَّبيِّ ﷺ معدودةٌ بشيءٍ إذا قورنت بما كان عند ملوك الأرض يومئذٍ، بل عند بعض الأنبياء -صلوات الله عليهم- كسليمان بن داود؛ فإنه طاف في ليلةٍ واحدةٍ على مائة زوجةٍ.

الثاني: أكثر نساء النَّبيِّ ﷺ كُنَّ ثيباتٍ أو مطلقاتٍ، أو ترمَّلن من أزواجهنَّ قبله ﷺ؛ فلو كان رسول الله ﷺ مُتَّهمًا بأمور الجنس؛ لكان باستطاعته أن يتزوَّج خيرة النِّساء الأبكار، وهو الَّذي حثَّ على نكاح الأبكار، ورغَّب في ذلك بوضوحٍ.

الثالث: أنَّ رسول الله ﷺ قضى شرخ شبابه مع زوجته الوفيَّة خديجة بنت خويلد التي كانت تكبره سنًّا، ولم يتزوَّج عليها في حياتها، مع أنَّ التَّعدُّد كان مألوفًا عند قومه.

ومعظم زوجاته ﷺ دخلن بيت رسول الله ﷺ في المدينة النبوية بعد أن تجاوز الخمسين من عمره ﷺ... فهل استيقظت الرَّغبة الجنسية عند رسول الله ﷺ في المدينة بالذات، وفي شيخوخته، وفي أواخر عمره... وهل استيقظ هذا الشعور على النساء اللَّاتي ترمَّلن، أو طلقهنَّ أزواجهنَّ؟!!

الرابع: رفض الرَّسول ﷺ عرض قريش عليه بالتزوُّج بأيِّ نساء العرب شاء، مقابل أن يلين في موقفه، أو أن يتخلَّى عن مواجهة آلهتهم الزائفة وعقائدهم الباطلة.

الخامس: أنَّ هذا التَّعدُّد لم يُشغلْ رسول الله ﷺ عن دعوته ورسالته، ولم يُخرجه عن توازنه ووقاره، ولا طغى على وقته ونشاطه، بل سيرته العطرة خير شاهد على أنَّ هذه الأمور لم تكن تُشغله عن شيءٍ من ذلك.

وأنَّ اهتمامه بها اهتمامٌ فطريٌّ لم يخرج عن الطَّبيعة البشريَّة.

فإذا انتُقض هذا الاعتراض؛ فرُبَّ سائلٍ أن يقول: ما حِكمة تعدُّد زوجات الرسول الله ﷺ؟

والجواب: إنَّ زواجه ﷺ له حِكَمٌ كثيرةٌ، وانبنى عليه مصالح وفيرة؛ منها:

أولًا: مصلحةٌ دينيةٌ؛ فقد يتزوَّج رسول الله ﷺ امرأة تأليفًا لقومها على الإسلام، فعندما تزوَّج جويرية؛ أسلم من قومها كثيرٌ.

ثانيًا: مصلحةٌ تشريعيةٌ؛ فزواجه ﷺ من زينب بنت جحشٍ رضي الله عنها إبطالٌ لمسألة التَّبنِّي عند العرب، حيث كانت آثار التَّبنِّي هي آثار النُّبوَّة الحقيقيَّة؛ ولذلك جاء زواجه ﷺ اقتلاعًا لهذا الاعتقاد الفاسد من جذوره.

ثالثًا: تطييبًا لقلوب أصحابه مما يُقوِّي الروابط بينه وبينهم، وبخاصَّةٍ إذا كانوا من خُلَّص أصحابه؛ فزواجه ﷺ من عائشة تقويةٌ للروابط بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه، وزواجه من حفصة تقويةٌ للروابط بينه وبين عمر رضي الله عنه، وأبو بكر وعمر هما وزيرا رسول الله ﷺ، وهما السمع والبصر.

رابعًا: زواجه ﷺ كان إحدى طرق نشر الإسلام بين القبائل العربية.

خامسًا: بعض من هاجر من النِّساء إلى المدينة قد تُوفِّي عنهنَّ أزواجهنَّ، ولم يكن لهنَّ مُعيلٌ، وترْكُهنَّ بدون مَن يقوم على مصالحهنَّ: امتهانٌ لهنَّ؛ ولذلك كان لا بد أن يقوم الرَّسول ﷺ بإيوائهنَّ بنفسه ﷺ، وإعالتهنَّ.

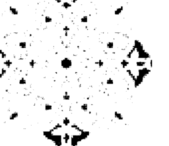
سادسًا -وهو أعظمها-: حتَّى تُحمل عنه الشريعة؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ له وقتان: وقتٌ خارج البيت، ووقتٌ داخل البيت؛ فأصحابه يحملون ما كان خارج البيت، وزوجاته يحملنَّ ما كان داخل البيت، والله أعلى أعلم.

ولو ذهبنا نستقصي حِكَم ذلك؛ لطال بنا المقام.

وقد صُنِّفت في هذه المسائل مصنفاتٌ عديدةٌ، وأكثَرَ المعاصرون منها.

وبالجملة؛ فإنَّه يكفي المسلم في هذه المسألة أن يعلم: أنَّ ذلك حصل بتشريع من الله رب العالمين جل جلاله لرسوله الأمين ﷺ.

○ ○ ○





في سَرارِيه ﷺ

مارية بنت شمعون القبطيَّة وهي: أمُّ ولده إبراهيم، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندريَّة ومصر، ومعها أختها **سيرين**، وخَصِيٌّ يُقال له: مأبورٌ، وبغلةٌ يُقال لها: الدُّلْدُل.

فوهب ﷺ سيرين إلى حسَّان بن ثابت شاعر الإسلام رضي الله عنه، فولدت له عبد الرَّحمن.

وتُوفِّيت مارية رضي الله عنها في محرم سنة ستَّة عشر، فكان عمر رضي الله عنه يحشر النَّاس لجنازتها بنفسه، و صلَّى عليها، ودُفنت بالبقيع.

وريحانة بنت عمرٍو؛ اصطفاها من بني قريظة، وتسرَّى بها، ثم أعتقها، فلحقت بأهلها.





في مواليه ﷺ

فمنهم: زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبِّي، حِبُّ رسول الله ﷺ، أعتقه وزوَّجه مولاته أمَّ أيمنٍ، فولدت له أسامة، ثم زوَّجه زينب بنت جحش رضي الله عنها.

ومنهم: أسلمُ أبو رافعٍ، وكان للعبَّاس؛ فوهبه للنَّبيِّ ﷺ، فاعتقه.

ومنهم: ثوبان بجدد، وكان له نسب في اليمن.

ومنهم: أبو كبشة سليم، من مُوَلَّدِي مكة، شهد بدرًا.

ومنهم: شقران؛ واسمه: صالح.

ومنهم: رباح النُّوبيُّ.

ومنهم: يسار النُّوبيُّ، وهو قتيل العُرنيّين.

ومنهم: مِدعمٌ.

ومنهم: كِركرة النُّوبيُّ، وكان على ثَقَله[1] ﷺ، وكان يُمسك راحلته ﷺ عند القتال يوم خيبر.

ومنهم: أنجشة الحادي.

---

(١) العيال ومتاع السفر، وما يثقل حمله من المتاع، وكل شيء نفيس مصون.

ومنهم: سفينة بن فرُّوخ؛ واسمه: مهران، وسمَّاه رسول الله ﷺ: سفينة؛ لأنَّهم كانوا يُحمِّلونه في السَّفر متاعهم[1]، أعتقته أمُّ سلمة[2]:

عن سفينة؛ قال: كنت مملوكًا لأمِّ سلمة، فقالت: أُعتقك وأشترط عليك أن تخدم رسول الله ﷺ ما عشت؟ فقلت: وإن لم تشترطي عليَّ؛ ما فارقت رسول الله ﷺ ما عشت، فأعتقتني واشترطت عليَّ.

عن سعيد بن جهمان، قال: قلت لسفينة: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سمَّاني رسول الله ﷺ سفينة. قلت: ولِمَ سمَّاك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: «**ابسُط كساءك**»، فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، ثم حمَّلوه عليَّ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**احمل؛ فإنَّما أنت سفينة**»، فلو حُمِّلت يومئذٍ وقر بعيرٍ، أو بعيرين، أو ثلاثةٍ، أو أربعةٍ، أو خمسةٍ، أو ستةٍ، أو سبعةٍ؛ ما ثقل عليَّ إلَّا أن يُخفِّفوا.

ومنهم: أَنَسة؛ ويُكنَّى: أبا مِشرَحٍ.

ومنهم: أفلح، وعبيد.

ومنهم: طهمان؛ وهو: كيسان.

ومنهم: ذكوان، ومهران، ومروان.

ومنهم: حنينٌ، وسندرٌ.

ومنهم: فضالة اليمانيُّ، ومأبور القبطيُّ -خصيٌّ-.

ومنهم: واقدٌ، وأبو واقدٍ.

ومنهم: قسَّامٌ، وأبو عسيبٍ.

---

(١) **حسن** - أخرجه أحمد (٥/ ٢٢١).

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٣٩٣٢)، وابن ماجه (٢٥٢٦)، وأحمد (٥/ ٢٢١).

ومنهم: أبو مويهبة، وكان من مُوَلَّدِي مَزينة.

ومن النِّساء:

منهن: سلمى أمُّ رافعٍ، ؛ امرأة أبي رافع.

ومنهن: ميمونة بنت سعدٍ، وميمونة بنت أبي عسيبٍ،

ومنهن: ماريَّة، وريحانة، وأميَّة.

ومنهن: بركة أمُّ أيمن وأسامة بن زيد؛ ورثها عن أبيه، وكانت حاضنته.

ومنهن: خضرة، وشيرين، وأمُّ عيَّاش، ورضوى، وأمُّ ضميرة.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يكن ملكه ﷺ لهؤلاء في زمنٍ واحدٍ، بل في أوقاتٍ متفرقةٍ[١].

○ ○ ○

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٨)، وقد استقصى مواليه من الذكور والإناث. وانظر «تاريخ دمشق» (٤/ ٢٠٦-٢١٢).



في خُدَّامه ﷺ

وقد التزم جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم بخدمته.

فمنهم: أنس بن مالكٍ؛ وكان على حوائجه.

ومنهم: عبدالله بن مسعودٍ؛ صاحب نعله وسواكه.

ومنهم: عقبة بن عامرٍ الجهنيُّ؛ صاحب بغلته، يقود به في الأسفار.

ومنهم: أسلع بن شريكٍ؛ وكان صاحب راحلته.

ومنهم: بلال بن رباحٍ -المؤذِّن- وسعدٌ؛ موليا أبي بكرٍ الصِّدِّيق.

ومنهم: المغيرة بن شعبة؛ سيَّافًا على رأسه.

ومنهم: أبو أيوبٍ الأنصاريُّ؛ صاحب رحله.

ومنهم: أبو ذرٍّ الغفاريُّ، وربيعة بن كعب.

ومنهم: ذو مخبر -ويقال: ذو مخمر- ابن أخي النَّجاشيّ ملك الحبشة.

ومنهم: بُكير بن شذاحٍ اللَّيثيِّ، وهند بنت حارثة؛ وأخوه أسماء بن حارثة الأسلميُّون.

ومنهم: أيمن بن عبيدٍ، وأُمُّه أمُّ أيمن؛ موليا النَّبيِّ ﷺ، وكان أيمن على مطهرته وحاجته.



في كُتَّابه ﷺ

منهم: أبو بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٌّ.

ومنهم: خالد بن سعيد بن العاص؛ وقيل: إنَّه أوَّل من كتب له، وأخوه أبان.

ومنهم: زيد بن ثابتٍ؛ وكان ألزمهم لهذا الشَّأن، وأخصُّهم به[1].

ومنهم: أبيُّ بن كعبٍ، وثابت بن قيس بن شمَّاسٍ، وشرحبيل بن حسنة، والزُّبير.

ومنهم: عامر بن فهيرة، وعبدالله بن الأرقم، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن رواحة، وحنظلة بن الرَّبيع الأُسيديُّ، وخالد بن الوليد.

ومنهم: المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن زيد بن عبد ربِّه، وعامر بن منيرة.

○ ○ ○

---

(١) وانظر «تاريخ دمشق» (٤/ ٢١٢-٢٢٠).
ولذلك أمره أبو بكر الصديق ﷺ بأن يتتبع القرآن ويجمعه، وقال له: «إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن؛ فاجمعه».
أخرجه البخاريُّ (٤٦٧٩).



في كتبه ﷺ الَّتي كتبها إلى أهل الإسلام في الشَّرائع

فمنها: كتابه في الصَّدقات الَّذي كان عند أبي بكر، وكَتبه أبو بكرٍ لأنس بن مالكٍ لـمَّا وجَّهه إلى البحرين[1]، وعليه عَمل الجمهور.

ومنها: كتابه إلى أهل اليمن، وهو الكتاب الَّذي رواه أبو بكر بن عمرو بن حزمٍ، عن أبيه، عن جدِّه.

وهو كتابٌ عظيمٌ؛ فيه: أنواعٌ كثيرةٌ من الفقه في الزَّكاة، والدِّيات، والأحكام، وذكر الكبائر، والطَّلاق، والعتاق، وأحكام الصَّلاة في الثَّوب الواحد، والاحتباء فيه، ومسِّ المصحف، وغير ذلك.

قال الإمام أحمد: لا شكَّ أنَّ رسول الله ﷺ كتبه، واحتجَّ الفقهاء كلُّهم بما فيه من مقادير الدِّيات[2].

ومنها: كتابه إلى بني زهيرٍ[3].

ومنها: كتابه الَّذي كان عند عمر بن الخطَّاب في نصب الزَّكاة وغيرها[4].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٤٥٣)، وأبو داود (١٥٦٧).

(٢) انظر: «موطأ الإمام مالك» (١٦٩٣ - بتحقيقي).

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٩٩٩).

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود (١٥٦٨)، والترمذيُّ (٦٢١)، وابن ماجه (١٧٩٨).



في كتبه ورسله ﷺ إلى الملوك

رسائل النَّبيُّ ﷺ للملوك في زمانه يدلُّ على أنَّه ﷺ رسول للنَّاس جميعًا؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وأنَّ الدَّعوة الإسلاميَّة عالميَّة لا تختصُّ بزمانٍ أو مكانٍ.

ولذلك: لـمّا رجع من الحديبية؛ كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الرُّوم، فقيل له: إنَّهم لا يقرؤون كتابًا إلاّ إذا كان مختومًا؛ فاتَّخذ خاتمًا من فضَّةٍ، ونقش عليه ثلاثة أسطرٍ: محمَّدٌ سطرٌ، ورسولٌ سطرٌ، والله سطرٌ[1].

وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستَّة نفرٍ في يومٍ واحدٍ، في المحرَّم سنة سبعٍ[2]:

الأول: عمرو بن أُميَّة الضَّمريُّ، بعثه ﷺ إلى النَّجاشيِّ -واسمه: أصحمة بن أبجر، وتفسير أصحمة بالعربيَّة: عطيَّة-؛ فعظَّم كتاب النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أسلم، وشهد

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٦٥)، ومسلمٌ (٢٠٩٢).

(٢) وفي هذا شاهد لما يسمى: «البروتوكول» في السياسة العالمية، والمراد: معرفة كيفية التعامل مع الآخرين من منظورهم، ويكون ذلك تقدمة لخطابهم ودعوتهم، ويشترط في ذلك: أن لا يكون شيء منه يخالف الشريعة أصلًا أو فرعًا.

شهادة الحقِّ، وكان من أعلم النَّاس بالإنجيل، وصلَّى عليه النَّبيُّ ﷺ يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة(١).

هكذا قال جماعة.

وقال آخرون: إنَّ أَصَحَمَةَ النّجاشيَّ الّذي صلَّى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الَّذي كتب إليه، هذا الثَّاني لا يُعرف إسلامه، بخلاف الأوَّل؛ فإنَّه مات مسلمًا.

عن أنسٍ؛ قال: أن النَّبيَّ ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النَّجاشيِّ، وإلى كلِّ جبَّارٍ، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنَّجاشيِّ الَّذي صلَّى عليه رسول الله ﷺ(٢).

الثاني: دِحية بن خليفة الكلبيُّ بعثه ﷺ إلى قيصر ملك الرُّوم؛ واسمه: هرقل، وهمَّ بالإسلام وكاد ولم يفعل.

عن أنس بن مالكٍ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنَّة؟**»، فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: «**وإن لم يقبل**»، فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس، قد جعل عليه بساط لا يمشي عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحَّى، فلمَّا انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه؛ فنادى قيصر: مَن صاحب الكتاب؛ فهو آمن؟ فجاء الرَّجل فقال: أنا. قال: فإذا قدمت؛ فأتني، فلمَّا قدم أتاه، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلِّقت، ثمَّ أمر مناديًا ينادي: ألا إنَّ قيصر قد اتَّبع محمّدًا وترك النَّصرانيَّة، فأقبل جنده وقد تسلَّحوا، حتَّى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: قد ترى أنِّي خائف على مملكتي؟ ثمَّ أمر مناديه؛ فنادى: ألَا إنَّ قيصر قد رضي عنكم، وإنَّما اختبركم؛ لينظر كيف صبركم على دينكم؛ فارجعوا، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إنِّي مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «**كذب عدوُّ**

(١) **صحيح** - أخرج البخاريُّ (١٢٤٥ و١٣٣٣)، ومسلمٌ (٩٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصفّ بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (١٧٧٤).

الله، ليس بمسلمٍ، وهو على النَّصرانيَّة»[(١)]، وقسَّم الدَّنانير[(٢)].

الثالث: عبدالله بن حذافة السَّهميِّ بعثه ﷺ إلى كسرى؛ واسمه: أبرويز بن هرمز ابن أنوشروان، فمزَّق كتاب النَّبيِّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**اللّهمّ! مزِّق ملكه**»[(٣)]؛ فمزَّق الله ملكه، وملك قومه[(٤)].

الرابع: حاطب بن أبي بلتعة بعثه ﷺ إلى المقوقس؛ واسمه: جريج بن ميناء، ملك الإسكندريّة، عظيم القبط، فقال خيرًا، وقارب الأمر، ولم يسلم، وأهدى للنَّبيِّ ﷺ مارية، وأختيها سيرين، وقيسرى؛ فتسرّى بمارية، وأهدى له جاريةً أخرى، وألف مثقالٍ ذهبًا، وعشرين ثوبًا من قباطيِّ مصر، وبغلةً شهباء؛ وهي: دلدل، وحمارًا أشهب؛ وهو: عُفير، وغلامًا خصيًّا يقال له: مأبور، وفرسًا؛ وهو: اللّزاز، وقدحًا من

---

(١) في ذلك بيان صريح أنَّ رسول الله ﷺ لم تخدعه الأساليب السياسية الحمَّالة، فقد علم كذب هرقل من قوله: «إنِّي مسلم»، فهو لم ينطق شهادة التَّوحيد التي تُدخله في الإسلام، ولكنه اعتمد على كلمة حمَّالة؛ فهو عند نفسه مسلم حيث يعتقد أنَّه يعبد الله، ولكن بيَّن الرسول أنَّ هذه العبادة على طريقة النَّصرانيَّة، فهي كذب وتدليس.

(٢) **صحيح** - أخرجه ابن حبان (٤٥٠٤ - إحسان).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٦٤ و٢٩٣٩ و٤٤٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: فلمَّا قرأه مزَّقه -فحسبت أنَّ ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزق.
والقائل: فحسبت أنَّ ابن المسيب هو الزهري، ووقع في جميع الطرق مرسلًا.
وللدُّعاء على كسرى شواهد كثيرةٌ، بها يرتقي إلى درجة الاحتجاج: أخرجها أحمد (١/ ٤٤١- ٤٤٢ و٤/ ٧٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٦٠).
وانظر: -لزامًا-: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٢٦٨-٢٦٩)، و«الأموال» لأبي عبيد (ص ٣١).
وقد تكلمت على أسانيدها في كتاب «الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد» (ص ٤٠-٤١).
وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٤٢٩) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٤) متابعة الرسول ﷺ لردود فعل رسائله يدل على أن كتبه المرسلة لملوك الأرض لم تكن تسجيل موقف أو إبراء ذمة، ولكن هذه الرسائل تحمل دعوة حقيقية، فإمَّا الاستجابة الكاملة لله ولرسوله، والدخول في دين الله، أو فأذنوا بحرب من الله ورسوله.

زجاجٍ، وعسلًا.

الخامس: شجاع بن وهبٍ الأسديُّ بعثه ﷺ إلى الحارث بن أبي شمَّر الغسَّانيِّ ملك البلقاء.

السادس: بعث سليط بن عمرٍو بعثه ﷺ إلى هوذة بن عليٍّ الحنفيِّ باليمامة؛ فأكرمه.

فهؤلاء السِّتَّة؛ قيل: هم الَّذين بعثهم رسول الله ﷺ في يومٍ واحد.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمانٍ إلى جيفرٍ وعبدالله ابني الجلندى الأزديّين بعُمان؛ فأسلما، وَصَدَّقا، وخلّيا بين عمرٍو وبين الصَّدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل فيما بينهم؛ حتَّى بلغته وفاة رسول الله ﷺ.

وبعث العلاء بن الحضرميَّ إلى المنذر بن ساوى العبديِّ ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة[1]؛ فأسلم، وَصَدَّق.

وبعث المهاجرَ بن أبي أميَّة المخزوميُّ إلى الحارث بن عبد كلالٍ الحميريِّ باليمن، فقال: سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعريَّ ومعاذ بن جبلٍ إلى اليمن عند انصرافه من تبوك، داعيين إلى الإسلام؛ وأوصاهما؛ قائلًا: «**يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»، فأسلم عامَّة أهلها طوعًا من غير قتالٍ[2].

ثمَّ بعث بعد ذلك عليَّ بن أبي طالبٍ إليهم، ووافاه بمكَّة في حجَّة الوداع.

وبعث جرير بن عبدالله البجليَّ إلى ذي الكلاع الحميريِّ وذي عمرٍو، يدعوهما إلى الإسلام؛ فأسلما، وتوفِّي رسول الله ﷺ وجرير عندهم.

---

(١) بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النَّبيّ ﷺ لما قسم غنائم هوازن، مرجعه من غزوة حنين، وأحرم منها ﷺ، وله فيها مسجد.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٩٢٣)، ومسلمٌ (١٧٣٣).

وبعث عمرو بن أميَّة الضَّمريَّ إلى مسيلمة الكذَّاب بكتابٍ، وكتب إليه بكتابٍ آخر مع السَّائب بن العوَّام أخي الزُّبير؛ فلم يُسلم.

وبعث إلى فروة بن عمرٍو الجذاميِّ يدعوه إلى الإسلام؛ فأسلم، وكتب إلى النَّبيِّ ﷺ بإسلامه، وبعث إليه هديَّةً مع مسعود بن سعدٍ، وهي بغلةٌ شهباء يُقال لها: فضَّة، وفرس يقال لها: الظَّرب، وحمارٌ يقال له: يعفور.

وبعث أثوابًا وقباءً من سندسٍ مخوَّصٍ بالذَّهب؛ فقَبل هديَّته، ووهب لمسعود بن سعدٍ اثنتي عشرة أوقيّةً ونشًّا.

وبعث عيَّاش بن أبي ربيعة المخزوميَّ بكتابٍ إلى الحارث، ومسروحٍ، ونعيمٍ بني عبد كلالٍ من حمير.

○ ○ ○





فصل

في مؤذِّنيه ﷺ

وكانوا أربعةً:

- اثنان بالمدينة يتناوبان:

بلال بن رباحٍ، وهو أوَّل من أذَّن لرسول الله ﷺ.

وعمرو بن أمّ مكتومٍ القرشيُّ العامريُّ الأعمى.

- وبقباءٍ: سعد القرظ مولى عمّار بن ياسرٍ.

- وبمكَّة: أبو محذورة؛ واسمه: أوس بن مغيرة الجمحيُّ.

○ ○ ○



في أُمرائه ﷺ

منهم: باذان بن ساسان من ولد بهرام جُوَّر، أمَّره رسول الله ﷺ على أهل اليمن كلِّها بعد موت كسرى، فهو أوَّل أميرٍ في الإسلام على اليمن، وأوَّل من أسلم من ملوك العجم.

ثمّ أمَّر رسول الله ﷺ -بعد موت باذان- ابنه شهر على صنعاء وأعمالها.

ثمَّ قُتل شهرُ، فأمَّر رسول الله ﷺ على صنعاء: خالد بن سعيد بن العاص.

وولَّى رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أميَّة المخزوميَّ: كندة، والصَّدف، فتوفِّي رسول الله ﷺ ولم يسر إليها، فبعثه أبو بكر إلى قتال أناسٍ من المرتدِّين.

وولَّى زياد بن أميَّة الأنصاريَّ: حضرموت.

وولَّى أبا موسى الأشعريّ: زبيد، وعدن، والسَّاحل.

وولَّى معاذ بن جبلٍ: الجَند.

وولَّى أبا سفيان صخر بن حربٍ: نجران.

وولَّى ابنه يزيد: تيماء.

وولَّى عتَّاب بن أسيدٍ: مكَّة، وإقامة الموسم بالحجِّ بالمسلمين سنة ثمانٍ، وله دون العشرين سنةً.

وولّى عليَّ بن أبي طالبٍ: الأخماس باليمن، والقضاء بها.

وولّى عمرو بن العاص: عُمان وأعمالها.

وولّى الصَّدقات جماعةً كثيرةً؛ لأنَّه كان لكلِّ قبيلةٍ والٍ يقبض صدقاتها، فمن هنا كثر عمَّال الصَّدقات.

وولّى أبا بكرٍ إقامة الحجِّ سنة تسعٍ، وبعث في إثره عليًّا يقرأ على النّاس سورة براءة.

○ ○ ○



في حرسه ﷺ

فمنهم: سعد بن معاذٍ؛ حرسه يوم بدر حين نام في العريش.

ومنهم: محمَّد بن مسلمة؛ حرسه يوم أحدٍ.

ومنهم: الزُّبير بن العوَّام؛ حرسه يوم الخندق.

ومنهم: عبَّاد بن بشرٍ؛ وهو الَّذي كان على حرسه.

وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء، فلمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] خرج على النَّاس؛ فأخبرهم بها، وصرف الحرس[١].

○ ○ ○

(١) **صحيح بشواهده** - أخرجه الترمذيُّ (٣٠٤٦)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.





فصل

فيمن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ

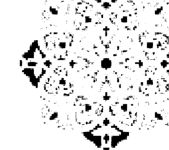
عليٌّ بن أبي طالبٍ، والزُّبير بن العوَّام، والمقداد بن عمرٍو، ومحمَّد بن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، والضَّحَّاك بن سفيان الكلابيُّ.

وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريُّ منه ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير[1].

ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسَّيف يوم الحديبيَّة.

○ ○ ○

(١) **صحيح** – أخرجه البخاريُّ (٧١٥٥)، والترمذيُّ (٣٨٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه.





فيمن كان على نفقاته، وخاتمه، ونعله، وسواكه، ومن كان يأذن عليه ﷺ

كان بلالٌ على نفقاته.

ومعيقيب بن أبي فاطمة الدُّوسيُّ على خاتمه.

وابن مسعودٍ على سواكه ونعله.

وأذَن عليه رباح الأسود وأنسة مولياه، وأنس بن مالكٍ، وأبو موسى الأشعريِّ.

○ ○ ○





في شُعرائه وخطبائه ﷺ

كان من شعرائه الّذين يذبُّون عن الإسلام: كعب بن مالكٍ، وعبدالله بن رواحة، وحسَّان بن ثابتٍ.

وكان أشدُّهم على الكفَّار: حسَّان بن ثابتٍ، وكعب بن مالكٍ؛ يُعيِّرهم بالكفر والشِّرك.

وكان خطيبه: ثابت بن قيس بن شمّاسٍ.

○ ○ ○



فصل

في حُداتهِ الَّذين كانوا يَحْدُّون بين يديه ﷺ في السَّفر

منهم: عبدالله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع؛ عمُّ: سلمة بن الأكوع.

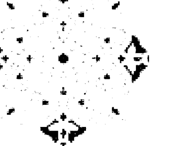
وكان لرسول الله ﷺ حادٍ حسنَ الصَّوت، فقال له رسول الله ﷺ: «**رويدًا يا أنجشة! لا تكسر القوارير**»[1] يعني: ضعفة النِّساء.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٦١٤٩)، ومسلمٌ (٢٣٢٣) (٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

والمعنى: سق سوقًا رويدًا، وارفق بهن.

قال العلماء: سمّي النساء قوارير؛ لضعف عزائمهن، تشبيهًا بقارورة الزجاج لضعفها، وسرعة كسرها.





فصل

في غزواته، وبعوثه، وسراياه ﷺ

غزواته كلُّها، وبُعوثه وسراياه؛ كانت بعد الهجرة، في مدَّة عشر سنين.

فالغزوات: سبع وعشرون، قاتل منها في تسعٍ: بدرٍ، وأحدٍ، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنينٍ، والطَّائف.

وأمَّا سراياه وبُعوثه: فقريبٌ مِن ستِّين.

والغزوات الكبار الأمَّهات سبعٌ: بدرٌ، وأحدٌ، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك.

وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن:

فسورة الأنفال: سورة بدرٍ.

وفي أحدٍ: آخر سورة آل عمران من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى قبيل آخرها بيسيرٍ.

وفي قصَّة الخندق وقريظة وخيبر: صدْرُ سورة الأحزاب.

وسورة الحشر في بني النَّضير.

وفي قصَّة الحديبية وخيبر: سورة الفتح، وأشير فيها إلى الفتح، وذكر الفتح

صريحًا في سورة النَّصر.

وجرح منها ﷺ في غزوةٍ واحدةٍ وهي أحد.

وقاتلت معه الملائكة منها في بدرٍ وحنينٍ.

ونزلت الملائكة يوم الخندق؛ فزلزلت المشركين وهزمتهم، ورمى فيها الحصباء في وجوه المشركين؛ فهربوا.

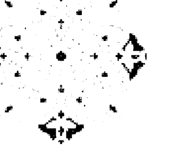
وكان الفتح في غزوتين: بدرٍ، وحنينٍ.

وقاتل بالمنجنيق[1] منها في غزوةٍ واحدةٍ وهي الطَّائف.

وتحصَّن في الخندق في واحدةٍ وهي: الأحزاب.

○ ○ ○

(١) آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها؛ لدكّ الحصون.





في ذكر سلاحه وأثاثه ﷺ

كان له تسعة أسيافٍ:

مأثور؛ وهو: أوَّل سيفٍ ملكه، ورثه من أبيه.

والعضب.

وذو الفقار؛ تَنَفَّلَه يوم بدر، وكان لمنبِّه بن الحجاج السَّهميِّ، وكان لا يكاد يفارقه، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضّةٍ؛ وهو الذي أُري الرؤيا يوم أحدٍ.

والقلعيُّ[1]، والبتَّار، والحتف، والرّسوب، والمخذم[2]، والقضيب.

وكان نعل سيفه فضّةً، وما بين ذلك: حلق فضّةٍ.

وكان له سبعة أدرعٍ:

ذات الفضول؛ وهي الَّتي رهنها عند أبي الشَّحم اليهوديِّ على شعيرٍ لعياله، وكان ثلاثين صاعًا، وكان الدَّين إلى سنةٍ، وكانت الدِّرع من حديدٍ[3].

---

(١) نسبة إلى مرج القلعة موضع بالبادية.

(٢) السريع القطع

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٩١٦)، ومسلمٌ (١٦٠٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وذات الوشاح، وذات الحواشي، والصَّفدية[1]، وفضَّةَ أصابهما من سلاح بني قينقاع، والبتراء، والخرنق.

وكانت له ست قِسِيٍّ:

الكتوم؛ كسرت يوم أحدٍ، فأخذها قتادة بن النُّعمان.

والزَّوراء، والرَّوحاء، والصَّفراء، والبيضاء، والسَّداد.

وكانت له جَعْبَة؛ تدعى: الكافور.

ومِنطقة من أديمٍ منشور فيها ثلاث حِلقٍ من فضَّةٍ، والإبزيم من فضَّةٍ، والطّرف من فضَّةٍ.

وكان له ترس؛ يقال له: الزَّلوق، وترس؛ يقال له: الفتق.

وكانت له خمسة أرماحٍ:

يقال لأحدهم: المثوي، والآخر: المثني.

وحربة؛ يقال لها: النَّبعة، وأخرى كبيرة تدعى: البيضاء، وأخرى صغيرة شبه العكَّاز؛ يقال لها: العنزة، يمشي بها بين يديه في الأعياد، تركَّز أمامه؛ فيتَّخذها سترةً يُصلِّي إليها، وكان يمشي بها أحيانًا.

وكان له مِغفرٌ من حديدٍ؛ يقال له: الموشَّح، وُشِحَ بشَبَهٍ[2]، ومغفر آخر؛ يقال له: السَّبوغ، أو ذو السُّبوغ.

وكان له ثلاث جبابٍ يلبسها في الحرب.

وكانت له راية سوداء؛ يقال لها: العقاب.

وكان له فسطاطٌ يُسمَّى: الكنُّ.

---

(١) ويقال لها: (السفدية)؛ وهي نسبة إلى السفد، أو الصفد.

(٢) هو النحاس الأصفر.

ومحجنٌ قدر ذراعٍ أو أطول، يمشي به، ويركب به، ويُعلِّقه بين يديه على بعيره.

ومِخصرةٌ تُسمَّى: العُرجون.

وقضيبٌ من الشَّوحط[1]، يُسمَّى: الممشوق.

وكان له قدحٌ يُسمَّى: الرَّيَّان، ويُسمَّى: مُغْنيًا، وقدح آخر مضبَّبٌ بسلسلةٍ من فضَّةٍ، وكان له قدحٌ من قوارير، وقدحٌ من عيدانٍ يوضع تحت سريره؛ يبول فيه باللّيل.

وركوةٌ تُسمَّى: الصَّادر، وتورٌ[2] من حجارةٍ يتوضّأ منه، ومخضبٌ من شبهٍ، وقعبٌ يُسمَّى: السَّعة، ومغتسل من صفرٍ، ومدّهن، وربعة يجعل فيها المرآة والمشط، وكان المشط من عاجٍ؛ وهو: الذَّبل، ومكحلة يكتحل منها عند النَّوم[3] ثلاثًا في كلِّ عينٍ بالإثمد، وكان في الرَّبعة المقراضان والسِّواك.

وكانت له قصعةٌ تُسمَّى: الغرَّاء؛ لها أربع حِلقٍ يحملها أربعة رجالٍ بينهم.

وصاعٌ، ومدٌّ، وقطيفةٌ.

وسريرٌ قوائمه من ساجٍ، أهداه له: أسعد بن زرارة.

وفراش من أدمٍ، حشوه ليف.

وهذه الجملة قد رويت متفرّقةً في أحاديث.

○ ○ ○

---

(١) نوع من شجر جبال السراة، تتخذ منه القسيّ.

(٢) إناء يشرب فيه.

(٣) تطبُّبًا وليس زينة، فإن الكحل من زينة النساء الظاهرة، ولذلك فما يفعله الجهّال ظنًا أن التزيّن بالكحل للرجال من السنة؛ فليس من السنّة.



في دوابّه ﷺ

فمن الخيل:

السَّكب، وهو أوّل فرسٍ ملكه، وكان اسمه عند الأعرابيِّ الّذي اشتراه منه بعشر أواقٍ: الضِّرس، وكان أغرَّ محجَّلًا، طَلْقُ اليمين، كُمَيْتًا.

والمرتجز: وكان أشهب، وهو الَّذي شهد فيه خزيمة بن ثابتٍ.

واللَّحيف، واللِّزاز، والظَّرب، وسبحة، والورد.

فهذه سبعة متّفق عليها.

وكان له من البغال:

دلدل -وكانت شهباء-؛ أهداها له: المقوقس.

وبغلةٌ أخرى، يقال لها: فضَّة؛ أهداها له: فروة الجذاميُّ.

وبغلةٌ شهباء؛ أهداها له: صاحب أيلة.

وأخرى أهداها له: صاحب دومة الجندل.

ومن الحمير: عفير -وكان أشهب-؛ أهداه له: المقوقس -ملك القبط-، مات في حجة الوداع.

وحمار آخر، أهداه له: فروة الجذاميّ.

ومن الإبل:

القصواء، والعضباء، والجدعاء، ولم يكن بهما عضب، ولا جدع، وإنّما سمّيتا بذلك.

والعضباء: هي الّتي كانت لا تُسبق، ثمّ جاء أعرابيّ على قعودٍ[1]؛ فسبقها، فشقَّ ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ حقًّا على الله ألّا يرفع من الدُّنيا شيئًا إلّا وضعه**»[2].

وغنم ﷺ يوم بدر جملًا مهريًّا لأبي جهلٍ، في أنفه بُرَّةٌ من فضَّةٍ[3]، فأهداه يوم الحديبية؛ ليغيظ به المشركين[4].

وكانت له خمس وأربعون لقحة[5]، وكانت له مهريَّة، أرسل بها إليه: سعد بن عبادة من نَعَمِ بني عقيلٍ.

---

(١) القعود -بفتح القاف-: ما استحق الركوب من الإبل، وقيل: هو البكر حتى تركب، وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن تدخل في السادسة؛ فيسمّى: جملًا.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٨٧٢)، وأبو داود (٤٨٠٢)، والنَّسائيُّ (٣٥٨٨) من حديث أنس ابن مالك ﷺ.

وقد أساء بعضهم إلى هذا الحديث، وإلى الرسول ﷺ، وإلى الصحابة الكرام، حيث زعم -في بعض كتيباته التي يقمشها ولا يفتشها-: أن الرسول ﷺ أراد أن يعلم أصحابه الروح الرياضيّة(!!).

(٣) البرّة: حلقة تجعل في لحم الأنف، وربما كانت من شعرٍ.

(٤) **صحيح لغيره** - أخرجه أحمد (١/ ٢٦١)، وأبو داود (١٧٤٩)، وابن ماجه (٣١٠٠) من حديث عبدالله بن عباس ﷺ.

وله شاهد من حديث جابر عند الترمذيُّ (٨١٥)، وابن ماجه (٣٠٧٦) وإسناده صحيح.

وفي هذا الحديث من الفوائد المنهجية: وجوب إغاظة الأعداء، وأنه أمر مطلوب شرعًا، وهو من هدي رسول الله ﷺ، ومن منهج السلف الصالح، ولكن للأسف -وألف أسف- فقد بلينا في زماننا هذا بأشخاص وأحزاب وحركات أماتوا هذا الأمر، بل وصفوا من فَعَلَه -وهو قادر عليه- بالتشدد، أو الجلافة، أو الغلظة؛ فالله المستعان، وعليه التكلان.

(٥) النَّاقة ذات اللَّبن، القريبة العهد بالولادة.

وكانت له مائة شاةٍ، وكان لا يريد أن تزيد، كلُّما ولَّد له الرَّاعي بهمةً؛ ذبح مكانها شاةً.

وكانت له سبع أعنزٍ منائح، ترْعاهُنَّ: أمُّ أيمن.

○ ○ ○



في ملابسه ﷺ

كانت له عمامةٌ تُسمّى: السَّحاب، كساها عليًّا، وكان يلبسها، ويلبس تحتها القُلنسوة.

وكان يلبس القُلنسوة بغير عمامةٍ، ويلبس العمامة بغير قلنسوةٍ.

وكان إذا اعتمَّ: أرخى عمامته بين كتفيه:

عن عمرو بن حريثٍ، قال: «رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، وعليه عمامة سوداء، قد أرخى طرفيها بين كتفيه»[1].

وعن جابر بن عبدالله: «أنَّ رسول الله ﷺ دخل مكَّة وعليه عمامةٌ سوداء»[2]، ولم يذكر في حديث جابرٍ: «ذؤابةً»؛ فدلَّ على أنَّ الذُّؤابة لم يكن يُرخيها دائمًا بين كتفيه.

وقد يقال: إنَّه دخل مكَّة وعليه أهبة القتال، والمِغفر[3] على رأسه، فلَبِس في كلِّ موطنٍ ما يُناسبه.

ولبس القميص، وكان أحبُّ الثّياب إليه، ولبس الجُبَّة، والفرُّوج -وهو شبه القِباء-، والفرجيَّة، ولَبِسَ القِباء، ولبس في السَّفر جُبَّةً ضيِّقة الكُمَّين، ولبس الإزار والرِّداء.

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (١٣٥٩).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (١٣٥٨).

(٣) زرد من الدرع يلبسه تحت القلنسوة.

ولبس حُلَّةً حمراء؛ والحُلَّة: إزار ورداء، ولا تكون الحُلَّة إلَّا اسمًا للثَّوبين معًا، وغلط من ظنَّ أنَّها كانت حمراء بحتًا، لا يخالطها غيره، وإنَّما الحُلَّة الحمراء بُردان يمانيَّان، منسوجان بخطوطٍ حمرٍ مع الأسود، كسائر البرود اليمنيَّة، وهي معروفة بهذا الاسم، باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلّا؛ فالأحمر البحت منهيٌّ عنه أشدَّ النَّهي[1].

ولبس الخميصة المعلَمَة والسَّاذجة.

ولبس ثوبًا أسود.

ولبس الفروة المكفوفة بالسّندس.

واشترى سراويل، والظَّاهر: أنَّه إنَّما اشتراها ليلبسها؛ فقد لبس السَّراويل، وكانوا يلبسون السَّراويلات بإذنه.

ولبس الخُفَّين.

ولبس النَّعل الّذي يُسمَّى: التَّاسومة.

ولبس الخاتم، واختلفت الأحاديث: هل كان في يمناه أو يسراه، وكلُّها صحيحة السَّند[2].

ولبس البيضة الَّتي تُسمَّى: الخوذة.

---

(١) قال العلامة صديق حسن خان: «وفي الباب أحاديث يجمع بينها بأن الممنوع منه هو الأحمر الذي صبغ بالعصفر، والمباح هو الأحمر الذي لم يصبغ».
قال شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا هو الصواب؛ خلافًا لقول ابن قيم الجوزية.
على أني أقول: إن النهي عن المصبوغ بالعصفر معلل في حديث ابن عمر بأنه من ثياب الكفار، وبانتفاء العلة ينتفي المعلول، والله أعلم».
قلت: وعلى استدراك شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدراك؛ شرحته في كتابي: «موسوعة المناهي الشرعية» (٣/ ٢١٧)، وانظر -لازمًا-: «التعليقات الرضية على الروضة الندية» (٣/ ١١٨) لشيخنا.

(٢) وانظر فصل الخطاب وتحرير الجواب في هذه المسألة في كتابي: «موسوعة المناهي الشرعية» (٣/ ٢٣٢).

ولبس الدِّرع الَّتي تُسمَّى: الزَّرديَّة، وظَاهَرَ يوم أحدٍ بين الدِّرعين.

وعن أسماء بنت أبي بكرٍ؛ قالت: هذه جُبَّة رسول الله ﷺ، فأخرجت جُبَّةً طيالِسَةٍ كِسْرَوانيَّةٍ، لها لِبْنَة ديباجٍ، وفرجاها مكفوفان بالدِّيباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة رضي الله عنها حتَّى قُبضت، فلمَّا قُبضت؛ قبضتُها، وكان النَّبيُّ ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى؛ يُستشفى بها[1].

وكان له: بُردان أخضران، وكساء أسود، وكساء أحمر ملبَّد، وكساء مِن شعرٍ، وكان قميصه من قطنٍ، وكان قصير الطُّول، قصير الكُمَّين، وأمّا هذه الأكمام الواسعة الطِّوال الَّتي هي كالأخراج[2]؛ فلم يلبسها هو، ولا أحد من أصحابه البتَّة، وهي مخالفة لسنَّته، وفي جوازها نظر؛ فإنَّها من جنس الخُيلاء.

وكان أحبُّ الثِّياب إليه: القميص[3]، والحِبرة؛ وهي: ضرب من البرود فيه حمرة، وكان أحبُّ الألوان إليه: البياض، وقال: «**هي من خير ثيابكم؛ فالبسوها، وكفِّنوا فيها موتاكم**»[4].

وعن عائشة: أنَّها أخرجت كساءً ملبَّدًا[5]، وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبض روح رسول الله ﷺ في هذين[6].

ولبس خاتمًا من ذهبٍ، ثمَّ رمى به، ونهى عن التَّختُّم بالذَّهب، ثمّ اتَّخذ خاتمًا من

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٠٦٩) في حديث طويل.

(٢) وهو ما يلبس إلى الآن في بلاد الصّعيد من أرض مصر الكنانة -حرسها الله-.

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذيُّ (١٧٦٢)، وابن ماجه (٣٥٧٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٣٨٧٨ و٤٠٦١)، والترمذيُّ (٩٩٤)، وابن ماجه (١٤٧٢)، وأحمد (١/ ٢٤٧ و٢٧٤ و٣٢٨ و٣٥٥ و٣٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) اللبدة: هي الرقعة التي يرقع بها القميص.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣١٠٨ و ٥٨١٨)، ومسلمٌ (٢٠٨٠).

فضَّةٍ، ولم ينْه عنه، وكان يجعل فصَّ خاتمه ممَّا يلي باطن كفِّه.

وأمَّا الطّيلسان؛ فلم يُنقل عنه أنَّه لبسه، ولا أحد من أصحابه، بل قد ثبت من حديث أنس بن مالكٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه ذكر الدَّجَّال؛ فقال: «**يخرج معه سبعون ألفًا من يهود أصبهان، عليهم الطَّيالسة**[1]»[2].

ورأى أنس جماعةً عليهم الطَّيالسة، فقال: «ما أشبههم بيهود خيبر»[3].

ومن ههنا كره لبسها جماعة من السَّلف والخلف؛ لما رُوي عن ابن عمر، عن النَّبيّ ﷺ أنّه قال: «**من تشبَّه بقومٍ؛ فهو منهم**»[4].

وأمَّا ما جاء في حديث الهجرة[5]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جاء إلى أبي بكرٍ متقنِّعًا بالهاجرة؛ فإنَّما فعله النَّبيُّ ﷺ تلك السَّاعة؛ ليختفي بذلك، ففعله للحاجة، ولم تكن عادته التَّقنُّع، وقد ذكر أنس عنه ﷺ: أنَّه كان يُكثر القناع، وهذا إنَّما كان يفعله -والله أعلم- للحاجة من الحرِّ ونحوه، وليس التَّقنُّع من التَّطَيْلُس.

وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه: ما نُسج من القطن، وربَّما لبسوا ما نُسج من الصُّوف والكتَّان.

والصّواب: أنَّ أفضل الطُّرق: طريق رسول الله ﷺ الَّتي سنَّها، وأمر بها، ورغَّب فيها، وداوم عليها؛ وهي: أنَّ هديه في اللِّباس: أن يلبس ما تيسَّر من اللِّباس، من الصُّوف تارةً، والقطن تارةً، والكتَّان تارةً.

ولبس البرود اليمانيَّة، والبُرد الأخضر، ولبس الجُبَّة، والقباء، والقميص،

---

(١) ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، ينسج للّبس، خال من التفصيل والخياطة.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٩٤٤).

(٣) والعرب تطلق على العجم: «أبناء الطيالسة»؛ لأنه ملبوسهم.

(٤) **حسن** - أخرجه أحمد (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
وانظر: «إرواء الغليل» (١٢٦٩) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٥) تقدم تخريجه (ص).

والسَّراويل، والإزار، والرِّداء، والخُفَّ، والنَّعل، وأرخى الذُّؤابة[١] مِن خلفه تارةً، وتركها تارةً.

وكان يتلحَّى بالعمامة تحت الحنك[٢].

وكان إذا استجدَّ ثوبًا؛ سمَّاهُ باسمه، وقال: «**اللّهمّ! أنت كسوتني هذا القميص، أو الرِّداء، أو العمامة، أسألك خيره، وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرِّه، وشرِّ ما صُنع له**»[٣].

وكان إذا لبس قميصه: بدأ بميامنه[٤].

ولبس الشَّعر الأسود، فعن عائشة، قالت: «خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط[٥] مرحّل[٦] من شعرٍ أسود»[٧].

وعن قتادة: قلنا لأنسٍ: أيُّ اللِّباس كان أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحِبرة[٨]، والحِبرة: بُرد من بُرود اليمن[٩].

فإنَّ غالب لباسهم كان من نَسج اليمن؛ لأنَّها قريبة منهم، وربَّما لبسوا ما يُجلب من الشَّام ومصر؛ كالقباطيِّ المنسوجة من الكتَّان الَّتي كانت تنسجها القبط.

---

(١) ضفيرة الشعر المرسلة، والمراد بها هنا: طرف العمامة.

(٢) وقد ألّف في العمامة: جمال الدين يوسف بن حسن، المعروف بابن المبرد، المتوفى سنة (٩٠٩ هـ) كتابًا سمّاه: «دفع الملامة في استخراج أحكام العمامة».

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذيُّ (١٧٦٧)، وأحمد (٣/ ٣٠ و٥٠)، وابن حبان (٥٤٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (١٧٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هو كساء يكون تارة من صوف، وتارة من شعر، أو كتَّانٍ، أو خزٍّ.

(٦) عليه صورة رحال الإبل، وقال الخطابي: المرحل: الذي فيه خطوط.

(٧) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٠٨١).

(٨) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٨١٢)، ومسلمٌ (٢٠٧٩).

(٩) هي ثياب منسوجة من كتان أو قطن مزينة.

وعن عائشة: أنَّها جعلت للنَّبيِّ ﷺ بُردةً من صوفٍ، فلبسها، فلمَّا عَرِق؛ فوجد ريح الصُّوف: طرحها، وكان يحبُّ الرِّيح الطَّيِّب[1].

وعن عبدالله بن عبَّاسٍ، قال: لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسنَ ما يكون مِن الحُلل[2].

وعن أبي رمثة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب، وعليه بُردان أخضران[3].

والبُرد الأخضر: هو الَّذي فيه خطوطٌ خضرٌ، وهو كالحُلَّة الحمراء سواء، فمن فهم من الحُلَّة الحمراء الأحمر البحت؛ فينبغي أن يقول: إنَّ البُرد الأخضر كان أخضرَ بحتًا، وهذا لا يقوله أحدٌ.

وكانت مِخَدَّته ﷺ من أُدُمٍ، حَشْوها ليفٌ.

فالَّذين يمتنعون عمَّا أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح؛ تزهُّدًا وتعبُّدًا، بإزائهم طائفة قابلوهم؛ فلا يلبسون إلَّا أشرف الثِّياب، ولا يأكلون إلاّ ألين الطَّعام، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله؛ تكبُّرًا وتجبُّرًا.

وكلا الطَّائفتين هديه مخالف لهدي النَّبيِّ ﷺ؛ ولهذا قال بعض السَّلف: كانوا يكرهون الشُّهرتين من الثِّياب: العالي، والمنخفض.

وعن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ: «**من لبس ثوب شُهرةٍ**[4]**؛ ألبسه الله يوم القيامة**

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٠٧٤)، وأحمد (٦/ ١٣٢ و١٤٤ و٢١٩ و٢٤٩).

(٢) **حسن** - أخرجه أبو داود (٤٠٣٧)، والحاكم (٤/ ١٨٢).

(٣) **صحيح** - أخرجه النِّسائيُّ (١٥٧٣)، وأبو داود (٤٢٠٦)، والترمذيُّ (٢٨١٢)، وأحمد (٢/ ٢٢٧ و٢٢٨ و٤/ ١٦٣).

(٤) قال شيخنا الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٢١٣): «هو كلُّ ثوبٍ يُقصد به الاشتهار بين النَّاس، سواءً كان الثوب نفيسًا يلبسه تفاخرًا بالدُّنيا وزينتها، أو خسيسًا يلبسه إظهارًا للزُّهد والرِّياء».

ثوب مذلَّةٍ، ثمَّ تُلهَّب فيه النَّار»[1].

وهذا؛ لأنَّه قصد به الاختيال والفخر؛ فعاقبه الله بنقيض ذلك؛ فأذلَّه، كما عاقب من أطال ثيابه خُيلاء: بأن خسف به الأرض؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جرَّ ثوبه خُيلاء؛ لم ينظرِ الله إليه يوم القيامة**»[2].

وعنه ﷺ؛ قال: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرَّ شيئًا منها خُيلاء؛ لم ينظرِ الله إليه يوم القيامة**»[3].

وعن ابن عمر؛ قال: ما قال رسول الله ﷺ في الإزار؛ فهو في القميص[4].

وكذلك لِبْسُ الدَّنيء من الثِّياب، يُذَمُّ في موضعٍ، ويُحمد في موضعٍ؛ فيُذمُّ: إذا كان شُهرةً وخُيلاء، ويُمدح: إذا كان تواضعًا واستكانةً.

كما أنَّ لبس الرَّفيع من الثِّياب يُذمُّ: إذا كان تكبُّرًا وفخرًا وخُيلاء، ويُمدح: إذا كان تجمُّلًا وإظهارًا لنعمة الله.

فعن ابن مسعودٍ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال حبَّة خردلٍ من كبرٍ، ولا يدخل النَّار من كان في قلبه مثقال حبَّة خردلٍ من إيمانٍ**»، فقال رجل: يا رسول الله! إنِّي أحبُّ أن يكون ثوبي حسنًا، ونعلي حسنةً؛ أفمنَ الكبر ذاك؟

---

(١) **صحيح لغيره** - أخرجه أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٦)، وأحمد (٢/ ٩٢).
وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٦٠٨)، وأبي نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٠ و١٩١)، وفي إسناده مقال.
وبالجملة؛ فالحديث بمجموعهما صحيح.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٦٦٥)، ومسلمٌ (٢٠٨٥).

(٣) **حسن** - أخرجه أبو داود (٤٠٩٤)، والنِّسائيُّ (٥٣٣٦)، وابن ماجه (٣٥٧٦).

(٤) **حسن** - أخرجه أبو داود (٤٠٩٥)، وأحمد (٢/ ١١٠ و١٣٧).

فقال: «**لا؛ إنَّ الله جميل يُحبُّ الجمال، الكِبر: بَطر الحقِّ**[1]**، وغَمط النَّاس**»[2].

❍ ❍ ❍

---

(١) دفعه وإنكاره؛ تكبرًا وتجبرًا.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٩١). و«غمط الناس»: احتقارهم.



هديه ﷺ في الطَّعام

وكذلك كان هديه ﷺ وسيرته في الطَّعام، لا يَردُّ موجودًا، ولا يَتكلَّف مفقودًا، فما قُرِّب إليه شيءٌ من الطَّيِّبات إلَّا أكله؛ إلَّا أن تعافه نفسُه، فيتركه من غير تحريمٍ.

وما عاب طعامًا قطُّ؛ إن اشتهاه أكله، وإلاّ تركه، كما ترك أكل الضَّبِّ، لـمَّا لم يَعتده، ولم يُحرِّمه على الأُمَّة، بل أُكل على مائدته وهو ينظر[١].

وأكل الحلوى والعسل، وكان يُحبُّهما، وأكل لحم الجزور، والضَّأن، والدَّجاج، ولحم الحبارى، ولحم حمار الوحش، والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشِّواء، وأكل الرُّطَبَ، والتَّمر، وشرب اللَّبن خالصًا ومشوبًا[٢]، والسَّويق، والعسل بالماء، وشرب نقيع التَّمر، وأكل الخزيرة؛ وهي: حساءٌ يُتَّخذ من اللَّبن والدَّقيق، وأكل القثَّاء بالرُّطَبِ، وأكل الأَقط، وأكل التَّمر بالخبز، وأكل الخبز بالخَلِّ، وأكل الثَّريد؛ وهو: الخبز باللَّحم، وأكل الخبز بالإهالة؛ وهي: الودك؛ وهو: الشَّحم المذاب، وأكل من الكبد المشويَّة، وأكل القديد، وأكل الدُّبَّاء المطبوخة وكان يُحبُّها، وأكل المسلوقة، وأكل الثَّريد بالسَّمن، وأكل الجُبْنَ، وأكل الخبز بالزَّيت، وأكل البطِّيخ بالرُّطَبِ، وأكل التَّمر بالزُّبد وكان يُحبُّه.

---

(١) انظر: «صحيح البخاريِّ» (٥٣٩١ و٥٥٣٦)، و«صحيح مسلم» (١٩٤٣).

(٢) مخلوطًا.

ولم يكن يردُّ طيِّبًا ولا يتكلَّفه، بل كان هديه: أكل ما تيسَّر؛ فإن أعوزه: صبر، حتَّى إنّه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال، ولا يُوقد في بيته نارٌ.

عن عائشة رضي الله عنها أنّها كانت تقول لعروة: والله يا ابن أختي! إن كنَّا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ، قال: قلت: يا خالة! فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء؛ إلَّا أنَّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائحُ، فكانوا يُرسِلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها؛ فيسقيناه[1].

وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في السُّفرة، وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثّلاث، ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة[2]؛ فإنَّ المتكبِّر يأكل بأصبعٍ واحدةٍ، والجشع الحريص يأكل بالخَمس، ويدفع بالرَّاحة.

وكان لا يأكل متّكئًا، والاتّكاء على ثلاثة أنواعٍ:

أحدها: الاتّكاء على الجنب.

والثّاني: التَّربُّع.

والثّالث: الاتّكاء على إحدى يديه، وأكله بالأخرى، والثَّلاث مذمومة.

وكان يُسمِّي الله -تعالى- على أوّل طعامه، ويحمده في آخره، فيقول عند انقضائه:

«**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، غير مكفيٍّ[3]، ولا مودَّعٍ[4]، ولا مُستغنًى**

---

(١) **صحيح** - أخرج البخاريُّ (٢٥٦٧)، ومسلمٌ (٢٩٧٢).

(٢) وكان شيخنا الألباني رحمه الله يرى أنَّ الأكل بالملعقة قد يكون أقرب إلى السُّنة؛ لأنهَّا تمسك بثلاثة أصابع، وهذا -والله أعلم- إن لم يتيسَّر تطبيق هذه السنة.

(٣) من الكفاية.

(٤) غير متروك الطلب.

عنه ربُّنا»[1].

وربَّما قال: «**الحمد لله الّذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا؛ فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكلَّ بلاءٍ حسنٍ أبلانا، الحمد لله الّذي أطعم من الطَّعام، وسقى من الشَّراب، وكسا من العُري، وهدى من الضَّلالة، وبصَّر من العمى، وفضَّل على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلًا، الحمد لله ربِّ العالمين**»[2].

وربَّما قال: «**الحمد لله الّذي أطعم وسقى، وسوَّغه**»[3].

وكان إذا فرغ من طعامه: لعق أصابعه، ولم يكن لهم مناديل يمسحون بها أيديهم، ولم يكن عادتهم غسل أيديهم كلَّما أكلوا[4].

وكان أكثر شُربه قاعدًا، بل زجر عن الشُّرب قائمًا[5]، وشرب مرّةً قائمًا[6].

والّذي يظهر فيه -والله أعلم-: أنَّها واقعةُ عينٍ شَرِب فيها قائمًا لعذرٍ، وسياق القصَّة يدلُّ عليه؛ فإنَّه أتى زمزم وهم يستقون منها؛ فأخذ الدَّلو، وشرب قائمًا.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٤٥٨) من حديث أبي أمامة ﵁.

(٢) **حسن**- أخرجه ابن حبان (٥٢١٩)، والنِّسائيُّ في «عمل اليوم والليلة» (٣١٠)، والحاكم (١/ ٥٤٦)، والبيهقيُّ في «الدعوات» (٤٥٧)، و«شعب الإيمان» (٤٣٧٧)، والطبرانيُّ في «الدعاء» (٨٩٦)، وابن أبي الدُّنيا في «الشكر» (٢٠/ ١٥)، وابن السُّنِّي في «عمل اليوم والليلة» (٤٨٦ - بتحقيقي)، والشجريُّ في «الأمالي» (١/ ٢٥٣) من حديث أبي هريرة ﵁.
وانظر كتابي: «عجالة الراغب المتمني» (٤٨٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٣٨٥١)، وابن حبان (٥٢٢٠)، والنِّسائيُّ في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٥)، والبيهقيُّ في «الدعوات الكبير» (٤٥٥)، وابن السُّنِّي في «عمل اليوم والليلة» (٤٧١ - بتحقيقي) من حديث أبي أيُّوب الأنصاريِّ ﵁.
وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٧٠٥)، و«التعليقات الحسان» (٥١٩٧) لشيخنا الألباني ﵀، وكتابي: «عجالة الراغب المتمني» (٤٧١).

(٤) وغسل الأيدي من بقايا الطعام ومسحها لا ينافي السنة إذا لم يبطل سنة اللعق، والله أعلم.

(٥) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٠٢٤) من حديث أنس بن مالك ﵁.

(٦) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٦١٧)، ومسلمٌ (٢٠٢٧) من حديث ابن عباس ﵄.

والصّحيح في هذه المسألة: النَّهي عن الشُّرب قائمًا، وجوازه لعذرٍ يمنع من القعود، وبهذا تجمع أحاديث الباب، والله أعلم.

وكان إذا شرب: ناول من على يمينه، وإن كان من على يساره أكبر منه[1].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٦١٢)، ومسلمٌ (٢٠٢٩).



فصل

في هديه ﷺ في النِّكاح ومعاشرته أهله

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم: النِّساء والطِّيب، وجُعلت قُرَّة عيني في الصَّلاة**»[1].

وكان النِّساء والطِّيب أحبَّ شيءٍ إليه، وكان يطوف على نسائه في اللَّيلة الواحدة، وكان قد أُعطي قوَّة ثلاثين في الجماع وغيره، وأباح الله له من ذلك ما لم يُبحه لأحدٍ من أُمَّته.

وكان يقسم بينهنَّ في المبيت والإيواء والنَّفقة، وأمّا المحبَّة؛ فلا تجب التَّسوية في ذلك؛ لأنَّه ممَّا لا يملك.

فهو أكثر الأُمَّة نساءً؛ قال ابن عبَّاسٍ: «تزوَّجوا؛ فإنَّ خير هذه الأُمَّة: أكثرُها نساءً»[2]، وطلَّق ﷺ وراجع، وآلى إيلاءً مؤقَّتًا بشهرٍ، ولم يظاهر أبدًا.

وكانت سيرته مع أزواجه: حسن المعاشرة، وحسن الخلق.

وكان يسرِّب[3] إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها.

---

(١) **حسن** - أخرجه النِّسائيُّ (٣٣٩١ و٣٣٩٢)، وأحمد (٣/ ١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥)، والبيهقيُّ (٧/ ٧٨)، والحاكم (٢/ ١٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٠٦٩).

(٣) يرسلهن سربًا سربًا، ويردهن إليها.

وكان إذا هويت شيئًا لا محذور فيه؛ تابعها عليه.

وكانت إذا شربت من الإناء: أخذه؛ فوضع فمه في موضع فمها وشرب.

وكان إذا تعرَّقت عَرْقًا -وهو العظم الَّذي عليه لحم-: أخذه؛ فوضع فمه موضع فمها.

وكان يتَّكئ في حجرها، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربَّما كانت حائضًا، وكان يأمرها وهي حائض، فتتَّزر، ثمَّ يُباشرها، وكان يُقبِّلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله: أنَّه يُمكِّنها من اللَّعب، ويُريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده، وهي متَّكِئَة على منكبيه تنظر، وسابَقَها في السَّفر على الأقدام مرَّتين، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرَّةً.

وكان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه[1]، فأيَّتُهنَّ خرج سهمها: خرج بها معه، ولم يقضِ للبواقي شيئًا.

وكان يقول: «**خيركم: خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[2].

وربَّما مدَّ يده إلى بعض نسائه في حضرة باقيهنَّ:

عن أنس ﵁؛ قال: كان للنَّبيِّ ﷺ تسعة نسوةٍ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلَّا في تسعٍ، فكُنَّ يجتمعن في كل ليلةٍ في بيت الَّتي يأتيها، فكان في بيت عائشة، فجاءت زينب، فمدَّ يده إليها، فقالت: هذه زينب. فكفَّ النَّبيُّ ﷺ يده[3].

وكان إذا صلَّى العصر: دار على نسائه، فدنا منهنَّ، واستقرأ أحوالهنَّ، فإذا جاء اللَّيل؛ انقلب إلى بيت صاحبة النَّوبة؛ فخصَّها باللَّيل.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٦٨٨) من حديث عائشة ﵂.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٣٨٩٥)، والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٦٨) وغيرهم، من حديث عائشة ﵂.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (١٤٦٢).

وقالت عائشة: كان لا يُفضِّل بعضنا على بعضٍ في مكثه عندهنَّ في القَسْم، وقَلَّ يومٌ إلَّا كان يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كلِّ امرأةٍ من غير مسيسٍ، حتَّى يبلغ الَّتي هو في نوبتها؛ فيبيت عندها[1].

وكان يقسم لثمانٍ منهنّ دون التّاسعة.

وكان ﷺ يأتي أهله آخر اللَّيل وأوَّله، فكان إذا جامع أوَّل اللَّيل ربَّما اغتسل ونام، وربَّما توضَّأ ونام:

عن عائشة: أنَّه كان ربَّما نام، ولم يمسَّ ماءً، وكان يطوف على نسائه بغُسلٍ واحدٍ، وربَّما اغتسل عند كلِّ واحدةٍ، فعل هذا وهذا.

وكان إذا سافر وقدم؛ لم يطرق أهله ليلًا، وكان ينهى عن ذلك:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أطال أحدكم الغيبة، فلا يطرق أهله ليلًا**»[2].

○ ○ ○

---

(١) **حسن** - أخرجه أبو داود (٢١٣٥)، والبيهقي (٧/ ٧٤ و٣٠٠)، والحاكم (٢/ ١٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٢٤٤)، ومسلمٌ (٧١٥).



في هديه ﷺ وسيرته في نومه وانتباهه

كان ينام على الفراش تارةً، وعلى النَّطْعِ تارةً، وعلى الحصير تارةً، وعلى الأرض تارةً، وعلى السَّرير: تارة بين رماله، وتارةً على كساءٍ أسود.

قال عبَّاد بن تميمٍ، عن عمِّه: رأيت رسول الله ﷺ مستلقيًا في المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى(١).

وكان فراشه أدمًا، حشوه ليف(٢)، وكان له مسح ينام عليه، يُثنَّى بثَنْيَتين.

والمقصود: أنَّه نام على الفراش، وتغطَّى باللِّحاف، وقال لنسائه: «**ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأةٍ منكنَّ غير عائشة**»(٣).

وكانت وسادته أدمًا: حشوها ليف(٤).

وكان إذا أوى إلى فراشه للنَّوم، قال: «**باسمك اللّهمّ أحيا وأموت**»(٥).

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٤٧٥)، ومسلمٌ (٢١٠٠).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٦٤٥٦)، ومسلمٌ (٢٠٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٣٧٧٥).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٩٨٠)، ومسلمٌ (١١٥٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وأخرجه مسلمٌ (٢٠٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٧٣٩٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه، ومسلمٌ (٢٧١١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وكان يجمع كفَّيه، ثمَّ ينفث فيهما، وكان يقرأ فيهما: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثمّ يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرَّاتٍ[1].

وكان ينام على شقِّه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خدِّه الأيمن، ثمَّ يقول: «**اللّهمّ! قني عذابك يوم تبعث عبادك**»[2].

وكان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**الحمد لله الّذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له، ولا مُؤوِيَ**»[3].

وكان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللَّهمَّ! ربَّ السّماوات والأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلَّ شيءٍ، فالق الحبِّ والنَّوى، مُنزِّل التَّوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأوَّل؛ فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر؛ فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظَّاهر؛ فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن؛ فليس دونك شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّين، وأغننا من الفقر**»[4].

وكان إذا انتبه من نومه، قال: «**الحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النُّشور**»[5]، ثمَّ يتسوَّك.

وربَّما قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران، من قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٠١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٥٠٤٥) من حديث حفصة -زوج النّبيّ ﷺ-، والترمذيُّ (٣٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان، و(٣٣٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، وابن ماجه (٣٨٧٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٧١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٦٣١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، و(٦٣٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ومسلمٌ (٢٧١١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ...﴾ إلى آخرها [آل عمران: ١٩٠-٢٠٠][1].

وقال: «**اللَّهمَّ! لك الحمد: أنت نور السَّماوات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد: أنت قيِّم السَّماوات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد: أنت الحقُّ، ووعدك الحقُّ، ولقاؤك حقٌّ، والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، والنَّبيُّون حقٌّ، ومحمَّد حقٌّ، والسَّاعة حقٌّ، اللَّهمَّ! لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكَّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلَّا أنت**»[2].

وكان ينام أوَّل اللَّيل، ويقوم آخره، وربَّما سهر أوَّل اللَّيل في مصالح المسلمين:

عن عبدالله بن مسعود، قال: ... كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر اللَّيلة كذاك في الأمر من أمر المسلمين[3].

وكان تنام عيناه، ولا ينام قلبه[4].

وكان إذا نام؛ لم يوقظوه حتَّى يكون هو الَّذي يستيقظ.

وكان إذا عرَّس[5] بليلٍ؛ اضطجع على شقِّه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصُّبح: نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفِّه[6].

وكان نومه أعدل النَّوم، وهو أنفع ما يكون من النَّوم، والأطبَّاء يقولون: هو ثلث اللَّيل والنَّهار؛ ثمان ساعاتٍ.

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٨٣)، ومسلمٌ (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

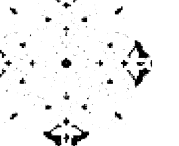
(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١١٢٠)، ومسلمٌ (٧٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد (١/ ٢٦).

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٣٨)، ومسلمٌ (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) نزل؛ والتعريس: النزول في أي وقت، بليل أو نهار.

(٦) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٦٨٣) من حديث أبي قتادة الأنصاريِّ رضي الله عنه.





فصل

في هديه ﷺ في الرُّكوب

ركب الخيل، والإبل، والبغال، والحمير، وركب الفرس مسرجةً تارةً، وعُريًّا أخرى، وكان يجريها في بعض الأحيان، وكان يركب وحده -وهو الأكثر-، وربَّما أردف خلفه على البعير، وربّما أردف خلفه وأركب أمامه؛ وكانوا ثلاثةً على بعيرٍ، وأردف الرِّجال، وأردف بعض نسائه، وكان أكثر مراكبه: الخيل، والإبل.

وأمّا البغال؛ فالمعروف: أنَّه كان عنده منها بغلةٌ واحدةٌ، أهداها له المقوقس، ولم تكن البغال مشهورةً بأرض العرب، بل لـمَّا أُهديت له البغلة، قيل: ألا نُنزِّي[1] الخيل على الحمر؟ فقال ﷺ: «**إنَّما يفعل ذلك الَّذين لا يعلمون**»[2].

○ ○ ○

(١) الوثوب، والمعنى: ألا نحملها عليها للنسل.

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٥٦٥)، والنِّسائيُّ (٣٦١٠)، وأحمد (١/ ٧٨)، وابن حبان (٤٦٨٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



هديه ﷺ في العقود

وباع رسول الله ﷺ واشترى، وكان شراؤه بعد أن أكرمه الله -تعالى- برسالته أكثر من بيعه، وكذلك بعد الهجرة، لا يكاد يحفظ عنه البيع إلَّا في قضايا يسيرةٍ، أكثرها لغيره؛ كبيعه القدح والحلس فيمن يزيد، وبيعه يعقوب المدبَّر غلام أبي مذكورٍ، وبيعه عبدًا أسود بعبدين، وأمّا شراؤه؛ فكثير.

وآجرَ، واستأجر، واستئجاره أكثر من إيجاره، وإنَّما يحفظ عنه: أنَّه أجَّر نفسه قبل النُّبوَّة في رعاية الغنم، وأجَّر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى الشَّام، وإن كان العقد مضاربةً؛ فالمضارب أمين وأجير، ووكيل وشريك، إذا ظهر فيه الرِّبح.

وشارك رسول الله ﷺ، ولـمَّا قدم عليه شريكه، قال: أما تعرفني؟! قال: «**أما كنت شريكي؟ فنِعم الشَّريك؛ كنت لا تداري**[1]**، ولا تُماري**»[2].

ووكَّل وتَوكَّل، وكان توكيله أكثر من توكُّله.

---

(١) وتدارئ -بالهمزة-: من المدارأة؛ وهي مدافعة الحقِّ، فإن ترك همزها؛ صارت من المداراة؛ وهي المدافعة بالَّتي هي أحسن.

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٨٣٦)، وابن ماجه (٢٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٢٥) من حديث السائب بن أبي السائب رضي الله عنه.

وأهدى، وقبِل الهديَّة، وأثاب عليها، ووهب، واتَّهب، فقال ﷺ لسلمة بن الأكوع -وقد وقع في سهمه جارية-: «**هبها لي**»؛ فوهبها له، ففادى بها من أهل مكَّة أُسارى من المسلمين[1].

واستدان برهنٍ وبغير رهنٍ، واستعار.

وضمن ضمانًا خاصًّا على ربِّه على أعمالٍ، من عملها؛ كان مضمونًا له بالجنَّة، وضمانًا عامًّا لديون من تُوفِّي من المسلمين ولم يَدَعْ وفاءً: أنَّها عليه، وهو يُوفِيها[2].

ووقف رسول الله ﷺ أرضًا كانت له، جعلها صدقةً في سبيل الله، وتشفَّع، وشُفِّع إليه، وردَّت بريرة شفاعته في مراجعتها مغيثًا، فلم يغضب عليها، ولا عتب، وهو الأسوة والقدوة.

وحلف في أكثر من ثمانين موضعًا، وأمره الله -سبحانه- بالحلف في ثلاثة مواضع:

فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وكان ﷺ يستثني في يمينه تارةً، ويُكفِّرها تارةً، ويمضي فيها تارةً، والاستثناء يمنع عقد اليمين، والكفَّارة تُحِلُّها بعد عقدها؛ ولهذا سمَّاها الله: تَحِلَّةً.

كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

وكان يمازح ويقول في مزاحه الحقَّ:

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٥٥).

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٢٩٧)، ومسلم (١٦١٩).

من سيرة النبي المصطفى

كما في قصَّته مع المرأة العجوز التي أتت النَّبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنَّة، فقال ﷺ: «**يا أمَّ فلان! إنَّ الجنَّة لا تدخلها عجوز!**»، قال: فولَّت المرأة تبكي، فقال: «**أخبروها أنَّها لا تدخلها وهي عجوز، إنَّ الله -تعالى- يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾» [الواقعة: ٣٥-٣٧][1].

ويُورِّي ولا يقول في توريته إلَّا الحقَّ؛ مثل: أن يريد جهةً يقصدها، فيسأل عن غيرها: كيف طريقها؟ وكيف مياهها ومسلكها؟ أو نحو ذلك.

وكان يُشير، ويستشير.

وكان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويجيب الدَّعوة، ويمشي مع الأرملة، والمسكين، والضَّعيف في حوائجهم، وسمع مديح الشِّعر، وأثاب عليه، ولكن ما قيل فيه من المديح؛ فهو جزءٌ يسيرٌ جدًّا من محامده، وأثاب على الحقِّ.

وأمَّا مدح غيره من النَّاس؛ فأكثر ما يكون بالكذب؛ فلذلك: أمر أن يُحثى في وجوه المدَّاحين التُّراب:

عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المدَّاحين؛ فاحثوا في وجوههم التُّراب**»[2].

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ في «الشمائل» (٢/ ٣٩)، والبغوي في «التفسير» (٨/ ١٤).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٣٠٠٢).



هديه ﷺ في الرِّياضة والطِّبِّ

وسابق رسول الله ﷺ بنفسه على الأقدام، وصارع[1]، وخصف نعله بيده، ورقع ثوبه بيده، ورقع دلوه، وحلب شاته، وفلَّى ثوبه، وخدم أهله ونفسه، وحمل معهم اللَّبِنَ في بناء المسجد.

وربط على بطنه الحجر من الجوع تارةً، وشبع تارةً، وأضاف، وأضيف، واحتجم في وسط رأسه، وعلى ظهر قدمه، واحتجم في الأخدعين، والكاهل؛ وهو: ما بين الكتفين، وتداوى، وكوى ولم يكتوِ، ورقى ولم يسترق، وحمى المريض ممَّا يؤذيه.

وأصول الطِّبِّ ثلاثةٌ:

الحمية، وحفظ الصِّحَّة، واستفراغ المادَّة المضرَّة.

وقد جمعها الله -تعالى- له ولأُمَّته في ثلاثة مواضع من كتابه:

فحمى المريض من استعمال الماء؛ خشيةً من الضّرر، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فأباح التَّيمُّم للمريض؛ حميةً له، كما أباحه للعادم.

وقال في حفظ الصِّحَّة: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

---

(١) **حسن** - أخرج أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذيُّ (١٧٨٤).

أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ فأباح للمسافر الفطر في رمضان؛ حفظًا لصحَّته؛ لئلَّا يجتمع على قوَّته الصَّوم، ومشقَّة السَّفر؛ فيُضعف القوَّة والصِّحَّة.

وقال في الاستفراغ في حلق الرَّأس للمحرم: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فأباح للمريض ومن به أذًى من رأسه وهو محرم: أن يحلق رأسه، ويستفرغ الموادَّ الفاسدة، والأبخرة الرَّديئة، الَّتي تُولِّد عليه القمل، أو تُولِّد عليه المرض:

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**لعلك آذاك هوامك؟**»، قال: نعم يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**احلق رأسك، وصُم ثلاثة أيَّام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة**»[1].

وهذه الثّلاثة هي قواعد الطِّبِّ وأصوله، فذكر من كلِّ جنسٍ منها شيئًا وصورةً؛ تنبيهًا بها على نعمته على عباده في أمثالها، من حميتهم، وحفظ صحَّتهم، واستفراغ موادِّ أذاهم؛ رحمةً لعباده، ولطفًا بهم، ورأفةً بهم، وهو الرَّؤوف الرَّحيم.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٨١٤)، ومسلمٌ (١٢٠١).



في هديه ﷺ في معاملته

كان أحسن النَّاس معاملةً، وكان إذا استسلف سلفًا؛ قضى خيرًا منه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ حقٌّ، فأغلظ له، فهمَّ به أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ لصاحب الحقِّ مقالًا**»، فقال لهم: «**اشتروا له سنًّا؛ فأعطوه إياه**»، فقالوا: إنَّا لا نجد إلا سنًّا هو خيرٌ من سِنِّه، قال: «**فاشتروه؛ فأعطوه إيَّاه، فإنَّ من خيركم -أو: خيركم- أحسنكم قضاءً**»[١].

وكان إذا استسلف من رجلٍ سلفًا؛ قضاه إيَّاه، ودعا له، فقال: «**بارك الله لك في أهلك ومالك، إنَّما جزاء السَّلف: الحمد، والأداء**»[٢].

واستسلف من رجلٍ أربعين صاعًا، فاحتاج الأنصاريُّ، فأتاه، فقال ﷺ: «**ما جاءنا من شيءٍ بعد**»، فقال الرَّجل -وأراد أن يتكلَّم-، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقل إلَّا خيرًا؛ فأنا خير من تُسلِّفَ**»، فأعطاه أربعين فضلًا، وأربعين سلفةً؛ فأعطاه ثمانين[٣].

---

(١) **صحيح** - أخرج البخاريُّ (٢٣٠٦)، ومسلمٌ (١٦٠١).

(٢) **صحيح** - أخرجه النِّسائيُّ (٤٦٨٧)، وابن ماجه (٢٤٢٤)، وأحمد (٤/ ٣٦) من حديث عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه.

(٣) **حسن** - أخرجه البزَّار (٥١٧٨ - البحر الزخار) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وكان ﷺ يحث على القرض الحسن، ويحض على إنظار المعسر، والتخفيف عليه، والوضع عنه.

وجعل لذلك أجرًا عظيمًا:

عن ابن أذنان؛ قال: أسلفت علقمة ألفي درهم، فلما خرج عطاؤه، قلت له: اقضني، قال أخرني إلى قابل، فأبيت عليه، فأخذتها. قال: فأتيته بعد، قال: برحت بي وقد منعتني[1]، فقلت: نعم، هو عملك. قال: وما شأني؟ قلت: إنَّك حدَّثتني عن ابن مسعود: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ السَّلف يجري مجرى شطر الصَّدقة**». قال: نعم، فهو كذاك، قال: فخذ الآن[2].

○ ○ ○

(١) أي: عزمت لي في أخذها، ولم تؤخرني.

(٢) **حسن** - أخرجه أحمد (١/ ٤١٢)، وأبو يعلى (٥٣٦٦)، والبيهقي (٥/ ٣٥٣) وغيرهم.

الصحيح المصفَّى



فصل

في هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه

كان إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا[1]، وكان أسرع النَّاس مشيةً، وأحسنها، وأسكنها.

قال أبو هريرة: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأنَّ الشَّمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنَّما الأرض تُطوى له، وإنَّا لنجهد أنفسنا، وإنَّه لغير مكترثٍ»[2].

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفَّأ تكفّؤًا، كأنَّما ينحطُّ من صببٍ»[3]، وقال مرّةً: «إذا مشى تقلَّع»[4].

وهي مشية أولي العزم، والهمَّة، والشَّجاعة، وهي أعدل المشيات، وأروحها للأعضاء، وأبعدها من مشية الهوج، والمهانة، والتَّماوت.

فإنَّ الماشي: إمَّا أن يتماوت في مشيه ويمشي قطعةً واحدةً؛ كأنَّه خشبةٌ محمولةٌ؛ وهي مشيةٌ مذمومةٌ قبيحةٌ، وإمَّا أن يمشي بانزعاجٍ واضطرابٍ مشي الجمل الأهوج،

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٣٣٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

«تكفأ»؛ أي: مال يمينًا وشمالًا، كما تكفأ السفينة، والمعنى: أن يميل إلى سمته، وقصد مشيه.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٣٦٤٨)، وأحمد (٢/ ٣٨٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٣٦٣٧)، وأحمد (١/ ٨٩).

(٤) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٣٦٣٨).

وهي مشية مذمومةٌ -أيضًا-، وهي دالَّةٌ على خفَّة عقل صاحبها، ولا سيِّما إن كان يُكثر الالتفات حال مشيه يمينًا وشمالًا.

وإمّا أن يمشي بسكينةٍ ووقارٍ، من غير تكبُّرٍ ولا تماوتٍ؛ وهي مشية عباد الرَّحمن؛ كما وصفهم بها في كتابه، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهي مشية رسول الله ﷺ؛ فإنَّه مع هذه المشية كان كأنَّما ينحطُّ من صببٍ، وكأنَّما الأرض تُطوى له، حتَّى كان الماشي معه يجهد نفسه، ورسول الله ﷺ غير مكترثٍ، وهذا يدلُّ على أمرين:

أنَّ مشيته لم تكن مشيةً بتماوتٍ، ولا بمهانةٍ، بل مشية أعدل المشيات.

وأمَّا مشيه مع أصحابه؛ فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم، ويقول: «**دعوا ظهري للملائكة**»(١).

وكان يمشي حافيًا ومنتعلًا، وكان يماشي أصحابه فرادى وجماعةً، ومشى في بعض غزواته مرَّةً؛ فدُميت أصبعه، وسال منها الدَّم، فقال:

هل أنت إلَّا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت(٢)

وكان في السَّفر ساقة(٣) أصحابه يزجي(٤) الضَّعيف، ويردفه، ويدعو لهم(٥).

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه ابن ماجه (٢٤٦)، وأحمد (٣/ ٣٣٢)، والحاكم (٤/ ٢٨١) من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٨٠٢)، ومسلمٌ (١٧٩٦) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) آخرهم.

(٤) يسوق.

(٥) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٢٦٣٩)، والحاكم (٢/ ١١٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.



فصل

في هديه ﷺ في جلوسه واتِّكائه

كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط.

وقالت قيلة بنت مخرمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء[1].

قالت: فلمَّا رأيت رسول الله ﷺ كالمتخشِّع[2] في الجلسة، أرعدت من الفَرَق[3]»[4].

ولـمَّا قدم عليه عديٌّ بن حاتمٍ دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجارية وسادةً يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عديٍّ، وجلس على الأرض.

قال عديٌّ: فعرفت أنَّه ليس بملَكٍ، وكان يستلقي أحيانًا، وربَّما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتَّكئ على الوسادة، وربَّما اتَّكأ على يساره، وربَّما اتَّكأ على يمينه.

وكان إذا احتاج في خروجه توكَّأ.

○ ○ ○

---

(١) وهو قاعد قعودًا مخصوصًا بأن يجلس على أليتيه، ويلصق فخذه ببطنه، ويضع يديه على ساقيه، وهي جلسة المحتبي بيديه.

(٢) المتضرع.

(٣) الخوف والفزع مما علاها من عظم المهابة.

(٤) **حسن** - أخرجه أبو داود (٤٨٤٧)، والترمذيُّ في «الشمائل» (١٠١ - «مختصره»)، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (١١٧٨).



في هديه ﷺ عند قضاء الحاجة

كان إذا دخل الخلاء، قال: «**اللَّهمَّ! إنِّي أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[1].

وكان إذا خرج يقول: «**غفرانك**»[2].

وكان يستنجي بالماء تارةً، ويستجمر بالأحجار تارةً، ويجمع بينهما تارةً.

وكان إذا ذهب في سفره للحاجة: انطلق حتَّى يتوارى عن أصحابه، وربَّما كان يبعد نحو الميلين.

وكان يستتر للحاجة بالهدف تارةً، وبحائش النَّخل تارةً، وبشجر الوادي تارةً، وكان إذا أراد أن يبول في عزازٍ من الأرض -وهو الموضع الصَّلب- أخذ عودًا من الأرض؛ فنكَّت به حتَّى يُثرَّى[3]، ثمَّ يبول.

وكان يرتاد لبوله الموضعَ الدَّمث؛ وهو: اللَّيِّن الرَّخو من الأرض، وأكثر ما كان

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٤٢ و٦٣٢٢)، ومسلمٌ (٣٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٧)، وأبو داود (٣٠)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (٦/ ١٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) يصير ثرى؛ أي: مكانًا رخوًا؛ لكي لا يرتد البول.

يبول وهو قاعد، حتَّى قالت عائشة: «من حدَّثكم أنَّه كان يبول قائمًا؛ فلا تصدِّقوه، ما كان يبول إلَّا قاعدًا»[1].

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ: «أنّه ﷺ بال قائمًا»[2].

وإنَّما فعل ذلك تنزُّهًا وبُعدًا من إصابة البول؛ فإنَّه إنَّما فعل ﷺ هذا لـمَّا أتى سُباطة قومٍ -وهو: مَلقى الكُناسة، وتُسمَّى: المزبلة-، وهي تكون مرتفعةً، فلو بال فيها الرَّجل قاعدًا؛ لارتدَّ عليه بوله، وهو ﷺ استتر بها، وجعلها بينه وبين الحائط؛ فلم يكن بُدٌّ من بوله قائمًا، والله أعلم.

وكان يخرج من الخلاء؛ فيقرأ القرآن، وكان يستنجي ويستجمر بشماله، ولم يكن يصنع شيئًا ممَّا يصنعه المبتلون بالوسواس، من نتر الذَّكر، والنَّحنحة، والقفز، ومسك الحبل، وطلوع الدَّرج، وحشو القطن في الإحليل، وصبِّ الماء فيه، وتفقُّده الفينة بعد الفينة، ونحو ذلك من بدع أهل الوسواس!!

وكان إذا سلَّم عليه أحدٌ وهو يبول؛ لم يردَّ عليه[3].

وكان إذا استنجى بالماء: ضرب يده بعد ذلك على الأرض.

وكان إذا جلس لحاجته؛ لم يرفع ثوبه حتَّى يدنو من الأرض.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (١٢)، والنِّسائيُّ (٢٩)، وابن ماجه (٣٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٢٤)، ومسلمٌ (٢٧٣).

(٣) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٣٧٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.



في هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها

وكان يُعجبه التَّيمُّن في تنعُّله، وترجُّله، وطهوره، وأخذه، وعطائه[1].

وكانت يمينه: لطعامه، وشرابه، وطهوره.

ويساره: لخلائه ونحوه من إزالة الأذى.

وكان هديه في حلق الرَّأس: تركه كلَّه، أو أخذه كلَّه، ولم يكن يحلق بعضه ويدع بعضه، ولم يحفظ عنه حلقه إلَّا في نُسكٍ.

وكان يحبُّ السُّواك، وكان يَستاك مفطرًا وصائمًا، ويَستاك عند الانتباه من النَّوم، وعند الوضوء، وعند الصَّلاة، وعند دخول المنزل، وكان يَستاك بعود الأراك.

وكان يُكثر التَّطيُّب، ويحبُّ الطِّيب، وكان أوَّلًا يسدُل شعره[2]، ثمَّ فَرَقه[3].

واختُلف في خِضابه:

عن أنسٍ، قال: «رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوبًا»[4].

وقالت طائفة: كان رسول الله ﷺ ممَّا يُكثر الطِّيب قد احمرَّ شعره؛ فكان يُظنُّ

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٦٨)، ومسلمٌ (٢٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) السَّدل: أن يسدله من ورائه، ولا يجعله فرقتين.

(٣) الفرق: أن يجعل شعره فرقتين، كلّ فرقةٍ ذؤابة.

(٤) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ في «الشمائل» (٤٠).

مخضوبًا، ولم يُخضب.

وقال أبو رِمثة: أتيت رسول الله ﷺ مع ابنٍ لي، فقال: «**أهذا ابنك؟**»، قلت: نعم، أشهد به. فقال: «**لا تجني عليه، ولا يجني عليك**»[1]، قال: ورأيت الشَّيب أحمر.

والمختار: أنه ﷺ خضب في وقت، دلَّ عليه حديث ابن عمر في «الصحيحين»، وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كلٌّ بما رأى وهو صادق، والله أعلم.

ورسول الله ﷺلم يبلغ الشَّيب؛ فقد قيل لجابر بن سمرة: أكان في رأس النَّبيِّ ﷺ شيبٌ؟ قال: لم يكن في رأسه شيبٌ؛ إلَّا شعرات في مفرق رأسه، إذا ادَّهن؛ واراهُنَّ الدُّهنُ[2].

وكان يحبُّ التَّرجُّل، وكان يُرجِّل نفسه تارةً، وتُرجِّله عائشة تارةً.

وكان شعره فوق الجُمَّة[3]، ودون الوفرة[4]، وكانت جُمَّته تَضرب شحمة أذنيه، وإذا طال: جعله غدائر أربعًا[5].

قالت أمُّ هانئٍ: قدم علينا رسول الله ﷺ مكَّة قدمةً، وله أربع غدائر[6].

وكان ﷺ لا يَرُدُّ الطِّيب:

---

(١) **صحيح** - أخرجه النِّسائيُّ (٤٨٣٦)، وأبو داود (٤٢٠٧ و٤٢٠٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٦ و٤/ ١٦٣)، والترمذيُّ في «الشمائل» (٣٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه أحمد (٥/ ٩٠ و٩٢ و٩٩ و١٠٣)، والحاكم (٢/ ٦٠٧)، والترمذيُّ في «الشمائل» (٣٢).

وأصل الحديث عند مسلمٌ (٢٣٤٤)، والنِّسائيُّ (٥١١٧).

(٣) الجمّة: الشعر النازل إلى المنكبين، والوفرة: ما بلغ شحمة الأذن.

(٤) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (١٧٥٥)، و«الشمائل» (٢٢)، وأبو داود (٤١٨٧)، وابن ماجه (٣٦٣٥)، وأحمد (٦/ ١٠٨ و١١٨).

(٥) الغدائر: الضّفائر.

(٦) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ في «السنن» (١٧٨١)، و«الشمائل» (٢٣)، وأبو داود (٤١٩١)، وابن ماجه (٣٦٣٢)، وأحمد (٦/ ٣٤١ و٤٢٥).

عن أبي هريرة ﵁ عن النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: «**من عرض عليه ريحان؛ فلا يردُّه؛ فإنَّه طيِّب الرّائحة، خفيف المحمل**»[(١)].

وفي رواية: «**من عرض عليه طيب؛ فلا يردُّه**»[(٢)].

وليسا سواء؛ فإنَّ الرَّيحان لا تَكْثُر المنَّةُ بأخذه، وقد جرت العادة بالتَّسامح في بذله، بخلاف المسك، والعنبر، والغَالِيَة، ونحوها.

ولكنَّ الَّذي ثبت عنه من حديث أنس بن مالك ﵁؛ قال: «كان رسول الله ﷺ لا يردُّ الطِّيب»[(٣)].

وكان لرسول الله ﷺ سُكَّةٌ[(٤)] يتطيَّب منها[(٥)].

وكان أحبُّ الطِّيب إليه: المسك.

○ ○ ○

---

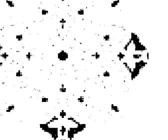
(١) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٢٥٣).

(٢) **صحيح** - أخرجه النِّسائيُّ (٥٢٦١)، وأبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (٢/ ٣٢٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٢٥٨٢).

(٤) طيبٌ أسودٌ يخلط ويعرك ويترك، وتظهر رائحته كلما مضى عليه الزمن، ويحتمل أن يكون وعاء يوضع فيه الطِّيب، وهو الظاهر.

(٥) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤١٦٢)، والترمذيُّ في «الشمائل» (١٨٥ - «مختصره») من حديث أنس بن مالك ﵁.





فصل

في هديه ﷺ في قصِّ الشَّارب

وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يأخذ من شاربه؛ فليس منَّا**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**جُزُّوا الشَّوارب، وأرخوا اللِّحى، خالفوا المجوس**»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ: «**خالفوا المشركين، ووفِّروا اللِّحى، وأَحفوا الشَّوارب**»[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: «وقَّت لنا النَّبيُّ ﷺ في قصِّ الشَّارب وتقليم الأظفار: ألَّا نترك أكثر من أربعين يومًا وليلةً»[4].

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٢٧٦١)، والنِّسائيُّ (١٣)، وأحمد (٤/ ٣٦٦ و٣٦٨).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٦٠).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٥٨٩٢)، ومسلمٌ (٢٥٩).

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٢٥٨).



فصل

في هديه ﷺ في كلامه، وسكوته، وضحكه، وبكائه

كان ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقًا، حتَّى إنَّ كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه.

وكان إذا تكلَّم؛ تكلَّم بكلامٍ مفصَّلٍ مبيَّنٍ، يعدُّه العادُّ، ليس بهذٍّ مسرعٍ لا يُحفَظ، ولا مُنقطعٍ تخلَّله السَّكتات بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي.

قالت عائشة: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلَّم بكلامٍ بيِّنٍ فصلٍ، يحفظه من جلس إليه»[1].

وكان كثيرًا ما يعيد الكلام ثلاثًا؛ ليُعقل عنه، وكان إذا سلَّم؛ سلَّم ثلاثًا[2].

وكان طويل السَّكوت، لا يتكلَّم في غير حاجةٍ، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه.

ويتكلَّم بجوامع الكلام، فصْلٌ؛ لا فضول ولا تقصير.

وكان لا يتكلَّم فيما لا يعنيه، ولا يتكلَّم إلَّا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشَّيء؛ عُرف في وجهه.

---

(١) صحيح - أخرجه الترمذيُّ (٣٦٣٩)، و«الشمائل» (١٩١).
وأصله عند البخاريُّ (٣٥٦٨)، ومسلمٌ (٢٤٩٣).

(٢) صحيح - أخرجه البخاريُّ (٩٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ولم يكن فاحشًا، ولا متفحِّشًا، ولا صخَّابًا.

وكان جُلُّ ضَحكِهِ: التَّبسُّم، بل كلُّه التَّبسُّم، فكان نهاية ضحكه: أن تبدو نواجذه.

وكان يضحك ممَّا يُضحكُ منه، وهو ممَّا يُتعجَّب مِن مثله، ويُستغرب وقوعه، ويُستندر.

وأمَّا بُكاؤه ﷺ: فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكه بقهقهةٍ، ولكن كانت تدمع عيناه، حتَّى تهملا، ويُسمع لصدره أزيزٌ.

وكان بكاؤه تارةً: رحمةً للميِّت، وتارةً: خوفًا على أُمَّته، وشفقةً عليها، وتارةً: من خشية الله، وتارةً: عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياقٍ، ومحبَّةٍ، وإجلالٍ، مصاحبٍ للخوف والخشية.

ولـمَّا مات ابنه إبراهيم: دمعت عيناه وبكى؛ رحمةً له، وقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون**»(١).

وبكى لـمَّا شاهد إحدى بناته، ونفسها تفيض.

وبكى لـمَّا قرأ عليه ابن مسعودٍ سورة النِّساء، وانتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النِّساء:٤١](٢).

وبكى لـمَّا كسفت الشَّمس، وصلَّى صلاة الكسوف، وجعل يبكي في صلاته، وجعل ينفخ، ويقول: «**ربِّ! ألم تعدني ألَّا تعذِّبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون، ونحن نستغفرك**»(٣).

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٣٠٣)، ومسلمٌ (٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٤٥٨٢)، ومسلمٌ (٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (١١٩٤)، والنِّسائيُّ (١٤٩٧)، وأحمد (٢/ ١٥٩ و١٨٨)، والترمذيُّ في «الشمائل» (٢٧٨) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

وبكى لـمَّا جلس على قبر إحدى بناته[1].

وكان يبكي أحيانًا في صلاة اللَّيل.

❍ ❍ ❍

(١) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (١٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



في هديه ﷺ في خطبته

خطب ﷺ على الأرض، وعلى المنبر، وعلى البعير، وعلى النَّاقة.

وكان إذا خطب: احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتَّى كأنَّه منذر جيشٍ، يقول: «**صبَّحكم، ومسَّاكم**»، ويقول: «**بُعثت أنا والسَّاعة كهاتين**»، ويقرن بين أصبعيه؛ السَّبَّابة والوسطى، ويقول: «**أمَّا بعد؛ فإنَّ خير الحديث: كتاب الله، وخير الهدي: هدي محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور: محدثاتها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**»(١).

وكان لا يخطب خطبةً إلَّا افتتحها بحمد الله.

وكان يخطب قائمًا(٢).

وكان ﷺ إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على النَّاس، ثمَّ قال: «**السَّلام عليكم**»(٣).

وكان كثيرًا ما يخطب بالقرآن.

فعن أُمِّ هشامٍ بنت حارثة؛ قالت: ما أخذت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾؛ إلَّا عن لسان رسول الله ﷺ؛ يقرؤها كلَّ يوم جمعةٍ على المنبر، إذا خطب النَّاس(٤).

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٩٢٠)، ومسلمٌ (٨٦١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح** - أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٢٨١)، وابن أبي شيبة (٥٢٣٥)، وابن ماجه (١١٠٩).

(٤) **صحيح** - أخرجه مسلمٌ (٨٧٣).

وعن ابن مسعودٍ: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا تشهَّد، قال: «**الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله..**»[(١)].

وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله، والثّناء عليه بآلائه، وأوصاف كماله، ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجنّة والنّار، والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه، ومواقع رضاه؛ فعلى هذا كان مدار خطبه.

وكان ﷺ يقول في خطبه: «**أيُّها النَّاس! إنَّكم لن تُطيقوا -أو: لن تفعلوا- كلَّ ما أُمرتم به، ولكن سدِّدوا، وأبشروا**»[(٢)].

وكان ﷺ يخطب في كلِّ وقتٍ بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم، ولم يكن يخطب خطبةً إلَّا افتتحها بحمد الله، ويتشهَّد فيها بكلمتي الشَّهادة، ويذكر فيها نفسه باسمه العلم.

وثبت عنه ﷺ؛ أنَّه قال: «**كلُّ خطبةٍ ليس فيها تشهُّدٌ؛ فهي كاليد الجذماء**[(٣)]»[(٤)].

ولم يكن له ﷺ شاويشٌ يخرج بين يديه إذا خرج من حجرته، ولم يكن يلبس لباس الخطباء اليوم، لا طرحةً، ولا زيقًا واسعًا.

وكان منبره ﷺ ثلاث درجاتٍ، فإذا استوى عليه واستقبل النَّاس: أخذ المؤذِّن

---

(١) **صحيح** - أخرجه أبو داود (١٠٩٧)، والترمذيُّ (١١٠٥)، والنِّسائيُّ (١٤٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢).

وهذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة.

(٢) **صحيح** - أخرجه أبو داود (١٠٩٦)، وأحمد (٤/ ٢١٢) من حديث الحكم بن حزن الكلفي رضي الله عنه.

(٣) الجذماء: المقطوعة، والجذم: سرعة القطع؛ يعني: أنَّ كل خطبة لم يؤت فيها بالحمد والثناء على الله؛ فهي كاليد المقطوعة التي لا فائدة بها. قاله المناوي.

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذيُّ (١١٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٢ و٣٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في الأذان فقط، ولم يقل شيئًا قبله ولا بعده، فإذا أخذ في الخطبة؛ لم يرفع أحدٌ صوته بشيءٍ البتَّة؛ لا مؤذِّنٌ، ولا غيره.

وكان ﷺ إذا عرض له في خطبته عارض؛ اشتغل به، ثمَّ رجع إلى خطبته.

وكان ﷺ يخطب؛ فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين، فقطع كلامه، فنزل؛ فحملهما، ثمَّ عاد إلى منبره، ثمَّ قال: «**صدق الله العظيم:** ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، **رأيت هذين يعثران في قميصيهما؛ فلم أصبر حتَّى قطعت كلامي؛ فحملتهما**»(١).

وجاء سُليك الغطفانيُّ وهو ﷺ يخطب، فجلس؛ فقال له: «**قم -يا سليك!-؛ فاركع ركعتين، وتجوَّز فيهما**»، ثمَّ قال وهو على المنبر: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب؛ فليركع ركعتين، وليتجوَّز فيهما**»(٢).

وكان يقصِّر خُطبته أحيانًا، ويُطيل أحيانًا، بحسب حاجة النَّاس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الرَّاتبة.

وكان يخطب النَّساء على حدةٍ في الأعياد، ويُحرِّضُهنَّ على الصَّدقة(٣)، والله أعلم.

○ ○ ○

(١) **صحيح** - أخرجه الترمذيُّ (٣٧٧٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والنِّسائيُّ (١٤١٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٩٣٠)، ومسلمٌ (٨٧٥) (٥٩) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاريُّ (٩٦١ و٩٧٨)، ومسلمٌ (٨٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه.



في الرحلات النبوية؛ وهي: الأماكن التي حلَّها ﷺ

قدم الشام مرتين:

الأولى: مع عمِّه أبي طالب في تجارة له، وكان عمره إذ ذاك ثنتي عشرة سنة، وكان من قصة بحيرا وتبشيره به، وكان من الآيات التي رأوها؛ مما بهر العقول.

الثانية: في تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، و صحبته مولاها ميسرة، فبلغ ﷺ أرض بصرى، فباع ثَمَّ التجارة، و رجع، فأخبر ميسرة مولاته بما رأى عليه ﷺ من لوائح النبوة، فرغبت فيه و تزوجته، وكان عمره حين تزوجها خمسًا وعشرين سنة.

وتقدم أنه ﷺ أُسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ فاجتمع بالأنبياء، و صلّى بهم فيه، ثم ركب إلى السماء، ثم إلى ما بعدها من السموات؛ سماء سماء، ورأى الأنبياء هناك على مراتبهم، ويسلِّم عليهم ويسلِّمون عليه.

ثم صعد إلى سدرة المنتهى، فرأى هناك جبريل -عليه السلام- على الصورة التي خلقه الله عليها؛ له ستمائة جناح.

وكلَّمه ربه -سبحانه وتعالى- على أشهر قولي أهل الحديث.

ورأى ربه -عزَّ وجلَّ- بفؤاده مرتين[١].

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٦) (٢٨٥).

وأنكرت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها رؤية البصر[١].

عن أبي ذر؛ قلت: يا رسول الله! رأيت ربك؟ فقال: «**نور، أنَّى أراه؟**»[٢].

ورأى الجنة والنار والآيات العظام، وقد فرض الله -سبحانه- عليه الصلاة ليلتئذٍ خمسين، ثم خفَّفها إلى خمسٍ، وتردَّد بين موسى -عليه الصلاة والسلام- وبين ربِّه -عزَّ وجلَّ- في ذلك[٣].

ثم أُهبِط إلى الأرض؛ إلى مكة إلى المسجد الحرام، فأصبح يخبر الناس بما رأى من الآيات[٤].

وهاجر ﷺ من مكة إلى المدينة.

حجه واعتماره ﷺ

لم يحج ﷺ بعدما هاجر إلَّا حجَّة الإسلام وهي حجَّة الوداع.

وأما عُمَرَهُ؛ فكُنَّ أربعًا:

الحديبية التي صُدَّ عنها.

وعمرة القضاء بعدها.

ثم عمرة الجعرانة.

ثم عمرته الَّتي مع حجَّته.

وقد حجَّ ﷺ قبل الهجرة أكثر من مرَّة ؛ لأنه كان ﷺ يخرج ليالي الموسم يدعو النَّاس إلى الله تعالى.

○ ○ ○

---

(١) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٧).

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩١).

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة. وثبت عندهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.



فصل

سماعاته ﷺ

سمع ﷺ كلام الله -عزَّ وجلَّ- وخطابه له ليلة الإسراء؛ حيث يقول ﷺ: «**فنُودِيتُ: أنْ قد أتممت فريضتي، وخفَّفت عن عبادي، يا محمد! إنه لا يُبَدَّلُ القول لديَّ؛ هي خمسٌ، وهي خمسون...**»[1].

فمثل هذا لا يقوله إلا ربُّ العالمين؛ كما في قوله -تعالى- لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤].

قال علماء السلف وأئمتهم: هذا من أدلِّ الدلائل على أنَّ كلام الله غيرُ مخلوقٍ؛ لأن هذا لا يقوم بذاتٍ مخلوقةٍ.

وقال جماعة منهم: مَن زعم أنَّ قوله -تعالى-: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ مخلوق؛ فهو كافر؛ لأنه بزعمه يكون ذلك المحل المخلوق قد دعا موسى إلى عبادته!.

وقد روى ﷺ عن ربِّه -عزَّ وجلَّ- أحاديثَ كثيرة؛ كحديث: «يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته...»[2].

---

(١) ثبت عند الشيخين من حديث أنس بن مالك، ومالك بن صعصعة، وعند مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه.

وله أشباهٌ كثيرةٌ.

وقد ذهب جماعةٌ من أهل الحديث والأصولِ: أنَّ السُّنَّة كلَّها بالوحي -لكنَّها وحيٌ غير مَتْلُوٍّ-؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣ - ٤].

○ ○ ○



السَّماع منه ﷺ

وسمع منه أصحابه بمكة، والمدينة، وغيرهما من البلاد التي غزا إليها وحلَّها، وبعرفة، ومنى، وغير ذلك.

وقد سمع منه الجنُّ القرآنَ وهو يقرأ بأصحابه بعكاظ، وجاؤوه فسألوه عن أشياء[1].

ومكث معهم ليلةً شهدها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ إلا أنه غير مباشر لهم[2]، لكنه كان ينتظر رسول الله ﷺ في مكان محوط عليه؛ لئلا يصيبه سوء[3]، فأسلم منهم طائفة من جن نصيبين[4] رضي الله عنهم.

وقد جاءه جبريل -عليه السلام- في صورة رجل أعرابي؛ فحدَّثه عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة[5].

---

(١) **صحيح** - أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح** - أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه نفسه.

(٣) **صحيح** - أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٩)- عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل بين الموصل والشام.

(٥) **صحيح** - أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه مطوَّلاً.

وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عدد المسلمين حين وفاته ﷺ:

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي رحمه الله: توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفًا؛ ثلاثون ألفًا بالمدينة، وثلاثون ألفًا في غيرها.

وقال الحافظ أبو زرعة؛ عبيد الله بن عبد الكريم الرازي رحمه الله: توفي رسول الله ﷺ و قد رآه و سمع منه زيادة على مئة ألف.

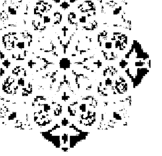
وقال الحافظ أبو عبد الله؛ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: روى عنه ﷺ أربعة آلاف صحابي.

وقد أفرد الأئمة أسماء الصحابة رضي الله عنهم في مصنفات على حدة؛ كالبخاري في أول «تاريخه الكبير»، وابن أبي خيثمة، والحافظ أبي عبد الله ابن منده، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني، والشيخ الإمام أبي عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»، والحافظ ابن حجر في «الإصابة»، والحافظ ابن الأثير في «أسد الغابة».

وقد أفرد أبو محمد بن حزم أسماءهم في جزء[1] جَمَعَهُ مِن كتاب الإمام بقي بن مخلد الأندلسي رحمه الله، وذكر ما روى كل واحدٍ منهم.

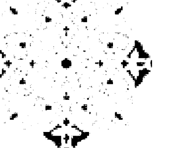
ο ο ο

(١) وقد طبع بعنوان: «أسماء الصحابة وما لكل واحدٍ من العدد»، وقد ألحق بكتاب «جوامع السيرة».





شهادة غير المسلمين على صدق رسول اللّه ﷺ وأنَّ الإسلام دين المستقبل





باب

شهادة غير المسلمين على صدق رسول الله ﷺ وأنَّ الإسلام دين المستقبل

اعلم أيُّها المحبُّ -لا زلت موصولًا بما تحبّ-: أن الاستدلال بأقوال المنصفين من المخالفين التي تنقض دعاوى أقوالهم التي تُشِينُ الرسولَ ﷺ والإسلام هو منهجٌ علمي يقرُّه العلماء، ويستعمله العقلاء، ويستدل به الألبَّاء.

وممَّا ورد في القرآن الكريم في هذا الباب:

الاستدلال بعلماء أهل الكتاب المنصفين الذين شهدوا بالحق على أقوامهم الذين حرّفوا وبدّلوا؛ ظلمًا وعلوًّا:

قال الله -تعالى- مخبرًا عن معرفة علماء أهل الكتاب بصدق القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٧].

وقال الله -عزَّ وجلَّ- مخبرًا عن معرفة علماء أهل الكتاب بصدق الرسول ﷺ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

وذلك؛ لأنَّ صفات الرسول ﷺ ودينه وكتابه وأصحابه وأُمَّته ذكرها اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتبهم المنزَّلة على أنبيائهم؛ فهم يعرفونها ولكنَّهم يخفونها:

قال الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

نعم؛ لقد أنصف كثيرٌ مِن علماء الشَّرق والغرب وقادته: رسولَ الله محمدًا ﷺ من فجر الإسلام إلى يومنا هذا، وقد أدَّى هؤلاء شهادتهم عن علمٍ وإنصاف؛ لأن الأصل عند قوم هؤلاء؛ هو: إتهام رسول الله ﷺ والطَّعن عليه.

ولقد اكتملت في هذه الشهادات عناصرُ المنهج العلمي الحديث القائم على الملاحظة والتجربة والسَّبر والتَّتبع والاستقصاء؛ لذلك خرجت نتائجهم إيجابية تجاه رسول الله ﷺ ودينه وكتابه وأمَّته، فصارت منارًا يهتدي به الباحثون عن الحقِّ في الغرب والشَّرق من بني جلدتهم.

وقد جعلته أربعة أقسام:

القسم الأول: شهادة من عاصر رسول الله ﷺ.

القسم الثاني: شهادة المعاصرين من علماء الغرب وقادته.

القسم الثالث: شهادتهم أنَّ رسول الله ﷺ درَّة تاج البشريَّة.

القسم الرابع: شهادتهم أنَّ دين محمَّد ﷺ وارث الحضارات، والمستقبل له.

○ ○ ○



شهادة معاصري الرسول ﷺ

١- شهادة هرقل عظيم الروم

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «أنَّ أبا سفيان بن حرب قد أخبره: أنَّ هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريش، وكانوا تجَّارًا بالشَّام في المدَّة[١] التي كان رسول الله ﷺ مادَّ[٢] فيها أبا سفيان وكفَّار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيُّكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم: أنَّه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا. فقال: أدنوه منِّي، وقرِّبوا أصحابه؛ فاجعلوهم عند ظهره[٣]. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل؛ فإن كذبني فكذِّبوه.

فوالله! لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا؛ لكذبت عنه[٤]، ثم كان أوَّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

---

(١) مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة (٦هـ)، وكانت مدتها عشر سنين.

(٢) جعل بينه وبينه مُدَّةَ صلحٍ.

(٣) لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب.

(٤) لولا أن ينقلوا عليَّ الكذب؛ لكذبت عليه.

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه مِن مَلِكٍ؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدَّة، لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة[1].

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إيَّاه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال[2]؛ ينال منَّا وننال منه.

---

(١) أنتقصه به، على أن التنقيص هنا أمر نسبي، وذلك أن من يقطع بعدم غدره أرفع رتبة ممن يُجُوِّز وقوع ذلك منه في الجملة.

(٢) نوب؛ نوبة لنا ونوبة له. وأشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر وغزوة أحد.

قال: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه؛ فذكرت: أنه فيكم ذو نسب؛ فكذلك الرُّسل تبعث في نسبٍ مِن قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله؛ لقلتُ: رجل يتأسى بقولٍ قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا؛ قلتُ: فلو كان من آبائه من ملك؛ قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا؛ فقد أَعرِفُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمَّ.

وسألتك: أيرتدُّ أحد سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب[1].

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

---

(١) انشراح الصدور.

فإن كان ما تقول حقًّا؛ فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج؛ لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنِّي أعلم أني أخلُصُ[1] إليه لتجشَّمت[2] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[3][4].

○ ○ ○

(١) أصل.

(٢) تكلفت الوصول إليه.

(٣) مبالغة في خدمته، وفي اقتصاره على ذكر غسل القدمين إشارة منه إلى أنه لا يطلب منه -إذا وصل إليه سالمًا- لا ولاية ولا منصبًا، وإنما يطلب ما تحصل له به البركة، وهذا كناية عن شدة الاحترام والتوقير للنبي ﷺ.

(٤) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٧٧٣).

٢- شهادة النَّجاشي عظيم الحبشة لرسول الله ﷺ

عندما هاجر بعضُ المسلمين إلى الحبشة هربًا بدينهم من أذى قومهم المشركين؛ بعثوا في إثرهم رُسلًا؛ ليأتوا بهم، فوقف جعفر بن أبي طالب بين يدي النَّجاشي يناضل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ.

قال له: أيُّها الملك كنّا قومًا أهل جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضَّعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله؛ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فعدد عليه أمور الإسلام، ثم قال: فصدَّقناه وآمنا به، واتَّبعناه على ما جاء به؛ فعبدنا الله وحده؛ فلم نشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحِلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النَّجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم.

فقال له النَّجاشي: فاقرأه عليّ.

فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾؛ فبكى النَّجاشيُّ حتى اخْضَلَّ لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النَّجاشي: إنَّ هذا -والله!- والذي جاء به عيسى لَيَخْرُجُ مِن مشكاة واحدة[1].

○ ○ ○

(١) انظر (ص ١٠٠).

٣- شهادة بحيرا الرَّاهب لرسول الله ﷺ

خرج رسول الله ﷺ مع عمِّه أبي طالب للتِّجارة في الشَّام، فلما نزل الرَّكب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: (بحيرا) في صومعةٍ له، وكان إليه علم أهل النَّصرانيَّة، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيرًا ما يمُرُّون به قبل ذلك، فلا يُكلِّمهم، ولا يعْرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبًا من صومعته؛ صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك أنَّه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الرَّكب حين أقبلوا.

فلما رأى ذلك بحيرا؛ نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصُنِع، ثمَّ أرسل إليهم، فقال: إنِّي قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش! فأنا أُحبُّ أنْ تحضروا كلُّكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحرُّكم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا! إنَّ لك لشأنًا اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنّا نمرُّ بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرا: صدقت؛ قد كان ما تقول، ولكنَّكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلُّكم.

فاجتمعوا إليه وتخلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم؛ لحداثة سنِّه في رحال القوم تحت الشجرة.

فلمَّا نظر بحيرا في القوم لم يرَ الصِّفَة التي يَعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش! لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي.

قالوا له: يا بحيرا! ما تخلَّف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلَّا غلام، وهو أحدث القوم سنًّا، فتخلَّف في رحالهم.

فقال: لا تفعلوا؛ ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم.

قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللَّات والعزَّى، إن كان لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه؛ فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

فلمَّا رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرَّقوا، قام إليه بحيرا، فقال: يا غلام! أسألك بحقِّ اللَّات والعزَّى إلَّا أخبرتني عمَّا أسألك عنه -وإنَّما قال له بحيرا ذلك؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما-، فزعموا: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**لا تسلني باللَّات والعزَّى شيئًا، فوالله! ما أبغضت شيئًا قط بغضهما**».

فقال له بحيرا: فبالله! إلَّا أخبرتني عمَّا أسألك عنه.

فقال له ﷺ: «**سلني عمَّا بدا لك**».

فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره. فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النُّبُوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ؛ أقبل على عمِّه أبي طالب، فقال له: هل هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا.

قال: فإنه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به.

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله! لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شرًّا؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم؛ فأسرع به إلى بلاده[1].

○ ○ ○

(١) تقدم تخريجه (ص٤٦).

وقد أفردت خبر الراهب بحيرا مع رسول الله ﷺ في كتاب مفرد: «أجزل المواهب من قصة قصّة بحيرا الراهب».



شهادة المعاصرين من علماء الغرب ومفكريه

١- دكتور هانز كونج = Dr.Hanz Küng[١]

قال:

في حالة أصحاب الأديان الأخرى الشخصية التاريخية تميل لاكتساب كثير من الأساطير -بواسطة أتباع الدِّيانة-، ولكن هذا ليس صحيحًا في حالة محمَّد.

إنه من الخطأ: نبذ الإسلام على أساس أنَّه دين النَّار والسَّيف بدون أن نعرف مادَّته الدينيَّة، فإنه بلا شك أنَّ العرب من خلال النَّبيِّ محمَّد قد ارتقوا لمرتبة عالية من الأخلاق، والدِّين مبني على الإيمان بإله واحد، وأخلاقيات إنسانية أساسية.

لقد كان محمد نبيًّا أصيلًا بلا شك في أمور كثيرة لا يختلف عن أنبياء إسرائيل، ولكنَّ المسلمين يُولون أهميَّةً كبرى لحقيقة هامَّة؛ وهي: أن محمَّدًا لا يقف في وسط الإسلام مثلما وقف يسوع المسيح في وسط المسيحية، حيث أنَّ في الإسلام لم تتجسد كلمة الربِّ في شكل إنسان، ولكن ظهرت ككتاب، والقرآن في نسخته الأصلية يقف مع الربِّ في وسط الإسلام[٢].

---

(١) قسٌّ من الكاثوليك، منعه الفاتيكان من تدريس العقيدة الكاثوليكية؛ بحجَّة أن له آراء مثيرة للجدل، وقد ترك المجتمع الكاثوليكي، وبقي في جامعة (توبينجن) أستاذ فخري في اللَّاهوت المسكوني منذ عام (١٩٩٦م).

(٢) (Tracing the Way) (ص ٢٤٨-٢٤٩)، للدكتور هانز كونج.

Tracing the Way: Spiritual Dimensions of the World Religions By Hans Kung

There is no doubt that Muhammad was an authentic prophet, in many respects not dissimilar to the prophets of Israel. But Muslims attach great importance to the fact that Muhammad does not stand at the centre of Islam as Jesus Christ stands at the centre of Christianity. For the Muslims, God's Word did not become a man but a book. And the Qur'an, which in its original version lies with God himself, forms the centre of Islam.

page 248 TRACING THE WAY



٢- توماس كارليل = Thomas Carlyle[1]

أثنى على النَّبيِّ ﷺ ثناءًا عظيمًا.

وقد أفرد له بابًا تحت عنوان: (البطل نبيًّا - Hero as a Prophet).

قال: لقد اخترنا محمَّدًا ليس لأنَّه أبرز الأنبياء، ولكن كواحد نستطيع الكلام عنه بحريَّة: إنه واحد من أصدق الأنبياء على الإطلاق.

الأكاذيب التي تجمَّعت حول محمَّد؛ ليست سوى عارٍ لنا فقط، لقد سمَّاه أتباعه: الصادق الأمين؛ إنه رجل الصدق والأمانة في أفعاله وكلامه وأفكاره[٢].

وقال -أيضًا-: لسنا نعدُّ محمدًا -قطُّ- رجلًا كاذبًا متصنِّعًا: يتذرَّع بالحيل والوسائل إلى بُغيةٍ، أو يطمع إلى درجة ملك، أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلَّا حقٌّ صُراح.

وما كلمته إلَّا صوت صادق صادر من العالم المجهول.

وقال: كلَّا: ما محمَّد بالكاذب ولا الملفِّق، وإنَّما هو قطعة من الحياة قد تفطَّر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع[٣].

○ ○ ○

---

(١) كاتب وأديب ومؤرخ وفيلسوف اسكتلندي، من رجال القرن التاسع عشر (١٧٩٥م-١٨٨١م).

(٢) لامارتين «الأبطال» (ص٥٨-٦٠) = (Heroes and Hero Worship and the Heroic in History).

(٣) «الرحلة إلى الشرق» (ص٨٤).

٣- جورج برنارد شو = George Bernard Shaw[1]

قال:

لو حكمنا على العظمة بقياس تأثير الرَّجل العظيم على النَّاس؛ لكان محمَّد هو أعظم العظماء في التاريخ؛ لقد أنهى العنصرية والأساطير، وأنشأ دينًا قويًّا واضحًا أقوى من ديانات اليهودية والمسيحية ودين قومه، ونجح حتى يومنا هذا أن يكون قوَّةً ذات خطرٍ عظيم.

لا يوجد في التاريخ رجل إلَّا محمَّد كان حاملَ رسالة، ومُنْشِئَ أمَّةٍ، وموجدَ دولة، هذه الأشياء الثلاثة قد أنجزها محمَّد.

لقد درست أمر هذا الرجل؛ فوجدته رجلًا مدهشًا، وتوصلت إلى أنَّه لم يكن عدوًّا للمسيح.

يجب أن نسمِّي محمَّدًا: منقذ البشرية؛ أنا أعتقد: لو أنَّه تقلَّد حُكم العالم الحديث سوف ينجح في حلِّ مشاكله بأسلوب يجلب السلام والسعادة كما ينبغي[٢].

وقال -أيضًا-: لقد درست محمَّدًا باعتباره رجلًا مدهشًا، فرأيته بعيدًا عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدْعى منقذ الإنسانية، وأوربا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ فتعرف بقدرة هذه العقيدة على حلِّ مشكلاتها، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي[٣].

○ ○ ○

---

(١) كاتب إيرلندي شهير (١٨٥٦م-١٩٥٠م)، وهو الشخص الوحيد الحاصل على جائزة (نوبل) في الأدب (١٩٢٥م)، و(أوسكار) (١٩٣٨م).

(٢) «الإسلام الأصيل» = «The Genuine Islam»، Vol. 1، No. 8، 1936)
http://en.wikiquote.org/wiki/George_Bernard_Shaw

(٣) «الرسول في عيون غربية منصفة» (ص٧٠) لحسين حسيني معدي.

٤- فولفجانج فون جوته = Johann Wolfgang von Goethe[١]

قال:

نحن مواطني أوروبا بمعتقداتنا ومبادئنا لا يمكننا الوصول لما وصل إليه محمَّد، ولا يمكن لأحد أن يتعداه.

لقد بحثت عبر التَّاريخ عن مَثَلٍ أعلى للإنسانية، واستنتجت أنَّه محمد؛ لذلك يجب على الحقيقة أن يتمَّ إظهارها و إعلانها؛ لقد نجح، إنَّه الذي أحنى العالم بكلمة التوحيد.

إنَّ محمَّدًا لم يكن شاعرًا، ولا مبتدعًا، بل كان نبيًّا، وبالتالي يجب الأخذ بالقرآن كشريعةٍ[٢].

(١) عالم و فيلسوف و كاتب وشاعر ألماني شهير، ومن أهم مفكري الغرب (١٧٤٩-١٨٣٢م).

(٢) قارن بـ(٤٠ - ٥٢) من سورة الحاقة.
ولنظر -تفضُّلًا- (ص٣٧٢).

Mohammed even though, as Goethe notes, Mohammed emphasized that he was not a poet; he felt that he was not an inventor but a prophet and hence his Koran is to be taken as law. Goethe felt this distinction was important to scriptural texts for as a prophet Mohammed announced a law, he proclaimed instructions based on a specific tradition and with specific purposes; the

Goethe as a critic of literature

Max L. Baeumer -Karl J. Fink
3 مرات
1984 University Press of America

GOETHE
AS A
CRITIC OF
LITERATURE
Karl J. Fink
Max L. Baeumer

John R. Williams بواسطة **The Life of Goethe: A Critical Biography**

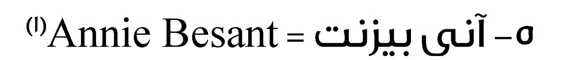
الصفحة 48 | المحتويات

في الكتاب Islam

For all his huge circle of acquaintances and contacts, social, political, intellectual or artistic, Goethe evidently felt often detached and even isolated during these last years. His vision became, according to his own formulaic definition of the stages of life (see above, p. 41 and below, p. 122), a mystical one – a vision expressed not only in some late poems but also in conversations and correspondence with close friends. To Zelter in particular, he voiced a gnomic expression of his later outlook in which he professed an affinity with the quietistic fatalism of Islam – as he put it, a sense of profound acceptance, a detached but serene perception that rose above present vexations, but which also transfigured the real into a comprehensive symbolic meaningfulness:

> Unconditional submission to the inscrutable will of God, viewing with serenity the ever-circling and spiralling recurrence of the earth's restless bustle, love, affection, suspended between two worlds, all that is real refined, dissolving into symbol,

(Sattler_ Berene 1945 Goeth›s idea of world Literature_ Dr Gertrud)



٥- آني بيزنت = Annie Besant[1]

قالت:

إنَّه من المستحيل على الدَّارس لحياة وشخصية النَّبيِّ العربيِّ العظيم، والذي يعلم كيف عاش وكيف كان يعلِّم أتباعه؛ إلَّا أن يشعر بالتوقير لهذا النَّبيِّ القدير، واحد من أعظم رسل الربِّ العليِّ، وبالرغم من أني سوف أحكي لكم أمورًا كثيرةً مألوفة للكثيرين؛ إلا أنِّي شخصيًّا كلَّما قُمت بإعادة قراءتها؛ أجد شعورًا بالإعجاب بطريقة جديدة، وإحساس جديد بالاحترام لهذا المعلِّم العربيِّ العظيم[٢].

The Life and Teachings of Muhammad
by: Annie Besant
Published in 1932 Theosophical Publishing House
Adyar, Madras. India

So it is that Islam has to deal with an amount of prejudice. There is much of course in the exclusive claims of Christianity which make it hostile to other faiths. But none the less that is no excuse for an ignorance of one [Page 4] of the great religions of the world — an ignorance that I think ought to be regarded as a duty by the Muhammadan world to diminish by making known the real character of the Lord Muhammad and by spreading a knowledge of his teachings in countries where those teachings are misrepresented. It is then that I had the idea of putting before you who hold that faith, and of putting before others who do not hold it a way in which it may be regarded, which will replace mistrust with trust, which will make friendship instead of hostility. It is impossible for anyone who studies the life and character of the great Prophet of Arabia, who knows how he taught and how he lived, to feel anything but reverence for that mighty Prophet, one of the great messengers of the Supreme. And although in what I now put to you I shall say things which may be familiar to many, yet I myself feel, whenever I re-read them, a new way of admiration, a new sense of reverence to that mighty Arabian Teacher. In order to understand his work at all, you want to consider the conditions under which he came

(١) كاتبة بريطانية مشهورة (١٨٤٧م - ١٩٣٣م).

(٢) محاضرات لها بمدينة مدراس بالهند، نشرت عام (١٩٣٣م).
http://www.theosophical.ca/adyar_pam...hlet_No162.pdf

٦- مونتجمري وات = William Montgmery Watt[1]

قال:

إنَّ استعداد هذا الرجل لتحمُّل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السَّامية لمن آمنوا به، واتبعوه، واعتبروه سيِّدًا وقائدًا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كلُّ ذلك يدلُّ على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه.

ولي أمل أنَّ هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال أبناء آدم.

إنَّ افتراض أنَّ محمَّدًا كان محتالًا؛ ليثير مشاكل أكثر مما يحلُّ فضلًا عن ذلك، لا أحد من عظماء التاريخ لم يقدر في الغرب بهذا الشكل مثل محمد؛ لذلك ليس فقط علينا أن ننسب لمحمد الأمانة وسلامة القصد إذا أردنا حقًّا تفهمه، إذا أردنا تصحيح ما ورثناه من أخطاء الماضي.

لست مسلمًا بالمعنى المعروف، ولكنني آمل أن أكون مسلمًا بمعنى استسلامي للربِّ، ولكنى أعتقد أن القرآن يحوي كثيرًا من قصص الحقِّ الإلهيِّ؛ حيث علينا نحن أهل الغرب دراستها، والإسلام هو بالتأكيد منافس قوي لإعطاء الهيكل الأساسي لدين المستقبل الوحيد[٢].

قال مارثن فورورد = Martin Forward - المحاضر في الدراسات الدينية بجامعة أورورا بأمريكا = Aurora University:-

---

(١) مستشرق اسكتلندي (١٩٠٩م - ٢٠٠٦م)، وأستاذ الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة أدنبره.

(٢) Montgomery Watt in ‹Muhammad at Mecca‹› Oxford‹ 1953 .

إن كتاب «مونتجمري وات» وصف حياة النَّبيِّ وعدالته الاجتماعية بدقَّة، ووصفه بأنه مثل أنبياء العهد القديم الذي جاء للعرب؛ ليسترجع الإيمان بإله واحد.

أحد الإدِّعاءات الشائعة على محمَّد: إنَّه كان محتالًا؛ حتى يشبع طموحه وشهوته، قام بنشر تعاليمه الدينية، وهو نفسه يعلم أنها كاذبة (!!).

ومثل هذا النفاق لا يمكن أن يفسر تقدم الدين، وقد أثار «توماس كارليل» هذه النقطة بقوَّة منذ مائة عام في محاضراته عن الأبطال، وقد ازداد تقبلها بين العلماء بمرور الزمن، لا يفسر استعداد محمد لتحمل المشاق والإضطهاد في الفترة المكية إلا إيمان عميق بنفسه ومهمته كرسول؛ حيث كان الوضع من ناحية الحسابات الدنيوية، ليس هناك أمل في النَّجاح بدون صدق، كيف يمكن لمحمَّد أن يكسب ولاء رجال وإخلاص رجال أقوياء و شخصيات مثل أبي بكر وعمر؟

سؤال آخر للمؤمنين: كيف يمكن للربِّ أن يسمح لدين عظيم مثل الإسلام ليتقدم على أسس الكذب والخداع؟

لقد كان محمد صادقًا، حتى لو أخطأ في بعض الأمور، فأخطاؤه ليست بسبب الكذب المدروس أو الاحتيال.

وأعتقد أنَّ محمَّدًا مثل الأنبياء الأولين؛ عنده خبرات دينية أصيلة، أنا أعتقد أن محمدًا قد تلقى شيئًا مباشرًا من الرَّبِّ على هذا النحو.

أنا أعتقد: أنَّ القرآن قد جاء من عند الرَّبِّ؛ يعني: أنه وحيٌ إلهيٌّ، محمَّد لم يكن يمكنه اختلاق هذه الطفرة الدينية بدون مباركة الرَّبِّ[1].

---

(١) Interview: William Montgomery Watt
Alastair McIntosh By
http://www.alastairmcintosh.com/articles/2000_watt.htm

William Montgomery Watt بواسطة **Islam and Christianity today: a contribution to dialogue**

الصفحة ix

muslim - السابقة التالية عرض جميع المقتطفات

of open-mindedness. His aspirations to the highest degrees of objectivity are apparent in statements (in earlier works) like: 'I am not a Muslim in the usual sense, though I hope I am a "Muslim" as "one surrendered to God"; but I believe that embedded in the Qur'an and other expressions of the Islamic vision are vast stores of divine truth from which I and other occidentals have still much to learn'; and 'Islam is certainly a strong contender for the supplying of the basic framework of the one religion of the future.'

Muhammad at Mecca

Thus, not merely must we credit Muhammad with essential honesty and integrity of purpose, if we are to understand him at all. If we are to correct the errors we have inherited from the past we must in every particular case hold firmly ...

books.google.com.eg

Muhammad at Mecca

To suppose Muhammad an impostor raises more problems than it solves. Moreover, none of the great figures of history is **so poorly appreciated in the West as Muhammad.** Western writers have mostly been prone to believe the worst of ...

books.google.com.eg

○ ○ ○

٧- إدوارد جيبون = Edward Gibbon[1]

قال:

عقيدة محمد خالية من الغموض، والقرآن شهادة رائعة لوحدانية الإله.

كان محمَّد بحسِّه السَّليم يحتقر أُبَّهة الملك، وكان يساعد أسرته وهو رسول الله: يُصلِح نعله وملابسه بنفسه، يحلب الشياه، ينظِّف المنزل، كان في حاجة أهله[٢].

وقال في كتاب آخر: «تاريخ الإمبراطورية الإسلامية»: النجاح الأكبر في حياة محمد كان متأثرًا بقوةٍ أخلاقية محضة، ليس إنتشار دينه الذي يستحق تعجبنا، ولكن! ديمومة هذا الانتشار[٣].

orthodox commentary will satisfy only a believing mind; intemperate curiosity and zeal had torn the veil of the sanctuary; and each of the Oriental sects was eager to confess that all, except themselves, deserved the reproach of idolatry and polytheism. The creed of Mahomet is free from suspicion or ambiguity; and the Koran is a glorious testimony to the unity of God. The prophet of Mecca rejected the worship of idols and men, of stars and planets, on the rational principle that whatever rises

---

(١) مؤرخ إنجليزي، وعضو في البرلمان، وصاحب كتاب: «تاريخ انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية».

(2) Edward Gibbon and Simon Oakley in ,«history of the Saracen» Empire, london, 1870

(٣) Edward Gibbon, Decline & Fail of the roman Empiro http://books.google.com/books?id=yvi...iugity&f=false

من سيرة النبي المصطفى

The greatest success of Mohammad's life was effected by sheer moral force. ... It is not the propagation but the permanency of his religion that deserves our wonder, the same pure and perfect impression which he engraved at Mecca and Medina is preserved after the revolutions of twelve centuries by the Indian, the African and the Turkish proselytes of the Koran ...The Mahometans have uniformly withstood the temptation of reducing the object of their faith and imagination of man. "I believe in One God and Mahomet the Apostle of God" is the simple and invariable profession of Islam. The intellectual image of the Deity has never been degraded by any visible idol, the honors of the prophet have never transgressed the measure of human virtue, and his living precepts have restrained the gratitude of his disciples within the bounds of reason and religion.

Edward Gibbon

و«قاموس الإسلام» لتوماس باتريك هيوز عن كتاب «محمد ودين محمد» لبوسورث سميث

A Dictionary of Islam: Being a Cyclopaedia of the Doctrines

By Thomas Patrick Hughes

 Page 397

(7) Mr. Bosworth Smith, in his *Mohammed and Mohammedanism*, says :—

" Head of the State as well as of the Church, he was Cæsar and Pope in one; but he was Pope without the Pope's pretensions, Cæsar without the legions of Cæsar. Without a standing army, without a body-guard, without a palace, without a fixed revenue; if ever any man had the right to say that he ruled by a right divine, it was Mohammed, for he had all the power without its instruments, and without its supports.

* * * * *

" By a fortune absolutely unique in history, Mohammed is a three-fold founder—of a nation, of an empire, and of a religion. Illiterate himself, scarcely able to read or write, he was yet the author of a book which is a poem, a code of laws, a Book of Common Prayer, and a Bible in one, and is reverenced to this day by a sixth of the whole human race, as a miracle of purity of style, of wisdom, and of truth. It was the one miracle claimed by Mohammed—his standing miracle he called it; and a miracle indeed it is. But

في رأيي: أنَّ أكبرالأعاجيب لمحمَّد؛ هو: عدم إدعائه أبدًا القدرة على فعل المعجزات؛ لم يدَّعِ إلَّا ما يستطيع فعله فقط، وهو ما شاهده تلاميذه، وهُمْ قد يَنْسِبُوا له فعل معجزات لم يفعلها، بل وأنكرها.

ماذا نحتاج من أدلة قويَّة على صدقه أكثر من ذلك؟

محمَّد في آخر حياته ادَّعى لنفسه لقب وحيد هو الذي ادعاه لنفسه من البداية.

والذي أغامر بالاعتقاد: بأنَّ المسيحيَّة الحقَّة سوف تُقرُّ له بهذا اللَّقب يومًا ما؛ إنَّه لقب: «النَّبيِّ»؛ نبيُّ الرَّبِّ حقًّا.

A Dictionary of Islam: Being a Cyclopaedia of the Doctrines

By Thomas Patrick Hughes



Page 397

MUHAMMAD 397

the most miraculous thing about Mohammed is, that he never claimed the power of working miracles. Whatever he had said he could do, his disciples would straightway have seen him do. They could not help attributing to him miraculous acts which he never did, and which he always denied he could do. What more crowning proof of his sincerity is needed? Mohammed to the end of his life claimed for himself that title only with which he had begun, and which the highest philosophy and the truest Christianity will one day, I venture to believe, agree in yielding to him, that of a Prophet, a very Prophet of God." (*Mohammed and Mohammedanism*, p. 340.)

٨- إدوارد مونتيه = Edouard Montet[1]

قال:

الإسلام دين عقلاني لأبعد الحدود، القرآن وتعاليم الرسول -السنة- احتلا دائمًا مكان الصدارة كنقطة انطلاق أساسيَّة[٢].

وقال: العقيدة فائقة الدِّقَّة، مجردة من كلِّ تعقيدٍ لاهوتي، وبالتالي تدركها الأفهام العادية، ولذلك تَمْلِكُ قوَّةً عظيمة تكسب طريقها إلى ضمائر الرجال[٣].

" Islam is a religion that is essentially rationalistic in the widest sense of this term considered etymologically and historically. The definition of rationalism as a system that

ㅇ ㅇ ㅇ

(١) مستشرق فرنسي من رجال القرن التاسع عشر (١٨١٧م - ١٨٩٤م).

(٢) هذا التَّصريح ورد في «The preaching of Islam» لكاتبه المستشرق البريطاني: «Sir Thomas Walker Arnold».

(٣) La Propagande Chretienne et ses Adversaries Musulmans،› Paris) (1890

http://www.archive.org/stream/preach...rationalistic

٩- ألفونس ديلامارتان = Alfonse De Lamartine[1]

قال:

لم يسبق لرَجُلٍ أن نجح في مثل هذه الثورة الضخمة و الدائمة في العالم؛ لأنه في أقلَّ من قرنين ٢ بعد ظهوره حكم الإسلام بالإيمان والقوَّة بلاد العرب، وغزا باسم الربِّ بلاد فارس، وأواسط آسيا، والشام، وغرب الهند، ومصر، وشمال إفريقيا، والحبشة، وإسبانيا، وجزر عديدة في البحر المتوسط.

من ذا الذي يجرؤ على أن يقارن أيَّ عظيمٍ في التاريخ بمحمَّد؟

أكثر المشهورين تاريخيًّا: بنوا الإمبراطوريات، ووضعوا القوانين، واخترعوا الأسلحة فقط.

هم -فقط- أوجدوا قوىً ماديَّة، وليس أكثر، والتي كثيرًا ما انهارت أمام أعينهم.

هذا الرَّجل لم يحرِّك فقط الجيوش، والتشريعات، والإمبراطوريات، والشعوب، ولكن أرضى ملايين الرِّجال في ثلث العالم، وأكثر من ذلك؛ هو: حرَّك الأفكار، والأديان، والآلهة، والمعتقدات، والأرواح.

لقد أنشأ جنسيةً روحيَّة صهرت معًا شعوبًا مِن جميع اللُّغات والأجناس، ولقد

---

(١) سياسي فرنسي، وكاتب وشاعر، عمل في السفارة الفرنسية في إيطاليا، ثم انتخب عضوًا في الأكاديمية الفرنسية، وعمل وزيرًا للشؤون الخارجيَّة عام (١٨٤٨م)، من كتبه: «رحلة إلى الشرق»، و«تأمُّلات شعريَّة».

كانت لهذه الجنسية الإسلامية خاصية بغض الآلهة الباطلة، وحبّ الإله الواحد غير المادي[1].

Alphonse de Lamartine بواسطة **History of Turkey, 1** المجلد

154

handful of barbarians in the corner of a desert.

Never, in fine, did man accomplish in less of time so immense and so durable a revolution in the world; since, in less than two centuries after his preaching, Islamism, preached and armed, reigned over the three Arabias, conquered to the unity of the Godhead, Persia, Khorassan, Transoxiana, Western India, Syria, Egypt, Ethiopia, all the known continent of Northern Africa, several islands of the Mediterranean, Spain, and a part of Gaul.

If the grandeur of the design, the pettiness of the means, the immensity of the results, be the three measures of human genius, who would dare to compare humanly the greatest men of modern times to Mahomet? The most famous of them have agitated but armies, laws, empires; they have

وقال: أترون أنَّ محمَّدًا كان صاحب خداع وتدليس، وصاحب باطل وكذب؟!

كلَّا! بعدما وعينا تاريخه، ودرسنا حياته، فإنَّ الخداع والتدليس والباطل والإفك، كل تلك الصفات هي ألصق بمن وصف محمَّدًا بها[2].

○ ○ ○

(١) «Historie de la Turquie»، Paris 1854

(٢) لامارتين: «السفر إلى الشرق» (ص٨٤).

١٠- الدكتور جون وليم درابر = Dr. John William Draper[1]

قال:

بعد موت جوستنيان -إمبراطور بيزنطي- بأربعة سنوات، ولد في مكة ببلاد العرب الرجل الذي كان له التأثير الأكبر على الجنس البشري:

لتكون الرأس الديني لإمبراطوريات كثيرة.

لتقود الحياة اليومية لثلث الجنس البشري.

ربما تستحق فعلًا لقب: «رسول الله محمَّد»: الذي سماه الأوروبيون: المحتال.

رفع أُمَّته من عبادة الأصنام إلى التوحيد الذي انتشر بسرعة بين المتخاصمين الكاثوليك والأريوسيين:

منتزعًا من المسيحيَّة وإلى الأبد أكثر من النِّصف، وأيضًا نصف أراضيها الأقدس التي تشمل ميلاد محل ميلاد إيماننا (المسيح)، وإفريقيا[٢].

Four years after the death of Justinian, A.D. 569, was born at Mecca, in Arabia, the man who, of all men, has exercised the greatest influence upon the human race—Mohammed, by Europeans surnamed "the Impostor." He raised his own nation from Fetichism, the adoration of a meteoric stone, and from the basest idol-worship; he preached a monotheism which quickly scattered to the winds the empty disputes of the Arians and Catholics, and irrevocably wrenched from Christianity more than half, and that by far the best half of her possessions, since it included the Holy Land, the birth-place of our faith, and Africa, which had imparted to it

Birth of Mohammed.

(١) عالم كيميائي أمريكي، وأستاذ دكتور بجامعة نيويورك.

(٢) «History of Intellectual Development of Europe», London 1875, Vol. 1، pp. 329-330

http://www.archive.orgLstream/historne/225/mode/2up

١١- واشينجتون إيرفنج = Washington Irving[1]

قال:

لقد كان -أي: محمَّد- عادلًا في تعاملاته، وعامل الأصدقاء والأجانب: الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء؛ بالسوية.

وكان محبوبًا من العامَّة؛ لدماثته معهم، واستماعه لشكاويهم.

لم توقظ انتصاراته العسكرية أيّ روح للفخر، أو الاختيال، أو الاستغلال في الأغراض الشخصية الضيِّقة.

لقد ظلَّت بساطته في المظهر والمعاملات؛ كما هي سواء أيام مجده أو أيام محنته.

وبعيدًا عن التأثر بالمُلك، كان يكره عندما يدخل مكان أي مبالغات في الاحترام. وحتى لو كان هدفه أن يسود العالم؛ فإنَّه كان يريد سيادة الإيمان.

وبالنِّسبة للسلطة الدنيويَّة الَّتي كانت تزداد بين يديه؛ فقد استعملها بلا مباهاة، ولم يتخذ أيَّ إجراءات لضمان بقائها في عائلته[٢].

وقال -أيضًا-:

كانت تصرُّفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدلُّ على أنَّه نبيٌّ مرسل، لا على

(١) واشنجتون إرفنج Washington Irving (١٧٨٣- ١٨٥٩م): مستشرق ومؤرخ أمريكي، أولى اهتمامًا كبيرًا بالدراسات الإسلامية، من مؤلفاته: (حياة محمد)، (فتح غرناطة). انظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ٣/ ١٣١.

(٢) «Mahomet and His Successors 1850»

أنه قائد مظفَّر؛ فقد أبدى رحمةً وشفقةً على مواطنيه، برغم أنه أصبح في مركز قويٍّ، ولكنه توَّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو[1].

المجلد Mahomet and his successors, 1 بواسطة Washington Irving

339

His military triumphs awakened no pride nor vainglory, as they would have done had they been effected for selfish purposes. In the time of his greatest power, he maintained the same simplicity of manners and appearance as in the days of his adversity. So far from affecting regal state, he was displeased if, on entering a room, any unusual testimonial of respect were shown him. If he aimed at universal dominion, it was the dominion of the faith: as to the temporal rule which grew up in his hands, as he used it without ostentation, so he took no step to perpetuate it in his family.

MAHOMET AND HIS SUCCESSORS

VOL. XII.

WASHINGTON IRVING

○ ○ ○

(١) «حياة محمَّد» (ص٧٢).

١٢- جيمس ألبرت ميتشنر = James Albert Michener[1]

قال:

لم ينتشر دينٌ في التاريخ بسرعة إنتشار الإسلام.

لقد أعتقد الغرب: أنَّ المدَّ الإسلاميَّ قد نجح بقوَّة السَّيف.

ولكن لا يوجد عالم في العصر الحديث وافق على هذه الفكرة، والقرآن كان صريحًا في دعم حرية الاعتقاد.

كان عند محمَّد شعورٌ بعدم قدرته على تبليغ كلمة الربِّ؛ ثقل المهمة، ولكنه مثل جميع الأنبياء الكبار قبله؛ قاوم هذا الشعور عندما أمره الملاك: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾.

وحسب علمنا لم يكن محمَّد يقرأ ويكتب، ولكنه بدأ بإملاء كلمات الوحي التي سُرعان ما غيَّرت جزءًا كبيرًا من العالم: الإله واحد فقط: «لا إله إلا الله».

لقد كان محمَّد عمليًّا جدًّا في كلِّ الأمور، فعندما مات ابنه المحبوب: إبراهيم، وحدث خسوف للشمس، وظهرت الشائعات: أنَّ هذا يُعتبر تعزية من الله له، فقام وأعلن: أن هذا الخسوف ليس سوى ظاهرة طبيعيَّة -آية من آيات الله-، وليس من المعقول: أن تكون بسبب موت أو مولد إنسان.

محمد، ذلك الرجل المُلهم، موجد الإسلام، ولد عام (٥٧٠م) في قبيلة عربية كانت تعبد الأصنام[2].

○ ○ ○

---

(١) كاتب أمريكي مشهور (١٩٠٧م - ١٩٩٧م).

(٢) James Michener in «Islam: The Misunderstood Religion», Reader's Digest، May 1955، pp. 68-70

"The Misunderstood Religion" michener [illegible]

"Muhammad, the inspired man who founded Islam, was born about A.D.570 into an Arabian tribe that worshipped idols. Orphaned at birth, he was always particularly solicitous of the poor and needy, the widow and the orphan, the slave and the downtrodden. At twenty, he was already a successful businessman, and soon became director of caravans for a wealthy widow. When he reached twenty-five, his employer, recognizing his merits, proposed marriage. Even though she was fifteen years older than him, he married her, and as long as she lived, remained a devoted husband. Like almost every major prophet before him, Muhammad fought shy of serving as the transmitter of God's word, sensing his own inadequacy. But the angel commanded "Read". So far as we know, Muhammad was unable to read or write, but he began to dictate those inspired words which would soon revolutionize a large segment of the earth: There is one God! in all things. Muhammad was profoundly practical. When his beloved son Ibrahim died, an eclipse occurred, and rumors of God's personal condolence quickly arose. Whereupon Muhammad is said to have announced, "An eclipse is a phenomenon of nature. It is a foolish act to attribute such things to the death or birth of a human being". At Muhammad's own death an attempt was made to deify him, but the man who was to become his administrative successor killed the hysteria with one of the noblest speeches in religious history: "If there are any among you who worshipped Muhammad, he is dead. But if it is God you worshipped, He lives forever!"

JAMES A. MICHENER.

"ISLAM: The Misunderstood Religion."

READER'S DIGEST, MAY 1955

١٣- دكتور جوستاف فايل[1]: Dr. Gustav Weil

قال:

كان محمَّد قدوةً ساطعةً لقومِه.

شخصيته نقيَّة وغير قابلة لما قد يُكدِّر نقاءها، بيته، وملبسه، وطعامه كان يتميَّز ببساطة نادرة.

وكان من تواضعه: أنَّه لا يتلقى من أتباعه أي إشارات خاصة من المبالغة في التَّبجيل.

ولم يكن يقبل من خادمه خدمة ما يقدر هو على فعلها بنفسه.

وكانت مقابلته متاحة للجميع في جميع الأوقات.

وكان يعود المرضى، وكان يمتلىء عطفًا على الجميع.

وكانت نزعته للخير ومروءته بلا حدود.

كما كان شديد الحرص على خير مجتمعه[2].

Muhammad was a shining example to his people. His character was pure and stainless. His house, his dress, his food -they were characterized by a rare simplicity. So unpretentious was he that he would receive from his companions no special mark of reverence, nor would he accept any service from his slave, which he could do for himself. He was accessible to all and at all times. He visited the sick and was full of sympathy for all. Unlimited was his benevolence and generosity as also was his anxious care for the welfare of the community.

Dr Gustav Weil

○ ○ ○

(١) مستشرق ألماني (١٨٠٨م - ١٨٨٩م).

(٢) http://media.causes.com/567451?s=cause

١٤- جوستاف لوبون = Gustave Le Bon[1]

قال:

محمَّد هو أعظم الرِّجال الذين عرفهم التاريخ.

لو أخذنا بوجهة نظر الذين يقولون: بأن يد الربِّ تعمل في التاريخ -أي: قضاء الله و قدره- لا يمكننا فهم حياة محمد إلا بطريقة إيجابية.

وفي هذه الأيام كثير من غير المسلمين يُردِّد وجهة النظر هذه، ويقبلون فكرة: أن الربَّ يُساند الإسلام، ويعترفون مع المسلمين بمصداقية تجربة محمَّد الروحيَّة وقيادته.

ولو أنَّهم لا يُقرُّون بكلِّ جانبٍ من العقيدة الإسلاميَّة، ولكنَّهم يرفضون فكرة: أن محمدًا غير صادق، أو أنَّه اختلق الإسلام.

ونعلم جميعًا: أنَّ العدالة، والمساواة، والوضوح؛ هي: جوهر الإسلام[٢].

وقال -أيضًا-: إنَّني لا أدعو إلى بدعة محدثة، ولا إلى ضلالة مستهجنة، بل إلى دين عربي قد أوحاه الله إلى نبيِّه محمد، فكان أمينًا على بثِّ دعوته بين قبائل تلهَّت بعبادة الأحجار والأصنام، وتلذَّذت بترَّهات الجاهلية، فجمع صفوفهم بعد أن كانت مبعثرة، ووحَّد كلمتهم بعد أن كانت متفرِّقة، ووجَّه أنظارهم لعبادة الخالق، فكان خير البريَّة على الإطلاق حبًّا ونسبًا وزعامة ونبوَّة، هذا هو محمد الذي اعتنق شريعته أربعمائة مليون مسلم، منتشرين في أنحاء المعمورة، يرتِّلون قرآنًا عربيًّا مبينًا.

---

(١) غوستاف لوبون Gustav Lobone (١٨٤١- ١٩٣١م): مستشرق فرنسي، قام بدراسات متخصصة في علم النفس والاجتماع، من أشهر كتبه: «حضارة العرب».

(٢) «New World Encyclopedia»

http://www.citation-du-jour.fr/citat...que-47393.html

http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Muhammad

وقال -أيضًا-: فرسول كهذا جدير باتِّباع رسالته، والمبادرة إلى اعتناق دعوته؛ إذ إنها دعوة شريفة، قوامها معرفة الخالق، والحضُّ على الخير، والرَّدع عن المنكر، بل كلُّ ما جاء فيها يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعو إليه جميع النصارى[1].

❍ ❍ ❍

(١) «حضارة العرب» (ص٦٧).

١٥- ليو تولستوي = Leo Nikolayevich Tolstoy[١]

قال:

في حال المفاضلة بين دين محمد والأرثوذكسية ؛ فأنا متعاطف تمامًا مع هذا التحوُّل، وهذا الكلام يبدو غريبًا لأقوله، وأنا الذي يُقدِّر تعاليمَ المسيح أكثر مِن أيِّ شيءٍ، ولكنِّي لا أشكُّ أنَّ الإسلام يعلو على الكنيسة الأرثوذكسية.

إذن؛ لو أنَّ شخصًا خيَّرناه بين الإسلام والكنيسة الأرثوذكسية -أيُّ عاقل- لن يتردد في اختيار الإسلام الذي يعتقد عقيدة واحدة -إلهه واحد، ورسوله واحد- بدلًا من أشياء مُبهمة، ولاهوت مُعقَّد؛ مثل: الثالوث، والخلاص، والفداء، والقديسين وصورهم[٢].

○ ○ ○

(١) أديب روسي، من أشهر أدباء العالم (١٨٢٨م - ١٩١٠م)، درس اللغة و الأدب العربي في جامعة قازان، وألف كتاب «حكم محمد = The Rule of Mohamed».

(٢) The Treatise of Famous Russian Writer about the Messenger of Islam

١٦- لويس ماسينيون = Louis Massignon[1]

قال:

إنَّه من السُّخف نقدُ محمدٍ بسبب تعدُّد الزَّوجات[٢]، أو بسبب حروبه وانتقامه؛ لا أرى في ذلك سُوءًا.

قال عن الإسلام: الوحي في الإسلام استجابة خفيَّة للنِّعمة الإلهية لدعوة إبراهيم لإسماعيل والجنس العربي.

الوحي له ثلاث مراحل:

الأول: هو الإبراهيمي؛ الذي أوحي إليه دين الفطرة.

الثاني: هو وحي الشريعة إلى موسى.

والثالث: وحي الحبِّ الإلهي للمسيح.

والإسلام هو رجوع لدين الفطرة الإبراهيمي؛ حيث لا يعرف أحد جوهر الربِّ وصفاته إلا عن طريق الوحي، واتِّباع شريعته.

الإسلام مهمَّتُه الأساسيَّة: نشر دعوة توحيد الرَّبِّ ولو بالعنف، حتَّى يجبر عبَّاد الأصنام على قبول الرسالة.

ورغم ذلك؛ هناك -أيضًا- في الإسلام ميل لعدم العنف، نشاهده في مناسك الحج لمكة[٣].

❍ ❍ ❍

---

(١) مستشرق فرنسي (١٨٨٣م - ١٩٦٢م).

(٢) انظر -غير مأمور- (ص٤٣٢) من هذا الكتاب.

(٣) انظر: «لويس ماسينيون وحوار الحضارات» لموريس بورمانز، و«الجوانب اللاهوتية لفكر ماسينيون عن الإسلام».

http://enwikipedia.org/wiki/louis_Massignon

من سيرة النبي المصطفى

١٧- جولز ماسيرمان = Jules Masserman[1]

قال:

القادة يجب أن تتوافر فيهم ثلاثة شروط:

١- التكوين السليم للقيادة.

٢- نظام اجتماعي يشعر فيه النَّاس نسبيًّا بالأمن والطمأنينة.

٣- وأن يوفر لشعبه مجموعة واحدة من المعتقدات.

أشخاص مثل (باستير) و(سالك) هم قادة من أول نوع، وغاندي و(كونفوشيوس) النوع الثاني. و(الإسكندر) و(قيصر) و(هتلر) من النوع الثاني وربما الثالث. (بوذا) و(المسيح) من النوع الثالث فقط.

ربما يكون أعظم قائد في جميع العصور: «محمد» الذي جمع كل الشروط معًا. موسى كان كذلك؛ لكن بدرجة أقل[٢].

0

Digg

JULES MASSERMAN, U.S. psychoanalyst: Leaders must fulfill three functions —provide for the well-being of the led, provide a social organization in which people feel relatively secure, and provide them with one set of beliefs. People like Pasteur and Salk are leaders in the first sense. People like Gandhi and Confucius, on one hand, and Alexander, Caesar and Hitler on the other, are leaders in the second and perhaps the third sense. Jesus and Buddha belong in the third category alone. Perhaps the greatest leader of all times was Mohammed, who combined all three functions. To a lesser degree, Moses did the same.

---

(١) محلل نفسي أمريكي، وأستاذ في جامعة شيكاغو.

(٢) http://www.time.com/time/magazine/ar...9377-3،00.html

١٨- هاملتون ألكساندر روزكين جب = Sir Hamilton Alexander Rosskeen Gibb[١]

قال:

الإسلام لا تزال لديه القدرة على التوفيق بين عناصر لا يمكن التوفيق بينها على ما يبدو من العرق والتقاليد.

لو أنَّ التَّضاد بين المجتمعات الشرقية والغربية كان له أن يُستبدل بالتَّعاون؛ لكانت وساطة الإسلام في ذلك الشأن أمرًا لا غنى عنه؛ إذ أنه يملك حلول لمشاكل تواجه أوروبا في علاقتها مع الشرق.

لو توحدا؛ لتعززت قضية السلام بها لا يمكن أن يُقاس، ولكن: لو أن أوروبا رفضت التَّعاون مع الإسلام، ورمته لأحضان منافسيها، سوف يكون الأمر كارثي لكليهما[٢].

Moslem communities in China and the still smaller community in Japan show that Islam has still the power to reconcile apparently irreconcilable elements of race and tradition. If ever the opposition of the great societies of the East and the West is to be replaced by co-operation, the mediation of Islam is an indispensable condition. In its hands lies very largely

Whither Islam?: a survey of modern movements in the Moslem world

Sir Hamilton Alexander Rosskeen Gibb

❍ ❍ ❍

(١) مستشرق أسكتلندي (١٨٩٥م - ١٩٧١م)، درس علوم الاستشراق بجامعة لندن عام (١٩٢٢م)، أستاذ اللغة العربية بجامعة هارفارد عام (١٩٥٥م).

(٢) «أين الإسلام» (ص٣٩٧).

١٩- لين بول = Lane Poole[1]

قال:

إنَّ محمَّدًا كان يتَّصف بكثير من الصفات؛ كاللُّطف، والشَّجاعة، وكرم الأخلاق، حتى إنَّ الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثَّر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادرًا عن غير ميل أو هوًى، كيف لا؟!

وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته سنوات بصبرٍ وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله:

أنَّه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصافح طفلًا!

وأنَّه لم يمرَّ بجماعة يومًا من الأيام -رجالًا كانوا أم أطفالًا- دون أن يسلِّم عليهم، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وبنغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذبًا[٢]!

○ ○ ○

(١) مفكر إنجليزي (١٨٥٣م - ١٩١٧م)، من مؤلفاته: «رسالة في تاريخ العرب».

(٢) «روح الدين الإسلامي» (ص٤٣٨) لعفيف طبارة.

٢٠- وليم موير = William Muir[1]

قال:

امتاز محمَّد بوضوح كلامه، ويُسر دينه، وأنَّه أتمَّ من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيى الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد[٢].

وقال -أيضًا-:

ومهما يكن هناك من أمر؛ فإنَّ محمَّدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، وذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم[٣].

○ ○ ○

(١) مؤرِّخ ومستشرق إنجليزي (١٨١٩-١٩٠٥م)، رئيس جامعة أدنبره.

(٢) «حياة محمد» (ص٣١).

(٣) المصدر السابق (ص٢٠).



القسم الثالث

محمَّد ﷺ دُرَّة تاج البشريَّة[1]

١- في سنة (١٨٤٠م) قدَّم الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) -وهو واحد من أبرز مفكري أوروبا في القرن التاسع عشر- سلسلة من المحاضرات العلمية تحت عنوان: «الأبطال»؛ استطاع من خلالها أن يثير انتباه العالم كلِّه إلى حقيقة رسول الله محمد ﷺ وبخاصة في أوروبا التي كانت مشحونة -وقتئذ- بالكراهية لمحمد ﷺ بالحقد على الإسلام.

لقد دافع (توماس كارليل) بأسلوب عبقري عن محمد ﷺ، وفنَّد الافتراء الزائف الذي مارسه الغرب الصليبي لتشويه صورة دين الإسلام.

تكلَّم (توماس كارليل) عن إخلاص الرسول ﷺ، وعرض صورًا من وفائه، واستعرض وقائع تدّل على أمانته وصدقه، ودحض كلَّ افتراءات الزيف عن الرسول والإسلام.

ومما قال: «الرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون؛ فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء.

فمحمد رسول الإسلام كان كذلك، وكان فوق ذلك، الرجل العظيم الذي

---

(١) ننصح بمراجعة كتاب: «محمد ﷺ أعظم عظماء التاريخ» للأستاذ أحمد ديدات رحمه الله، ترجمة علي الجوهري.

علَّمه الله العلم والحكمة، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من السماوات العلى.

أيُّ شيء أكبر دلالة على صدق من يدَّعي لك أنه بنَّاء ماهر من أن يبني بيديه دارًا تقاوم العوادي أكثر من ألف ومائتي سنة، وهي تَسَعُ نحو مائتي مليون من الناس؟.

كذلك لا شيء أكبر دلالة على صدق نبوة محمد من أن يؤسس ديانة تجد فيها نحو مائتي مليون من الأنفس غذائها الروحاني، وتقاوم عوامل التحليل أكثر من إثني عشر قرنًا.

فمحمد هو الذي قال: إنه رسول من عند الله، وبرهن على صدق قوله بدين نشره في الناس، أخذه مئات من الملايين، ومضى عليهم في ذلك قرونًا طويلة، وهم يحبُّون دينهم هذا، ويتحمَّسون له أكبر تَحَمُّس.

فماذا يراد من الأدلة على نبوته بعد ذلك؟.

أيزعم الكاذبون: أن الطمع وحبَّ الدنيا هو الذي أقام محمدًا وأثاره؟

وهذا الزعم حماقة -وأيم الله- وسخافة وهوس!

أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب، وفي تاج قيصر، وصولجان كسرى، وجميع ما في الأرض من تيجان وصوالج؟

وأين تعبير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر؟

أفي مشيخة مكة وقضيب مفضفض الطرف أو في ملك كسرى؟

كلا! إذن؛ فلنضرب صفحًا عن مذهب الجائرين هذا، ونَعُدُّ موافقتهم عارًا وسبَّة وسخافة وحمقًا؛ فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع!

ولقد قيل كثيرًا في شأن نشر محمد دينه بالسيف، فإذا جعل الناس ذلك دليلًا على كذبه؛ فقد أخطأوا وجاروا!

إنهم يقولون: ما كان الدين ينتشر لولا السيف، ولكن ما الذي أوجد السيف؟

إنه قوة هذا الدين، وأنه حق.

أولم يروا: أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانًا؟ وحسبكم ما فعل (شارلمان) بقبائل السكسون !!

لقد كان محمد زاهدًا متقشفًا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أمور حياته وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما كان يصلُح نعله وَيَرْثُ ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟

فحبذا محمد من نبي خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الليل، قائم النهار، ساهر الليل، دائب في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، وهو -بحقٍّ- النَّبيُّ ذو الخلق العظيم»[١].

٢- وفي سنة (١٩٧٤م) جعلت مجلة (تايم) العالمية: (مَنْ الذين كانوا أعظم قادة التاريخ؟) موضوع العدد، وحاورت من خلاله جمعًا من ثقات المؤرخين عندهم وكبار المفكرين لديهم ورجال الأعمال في بلادهم عن اختيار كلِّ منهم في هذا الباب..

وعندما نصل إلى رأي (جول ماسرمان) -المحلل النفسي الأمريكي، وأستاذ علم النفس في جامعة شيكاغو- تجده بَيَّن كيفية اختيار أعظم القادة تأثيرًا في العالم، فقال: «يلزم أن يؤدي القادة ثلاث وظائف في غاية الأهمية:

الأولى: أن يحقِّق مصلحة الجماعة التي يقودها.

الثانية: أن يوفر لأتباعه نظامًا اجتماعيًا يشعر فيه الناس بالأمن.

الثالثة: أن يكون قادرًا أن يمدَّ أتباعه بمجموعة متسقة من العقائد الصحيحة».

وباستخدام المعايير الثلاثة السابق ذكرها يبحث ويحلِّل (جول ماسرمان) شخصيات أنبياء ومفكرين وقادة وملوك، ويصل في نهاية تحليله إلى نتيجة حتمية؛ وهي: «ربما كان أعظم قائد في كلِّ عصور التاريخ هو محمد ﷺ؛ فهو وحده الذي جمع

(١) انظر (ص٥٣٠).

المزايا الثلاث والوظائف الثلاث للقائد، وكان موسى أقل منه درجة!»[1].

٣- وأخيرًا في سنة (١٩٨٧م) وضع (مايكل هارت) -أحد علماء (وكالة ناسا الأمريكية) ذو الإبداعات المتعددة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء- كتابًا عن (الأشخاص الذين هم أكثر تأثيرًا في التاريخ)[2]؛ فكان رسول الله محمد ﷺ أفضل شخصية في التاريخ، وأعظم بني آدم على الإطلاق فجاء ﷺ على رأس القائمة، ولكيلا يندهش القراء، ويستوحش المراقبون من ذلك الإختيار؛فقد شرح مايكل هارت سبب اختياره لسيد ولد آدم ﷺ، ليكون درّة تاج البشرية بعلم وصدق، فقال في مقدمة كتابه:

«يجوز أن يدهش اختياري محمدًا ﷺ؛ ليكون على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيرًا في العالم بعض القراء، وربما كان ذلك عرضة للاستفسار من آخرين، ولكنه ﷺ كان هو الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل -كل الكمال- على المستوى الديني وعلى المستوى الدنيوي.

لقد وضع محمد ﷺ أسس واحد من أعظم الأديان في العالم، وقام بنشرها استنادًا إلى مصادر جدّ ضئيلة، وأصبح أيضًا قائدًا سياسيًا عظيم التأثير.

واليوم بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا بعد وفاته لا يزال تأثيره قويًا وواسع الانتشار.

.. إنه هو إذن ذلك التآلف المنقطع النظير بين ما هو دنيوي وما هو ديني، وهو الذي يجعلني أرشح محمدًا ﷺ؛ ليكون الشخص الأوحد الأكثر تأثيرًا في التاريخ الإنساني»[3].

---

(١) انظر (ص ٥٥٤).

(٢) قام الكاتب المصري أنيس منصور بترجمته إلى اللغة العربية بعنوان: «الخالدون المائة: أعظمهم محمد رسول الله ﷺ».

(٣) The 100، A Ranking of the Most Influential Persons In History، New York، 1978.



الإسلام دين المستقبل ووارث الحضارات

إن المدنيّة المادية أصبحت عاجزة أمام الفقر الروحي المدقع الذي أوجدته، فأصبحوا يعانون من صراعات متعددة، وإحباطات متنوعة، وراحوا ينشدون السبيل؛ عساهم يجدون مخرجًا.

ولقد تحدث كثير من مفكري الغرب عن بوادر انهيار المدنية المادية، لكن كل يرصد الأمر من زاوية نظره الخاصة.

* فالفيلسوف الإنجليزي (برتراند رسل) يقول: لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، وبقاء تلك السيادة إلى الأبد قانونًا من قوانين الطبيعة.

ثم يعلل الأمر بأن الرجل الأبيض لم يعد لديه ما يعطيه(!)

* والدكتور الفرنسي (الكسيس كاريل) يتحدث في كتابه: «الإنسان ذلك المجهول» عن مظاهر الانهيار في المدينة الغربية الوثنية، ثم يعللها بأن تلك المدنية قد أنشئت على حطام فطرة «الإنسان» الذي أنشئت من أجله(!).

ولذلك؛ فهو يطلب منهجًا غير «دين الصناعة».

* ويقول (برناند شو): لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولًا لدى أوروبا غدًا، وهو قد بدأ مقبولًا اليوم.

وأما أنا؛ فأرى أن يدعى محمد منقذ الإنسانية، وإن رجلًا مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حلِّ مشاكله، وَأَصَّلَ في العالم السلام والسعادة.

* ويقول (أرنولد تويني): مشكلة الخمر والعنصرية لن يحلها إلا الإسلام، وهو كفيل بذلك.

هذه نماذج من شهادة علماء المدنية المادية، وأما ساستها فماذا يقولون؟

* يتحدث (جون فوستر دلاس) -وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق- في كتابه «حرب أم سلام» عن إفلاس المدنية المادية؛ ويرده إلى نقص الإيمان، والحيرة القائمة في عقول الناس، والتآكل الموجود في أرواحهم.

لقد أدرك بعض منصفي أهل الكتاب هذا المقام؛ فاعترفوا -غير مكرهين-: أن الإسلام دين المستقبل دون مدافع، ووارث الحضارات دون منازع.

وهاهم يقرُّون؛ فيقولون:

* قال (شبنجلر): «إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا؛ لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي: حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية».

* وها هو المؤرخ (أرنولد توينبي) يستقرىء ما يمكن أن يقوله التاريخ بصدد مستقبل الإسلام، ثم يصدر حكمه، فيقول: «فإذا كان للسوابق التاريخية أي معنى عندنا وهي إشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن أن يلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا؛ فإنها تنذر بأن الإسلام قادر على التأثير في المستقبل بأساليب عدة، تسمو على فهمنا وإدراكنا».

* ويقول المفكر الفرنسي «ديباسكييه» مرشحًا الإسلام لقيادة البشرية، وإنقاذها من التردي والسقوط: «إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدًا، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفًا عدائيًّا منه، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به، لكي يجد مبررات

لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام».

ويضيف: «ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر؛ ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان».

* ويقول المستشرق الأمريكي«سارتون»: «ليس ثمة ما يمنع أن تقود شعوب العالم الإسلامي العالم مرة أخرى في المستقبل القريب والبعيد؛ كما قادته في العصور الوسطى».

* وكتب السفير الألماني في المملكة المغربية (مراد فليفريد هوفمان) كتابًا سمّاه: «الإسلام كبديل».

* وكانت الأستاذة الألمانية الدكتورة (زيغريد هونكة) قد تصدت قبل فترة؛ لتفنيد التحاملات الغربية ضد الإسلام في كتابها: «تعالى الله عما يصفون ألف تحامل وتحامل ضد الإسلام».

لكن هذه العودة للإسلام ليقود البشرية من جديد مرهونة بعودة المسلمين إلى أخلاق أسلافهم، وهذا ما يعترف به هؤلاء المفكرون والساسة.

*** مرما ديوك باكتول:**

«إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم -الآن- بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا؛ بشرط: أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم».

*** الكاتب جورج سامسون في كتابه: «الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين»:**

«إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتحدث اللغة العربية، وذلك ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر كانت عظيمة إلى درجة تذهل أفهامنا، وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادت العالم في مرحلتين طوال ألفي عام على الأقل قبل

أيام اليونان، وفي العصور الوسطى لمدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد».

*** الصحفي السويسري: روجيه دي باسكيه في كتابه «اكتشاف الإسلام»:**

«من المُسَلَّم به حاليًا وبوجه عام: أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع، فإن الإسلام ذاته في تقدم وتعطي إفريقيا أكثر الأمثلة وضوحًا على ذلك.

إن قوة الإسلام هذه مقارنة بضعف المسيحية تمثل حقيقة كبرى في التاريخ المعاصر... إنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان.

إن الإسلام عالمي بكل معنى الكلمة.

إن الغرب المسيحي أو الذي فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبدًا مهما حدث في العالم الغربي المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التي تعاني من الفقر في المستلزمات المادية للحياة؛ مثل تلك التي يطلق عليها العالم الثالث، فإن الإسلام يقدم الحلَّ الأكثر وضوحًا، وجوهرية، وحتمية من أجل مواجهة التحدي الحديث».

*** ويقول الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا في شمال أفريقيا – في كتابه: «الإسلام عام ٢٠٠٠»:**

«إن الإسلام يحتل القمة فيما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن الحالي.

لا يتوقع اليوم أحد: أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد بل يتفجر، ويضع جنرالات الناتو في حسبانهم: أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالًا في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولكن الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب..

إني لا أدعو إلى أي تنازل أو تجاوز قد يمس أساسيات الإسلام في القرآن والسنة الصحيحة، فليس الهدف تحويل الإسلام ليناسب الحداثة، ولكن تجديده حسبما ترمي أصوله ومنهاجه؛ ليناسب العصر، وحتى يقرّ بذلك أكثر الغربيين نشوزًا.

الجميل في هذا المسعى: أنه سيخدم السلام في الوقت نفسه الذي سيهيئ أعظم الفرص ليصبح الإسلام ديانة العالم الأولى في القرن ٢١».

* **البير شادور:**

«إن هذا المسلم الذكي الشجاع، قد ترك لنا حيث حلّ علمه وفنه، وآثار مجده وفخاره.

إن هذا المسلم الذي نام نومًا عميقًا مئات السنين، قد استيقظ وأخذ ينادي: هأنذا لم أَمُت، إني أعود للحياة، لا لأكون أداة طيعة، أو كتلًا بشرية تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها.

من يدري ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهدَّدة بالمسلمين يهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب أو الزمن الموقوت.

لست متنبئًا، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذَّرَّة ولا الصواريخ على وقف تيارها».

* **المؤرخ الفرنسي «باباسكبيه»:**

«إن الإسلام هو المنقذ الوحيد الذي يحتاج إليه العالم المعاصر؛ ليتخلص من متاهات الحضارة المعاصرة؛ والتي لا بدَّ إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان».

* **الرحالة الألماني بول أشميد** سنة (١٩٣٦م) ألَّف كتابًا خاصًّا بهذا الموضوع سماه: «الإسلام قوة الغد» مما قال فيه:

«إن مقومات القوى في الشرق الإسلامي؛ تنحصر في عوامل ثلاثة:

١ - في قوة الإسلام كدين، وفي الاعتقاد به، وفي مُثُلِهِ، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة.

٢- وفي وفرة مصادر الثروة الطبيعية في رقعة الشرق الإسلامي الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربًا إلى المحيط الهادي، على حدود أندونيسيا شرقًا، وتمثيل هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة قوية ولاكتفاء ذاتي، لا يدع المسلمين في حاجة مطلقًا إلى أوربا أو غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا.

٣- وأخيرًا أشار إلى العامل الثالث وهو: خصوبة النسل البشري لدى المسلمين، مما جعل قوتهم العددية قوة متزايدة.

ثم قال: فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث؛ فتآخى المسلمون على وحدة العقيدة، وتوحيد الله، وغطت ثروتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم؛ كان الخطر الإسلامي خطرًا منذرًا بفناء أوروبا وبسيادة عالمية في منطقة هي مركز العالم كلّه»[١].

○ ○ ○

(١) وانظر -غير مأمور- هذه المقالات وأضعافها وتحليلها تحليلاً يقوم على سنن الله في الشرع والكون والتاريخ؛ كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام»، وهو مطبوع متداول.

الفهارس العامة





فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

الصحيح المصفّى

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

من سيرة النبي المصطفى

سورة الأنفال

سورة التوبة

من سيرة النبي المصطفى

سورة يونس

سورة هود

سورة الرعد

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة محمد

سورة الفتح

من سيرة النبي المصطفى

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة التحريم

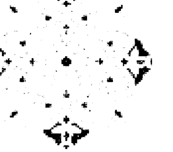
سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس

○ ○ ○





حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

من سيرة النبي المصطفى

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف اللام ألف

حرف الياء

○ ○ ○



إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص

أنس بن مالك

السائب بن عبد الله

سعد بن معاذ

سعيد بن جهمان

سعيد بن زيد

سفينة

سلمة بن الأكوع

سلمة بن سلامة

سهل بن حنيف

من سيرة النبي المصطفى

أبو عياش الزُّرقي

أبو موسى الأشعري

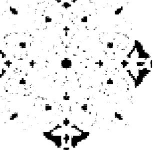
أبو هريرة

النساء

أسماء بنت أبي بكر

أم الدرداء

○ ○ ○





حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

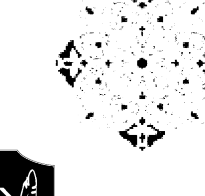
حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

○ ○ ○





فهرس الأعلام

○ ○ ○





حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الضاد

حرف العين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

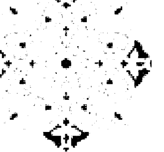
حرف الهاء

من سيرة النبي المصطفى

حرف الواو

حرف الياء

○ ○ ○




فهرس
الموضوعات